

شُمُوسُ الْعَرَفِينَ

فِي

نَقْلِ السَّاجِدِينَ

الجزء الثاني

الكَتَرُ الْمَكُونُ فِي ذِكْرِ مَنْ أَقْب

أَهْلِ الصِّدْقِ عِبَرُ الْقُرُونِ

جمع وتوزيع

الدكتور أحمد عبد السلام بن عبد الله بن الشريف محمد بن الحارث

المحتوى

7	الباب الأول : تراجم السادة الصوفية عبر القرون الهجرية
9	القرنُ الأوّل و الثاني
74	القرنُ الثالث
143	القرن الرابع
153	القرنُ الخامس
157	القرنُ السادس
183	القرنُ السابع
237	القرنُ الثامن
253	القرنُ التاسع
299	القرنُ العاشر
321	القرنُ الحادي عشر
327	القرنُ الثاني عشر
349	القرنُ الثالث عشر
391	القرنُ الرابع عشر
415	القرنُ الخامس عشر
435	الباب الثاني : ذكر بعض سلاسل الطرق الصوفية
437	سند الأئمة الأربعة
438	سلسلة الأقطاب

الباب الثالث : ذكر تراجم بعض السيدات الصالحات من المؤمنات الذاكرات

439 (1) السيدة زينب

441 (2) السيدة فاطمة النبوية

447 (3) السيدة سكينة بنت الحسين

450 (4) السيدة عائشة بنت جعفر الصادق

452 (5) السيدة رقية بنت الإمام علي الرضا

454 (6) السيدة نفيسة بنت حسن الأنور

456 (7) السيدة رابعة العدوية

463 الخاتمة

467 المصادر والمراجع

471 فهرس أعلام شمس العارفين

475 الجزء الأول

477 الجزء الثاني

481



الباب
الأول

تراجم السادة
الصوفية
عبر القرون
الهجرية

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

[يونس: 62-63]

القرنُ الأوّل و الثّاني

سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن

السبط ﷺ*

هو سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن مولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ، كان ﷺ طيب النفس كثير البر مهيباً فاضلاً ورعاً زاهداً يلي صدقات أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، حاول الحجاج بن يوسف الثقفي أن يدخل معه غيره من بني عمومته في تلك الصدقات فأبى ورفع ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأحسن إليه ووصله بصلة ثم أبقاه على صدقات جده سيدنا علي كرم الله وجهه.

يروى أنه ﷺ خطب إلى عمه الحسين إحدى ابنتيه فاطمة وسكينة فقال: اختر يا بني أحبهما إليك فاستحيا الحسن ولم يرد جواباً، فقال له عمه الحسين ﷺ: قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فزوجها منه فولدت له عبد الله المحض، وإبراهيم القمر، والحسن المثلث وكل منهم له عقب وكانت ﷺ تشبه بالحوار العين لجمالها. حضر سيدنا الحسن المثنى مع عمه سيدنا الحسين بكربلاء فلما استشهد سيدنا الحسين ﷺ وأسر الباقر من أهله، نجاه الله من أيدي أعدائه فعاش ﷺ 85 سنة وتوفي سنة 97 هـ. ولما مات ﷺ ضربت زوجته سيدتنا فاطمة بنت الحسين قبة على قبره مدة سنة تقوم الليل وتصوم النهار رضي الله عنها وعن زوجها سيدنا الحسن وعن كل سادات آل بيت النبوة ومعدن الجود والفتوة.

* عمدة الطالب في أنساب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. للشريف أحمد بن عتبة: ص 200. والشجرة الزكية في أنساب وسيرة آل النبوة ليوسف بن عبد الله جمل الليل.

عقب ﷺ من الأولاد:

عبد الله المحض ومحمد وجعفر وإبراهيم والحسن المثلث وداوود.
وقد ذكر سبب موته أن الوليد بن عبد الملك دس عليه من سقاه سمّاً فمات
قدس الله سره.

ال خليفة عمر بن عبد العزيز* (61هـ - 101هـ)

هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن
أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الحاكم العادل المصون، خامس الخلفاء بشهادة
الأعلام الحنفاء، العالم الكامل، العلي المنزلة، الذي لم يعدل قط عن المعدلة.
كان أوحده أمته في الفضل، ونجيب عشيرته في العدل، جمع زهداً وعفافاً،
وورعاً وكفافاً، فأشغله آجل العيش عن عاجله، وألهاه إقامة العدل عن عاذله،
وكان للريعية ركناً متيناً، وكهفياً مكيناً، ونوراً مبيناً، وعلى خلق الله أميناً، فاجتمع
فيه حد التصوف وعكست سيرته أركانه وفروعه.
صحب وأخذ عن سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعن الإمام الحسن
البصري.

* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، طبقات ابن سعد: 330/5، تاريخ خليفة:
569، الزهد للإمام أحمد: 289، التاريخ الكبير: 174/6، المعارف: 362، الجرح
والتعديل: 122/6، الثقات لابن حبان: 151/5، حلية الأولياء: 253/5، طبقات
الشيرازي: 64، صفة الصفوة: 113/2، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، المختار
من مناقب الأخيار: 297/أ، مختصر تاريخ دمشق: 98/19، تهذيب الكمال: 432/21،
سير أعلام النبلاء: 114/5، تاريخ الإسلام: 164/4، تذكرة الحفاظ: 118/1، العبر:
120/1، فوات الوفيات: 133/3، الوافي بالوفيات: 506/22، البداية والنهاية: 9/
192، العقد الثمين: 331/6، غاية النهاية: 593/1، تهذيب التهذيب: 475/7، النجوم
الزاهرة: 246/1، الطبقات الكبرى للشعراني: 33/1، شذرات الذهب: 7/1.

وكان قبل الخلافة عاملاً على المدينة على قدم الصلاح، لكنه كان يبالغ في التنعم، وكان حسدته لا يعيونه إلا بذلك، فلما بويع بالعهد من سليمان سنة تسع وتسعين، أقام في الخلافة نحو خلافة الصديق، فملاً الأرض عدلاً، ورد المظالم.

وقدم إليه يوم استخلف مركب الخليفة، فأبى وقال: إيتوني ببغلي.

ولما رجع من جنازة سليمان، قال له خادمه: ما لي أراك مغتماً؟ قال: من كان مثل ما أنا فيه فليغتم، ثم بدأ بأهل بيته، فأخذ ما بأيديهم، فوضعه بيت المال. وساد في عهده العدل.

ولما أفضت الخلافة إليه نزع ثيابه الحسنة، ودعا بأطمار غليظة بالية، فلبسها، وقال: قد جاءنا ما يشغلنا عن لباس الزينة حتى نجاوز الصراط، ولما مات لم يجدوا له قميصاً غير ما عليه.

وكان ابن سيرين يسميه: إمام الهدى.

وقال مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أته الدنيا كلها فتركها.

وقال بعضهم: هو أزهد من أويس، لأن عمر ملك الدنيا فزهدها، وأويس لم يمتلكها، فقيل: لو ملكها لفعل كعمر؟ فقال: ليس من لم يجرب كمن جرب.

وزاره الحسن البصري، فقدم له كسرة يابسة، ونصف خيارة، وقال: كل يا حسن، هذا زمان لا يحتمل فيه الحلال السرف.

واجتمع بالخضر عليه السلام، فقال له: أوصني، فقال: احذر أن تكون ولياً لله في العلانية، وعدواً له في السر.

وكانت غلته يوم أفضت إليه الخلافة أربعين ألف دينار كل عام، فلما مات كانت أربع مئة دينار، ولو عاش لتقصت.

ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه، فإذا قميصه وسخ، فقال لامرأته: ألا تغسلونه؟ قالت: وهل له غيره؟

ودخل أبو أمية الخصي غلام عمر على مولاته فغذته عدساً، فقال: كل يوم عدس؟ قالت: يا بني، هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.

ودخل على امرأته فقال: عندك درهم أشتري به عنباً؟ فقالت: أنت أمير المؤمنين ولا تقدر عليه؟ قال: هذا أهون علي من معالجة الأغلال غداً في جهنم.

ولم يغتسل من جنابة منذ استخلف حتى مات.

وكان إذا دخل بيته ألقى نفسه في مسجده، فلا يزال يبكي ويدعو حتى يصبح.

وكان لا يسجد إلا على التراب.

وكان يصلي بالناس الجمعة في قميص به عدة رفاع، فلامه بعض أهله فقال: أفضل القصد عند الجدة⁽¹⁾، وأفضل العفو عند القدرة.

وكان إذا كتب كتاباً، فاستحسن ألفاظه مزقه.

وكان إذا أراد معاقبة رجل حبسه ثلاثاً، ثم عاقبه، كراهة أن يعجل في أول غضبه.

وكان يقول: نفسي تواقه، لم تعط شيئاً من الدنيا إلا تاقّت لما هو أفضل منه، فلما أعطيت منها ما لا شيء⁽²⁾ فوقه (أي الخلافة) تاقّت إلى ما هو أفضل منه، وهو الآخرة.

وكانت نفقته كل يوم درهمين.

وكان يسرج الشمعة مادام في مصالح الناس، فإذا فرغ منها أطفأها، ثم أسرج سراجَه.

وكان للخليفة ثلاث مئة حرسى، وثلاث مئة شرطي، فقال عمر لهم: إن لي عنكم بالقدر حاجزاً، وبالأجل حارساً. وأبطلهم. واشتهى تفاحاً، فأهداه له بعض أقاربه، فقال لغلامه: ما أحسنه! رده إليه، وأقرئه السلام. قال: يا أمير المؤمنين،

(1) الجدة: الغنى واليسار. (وجد).

(2) في حلية الأولياء 5/ 331: فلما أعطيت الخلافة التي لا شيء أفضل منها تاقّت إلى ما هو أفضل منها. قال سعيد: الجنة أفضل من الخلافة.

ابن عمك، والمصطفى ﷺ قبل الهدية⁽¹⁾. قال: هي له هدية، ولنا رشوة.

وبلغه أن ابنه اشترى خاتماً بألف درهم، فكتب إليه: بعه وأشبع ألف بطن، واتخذ خاتماً من درهمين، واجعل فضه حديداً صينياً، واكتب عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه⁽²⁾.

وقال له رجل: رأيتك تسحب ذيلك، قال: هلا قلت لي، قال: هبتك، قال: أما علمت أن لقائل الحق من الله سلطاناً؟

وولى غيلان بن مسلم الدمشقي رد المظالم، فكان يخرج خزائن بني أمية، فينادي: هلموا إلى متاع الخونة.

ونادى على جوارب خز قد تأكلت بلغت قيمتها ثلاثين ألفاً، فقال: من عذيري ممن يزعم أن هؤلاء أئمة عدول؟ وقد تأكلت هذه الجوارب في خزائهم، والفقراء يموتون جوعاً.

وقال مكحول: ما رأيت أخوف ولا أزهد منه.

كان إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله.

وكان يجمع الفقهاء كل ليلة يتذكرون القيامة، ثم يبكون حتى كأنهم في جنازة.

واجتمع بنو مروان ببابه، فقالوا لابنه: قل لأبيك يعطينا حقنا كمن كان قبله من الخلفاء. ويعرف لنا موضعنا⁽³⁾، فأخبره، فقال: قل: يقول أبي: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 135/26].

وكان إذا أُملى على كاتبه يقول: اللهم. إني أعوذ بك من شر لساني.

وكتب إليه عامل خراسان أن أهلها لا يصلحهم إلا السيف والعصا. فكتب إليه: كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسطه فيهم.

(1) في سير أعلام النبلاء: 5/ 140: ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن رسول الله ﷺ كان يأكل الهدية.

(2) الخبر في الحلية: 5/ 306 دون قوله: واجعل فضه حديداً صينياً.

(3) الخبر في الحلية: 5/ 267: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا.

وكان يقول: الفقه الأكبر القنع، وكف الأذى.

وقال: إياكم والدخول علينا، فإنكم إن أمرتمونا ونهيتمونا لم تسلموا من الإثم.

وقال: ما قضى الله بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره، وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله.

وقال: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لغارت، أو الجبال لذابت، أو الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة؟ وأنكم صائرون إلى إحداهما.

وقال: إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى، إن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم والقضاء، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم الجنة، فاشترى قليلاً بكثير، وفانياً بباقي، وخوفاً بأمن، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين؟ وسيخلفها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين. في كل يوم وليلة تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع من الأرض، ثم تدعوه قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، مرتين بعمله، فقيراً إلى ربه مما قدم، غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت، وإيم الله، إني لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحد من الذنوب ما عندي، ثم وضع رداءه على وجهه فبكى حتى أبكى.

وقال: لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس.

وقال: ليس الزهد في الشبهات، بل في الحلال، أما الحرام والشبهة فنار تسعر في بطون الآكلين.

وقال: إذا أمكنتك القدرة من ظلم العباد، فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تفعل بهم أمراً من الظلم إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك، وأن الله يأخذ للمظلوم حقه من الظالم، وإياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله تعالى، فإنه إذا

علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فوراً ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62/27].

وقال: الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان براً أتوه ببرهم، وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم.

وقال: إنما خلقتكم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار.

وقال: كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل أخاً، وعاقب بقدر الذنب والجسد.

وقال: من عد كلامه من عمله قلَّ كلامه.

وقال: من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه.

وقال: إن استشعرت ذكر الموت كل آن بغض إليك كل فان، وحبب إليك كل باق.

وكان بنو أمية يسبون علياً في الخطب، فأبطله، وقرأ مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90/16] فبقت تقرأ في الخطب إلى الآن.

ولما مرض نظره الطيب فقال: أراه قد سقي سماً، ولا آمن عليه الموت.

فرفع بصره، وقال: ولا تأمنه أيضاً على من لم يُسق السم، قال الطيب: هل أحسست به؟ قال: نعم. قال: فتعالج أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسه. قال: ربي خير مذهب إليه، والله لو علمت أن شفائي أن أمسح شحمة أذني ما فعلت.

وقيل له: أوصنا. قال: أحذركم مثل مصرعي هذا، فإنه لا بد لكم منه.

ولما احتضر قال: اخرجوا عني. فقعد مسلمة وفاطمة⁽¹⁾ بالباب فسمعاه، يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ثم قرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: 83/28] ثم هدا الصوت فدخلوا، فوجدوه ميتاً.

(1) فاطمة بنت عبد الملك زوج عمر بن عبد العزيز أخت مسلمة بن عبد الملك.

مات بدير سمعان من أعمال حمص سنة إحدى ومئة عن نحو أربعين سنة، سمته بنو أمية لتشديده عليهم، فعرف غلامه الذي سمه، فقال: ما حملك عليه؟ قال: ألف دينار أعطيتها، وأن أعتق. فأخذها، فوضعها بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد.

سيدنا أبو مسلم الخولاني*

هو سيدنا أبو مسلم الخولاني، العالم الرباني العابد الزاهد العلي، البرهان التابعي الكبير الشأن ريحانة الشام وجهيد الأولياء الفخام، هاجر في خلافة الصديق ﷺ وروى عن سيدنا عمر وسيدنا معاذ ﷺ وغيرهما. وكان يكثر أن يرفع صوته بالذكر ورآه رجل فقال: مجنون، فسمعه فقال: يا ابن أخي ليس هذا بجنون ولكنه دواء للجنون. وله مناقب غزيرة وكرامات كثيرة منها:

أن الأسود العنسي ألقاه في النار فنجى منها ولم تضره⁽¹⁾، ووضعت له جاريته السم في طعامه فأكله فلم يضره، وخبيت⁽²⁾ عليه امرأة زوجته فدعا عليها فعميت⁽³⁾.

وغزا الروم فكان يعترضهم النهر العظيم فيقول: بسم الله، ويمر بين أيديهم على وجه الماء، فيمر عليه خلفه الغزاة فلا يبلغ من الدواب إلا إلى الركب، أو بعض ذلك، فإذا جاوزوا، قال للناس: هل ذهب لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن!

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 224/1. طبقات أبي سعد: 7/448، طبقات خليفة: 307، تاريخ البخاري: 5/58، المعارف: 439، الجرح والتعديل: 5/20، الثقات: 18/5، حلية الأولياء: 2/122، تاريخ مدينة دمشق: 483، الاستيعاب: 4/1757، صفة الصفوة: 4/213، المختار من مناقب الأخيار: ب/262، سير أعلام النبلاء: 4/7، تاريخ الإسلام: 3/102، تذكرة الحفاظ: 1/46، مرآة الجنان: 1/138، فوات الوفيات: 2/169، الوافي بالوفيات: 17/99، البداية والنهاية: 8/146، تهذيب التهذيب: 235/12، الإصابة ترجمة: 6102، النجوم الزاهرة: 1/156، طبقات الشعراني: 1/29، شذرات الذهب: 1/70.

(1) تاريخ ابن عساكر: 494.

(2) خبيت: خدعت وأفسدت. النهاية (خب)

(3) ابن عساكر: 507.

سيدنا القاسم بن محمد*

هو سيدنا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الضرع الشفيق، ذو الحسب العريق، كان بغوامض الأحكام فائقاً، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً، فاجتمع لديه وصفان جامعان لحد التصوف.

قال أيوب السخيتاني: ما رأيت أفضل من القاسم لقد ترك مئة ألف وهي له حلال.

وكان عالماً فقيهاً مفتياً ورعاً زاهداً حجة.

ولما مات عبد الملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً شديداً، ولبس مسحاً سبعين ليلة.

فقال له القاسم: أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتحمل، ومواجهة النعم بالتجمل.

فراح في يومه في مقطعات من حبر اليمن كلفه شراؤها ثمان مئة دينار.

ومن كلامه:

لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه، خير له من أن يقول ما لا يعلم.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 405/1، وكذلك: طبقات ابن سعد: 187/5، طبقات خليفة: 244، تاريخ خليفة: 338، التاريخ الكبير: 157/7، الجرح والتعديل: 118/7، الثقات لابن حبان: 302/5، حلية الأولياء: 183/2، طبقات الفقهاء: 59، صفة الصفوة: 88/2، المختار من مناقب الأخيار: 319/ب، جامع الأصول: 73/15، تهذيب الأسماء واللغات: 55/2، وفيات الأعيان: 59/4، مختصر تاريخ دمشق: 21/45، تهذيب الكمال: 427/23، سير الأعلام النبلاء: 53/5، تذكرة الحفاظ: 96/1، تاريخ الإسلام: 182/4، العبر: 132/1، البداية والنهاية: 250/9، تهذيب التهذيب: 333/8، شذرات الذهب: 62/1.

أسند الحديث عن: السيدة عائشة رضي الله عنها، وابن عباس رضي الله عنهما، وابن عمر رضي الله عنهما، وغيرهم، وخرج له الستة.

وفاته: مات رضي الله عنه سنة سبع ومئة.

الإمام محمد بن سيرين* (30هـ - 110هـ)

هو الإمام أبو بكر محمد بن سيرين، ذو العقل الرصين، والورع المتين، كان ذا زهادة وأمانة، وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاء نائحاً، وبالنهار بساماً سائحاً، يصوم يوماً ويفطر يوماً، وتلك أوصاف القوم من السادة الصوفية.

وكان إماماً في العلوم الشرعية، والتعبير، والزهد، والورع.

وكان رضي الله عنه مولى لسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه وأدرك ثلاثين صحابياً.

وقيل له: يا أبا بكر، إن رجلاً اغتابك أفتحله؟ قال: ما كنت لأحل شيئاً حرمه الله.

وكان إذا سئل عن حرام أو حلال تغير لونه.

وقال: لا تكرم أخاك بما يشق عليك.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 426/1. وكذلك: طبقات ابن سعد: 193/7، الزهد لأحمد بن حنبل: 430، تاريخ خليفة: 118، 340، طبقات خليفة: 210، المعارف: 442، التاريخ الكبير: 90/1، أخبار القضاة لوكيع: 326/2، الجرح والتعديل: 280/7، الثقات لابن حبان: 348/5، حلية الأولياء: 263/2، تاريخ بغداد، طبقات الفقهاء: 88، صفة الصفوة: 241/3، جامع الأصول: 261/15، المختار من مناقب الأخيار: 347/347، ب، تهذيب الأسماء واللغات: 82/1، وفيات الأعيان: 181/4، مختصر تاريخ دمشق: 22/217، تهذيب الكمال: 25/344، سير أعلام النبلاء: 4/606، تاريخ الإسلام: 4/192، تذكرة الحفاظ: 1/73، العبر: 1/135، مرآة الجنان: 1/232، الوافي بالوفيات: 3/146، البداية والنهاية: 9/267، غاية النهاية الترجمة: 3057، النجوم الزاهرة: 1/268، طبقات الشعراني: 1/36، شذرات الذهب: 1/138.

وحبس في دين، فقال له السجان: امض لبيتك ليلاً، وامكث هنا نهاراً.
فقال: ما أعينك على خيانة أمانتك.

وسئل عن من يحضر السماع فيُصعق، فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط، فيقرأ عليهم القرآن كله، فإن صعقوا فهم كما يقولون.

وقال:

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق⁽¹⁾
قال العجلي رحمه الله: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، ولا أروع في فقهه منه.
وكان المتمني إذا تمنى يقول: يا ليتني في ورع ابن سيرين.

واشترى أربعين حُباً⁽²⁾ سمناً، فأخرج غلامه فأرة من حُب، ثم لم يدر من أيها أخرجها. فصَبَّها كُلُّها ورعاً واتقاء لدينه. لأن الفأرة تنجس السمن السائل كله.
وكان لا يدع أحداً يمشي معه. وله بيوت لا يكرها إلا لأهل الذمة، فسئل عن ذلك؛ فقال: إذا جاء رأس الشهر روعته، وأكره أن أروع مسلماً.

وكان له سبعة أوراد ليلاً، فإذا فاتته منها ورد قرأه نهاراً.

وما رآه أحد إلا يذكر الله.

وكان إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته.

وقال: إذا اتقى الله العبد في اليقظة لم يضره ما رئي له في المنام.

وقال: مثل من يجلس ولا يخلع نعليه كدابة يوضع عنها الحمل دون الإكاف.

وقال: من رأى ربه في نومه دخل الجنة.

وقال له رجل: رأيت أني أبول دماً.

قال: تأتي امرأتك وهي حائض.

ورأى رجل كأن في حجره صبيّاً يصيح.

(1) لفظة إنك زيادة من حلية الأولياء: 265/2.

(2) الحُب: جمع حباب وحبية وأحباب وهي الجرة الكبيرة أو الخاية.

فقال له: اتق الله، ولا تضرب بالعود.
ورأت امرأة أنها تحلب حية.
فقال: اللبن فطرة، والحية عدو، وهذه يدخل عليها أهل الأهواء.
ورأى كأن الجوزاء تقدمت الثريا.
فقال: يموت الحسن، وأموت بعده. وقال له رجل: رأيتني أحرث أرضاً لا تنبت.
قال: أنت تعزل عن امرأتك.
وقال رجل: رأيتني أغسل ثوبي، ولا ينقى.
فقال: أنت مصارم لأخيك.
وقال آخر: رأيت أنني أطير بين السماء والأرض.
قال: أنت تكثر المشي.
أسند رحمه الله: عن أنس، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وجندب وآخرين.

وفاته:

مات عليه السلام بالبصرة سنة عشر ومئة، بعد الحسن بمئة يوم، عن نيف وثمانين سنة.

سيدنا محمد بن المنكدر*

هو سيدنا محمد بن المنكدر القرشي التيمي المدني الصوام القوام، المشهور بالولاية والعلم بين الخواص والعوام، كان من معادن الصدق، يجتمع إليه الصلحاء

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 441. وكذلك: طبقات ابن سعد: القسم المتمم، 188، تاريخ خليفة: 395، طبقات خليفة: 268، التاريخ الكبير: 1/ 219، التاريخ

والأولياء، قصير الأمل، كثير العلم والعمل؛ مع ربه زاهداً ناسكاً، ومع العباد لاعباً ضاحكاً وتلك حقيقة التصوف.

ومن كلامه:

كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت على آثار السلف.

وقال: المفتي يدخل بين الله وخلقه، فلينظر كيف يفعل؟

وقال: أستحيي من الله أن أعتقد أن رحمته تعجز عن أحد من العصاة، وإن فعل ما فعل، ولولا أن النص ورد في المشركين ما أخرجتهم من الرحمة⁽¹⁾.

وكان يحج بأطفاله كل سنة، ويقول: نعرضهم على ربهم في تلك المواقف؛ لعله ينظر إليهم.

مات رحمته الله سنة ثلاثين ومئة.

الإمام مالك بن دينار*

هو سيدنا مالك بن دينار، الإمام المكثار، العارف النظار، صوفي قدره كبير، وعالم ليس له نظير، قدوة في معرفة التصوف، مشار إليه في المحافل ببنان التقدم

= الصغير: 352/1، 31/2، المعارف: 461، الجرح والتعديل: 67/8، الثقات لابن حبان: 350/5، حلية الأولياء: 146/3، صفة الصفوة: 140/2، المختار من مناقب الأخيار: 360/أ، مختصر تاريخ دمشق: 259/23، تهذيب الكمال: 503/26، سير أعلام النبلاء: 353/5، تذكرة الحفاظ: 137/1، العبر: 81/1، 243، الوافي بالوفيات: 78/5، تهذيب التهذيب: 473/9، طبقات الشعراني: 37/1 شذرات الذهب: 177/1.

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَغَفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48].
* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 412/1. وكذلك: طبقات ابن سعد: 243/7، تاريخ خليفة: 215، التاريخ الكبير: 309/7، التاريخ الصغير: 316/1، الجرح والتعديل: 8/208، الثقات لابن حبان: 483/5، حلية الأولياء: 357/2، صفة الصفوة: 273/3، المختار من مناقب الخيار: 328/ب، كتاب التوابين: 202، تهذيب الأسماء واللغات: =

والتعرف، وكان لشهوات الدنيا تاركاً، وللنفس عند غلبتها مالكاً.

قال ابن الجوزي في كتاب (التوابين): إنه كان أولاً شرطياً، وإنه سئل عن سبب توبته فقال: اشتريت جارية فوقع مني أحسن موقع، وولدت مني بنتاً، فشغفت بها، فلما دبت على الأرض ازدادت من قلبي حباً، وألفتني وألفتها، فلما تم لها ستان ماتت، فأكدمني حزنها، فلما كانت ليلة نصف شعبان وكانت ليلة جمعة رأيت في منامي أن القيامة قامت، ونفخ في الصور، وحشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حساً، فالتفت فإذا أنا بتنين عظيم أسود أزرق العين، فتح فاه مسرعاً نحوي، فمررت بين يديه هارباً مرعوباً، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب، طيب الرائحة، فسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أجرتني من هذا التنين، أبارك الله. فبكى وقال: أنا ضعيف، وهذا أقوى مني، مر وأسرع، لعل الله يقيض لك ما ينجيك منه. فوليت هارباً على وجهي، فصعدت على شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فكدت أهوي فيها من فزعي، فصاح صائح: ارجع، فلست من أهلها. فاطمأنت لقوله، ورجعت، ورجع التنين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل.

فبكى، وقال: أنا ضعيف، ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه ودعة فتنصرك، فنظرت إلى جبل مستدير من فضة فيه طاقات مخرقة، وستور معلقة، على كل طاقة مصراعان من ذهب أحمر، على كل مصراع ستر من حرير، فلما نظرت إليه هرولت، والتنين من ورائي، حتى إذا قربت منه، صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور، وفتحوا المصارع علي فرأيت أطفالاً كالأقمار، وقرب التنين مني، فحرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم، أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه، فأشرفوا فوجاً بعد فوج، فإذا أنا بابنتي التي ماتت، فنظرت إلي وبكت، وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور، كريمة

= 80/2، وفيات الأعيان: 4/139، مختصر تاريخ دمشق: 24/25، تهذيب الكمال: 27/135، سير أعلام النبلاء: 5/362، تاريخ الإسلام: 5/128، 315، المغني في الضعفاء: 2/538، ميزان الاعتدال: 3/426، روض الرياحين: 232 الحكاية: (151)، تهذيب التهذيب: 10/14، طبقات الشعراني: 1/37، شذرات الذهب: 1/173.

السهم حتى صارت عندي، ومدت يدها الشمال إلى يدي اليمين فتعلقت بها، ومدت يدها اليمين إلى التنين فولى هارباً، ثم أجلسني وقعدت في حجري، وضربت يدها اليمين إلى لحيتي وقالت: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16/57]؟ فبكيت وقلت: وأنتم تعرفون القرآن؟

قلت: نحن أعرف به منكم.

قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني.

قالت: ذلك عملك السيئ قويته، فأراد إغراقك في نار الجحيم، قلت: فالشيخ؟ قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السيئ.

فقلت: يا بنية، ما تفعلون في هذا الجبل؟

قالت: أطفال المسلمين أسكنوا فيه إلى قيام الساعة ننتظركم تقدمون علينا، فنشفع لكم.

قال مالك رحمه الله: فانتبهت فزعاً مرعوباً، فكسرت آلات المخالفة، وعقدت مع الله عز وجل توبة نصوحاً، فتاب علي سبحانه.

وفي حكاية أخرى قال: كان لي جار يفعل الفواحش، فتأذى منه الجيران، وأتوني فأحضرناه، وقلنا: اخرج من المحلة.

قال: أنا في منزلي لا أخرج. قلنا: بعه.

قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك للسلطان.

قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو عليك.

قال: الله أرحم بي منكم. فغاظني ذلك، فلما جن الليل دعوت عليه، فقيل لي: إنه من الأولياء. فحضرت إلى بابه، فخرج لي باكياً تائباً، وفارقنا فلم نره إلا بالمسجد الحرام مريضاً مطروحاً، فلم يلبث أن مات.

قال الغزالي⁽¹⁾ رحمه الله: قال مالك: لا يتفق اثنان في عشرة إلا إن كان في

(1) إحياء علوم الدين: 2/162 في أدب الأخوة الصعبة والمعاشرة، الباب الأول، فصل بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا.

أحدهما وصف من الآخر، وأشكال الناس على أجناس الطير، فلا يتفق نوعان منه إلا وبينهما مناسبة، فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد، ثم طارا، فإذا هما أعرجان.

قال: من ههنا اتفقا، ولذلك قال الحكماء: كل إنسان يألف إلى شكله، وإذا اصطحب اثنان برهة ولم يتشاكلا فلا بد أن يفترقا. انتهى.

ودخل لص داره فما وجد شيئاً يسرقه، فجاء ليخرج ومالك ينظره، فقال: سلام عليك، اعلم أن شيئاً من الدنيا ما حصل لك، أفتغرب في شيء من الآخرة؟

قال: نعم. قال: توضعاً، وصلّ، ففعل إلى الصبح، فخرج به مالك إلى المسجد، فقال أصحابه: من هذا؟ قال: هذا جاء يسرق فسرقتاه.

ومن كلامه:

خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيّب شيء فيها وهو معرفة الله.

وقال: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله.

وقال: قال الله في التوراة: أيها الصديقون، تنعموا بذكري في الدنيا، فإنه لكم في الدنيا نعيم، وفي الآخرة جزاء.

وقال: لا يبلغ الرجل منزلة الصديق حتى يأوي في مزابل الكلاب.

وقال: نظرت في كل إثم فلم أجده إلا [من] حب المال⁽¹⁾.

وقال: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك.

وقال: يا معشر الأغنياء موتوا كمداً، فإن العيش عيش الآخرة.

وقال: درهم الفقير أذكى عند الله من دينار الغني.

وقال: ما أنصفنا إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله، ويفارقوننا في الدنيا، وإنه يأتي يوم يسرهم أن يكونوا بمنزلتنا، ولا يسرنا أن نكون بمنزلتهم.

(1) ما بين معقوفين مستدرك من حلية الأولياء: 283 / 2.

وقال: في بعض الكتب يقول الله: أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه.

وقال: إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف.

وقال: تلقى الرجل وما يلحن حرفاً، وعمله كله لحن، أعربوا في كلامهم ولحنوا في أعمالهم، فما أعربوا.

وقال: إذا لم يكن في القلب حزنٌ خرب كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرّب.

وقال: البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا راحة، وكذا القلب إذا غلبه⁽¹⁾ حب الدنيا لا ينجع فيه وعظ.

وقال: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء⁽²⁾.

وقال: من كان في قلبه شعبة من الإيمان فلا يركن إلى التسويف.

وقال: من كانت ديناه همه، كثر في الدارين غمه.

وقال: إن لله عقوبات فتعاهدوهن من أنفسكم في القلب والأبدان⁽³⁾ ضيقاً في المعيشة، ووهناً في العبادة، وسخطاً في الرزق.

وقال: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

وقال: قال سيدنا موسى عليه السلام: يا رب، أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم.

وقال: من فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه.

وقال: رأيت جبلاً عليه راهب فنادته: أفدني شيئاً ممّا يزهّد في الدنيا.

قال: إن استطعت أن تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد فافعل.

(1) طلب.

(2) الخبر في الحلية: 2/ 364 بزيادة: يعني الدنيا.

(3) في الأصول: فتعاهدوا أنفسكم والأبدان ضيقاً. المثبت من حلية الأولياء: 2/ 364، وصفة الصفة: 3/ 287، والمختار من مناقب الأخيار: 329/أ.

وقال: من علامة حب الدنيا أن يكون دائم البطنة، قليل الفطنة، همه بطنه وفرجه، يقول: متى أصبح فألهو وألعب، وأكل وأشرب؟ متى أمسي فأنام؟ جيفة بالليل بطل بالنهار.

وسئل عن لبس الصوف، فقال: أما أنا فلا أصلح له، لأنه يطلب صفاء.

وقال: ما بقي لأحد رفيق يساعده على عمل الآخرة، إنما هم يفسدون على المرء قلبه.

وقال: من غلب شهوته فذاك الذي يفر الشيطان من ظله.

وقيل له: ألا تتزوج؟ قال: لو استطعت أن أطلق نفسي طلقها.

وقال: إنما بطن أحدكم كلب، فألقي إلى الكلب كسرة يسكن، ولا تجعلوا بطونكم جرباً للشيطان يوعي فيها ما شاء⁽¹⁾.

وقال: حلوا أنفسكم من الدنيا وثاقاً وثاقاً.

وقال: قال الله في الزُّبور: إني أنتقم من المنافق للمنافق، وأنتقم من المنافقين جميعاً.

وقال: قال سيدنا عيسى عليه السلام: خوف الله، وحب الفردوس يباعدان من حب الدنيا، ويورثان الصبر على المشقة.

وقال: أجيئوا أنفسكم وأعروها، لعل قلوبكم تعرف الله.

وقال: لولا يقول الناس جن مالك للبست المسوح، ووضعت الرماد على رأسي، أنادي في الناس، من رأيي فلا يعصي ربّه.

وقال: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه.

وأناه رجل فوجد كلباً قد وضع حنكه على ركبته، فذهب يطرده، فقال: دعه، هذا لا يضر ولا يؤذي، وهو خير من جليس السوء.

(1) في الأصول: جرباً للشيطان يرعى فيها ما شاء. والمثبت من حلية الأولياء: 2/369 وصفة الصفة: 3/274. والجرب مفردا جراب وهو المزود، وهو وعاء من إهاب الشاة لا يوعي فيه إلا اليابس. متن اللغة (جرب).

ووقع حريق بحيه، فقال شباب القوم: بيت مالك، فأسرعوا إليه، فخرج إليهم مؤتزرًا ببارية⁽¹⁾، وبيده مطهرة، وهو يقول: نجا المخفقون.

وقيل له: ألا ندعو لك قارئًا يقرأ؟

قال: الشكلى لا تحتاج لنائحة.

وكان لا يخرج مع الناس للاستسقاء، ويقول: أخشى أن لا تجابوا من أجلي.

وقال: من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وعمي قلبه، وضع عمره.

وقال: الناس يستبطنون المطر، ومالك يستبطن الحجر.

وقال: قد اصطلحنا كلنا على حب الدنيا، فلا عالم ولا صالح يعيب على أخيه حبها، مع أنها رأس كل خطيئة.

وقال: أصاب بني إسرائيل قحط، فخرجوا مرارًا للاستسقاء، فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلي بأبدان نجسة، وترفعون إلي أكفًا سفكتم بها الدماء، وملأتم بطونكم من الحرام، الآن قد اشتد غضبي عليكم، ولم تزدادوا مني إلا بعدًا.

وقال: في بعض الكتب يقول الله: يا ابن آدم، خيري ينزل عليك، وشرك يصعد إلي، وأتحب إليك بالنعم، وتبغض إلي بالمعاصي.

وفي بعضها: إني أنا الله، مالك الملوك، قلوب العباد بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم.

وقال: عرس المتقين يوم القيامة.

وقال: دخل سيدنا عيسى عليه السلام بيت المقدس فوجدهم يتبايعون فيه، فجعل ثوبه مخراقاً⁽²⁾، وسعى عليهم ضرباً، وقال: يا بني الحيات والأفاعي، اتخذتم مساجد الله أسواقاً؟!

(1) البارية: الحصير المنسوج. متن اللغة (بري).

(2) المخراق: المنديل ونحوه يقتل ليضرب به، أو يلف فيفزع به. متن اللغة (حرق).

وقال: السوق مكثرة للمال مذهبة للدين .

وقال: حبس المطر فاستسقيننا مراراً فلم نسق، فانصرف الناس وبقيت بالمصلى، فلما أظلم الليل، إذا أنا بأسود دقيق الساقين، عظيم البطن، فصلى ثم رفع طرفه إلى السماء، فقال: سيدي، على كم ترد عبادك فيما لا ينقصك. أنفذ ما عندك؟! أقسمت عليك بحبك لي إلا سقيتنا الساعة، فما تم كلامه حتى أمطرت كأفواه القرب، فخرجنا نخوض، فتعرضت له، فقلت: أما تستحي؟ تقول بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟ قال: يا من اشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته؟ أترأه بدأني بذلك إلا لمحبهته لي؟ ثم بادر يسعي، فقلت: أرفق. فقال: أنا مملوك على طاعة مالكي الصغير، فسألت عن مالكه، فقلت: بعني إياه. فقال: هذا غلام مشؤوم، لا همة له إلا البكاء، قلت: ولذلك أريده، فاشتريته، فقال: لماذا اشتريته؟ فقلت: لأخدمك. فدخل المسجد فصلى، وقال: سر كان بيني وبينك أظهرته لمخلوق، أقسمت عليك إلا قبضتني. فإذا هو ميت.

مات سنة إحدى وثلاثين ومئة⁽¹⁾.

ورئي في النوم، فقيل: ماذا قدمت به على الله؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، محاها حسن الظن بالله تعالى. انتهى.

* سيدنا يونس بن عبيد

هو سيدنا أبو عبيد الله يونس بن عبيد، الورع الشديد، الصّريح الرّشيد، ذو الكلام الموزون، واللسان المخزون. جاء رجل من أهل الشام إليه، وكان جالساً بسوق

(1) في الأصول: إحدى وثمانين ومئة، اختلف في تاريخ وفاته، ففي تاريخ خليفة: 395 أنه توفي سنة (130هـ). وقال البخاري في التاريخ الصغير: 1/ 352: مات سنة (127هـ)، وفي صفة الصفوة: 3/ 288 أنه مات سنة (131هـ)، وقال الذهبي في السير: 5/ 364: أنه مات سنة (127هـ)، والمزي في تهذيب الكمال: 27/ 137: مات سنة (123هـ)، فالمصادر كلها أجمعت على أنه مات قبل الطاعون، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة.

* طبقات ابن سعد: 7/ 260، طبقات خليفة: 218، التاريخ الكبير: 8/ 402، التاريخ الصغير: 2/ 46، تاريخ أبي زرعة: 1/ 475، الجرح والتعديل: 9/ 242، الثقات لابن

الخز، فقال له : نريد مطرفاً بأربع مئة، فقال : عندنا بمئتين، فنأدى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس ليصلي، ثم رجع فوجد ابن أخته باع المطرف من الشامي بأربع مئة.

فقال له : يا عبد الله، المطرف الذي ابتعته من ابن أختي بمئتين، فإن شئت خذه وخذ مئتين، وإن شئت فدعه، فقال له الشامي : ما اسمك؟

قال : يونس بن عبيد.

قال : والله، إنا لنكون في نحر العدو، فإذا اشتد الأمر علينا، قلنا : اللهم رب يونس، فرج عنا.

فقال يونس : سبحان الله، سبحان الله!

ومن نظمه :

من الموت لا ذو الصبر ينجيه صبره ولا لجزوع كاره الموت مجزع
أرى كل ذي نفس وإن طال عمرها وعاشت لها سم من الموت منقع
وكل امرئ لاق من الموت سكرة له ساعة فيها يذل ويخضع
فإنك من يعجبك لا تك مثله إذا أنت لم تصنع كما كان يصنع
ولله فأنصح يا ابن آدم إنه متى ما تخادعه فنفسك تخدع
وأقبل على الباقي من الخير وارجع ولا تك ما لا خير فيه تتبع
وقال : ما أهم رجلاً كسبه إلا أهمه أين يضعه.

وقال : ليس شيء أعز من شيئين : درهم طيب، ورجل يعمل على سنة.

وقال : إنما هما درهمان؛ درهم أمسكت عنه حتى طاب لك، فأخذته، ودرهم وجب لله عليك فيه حق، فأدّيته.

= حبان : 647 / 7، حلية الأولياء : 15 / 3، الجمع لابن القيسراني : 584 / 2، الكامل في التاريخ : 487 / 5، تهذيب الكمال : 517 / 32، سير أعلام النبلاء : 288 / 6، تاريخ الإسلام : 318 / 1، تذكرة الحفاظ : 145 / 1، تهذيب التهذيب : 442 / 11، شذرات الذهب : 207 / 1.

وقال: نضحك، ولعل الله اطلع على أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً.
وقال: خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواههما من أمره؛ صلاته،
 ولسانه.

وقال: يكاد أن يعرف ورع الرجل من كلامه، إذا تكلم.
وقال: يرجى للرَّهَق⁽¹⁾ بالبر الجنة، ويخاف على المتأله بالعقوق النار.
 أسند عن: أنس بن مالك، والحسن، وابن سيرين، وأبي قلابه، وغيرهم.
 مات سنة تسع وثلاثين ومئة للهجرة.

سيدنا عبد الله المحض* (70هـ - 145هـ)

هو البدر الطالع والقمر الساطع، الشريف الكامل، سلالة الأفاضل، طاهر
 النسبتين، وسليل الحسين سيدي عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن
 مولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ.

إنما سمي "بالمحض" لمكانه من الحسين فهو أول من جمع بين ولادة الحسن
 والحسين ﷺ من ساداتنا الحسينيين، فأبوه سيدنا الحسن المثنى بن الحسن السبط،
 وأمه سيدتنا فاطمة النبوية بنت الحسين السبط فهو ﷺ حفيد الحسن والحسين.

كما أن أول من جمع بين هاتين النسبتين الطاهرتين من ساداتنا الحسينيين سيدنا
 محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط.

فمن هذين السبطين الجليلين والقمرين النيرين سيدي شباب أهل الجنة في
 الجنة، وريحانتي نبي هذه الأمة انفتقت صدفة الإمام الهمام نخبة الأعيان، المكسو
 بأنوار المهابة والعرفان، الجامع بين فتنة الجمال وسطوة الجلال ذي النسبتين

(1) الرَّهَق: الخفيف إلى الشر، الآثم، الكذب، الجاهل، الفاجر. انظر متن اللغة (رهق).
 * للمزيد انظر الشجرة الزكية في أنساب وسيرة آل النبوة ليوسف بن عبد الله جمل الليل. ونور
 الأبصار في مناقب آل بيت المختار.

الطاهرتين والسلالتين النيرتين نخبة أهل السماوات والأرض، سيدي ومولاي عبد الله المحض رحمته الله.

كان رحمته الله وأرضاه جليل القدر كريم الطبع، طيب النفس، كثير البر شيخ بني هاشم شبيهاً بجده الأعظم رحمته الله، قيل له يوماً: لِمَ صرتم أفضل الناس؟ فقال: لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منّا ولا نتمنى أن نكون من أحد. وكان رحمته الله قوي النفس شجاعاً ورعاً، يلي صدقات أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد أبيه الحسن رحمته الله جميعاً.

من أعظم مواقفه الجليلة مع الأمراء ما رواه مصعب بن عبد الله قال: جعل أبو العباس السفاح الخليفة العباسي يطوف ببنيانه بالأنبار مع عبد الله بن الحسن بن الحسن، فجعل يريه ويطوف به، فقال سيدي عبد الله المحض رحمته الله: يا أمير المؤمنين:

ألم تر حوشباً أمسى يبني بيوتاً نفعها لبني نُفيلة
يؤمل أن يُعمّرَ عمر نُوحٍ وأمر الله يحدث كل ليلة
فقال له أبو العباس: ما أردت إلى هذا؟ قال: أردت أزهذك في هذا القليل
الذي أريتني، هكذا كان ساداتنا الأشراف ولا يزالون، لا يخافون في الله لومة لائم
وينصحون لله ولرسوله رحمته الله، ولقد كان رحمته الله معظماً مبعجلاً عند العلماء يعرفون له
فضله وعلمه وكرمه قال مصعب بن عبد الله وهو أحد تلامذة الإمام مالك رحمته الله:
ما رأيت أحداً من علمائنا يكرمون أحداً ما يكرمون عبد الله بن حسن بن حسن.
وعنه روى مالك الحديث في السدل كما روى عنه عبد العزيز بن محمد الداروردي
والمنذر بن زياد وغيرهم.

عن مصعب الزبيري قال: انتهى كل حسن إلى عبد الله بن الحسن وكان يقال:
من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، ويقال: من أقول الناس؟ فيقال
عبد الله بن الحسن. وعن الدهان قال: رأيت عبد الله بن الحسن فقلت: هذا والله
سيد الناس كان ملباساً نوراً من قرنه إلى قدميه.

ولما دنا أفول شمس دولة بني أمية اجتمع السادة العلويون والعباسيون من بني

هاشم وقرروا القيام بالدعوة سراً واتفقوا على مبايعة سيدي محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض لما اتَّسم به من العلم والفضل والكرم والتقوى، ف وقعت البيعة بمجلس أعيان بني هاشم وبحضور أبيه عبد الله وأخيه إبراهيم والإمام جعفر الصادق، ومن العباسيين أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور فانعقدت البيعة لسيدي محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض غير أن العباسيين وبعد زوال دولة بني أمية ردُّوا الأمر إليهم وآل الأمر إلى أبي جعفر المنصور، فحينها أعلن محمد النفس الزكية الثورة ضد العباسيين وخرج إلى المدينة المنورة جاعلاً منها مقر دعوته فما كان من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور إلا أن ألقى القبض على أبيه سيدي عبد الله المحض عليه السلام وكذا كلَّ من والاه من ساداتنا أهل البيت الكرام عليهم السلام فحبسهم بسجن الكوفة، قيل تسع سنوات. قتل عليه السلام في محبسه بالهاشمية بالكوفة قتله أبو جعفر المنصور وعمره 75، سنة 145 هـ مع آله الشهداء عليهم السلام حيث ذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين أن من الذين حبسهم وقتلهم أبو جعفر المنصور من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله في تلك السنة.

- الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه 145 هـ.
- إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه 145 هـ.
- عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه 145 هـ.
- العباس بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه 145 هـ.
- إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام 145 هـ.
- محمد بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام 145 هـ.
- علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام توفي مع أهله في الحبس.

- محمد (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام 145هـ.
- عبد الله بن محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام.
- إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام.

زواجه:

تزوج عليه السلام ثلاث زوجات أثمرت ذرية مباركة أنارت للأمة طريق الحق ووقفت أمام الباطل مرافعة باللسان والبنان، حتى ذهب كثير منهم في سبيل الحق إلى جنات النعيم.

الزوجة الأولى:

هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب. فأنجبت من سيدنا عبد الله المحض ذرية طيبة مباركة أضاء بهم الزمن، وبقوا منارات هدى للناس يضيئون لهم الحياة ويأخذون بأيديهم إلى طريق الحق والسعادة، وهم:

- 1 - محمد ذو النفس الزكية، 2 - إبراهيم، 3 - موسى الجون.

الزوجة الثانية:

قرينة بنت ركيح بن أبي عبيدة، وهي بنت أخي هند بنت عبيدة. فأنجبت: السيد:
4- يحيى صاحب الديلم.

الزوجة الثالثة:

عاتكة بنت عبد الله المخزومية. فأنجبت: 5- سليمان، 6- إدريس.
من هؤلاء الأبناء بنو الحسن كان لهم أثر في تاريخ المسلمين حيث: أسس إدريس بن عبد الله بن الحسن دولة في المغرب عُرفت باسم [دولة الأدارسة] وهو الجدّ الأبعد لسادتنا الأدارسة.

الإمام هرم بن حيّان*

هو الإمام هرم بن حيّان، الهائم الحيران، الصائم العطشان، عاش في حبه محترقاً ولهان.

كان من كبار التّابعين وزهادهم ومحدثيهم.
ولد بعد حمل دام ستين، وقد نبتت ثنياه فسمي هرمًا.

ومن كلامه:

أخرجوا من قلوبكم حب الدنيا تدخلها الآخرة.
وقال: عليكم بقلّة الكلام، فإن المتكلم إما أن يقصر فيخصم، أو يبالغ فيألم.

وكان إذا أثر في أهله داء الحك أمرهم بالصلاة.
وقال: لو قيل لي إني من أهل النار، لم أدع العمل لثلاث تلومني نفسي، فتقول: ألا فعلت ألا صنعت؟

وقال: ما أثر الدنيا على الآخرة حكيم، ولا عصى الله كريم.
ولما مات أتت سحابة في يوم صائف فظللت سريرته، فلما دفن رشت على القبر، ولم تصب ما حوله ونبت عليه العشب في يومه.

* نظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 474. وكذلك: الزهد لأحمد: 331، طبقات ابن سعد: 7/ 131، طبقات خليفة: 198، تاريخ خليفة: 141، 159، التاريخ الكبير: 8/ 243، المعارف: 435، الجرح والتعديل: 9/ 10، الثقات لابن حبان: 5/ 513، حلية الأولياء: 2/ 119، الاستيعاب: 4/ 1537، صفة الصفوة: 3/ 213، المختار من مناقب الأخيار: 389/ أ، أسد الغابة: 5/ 57، مختصر تاريخ دمشق: 27/ 75، سير أعلام النبلاء: 4/ 48، تاريخ الإسلام: 3/ 211، الإصابة ترجمة: (8947)، النجوم الزاهرة: 1/ 132، طبقات الشعراني: 1/ 29، وهو من رجال الطبقة الأولى فقد ذكر ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: 1/ 132 وفاته سنة 146 للهجرة.

الإمام أبو حنيفة النعمان*

(80هـ - 150هـ)

هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الإمام البارع، البدر الساطع، ولد سنة ثمانين من الهجرة بالكوفة، ونشأ بها ثم نقله المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات.

وهو إمام العراق؛ المقدم في الفقه على أهل زمانه بالاتفاق، المنتشر مذهبه في جميع الآفاق، المعروف بالورع وحسن الأخلاق، المشهور بالصيانة وطيب الأعراق، صاحب السبق والتقدم، والحفظ والتفهم، والإشارات اللطيفة، والاستنباطات البديعة الظريفة، وجاء في وصفه أنه الفقيه القوي، سالك السمات المرضي، بالعلم الواضح المضي، والحال الزكي الرضي، التارك لتكلف الأثقال، المعتنق لتكليف الواجب من الأثقال.

وكان من أعبد الزهاد، وأزهد العباد، يحيي الليل كله صلاة وبكاء وتضرعاً وابتهالاً.

رأى في أول أمره أنه نبش قبر المصطفى ﷺ فسأل ابن سيرين فقال: صاحب هذه الرؤيا يثير علماً لم يسبقه إليه أحد.

ودخل يوماً على المنصور، فقال: هذا عالم الدنيا اليوم.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 469. وكذلك: طبقات ابن سعد: 6/ 638، 7/ 322، طبقات خليفة: 167، 327، التاريخ الكبير: 8/ 81، التاريخ الصغير: 2/ 41، 93، ضعفاء العقيلي: 4/ 368، الجرح والتعديل: 8/ 449، المجروحون لابن حبان: 3/ 61، الكامل لابن عدي: 7/ 5، تاريخ بغداد: 13/ 323، جامع الأصول: 15/ 432، المختار من مناقب الأخيار: 381/ أ، وفيات الأعيان: 5/ 405، تهذيب الكمال: 29/ 417، سير أعلام النبلاء: 6/ 390، تاريخ الإسلام: 6/ 135، تذكرة الحفاظ: 1/ 168، ميزان الاعتدال: 4/ 265، مرآة الجنان: 1/ 309، البداية والنهاية: 10/ 107، تهذيب التهذيب: 10/ 449، النجوم الزاهرة: 2/ 12، طبقات الشعراني: 1/ 52، شذرات الذهب: 1/ 227.

وقال النضر بن شميل: كان الناس نياماً عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة عليه السلام بما بينه ولخصه. وكان في زمانه أربعة من الصحابة: أنس، وابن أبي أوفى، وسهل بن سعد وأبو الطفيل عليه السلام.

قال الثوري عليه السلام: ولم يأخذ عن أحد منهم.

وكان الإمام أحمد عليه السلام إذا ذكره بكى، وترحم عليه.

وأكرهه المنصور على القضاء، فأبى فحبسه حتى مات بالسجن، وكان كل قليل يخرج به فيهدده ويتوعده فيقول: والله، ما أنا مأمون في الرضا، فكيف في السخط؟ هكذا حكاه بعضهم في سبب موته، ولكن في (تاريخ الشام) ما نصه: أخرج أبو الشيخ في (التاريخ) بسنده عن زفر، وقال: كان أبو حنيفة عليه السلام يجهر أيام إبراهيم بالكلام جهراً⁽¹⁾، فأقول له: ما ترضى إلا أن توضع الحبال في أعناقنا. فلم يلبث أن جاء كتاب المنصور، بأن يحمل إلى بغداد، فغدوت إليه أودعه وهو على بغلته، وقد اسود وجهه حتى صار كأنه مسح فحمل إلى بغداد.

فعاش خمسة عشر يوماً، فقتله سنة خمسين ومئة. وكان حسن الوجه، طيب الريح، كريم النفس، يعرف بطيب الريح إذا أقبل في الظلام. وكان يسمى الوتد، لكثرة تهجده قائماً، ولم يفطر منذ ثلاثين، وصلى خمساً وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد.

وقال الشافعي عليه السلام: الناس عيال عليه في الفقه. وكان طويل الصمت، فإذا سئل عن شيء في الفقه انفتح وسال كالوادي. وكان عظيم الأمانة، يؤثر رضا الله على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتملها. وقال ابن المبارك: ما سمعته

(1) قال ابن حجر الهيتمي في (الخيرات الحسان) صفحة 68: قيل: الامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة، وإنما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبي حنيفة دس إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه الخارج عليه بالبصرة، فخاف خوفاً شديداً، ولم يقر له قرار، وأنه قواه بمال كثير، فخشي المنصور من ميله إلى إبراهيم لأنه - أعني أبا حنيفة - كان وجيهاً ذا مال واسع من التجارة، فطلبه لبغداد، ولم يجسر على قتله بغير سبب، فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله؛ ليتوصل بذلك إلى قتله.

يغتاب عدواً له قط، ولا يكاد يسأل حاجة إلا قضاهها. وقال الرشيد لأبي يوسف: صف لي أخلاقه. فقال: إن الله يقول ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 50/18] هو عند لسان كل قائل، كان شديد الذب عن المحارم أن تؤتى، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع فلا يعصى؛ طويل الصمت؛ دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً، إن سئل أجاب وأعطى، وكان بذولاً للعلم والمال، مستغنياً بنفسه عن الناس، لا يذكر أحداً إلا بخير. فقال الرشيد لكاتبه: اكتب هذه الصفحات.

واختلطت غم الكوفة بغم البادية، فسأل: كم تعيش الشاة؟ قالوا: سبع سنين. فترك أكل اللحم سبع سنين. وكان خزازاً يشتري الخز الخام، ويقصره ويبيعه، ففتح غلامه رزمة خز، فإذا الأحمر أحمر، والأصفر أصفر، فقال: نسأل الله الجنة. فبكى أبو حنيفة عليه السلام حتى اختلج صدغاه، وقال: مثلنا يسأل الله الجنة؟ إنما نسأل العفو. وكان لا يقعد في ظل شجرة من له عليه دين، ويقول: "كل قرض جر نفعا فهو ربا". وكان جيرانه يسمعون بكاءه بالليل فيرحمون.

وختم القرآن في المحل الذي مات فيه سبعة آلاف مرة. وسئل: أيهما أفضل الأسود أو علقمة؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفاضل بينهم؟

وقال: جالست الناس خمسين سنة فما وجدت من غفر لي ذنباً، ولا وصلني حين قطعته، ولا ستر علي عورة.

وقال: لو لم يكن من صفة الدنيا إلا أن الحق يُعصى فيها لكفى في بُغضها.

وقال: لا ينبغي أن يترك القاضي على القضاء أكثر من سنة.

وقال: لا ينبغي لمن لا يعلم دليلي أن يفتي بكلامي.

وقال: ليس في الدنيا أقل من فقيه ورع.

وقال: من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذل ما بقي في طول زمانه.

وقال: غوغاء الناس هم القصاص الذين يأكلون بوعظهم الدنيا.

وقال له رجل: إني أحبك. قال: وما يمنعك، ولست بجار لي، ولا ابن عم. ورئي بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل: بالعلم؟ قال: هيهات، إن للعلم شروطاً قلما يخلص منها، بل يقول الناس في ما ليس في. وقال اللخمي: كنت أشتهي أن أرى أبا حنيفة عليه السلام في النوم، فرأيت، فقلت: ادع لي. قال: بماذا؟ قلت بالجنة. قال: على شرط. قلت وما هو؟ قال: تترك ملازمة الناس إلا في طلب العلم، قلت: قد فعلت. قال: ولك ذلك.

ومن كراماته:

أنه لما مات شريح القاضي رحمه الله طلب هو والثوري، وصلة، وشريك لل قضاء، فقال: أما سفيان فيهرب، وأما أنا فأحبس، وأما صلة فيتحايل ويتخلص، وأما شريك فيقع. فكان كما قال.

ولما منعه المنصور من الإفتاء سأله بنته ليلاً عن الدم الخارج من بين الأسنان هل ينقض الوضوء؟ فقال: سلي عمي حماداً، فإن الخليفة منعني أن أفتي، ولم أكن ممن يخون إمامه بالغيب.

مات عليه السلام سنة 150 هـ.

* سيدنا سفيان بن سعيد الثوري

(97 هـ - 161 هـ)

سيد الحفاظ، أمير المؤمنين في الحديث، عالم الأمة في القديم والحديث، الإمام الرضي، والورع الزاهد الدري، له النكت الرائقة والاستنباطات الشريفة

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 303. وكذلك: طبقات ابن سعد: 6/ 371، طبقات خليفة: 168، تاريخ خليفة: 319، التاريخ الكبير للبخاري: 4/ 92، التاريخ الصغير: 2/ 139، 142، المعارف: 497، الجرح والتعديل: 4/ 713، الثقات لابن حبان: 401/ 6، مشاهير علماء الأمصار: 169، حلية الأولياء: 6/ 357 - 7/ 144، تاريخ بغداد:

الفائقة، والهمم التائقة، والنفس الشائقة، العلم حليفه، والزهد أليفه، والعفة عريفه، والفقر تشريفه، والقناعة حريفه، والصبر قرينه، والرضا خدينه، والتوكل مسلكه، والتفويض مطلبه ومدركه.

قال الذهبي رحمه الله وغيره: كان سيد أهل زمانه، ولم ير مثل نفسه.
قال: وأقوال الأئمة في فضله وزهده وعبادته تحتل مجلدين.
ونقل السهروردي عنه أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن بلا زاد.
وكان يحط على المنصور وظلمه، فهم بقتله، فلم يمهل.

ومن كلامه:

لا يتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب، ولو عشرين سنة.
وقال: إذا فسد العلماء فمن يصلحهم؟
وقال العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جره الطبيب إليه فكيف يداوي غيره؟

وقال: من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول.
وقال: أربع لا يعبأ بهن: نسك المرأة، وزهد الخصي، وتوبة الجندي، وقراءة الحديث، نقله الربيع.

وقال: من تصدى للعلم قبل الحاجة إليه تعجل الذل.
وقال: عليك بإخمال الذكر ما استطعت؛ فإن هذا زمان الخمول.
وقال: النجاة الآن في ترك الناس، فإياك ومخالطة الأمراء، ويقال لك تشفع،

= 9/151، صفة الصفوة: 3/147، المختار من مناقب الأخيار: 185/أ، جامع الأصول: 14/232، تهذيب الأسماء واللغات: 1/222، وفيات الأعيان: 2/386، تهذيب الكمال: 11/154، سير أعمال النبلاء: 7/229، تذكرة الحفاظ: 1/203، العبر: 235/1، الوافي بالوفيات: 15/278، تهذيب التهذيب: 4/111، طبقات الشعراني: 1/47، شذرات الذهب: 1/250.

وتدفع الظلم، أو ترد مظلمة، فإنه من خديعة إبليس، وإنما اتخذ ذلك العلماء سلماً للقرب منهم، واصطياد الدنيا به.

وقال: لو لم أعلم لكان أقل لحزني.

وقال: لولا أن للشيطان فيه نصيباً ما ازدحمت عليه. يعني العلم.

وقال: ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول: لا إله إلا الله.

وقال: إذا رأيت رجلاً يعمل عملاً يختلف فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهه.

وكتب إليه بعضهم: عظمي وأوجز. فقال: الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك أن تنجو، ولا تتوان فتعطب، والسلام.

وكان إذا قعد للعلم وأعجبه منطقته قطع الكلام، وقام، ويقول: أخذنا ونحن لا نشعر.

وقال⁽¹⁾ وقد طلبوا منه التحديث: والله ما أرى نفسي لإملائه أهلاً، ولا أنتم لسماعه أهلاً، وما مثلي ومثلكم إلا كما قيل: افتضحوا فاصطلحوا.

وترك الجلوس للعلم، فعوتب، فقال: لو علمت أنهم يريدون وجه الله لأيتهم في بيوتهم، لكن إنما يريدون المباهاة.

وقال: إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر، فإذا ولد له انكسر به المركب.

وقال: قال رجل لسيدنا عيسى عليه السلام: أوصني. قال: انظر رغيفك، من أين هو؟

وقال: رضا المحتجين عليك غاية لا تدرك.

وقال: عليك بالرضا عن الله إذا منعك ما طلبت؛ فإن منعه عطاء.

وقال: أحب لطالب العلم كونه في كفاية، فإن الألسن تسرع إلى الوقعة فيه إذا احتاج وذل.

(1) ينسب هذا القول لسفيان بن عيينة، انظر السير: 412 / 8.

وقال: أظلم الظالمين لنفسه من قبل مدح من لا يعرفه، وهو يعرف من نفسه ضد ذلك.

وقال أئمة العدل خمسة: الخلفاء الأربعة، وابن عبد العزيز رحمته الله، من قال غير ذلك فقد اعتدى.

وقال لرجل يخدم الولاة: ابعد عنهم. قال: ما أصنع بعيالي؟ قال: ألا تسمعون؟ هذا يقول إنه إذا عصى الله رزق عياله، وإذا أطاعه ضيعهم.

وقال: حجة كل متهور في أكل الحرام والشبهة قوله عيالي.

وقال: لو أن رجلاً عبد الله بعبادة الثقيلين، وهو يحب الدنيا نودي عليه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد: هذا أحب ما أبغض الله.

وقال: أمسك ما بيدك من المال بنية الإنفاق، لا يضرك ذلك فإن من احتاج للناس لا بد أن يبذل لهم دينه.

وقال لأخ له: أبلغك شيء مما تكره عمن لا تعرف؟ قال: لا. قال: فأقلل من معرفة الناس، فإن معرفتهم ما أبقت لي حسنة.

وقال: ما رأيت للإنسان خيراً من أن يدخل جحره. فقال ابن يونس: اليوم ينبغي أن يدخل قبره.

وقال: ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، لأن الرجل يزهد في المال، ويسلمه إذا نوزع، وإذا نوزع في الرياسة لا يسلمها.

وقال: إياكم أن تدخلوا الصلاة وأنتم في حال ينافي الخشوع، فإن من لم يخشع في صلاته فسدت.

وقال: بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين، حتى أكلوا الميتة والأطفال وكانوا يخرجون إلى الجبال، ويتضرعون، فلا يقبل منهم فأوحى الله إلى أنبيائهم: لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم من الدعاء والتضرع، لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً، ما لم تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا فمطروا من يومهم.

وقال: لا تصحب من يتكرم عليك في السفر، فإنك إن ساوите في النفقة أضربك، وإن تفضل عليك استعبدك.

وقال: نظرت مرة للسماء ففقدت قلبي، فذكرته لأخ لي فقال: لكونك لم تنظر إليها نظر اعتبار.

وقال: إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.

وقال: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللثام.

وقال: إذا رأيت أخاك حريصاً على أن تقدمه فأخره.

وقال: ألزم نفسك ألا تضع لينة على لينة.

وقال: ابعد عن القراء الذين يحبون الدنيا فو الله ما نازعت قارئاً في شيء إلا خفت أن يسعى في سفك دمي.

وقال: إذا كان لك عند قارئ حاجة فلا تذكر عنده أحداً من أقرانه بخير فإنه لا يقضي حاجتك.

وسئل عن الغوغاء فقال: الذين يطلبون بعملهم الدنيا.

وقال: إياكم وكثرة الإخوان، فإنه من رقة الدين.

وقال: من عرف الله تحقق في التوكل وتشوق إلى التنقل.

وقال: التوكل هدوء الضمير عند هجوم التقدير.

وقال: من رأى لنفسه على أخيه علماً أو عملاً حبط أجر عمله وعلمه.

وقال: إن الملائكة لتجد ريح الحسنة أو السيئة إذا عقد القلب على ذلك فكما لا يؤذونك لا تؤذهم.

وقال: تعرف محبة الرجل للعالم بكثرة تعلقه لأهلها، وتفقدتهم إذا غابوا.

وقال: إذا رأيتم جيران فقيه يحبونه، فاعرفوا أنه مدهن.

وكان شديداً على الولاية جداً، لا يخاف في الله لومة لائم، أدخل على المهدي ويده درج أبيض، فقال: يا سفيان أعطني الدواة لأكتب. قال: أخبرني أي شيء تكتب؛ فإن كان حقاً أعطيتك.

ولما خرج المنصور للحج بعث أمامه يقول: إذا رأيتم الثوري فاصلبوه.

فجاء الخبر وهو نائم بالمسجد، رأسه في حجر الفضيل بن عياض رضي الله عنه ورجلاه في حجر ابن عيينة رضي الله عنه، فقالوا: اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء واختف. فاستوى قاعداً، وقال: برئت من هذه البنية إن هو دخلها⁽¹⁾ يريد المنصور، فمات قبل دخوله مكة.

مات رضي الله عنه سنة إحدى وستين ومئة.

ولما مات قال ابن مهدي رضي الله عنه: غسلته أنا، ويحيى بن سعيد، فوجدت مكتوباً في جسده ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 137/2]⁽²⁾.

وقد أفرد ابن الجوزي وغيره مناقبه بتأليف حافلة⁽³⁾.

وروى النووي بإسناده عن قبيصة قال: رأيته في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرت إلي ربي كفاحاً فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواماً إذا ما أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته وزرني فإنني منك غير بعيد⁽⁴⁾

(1) قال الذهبي في السير: 7/ 251: هذه كرامة ثابتة سمعها الحاكم من أبي بكر بن جعفر المزكي سمعت السراج عنه.

(2) في الحلية: 6/ 371: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ فقط.

(3) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة 3/ 152: إنما اقتصرنا على ما ذكرنا منها. أي من ترجمة سفيان لأننا قد جمعناها في كتاب يزيد على ثلاثين جزءاً فكرهنا الإعادة في التصانيف.

(4) الخبر في الحلية 7/ 74.

الإمام إبراهيم بن أدهم*

ولد بمكة، وطافت به أمه⁽¹⁾ على الخلق، وسألت الدعاء له أن يكون صالحاً فاستجيب لها، وترك الإمارة، وما كان فيه.

أصله من أولاد ملوك بلخ، خرج متصيذاً، فأثار ثعلباً أو أرنباً وإذ هو في طلبه، فهتف به هاتف من قربوس⁽²⁾ سرجه: والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت. فنزل عن دابته، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جيبته وكانت من صوف فلبسها، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرشه. ثم دخل مكة، ثم الشام، لطلب الحلال. وكان يأكل من عمل يده⁽³⁾. وصحب بمكة سفيان الثوري، والفضيل بن عياض. وتوفى بالجزيرة في الغزو. وحمل إلى صور مدينة بساحل الشام، أو ببلاد الروم على ساحل البحر فدفن بها سنة إحدى وستين ومئة. ومناقبه جمّة، أفرد لها ابن الحلي بالتأليف.

* انظر ترجمته في طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 195. وكذلك: التاريخ الكبير: 1/ 273، المعرفة والتاريخ: 2/ 455، الجرح والتعديل: 2/ 87، مشاهير علماء الأمصار: 183، حلية الأولياء: 7/ 36، ابن عساكر: خ186أ، الكامل 6/ 56، تهذيب الكمال: خ49-51، تهذيب التهذيب: خ 32/ 33 - 33، العبر: 1/ 238، فوات الوفيات: 1/ 13 - 14، الوافي بالوفيات: 5/ 318 - 319، البداية والنهاية: 1/ 135 - 145، تهذيب التهذيب: 1/ 102 - 103، الخلاصة: 15، تهذيب ابن عساكر: 2/ 170 - 199، سير أعلام النبلاء: 7/ 387. (1) في حلية الأولياء أن الذي طاف به أبوه. قال أبو نعيم: "حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو العباس الهروي، ثنا أبو سعيد الخطابي، حدثنا القاسم بن الحسن، ثنا إبراهيم بن أدهم يقول: كان أدهم رجلاً صالحاً فولد إبراهيم فرفعه في خرقة وجعل يتبع أولئك العباد والزهاد ويقول: ادعوا الله له، فيرى أنه قد استجيب لبعضهم فيه". انظر: حلية الأولياء: 7/ 371.

(2) القربوس: هو حنو السرج. قال الأزهري: وللسرج قربوسان: فأما القربوس المقدم فيه العضدان، وهما رجلا السرج، ويقال لهما حنوا... والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة، وهما حنوا (السان).

(3) روى يونس بن سليمان البلخي عن إبراهيم بن أدهم وزاد في هذه القصة: إذ هو على فرسه يركض إذ سمع صوتاً من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العث ﴿أَفَحَبِطُكُمْ إِنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِنَّا لَا تُرْحَمُونَ﴾ [المؤمنون: 115/23] اتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة. انظر: (حلية الأولياء 7/ 369).

ومن كلامه:

الفقر مخزون في السماء، يعدل الشهادة عند الله لا يعطيه إلا لمن أحبه.

ومنه: على القلب ثلاثة أعطية: الفرح، والحزن، والسرور. فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم. وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب. وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والمعجب يحبط العمل. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ [الحديد: 23/57].

قلة الحرص والمنع تورث الصدق والورع، وكثرة الحرص والمنع تكثر الغم والجزع.

وجدت يوماً راحة، فطابت نفسي لحسن صنع الله بي، فقلت: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضرب بي القلق. فرأيت رب العزة في المنام، فأوقفني بين يديه، وقال لي: يا إبراهيم أما استحييت مني؟ تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه. قال: فقلت: يا رب تهت في حبك، فلم أدر ما أقول.

قال إبراهيم بن بشار خادمه: كنت ذات ليلة معه، وليس معنا شيء نفطر عليه، ولا لنا حيلة. فرآني مغموماً، فقال: يا ابن بشار ماذا أنعم الله تعالى على الفقراء والمساكين، من النعم والراحة دنيا وأخرى. لا يسألهم يوم القيامة عن حج ولا زكاة، ولا صلة رحم ولا مواساة، وإنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا، فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا، أدلة يوم القيامة. لا تغتم فرزق الله مضمون سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، قد تعجلنا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا أو أمسينا إذا أطعنا الله.

ثم قام إلى الصلاة، وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا غير ساعة، وإذا نحن برجل قد جاء بشمانية أرغفة وبتمر كثير، فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا رحمكم الله! فسلم إبراهيم من صلاته، وقال: كل يا مغموم. فدخل سائل وقال: أطعموني

شيئاً. فأطعمه ثلاثة أرغفة مع تمر كثير، وأعطاني ثلاثة، فأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين.

وقال إبراهيم لشقيق: على ماذا أصلتم أصولكم؟ فقال: إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم: هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صبرت. إنا أصلنا أصولنا على أننا إذا رزقنا آثرنا، وإذا منعنا حمدنا وشكرنا. فقام شقيق، وقعد بين يديه، وقال: أنت أستاذنا.

وحصد إبراهيم في المزارع بعشرين ديناراً، ودخل إلى أذنه، ومعه صاحب له⁽¹⁾. فأراد أن يحلق ويحتجم، فجاء إلى حجام، فحقره الحجام وصاحبه. وقال: ما في الدنيا أحد أبغض إلي من هؤلاء أما وجدوا غيري؟ ففضى شغل غيرهما، وأعرض عنهما. ثم قال: أي شيء تريدان؟ فقال إبراهيم: أحتجم وأحلق. ففعل به، وأما صاحبه فقال له: لا أفعل ذلك. لتهاونه بهما، ثم أعطاه إبراهيم الذي كان معه، فقال له صاحبه: كيف ذاك؟ فقال: اسكت لئلا يحتقر فقيراً بعدها.

وروي: أنه كان يعمل في الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك، وينفق على من في صحبته من القراء. وكان يعمل نهاره، ويجتمعون ليلاً إلى موضع، وهم صيام، وكان إبراهيم يبطئ في رجوعه من عمله. فقالوا ليلة: هلم نسبقه حتى لا يبطئ في رجوعه من عمله. ففعلوا وناموا. فجاء إبراهيم، فظن أنهم لم يجدوا طعاماً، فأصلحه لهم، فانتبهوا وقد وضع شيبته في نار، وينفخ بها، فقالوا له في ذلك، فقال: ظننت أنكم نتمم جوعى لأجل العدم، فأصلحت لكم ذلك. فقال بعضهم لبعض: انظروا ما الذي عملنا، وما الذي يعاملنا به⁽²⁾.

وقال سهل بن إبراهيم: صحبته، فمرضت، فأنفق علي نفقته. فاشتيت شهوة، فباع حماره وأنفقه علي. فلما تماثلت قلت: أين الحمار؟ قال: بعناه!. فقلت: ماذا أركب؟! فقال: يا أخي! على عنقي. فحملني ثلاثة منازل.

(1) قال أبو نعيم: إن صاحبه كان يكنى أبا سليمان وهو شيخ من أهل خراسان. انظر: حلية الأولياء: 374/7.

(2) ذكر هذه القصة أبو نعيم في الحلية بمعناها: 384/7، 38.

وركب مرة البحر فهاج عليهم، فلف رأسه في عباءة ونام. فقليل له: ما ترى ما نحن فيه من الشدة؟! فقال: ليس هذا شدة! الشدة الحاجة إلى الناس. ثم قال: اللهم! أرينا قدرتك، فأرنا عفوك! فصار البحر كأنه قدح زيت.

وقال إبراهيم: مررت ببعض بلاد الشام، فإذا حجر مكتوب عليه:

كل حي وإن بقي فمن العين يستقي
فاعمل اليوم واجتهد واحذر الموت يا شقي
فقدت زماناً أقرأه وأبكي. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

للقمة بجريش الملح أكلها ألد من ثمرة تحشى بزنبور

سيدنا أويس القرني*

هو سيدنا أويس بن عامر القرني، وقيل ابن عمرو القرني المرادي، من بني قرن، خير التابعين، وسيد العباد، وعلم الأصفياء والأولياء من الزهاد.

روى عن: سيدنا عمر وسيدنا عليّ عليه السلام.

وروى عنه: ابن أبي ليلى، وغيره.

سكن الكوفة.

قال ابن عدي⁽¹⁾: صدوق ثقة.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 210. وكذلك: طبقات ابن سعد: 6/ 16، طبقات خليفة 146، الزهد للإمام أحمد: 341، الجرح والتعديل: 2/ 326، الثقات لابن حبان: 4/ 52، حلية الأولياء: 2/ 79، صفة الصفوة: 3/ 43، المختار من مناقب الأخيار: 76/ ب، أسد الغابة: 1/ 151، مختصر تاريخ دمشق: 5/ 79، سير أعلام النبلاء: 4/ 19، تاريخ الإسلام: 2/ 173، الوافي بالوفيات: 9/ 456، الإصابة: 1/ 118، تهذيب التهذيب: 1/ 386، لسان الميزان: 1/ 471، طبقات الشعراني: 1/ 27.

(1) الكامل في الضعفاء: 1/ 413.

ونعته كما أخرجه أبو نعيم⁽¹⁾ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: أَنَّهُ أَشْهَلُ⁽²⁾، ذو صهوبة⁽³⁾، بعيد ما بين المنكبين. معتدل القامة، آدم يضرب بذقنه إلى صدره، واضع يمينه على يساره، يتلو القرآن، ذو طمرين⁽⁴⁾ من صوف، مجهول في الأرض، معروف في السَّماء، وتحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، يقال للعباد يوم القيامة: ادخلوا الجنَّة، ويقال له: قف فاشفع. فيشفع في عدد ربيعة ومضر.

وفي الحديث⁽⁵⁾: "يا عمر، ويا علي، إذا لقيتَما فاطلبا إليه أن يستغفر لكما".

وفي الحديث⁽⁶⁾: إنهما طلباه عشر سنين حتى لقياه بعرفة، فسَلَّمَا عليه، وقالَا له: من الرَّجُل؟ قال: راعي إبل، وأجير قوم. قالَا: لسنا نسألك عن ذلك، ما اسمك؟ قال: عبد الله. قالَا: قد علمنا أَنَّ أهل السَّماء والأرض كلَّهم عبيد الله، ما اسمك؟ الذي سمَّتك به أمُّك؟

قال: يا هذان، ما تريدان مني؟

قالَا: وصف لنا رسول الله ﷺ أويساً القرني، وقد عرفنا الشهولة والصهوبة، ثم نظرا منكبيه فرأيا اللمة، فقالَا: استغفر لنا.

قال: ما أخص بالاستغفار أحداً، ولكن للمؤمنين والمؤمنات فمن أنتما؟

فقال الإمام علي كرم الله وجهه: هذا عمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي. فاستوى أويس قائماً، وقال: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين، ويا ابن أبي طالب، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيراً، ثم عرض عليه عمر رضي الله عنه كسوة ونفقة.

(1) حلية الأولياء: 81/2.

(2) الشَّهْلُ محرَّكٌ، والشَّهْلَةُ بالضم: أقل من الزَّرَق في الحدقة، وأحسن منه، أو أن تشرب الحدقة حمرة. القاموس (شهل).

(3) الصَّهْب: محرَّكة: حمرة أو شقرة في الشعر. القاموس (صهب).

(4) الطمر: الثوب الخلق. القاموس (طمر).

(5) حلية الأولياء: 82/2.

(6) حلية الأولياء: 82/2.

فقال: ما أصنع بهما، أما ترى عليّ إزاراً ورداءً من صوف، متى تراني أخرقهما؟

وأخذت من رعايتي أربعة دراهم، متى تراني آكلها؟

إن بين يديّ ويديك عقبةً كؤوداً لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول. فضرب عمر رضي الله عنه بدرّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها. انتهى.

وكان لباسه ما يجده على المزابل من الخرق، فيلتقطها فيغسلها في الفرات، ويلفق بعضها إلى بعض، وكان يتقوّت مما يلتقطه منها من الكسر ونحوها، فيأكل بعضها، ويتصدّق ببعضها.

ويقول: اللّهمّ، إني أبرأ إليك من كلّ كبد جائع، اللّهمّ، من مات جوعاً فلا تؤاخذني به. فنبحه يوماً كلب على مزبلة، فقال له أويس رضي الله عنه: كل مما يليك، وأنا أكل مما يليني، إن دخلت الجنة فأنا خير منك، وإن دخلت النار فأنت خير مني.

وكان أهله يقولون: هو مجنون، وأقاربه به يهزؤون، والصّغار به يولعون، وله بالحجارة يرحمون، فصار لا يراه أحد إلا نحو كلّ عام مرّة، فكان شديد المحافظة على الخفاء، وكان إذا مرّ بالصّبيان فرجموه بالحجارة يقول: يا إخوانه، إن كنتم ترموني فارموني بأحجار صغار، لئلا تدموني، فيحضر وقت الصّلاة ولا أصب الماء.

وأناه هرم بن حيان فقال له: ما جاء بك؟ قال: جئت لأنس بك.

فقال له: ما كنت أرى أحداً يعرف ربّه فيأنس بغيره.

وقال له رجل: أوصني. فقال: توسّد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك إذا قمت.

وقال: الدعاء بظهر الغيب أسلم وأفضل من اللقاء والزيارة.

وقال: لم يدع لي الأمر بالمعروف صديقاً.

وقال: لا يبلغ الرجل مقام الخوف حتى يصير كأنه قتل جميع الخلق.

وقال: إنَّ هذا القرآن لم يجالسه أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، قضاء من الله الذي قضاه: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82/17].

وقال: عليك بذكر الموت، فإن استطعت أن لا يفارك طرفه عين فافعل.

وقال الفارسي: رأيت رجلاً آدم طوالاً، والنَّاس يتبعونه، فقلت: من هذا؟ قالوا: أويس. فاتَّبعته، فقلت: أوصني. فكلح -أي عبس- في وجهي، فقلت: مسترشداً فأرشدني، أرشدك الله.

فقال: ابتغ رحمة الله عند طاعته، واحذر نقمته عند معصيته، ولا تقطع رجاءك عنه في خلال ذلك، ثم ولي وتركني.

وفي رواية لابن عساكر⁽¹⁾ أنه قال له ابن حيان: أوصني.

فقال: مات أبوك حيَّان ويوشك أن تموت، فإمّا إلى الجنَّة وإمّا إلى النار، ومات أبوك آدم وحواء، وإبراهيم ونوح عليهم الصَّلَاة والسلام، وصيتي إليك كتاب الله، وعليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفه عين، وإياك أن تفارق الجماعة، فتفارق دينك. ثم قال: اللّهُمَّ، إنَّ هذا زعم أنه يحبني فيك، وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنَّة، وأدخله عليّ في دارك دار السَّلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيّاً، وارضه باليسير، ثم قال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا تسأل عني، ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال.

وقال له رجل: أوصني.

فقال: فرّ إلى ربك.

قال: فمن أين المعاش؟ قال: أف لقلوب خالطها الشك، يرزقك وأنت مدبر عنه، ولا يرزقك وأنت مقبل عليه!

ومرَّ به رجل، فقال له: كيف أصبحت؟

(1) تاريخ مدينة دمشق: 97/3 بداية أخباره.

قال: أصبحت أحمد الله. قال: كيف الزَّمان عليك؟ قال: كيف هو على رجل إن أصبح ظنَّ أنه لا يمسي، وإن أمسى ظنَّ أنه لا يصبح؟! إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحاً، وإن علمه بحقوق الله في ماله لم يترك له مدَّخراً، وإن قيامه لله بالحقِّ لم يدع له صديقاً.

ومن كلامه:

لقلع الجبال بالإبر أيسر من إخراج الكبر من القلوب.
ولما مات وجدوا معه في ثيابه أكفاناً، ووجدوا عنده قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة، فكفَّنوه في تلك الثياب، ودفنوه فيه.

وروى سنان بن هارون عن حمزة الزيات، حدَّثني بشر، سمعت زيد بن علي يقول: قتل أويس عليه السلام يوم صفين⁽¹⁾.

وفي حديث آخر أنه مات بالحيرة.

وقال ابن حبان⁽²⁾: اختلف في موته، فمنهم من زعم أنه قتل يوم صفين في رجالة علي بين يديه، وقيل: قتل يوم نهاوند⁽³⁾، ومنهم من زعم أنه مات بجبل أبي قبيس بمكة، وقيل مات بدمشق.

أخرج أحمد⁽⁴⁾ بسند معتبر عن سيد البشر "خير التَّابعين أويس القرني" وفي صحيح مسلم⁽⁵⁾ نحوه.

وبه ردَّ ابن عدي وغيره على مالك عليه السلام إنكاره له.

وقيل: إنه اجتمع بعمر بالموسم، وقال له: وددت لو صليت في الأقصى.

(1) أخرجه ابن عدي في الكامل: 412/1.

(2) الثقات: 52/4.

(3) نهاوند مدينة من مدن فارس، كانت فيها الوقعة بين جيش المسلمين بقيادة النعمان بن مقرن والفرس زمن خلافة عمر بن الخطاب. ولم يبق للفرس بعد هذه الوقعة قائم، فسموها المسلمون فتح الفتوح معجم البلدان: 313/5.

(4) رواه أحمد في المسند: 38/1 و480/3.

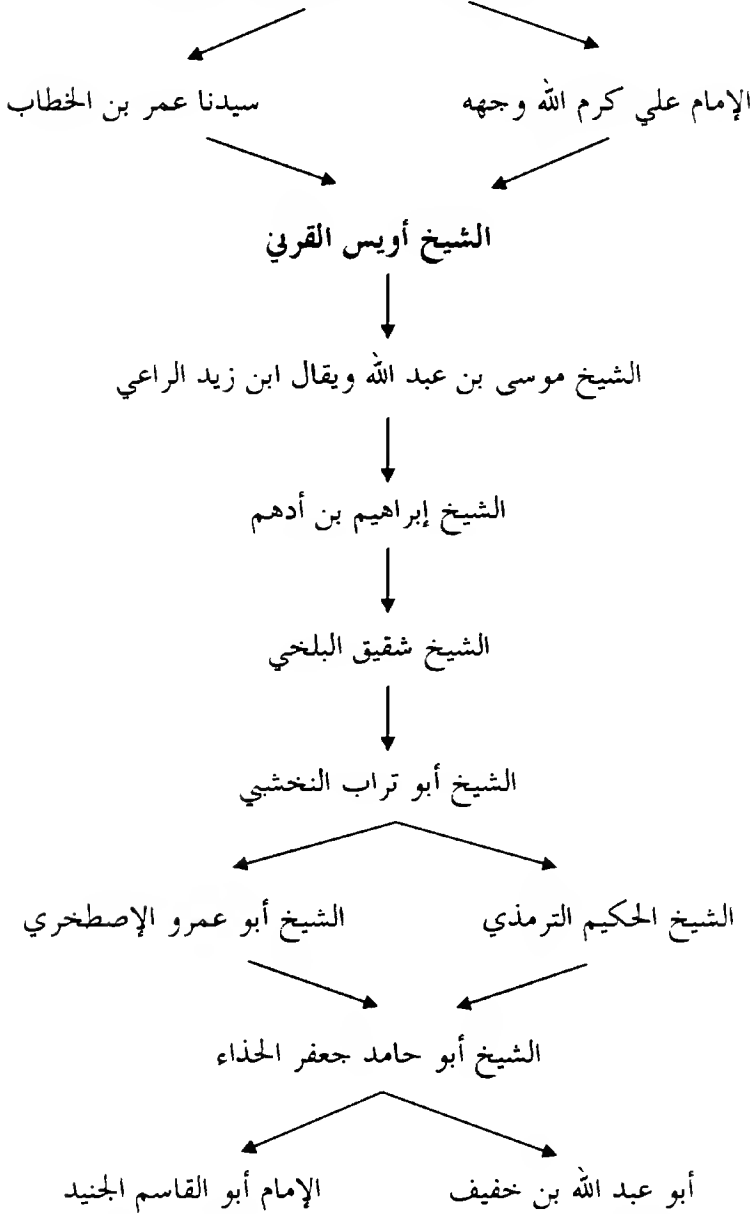
(5) صحيح مسلم: (2542) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني.

فجهزه له، ثم رجع للكوفة، خرج منها غازياً لأرمينية، فأصابه البطن فمات عند أهل خيمة، فوجدوا معه جراباً وقعباً⁽¹⁾، فنظروا في الجراب ثوبين ليسا من ثياب الدنيا، وذهبوا ليحفروا له قبراً، فوجدوا قبراً مجهّزاً في صخرة فدفنوه فيه، فلما فرغوا من دفنه التفتوا فلم يروا شيئاً.

(1) القعب: قدح من خشب مقعر.

سيدنا أويس القرني* ومن أخذ عنه:

سيدنا محمد رسول الله ﷺ



* المرجع: مرآة المحاسن لأخبار الشيخ أبي المحاسن: محمد العربي الفاسي..

سيدنا موسى الجون*

هو سيدنا موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

كان شاعراً ولما قبض المنصور على أبيه وأهله ضربه ألف سوط وقال له : إني مرسلك إلى الحجاز لتأتينني بخبر أخويك محمد وإبراهيم . إلا أنه هرب إلى مكة وتخفى .

فلما حج المهدي قال له في الطواف قائل : أيها الأمير لي الأمان وأدلك على موسى الجون؟ فقال : لك الأمان، فقال : أنا موسى الجون فخلى سبيله . وفي ولده العدد والإمرة في الحجاز وأعقب من الرجال اثنين : إبراهيم وعبد الله الجون .

سيدنا مولاي إدريس الأكبر عليه السلام*

هو أرفع أهل عصره قدراً، وسيد أبناء الرسل طراً، ذو الهمة السنية والنفس الزكية، زينة ساداتنا الشرفاء الذين عنهم الرجس انتفى، وشمس مجدهم ما لها خفاء، سيدنا إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن مولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ .

أجمع أهل التراجم على أنه لما وقعت حادثة فخ الشهيرة بالقرب من مكة المكرمة في موسم الحج واستشهد العدد الكبير من ساداتنا آل البيت النبوي على يد العباسيين، أنجى الله منها سيدنا إدريس بن عبد الله وأخاه يحيى عليه السلام بعد أن أُنْخِنا

* للمزيد انظر: مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني، والشجرة الزكية في أنساب وسيرة آل النبوة ليوسف بن عبد الله جمل الليل .

* - دولة الأدارسة لإسماعيل العربي .

- تاريخ ابن خلدون .

- تاريخ دولة الأدارسة لأبي عبد الله التنسي .

- أخبار فخ لأحمد بن سهل الرازي .

بالجراح، ولمّا كفّ عنهما الطلب وعَمِيَتْ عنهما الأبصار وشُفِيَتْ جراحهم اتفق رأيهما على أن يُوجَّهوا في أمصار المسلمين ويستنصروهم على الجهاد فوجَّه سيدنا يحيى أخاه إدريس إلى أهل المغرب قائلاً: "يا أخي إن لنا راية في المغرب تقبل في آخر الزمان فيظهر الله الحق على أيدي أهلها فعسى أن تكون أنت أو رجل من ولدك" فتوجه مولاي إدريس إلى المغرب مع أصحابه سالكاً طريق الجنوب ماراً بجنوب تيهرت ليحل في تلمسان المحروسة ثم يواصل مسيرته إلى طنجة ثم يستقر بمدينة (وليلي) لدى قبيلة أوربة البربرية وأميرها حينئذ إسحاق بن عبد الحميد الأوربي الذي كان يعتنق مذهب المعتزلة، فلما عرّفه مولاي إدريس بنفسه أنزله معه في داره فتولى خدمته بنفسه عدة أشهر، ثم جمع زعماء قبيلته فعرفهم بنسب مولاي إدريس وبفضله وشرفه وعلمه ودينه وكمال خصاله فرحبوا به وأعربوا عن تقديرهم له قائلين: إنه سيدنا ونحن عبيده فما يريد منّا؟ قال: تبايعونه، فبايعوه على السمع والطاعة بمدينة (وليلي) يوم الجمعة من شهر رمضان عام 172هـ، فخطب في الناس يوم بيعته خطبة عظيمة كان مما قال فيها: أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإنّ الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ثم كاتبَ ﷺ قبائل البربر من أهل الشلف وتيهرت وزناته وصنهاجة ولواته ومكناسة وغمارة، فكان مما جاء في بعض رسائله بعد الحمد والثناء على الله: "فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم وأنصار الكتاب والسنة القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيين...". إلى أن قال: "وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب جدائي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة عمائي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة برسول الله جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وفاطمة ابنة الحسين وسيدة بنات دراري النبيين أماي، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزكي أخواي، فهذه دعوتي العادلة...".

فوفدت عليه تلك القبائل وبايعوه على السمع والطاعة واعترفوا بسلطانه، فسمت إليه أبصارهم وانبسط نحوه آمالهم واشراأت إليه أعناقهم، ولمّا استوثق له

الملك وتمت دعوته زحف على القبائل التي كانت تنتحل مذهب الخوارج، وقاتلهم حتى تمت هدايتهم على يده ثم زحف إلى البربر الذين كانوا بالمغرب كفاراً فأسلموا على يديه، فافتتح تامسنة وتادلة وشالة وكان أكثر سكان هذه المناطق من اليهود والنصارى فأسلموا على يديه وهدم حصونهم ومعاقلمهم ثم اتجه إلى الشرق قاصداً تلمسان فلما وصل إليها خرج إليه أميرها محمد بن خزر المغراوي مبيعاً مطيعاً فأمنه مولاي إدريس وأبقاه أميراً على تلمسان بعد أن أمره ببناء مسجد لها وبصُنع منبر له نقش عليه اسمه لا تزال آثار ذلك المسجد موجودة إلى الآن، ثم رجع ﷺ إلى (وليلي) بعد أن فتح الله به البلاد وهدى قلوب العباد، والله در من قال:

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها كأنكم في بقاع الأرض أمطار

ومن فضل الله وكرمه بأهل المغرب أن كان من أمر مولاي إدريس الأكبر ﷺ أن قال: نحن أحق بمذهب مالك وقراءة كتابه، يعني الموطأ، وأمر بذلك في جميع عمالته أي المغرب. ذكر ذلك الإمام المقري في كنز الأسرار، ولما بلغ هارون الرشيد خبر مولاي إدريس ﷺ واستسلام أهل المغرب له وانقيادهم إليه وقيام دولته خشي على ملكه، فبعث بداهية من رجاله يدعى سليمان الشماخ ليسمه، فلحق بمولاي إدريس وأظهر التبري من بني العباس والولاية لآل البيت، وادعى انتحال الطب فحسن موقعه من مولاي إدريس حتى وافق أن أعطاه قارورة طيب فيها سم يقتل بمجرد الشم، فكان في شمسها أجله وكان ذلك سنة 175هـ، فمضى ﷺ مسموماً شهيداً مظلوماً فقيداً على أثر من سبقه من أجداده الكرام آل البيت العظام الذين مستهم البأساء والضراء والمكروه والأواء فصبروا وما استكانوا، فرضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. ولم يترك مولاي إدريس غير زوجته كنزة حاملاً فأنجبت بعد استشهاده بيسير ابنه مولاي إدريس الأزهر الذي كان بحق نسخة أبيه جساً ومعنى، ومنه استمر نور النبوة يتوارثه ساداتنا الأشراف بالمغرب العربي ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سيدنا شيبان الراعي*

هو سيدنا الإمام شيبان الراعي، كان من رؤوس الزهاد، وأكابر العارفين
الأمجاد وكان في المجاهدة فائقاً وفي التوكل على ربه مبالغاً واثقاً.

قال الغزالي في (الإحياء): كان الشافعي رحمته الله يجلس بين يديه كما يقعد الصبي
في المكتب، ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟
فيقول: إنه وفق لما علمناه.

قال في (الفتوحات): لما سأله ابن حنبل والشافعي رحمته الله عن زكاة الغنم. قال:
على مذهبنا أو على مذهبكم؟ إن كان على مذهبنا فالكل لله؛ لا نملك شيئاً. وإن
كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة شاة؛ وعمن نسي صلاة من الخمس لا يدري
عينها... ما يلزمه؟ فقال: هذا قلب غفل عن الله، فيؤدب بإعادة الخمس حتى
لا يغفل عن مولاه بعدها. انتهى.

وقرئ عنده ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7/99]، فهم على
وجهه سنة، ثم رجع فقيل له: لم هربت؟ فقال من الحساب الدقيق.

وله أحوال ساميات، وكرامات ظاهرات منها:

أنه كان إذا أجنب، ولا ماء عنده، جاءت سحابة فأظلمته، فاغتسل منها.
ومنها: أنه كان إذا ذهب للجمعة خط على غنمه خطأ، وذهب، فلا تتحرك
ولا يعترضها وحش ولا إنس حتى يرجع.

وكان هو وسفيان رحمته الله مارين بطريق مكة فعرض لهما سبع فقال سفيان: أما ترى
السبع؟ فقال شيبان: لا تخف. وأخذ بأذن الأسد فعركه، فبصص وانصرف، فقال
سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا خوف الشهرة لوضعت زادي على ظهره إلى
مكة.

* انظر: طبقات الصوفي للمناوي: 325/1. وكذلك: الثقات لابن حبان: 448/6، حلية
الأولياء: 317/8، صفة الصفوة: 376/4، المختار من مناقب الأخيار: 210/أ، روض
الرياحين: 52، 53، 319 (الحكاية 268)، الوافي بالوفيات: 201/16.

وكان أمياً، ومع ذلك كان إذا سئل عن شيء من الفقه أو غيره أجاب عنه بجواب حسن ومرت به رابعة العدوية، فقالت له: أريد الحج. فأخرج لها من كمه ذهباً وقال: أنفقيه في الطريق. فمدت يدها إلى الهواء، وقبضت منه، فإذا هي مملوءة ذهباً، وقالت: أنت تنفق من الجيب، وأنا أنفق من الغيب، فحج معها على التوكل من غير زاد.

وكتب إليه أبو علي عليه السلام: الحكمة صناعة نظرية، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه، فتشرف بذلك نفسه، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية، والعقل له مراتب وأسماء بحسب تلك المراتب، فالأول هو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، والصنائع الفكرية، وحده غريزة تهيأ بها إدراك العلوم النظرية، ثم يترقى في معرفة المستحيل، والممكن، والواجب، ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات البهيمية، واللذات الحسية، فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها، فيعاين الحقائق الدائمة، ويعلم بذاته وموضوعه، ولماذا خلق. فأجابه بما نصه: من شيبان الأبله الأمي إلى الحبر أبي علي، وصل كتابك مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته، وقد ألفيته وافياً بمقصودك لا بمقصودي، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف، واقتنى علوماً لم يؤمر بها، فاستغرقت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف، وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة تقتضي تركه والسلام.

ومن كلامه:

حقيقة المحبة أرقُّ بلا رقاد، وجسم بلا فؤاد، وتهتك في العباد، وتشرد في البلاد.

مات بمصر، ودفن بالقرافة بقرب الشافعي عليه السلام، بالتربة التي فيها المزني، وبينه وبين المزني قبر الخياط، كان عليه السلام من أكابر الصالحين.

الإمام الفضيل بن عياض* (105هـ - 187هـ)

هو الإمام أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي شيخ الحرم المكي وأحد الأقطاب، ولد في سمرقند ونشأ بأبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع بها الحديث وأخذ الحديث عن الإمام الشافعي.

ثم تعبد وانتقل إلى مكة، وجاورها إلى أن مات سنة سبع وثمانين ومئة. وأفرد ابن الجوزي ترجمته بالتأليف.

وكان شاطراً، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس.

وسبب توبته أنه كان يعشق جارية، فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16/57].

فقال: بلى! والله يا رب! قد آن. فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل. وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق. فآمنهم، وبات معهم⁽¹⁾.

* انظر ترجمته في: حلية الأولياء 8/ 87 - 149، طبقات الصوفية: 6 - 14، طبقات ابن سعد: 1/ 28، 6/ 43، 282، تاريخ الداودي: 2/ 476، تاريخ خليفة: 458، طبقات خليفة: 284، علل ابن المديني: 74، علل أحمد: 1/ 21، 44، 203، 251، 2/ 150، التاريخ الكبير للبخاري: 7/ 123، التاريخ الصغير: 2/ 241، المعروف ليعقوب: 1/ 179، تاريخ أبي زرعة الدمشقي: 468، 557، الجرح والتعديل ترجمة: 416، الثقات لابن حبان: 7/ 315، الثقات لابن شاهين: الترجمة 1124، السابق واللاحق: 292، الجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني: 2/ 414، الكامل في التاريخ: 6/ 189، 220، سير أعلام النبلاء: 8/ 372، تذكرة الحفاظ: 1/ 245، الكاشف: ترجمة 6768، تهذيب التهذيب: 8/ 294، تقريب التهذيب: 2/ 113، خلاصة الخزرجي: ترجمة 5739، صفة الصفوة: 2/ 134، التوابون: 27، الجواهر المضيئة: 1/ 409، شذرات الذهب: 2/ 399 - 402، المنتظم لابن الجوزي: 9/ 148 - 152، العقد الثمين: 5/ 485.

(1) ذكره في العقد الثمين (5/ 452) أزيد من ذلك فقال: وقال أبو عمار الحسين بن حريث،

من كلامه:

إذا أحب الله عبداً أكثر همه أي: بأمر آخرته وإذا أبغض الله عبداً أوسع عليه دنياه⁽¹⁾.

وقال: خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وقال: من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه، وأضمر العداوة والبغضاء، لعنه الله وأصمه، وأعمى بصيرة قلبه⁽²⁾.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾ [الأنبياء: 106/21] قال: الذين يحافظون على الخمس⁽³⁾.

وقال: ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر، والنصح للأمة⁽⁴⁾.

وقال: من عرف الناس استراح⁽⁵⁾. أي: في أنهم لا يضررون ولا ينفعون.

وقال لرجل: لأعلمنك كلمة خير من الدنيا وما فيها: والله! إن علم الله منك إخراج الأدميين من قلبك، حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره، لم تسأله شيئاً إلا أعطاك!

= عن الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته، أنه عشق جارية، فيينا يرتقى الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها قافلة، فقال بعضهم: نرتحل. وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ههنا يخافونني! وما أرى الله تعالى ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية: (8/91).

(2) ذكره السلمي في الطبقات: (ص 13).

(3) ذكره السلمي في الطبقات: (ص 13).

(4) ذكره أبو نعيم في الحلية: (8/105)، والسلمي في الطبقات: (ص 10).

(5) ذكره السلمي في الطبقات: (ص 10).

وقال: إذا لم تقدر على قيام الليل ، فاعلم أنك محروم بذنوبك⁽¹⁾.

وقال: أصلح ما أكون أفقر ما أكون. وإني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي⁽²⁾.

وروي أن الرشيد قال له يوماً: ما أزهدك! فقال: أنت أزهد مني! قال: وكيف ذلك؟! قال: لأنني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية، والآخرة باقية⁽³⁾.

ومن إنشاداته:

إننا لنفرح بالأيام ننفقها وكل يوم مضى نقص من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً فإنما الربح والخسران في العمل
وقال: أنا منذ عشرين سنة أطلب رفيقاً، إذا غضب لم يكذب علي.

وقال: إن فيكم خصلتين هما من الجهل: الضحك بغير عجب. التصبح من غير سهر⁽⁴⁾. أي النوم أول النهار، لأنه وقت ذكر ثم وقت طلب الكسب.

وقال: أتى علي وقت، لم أطعم فيه ثلاثة أيام، وإذا مجنون أقبل، وهو ينظر إلي ويقول:

محل بيان الصبر منك عزيز فيا ليت شعري هل لصبرك من أجر
فقلت: لولا الرجاء لم أصبر. فقال لي: وأين مسكن الرجاء منك؟ فقلت:
موضع مستقر هموم العارفين. فقال: والله أحسنت! إنما هو قلب الهموم عمرانه،
والأحزان أوطانه، عرفته فاستأنست به، وأحبيته فارتحلت إليه. فسمعت من كلامه،
ما قطعني عن جوابه. ثم وعظني وولى، وهو يقول:

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية: (8/ 98) وفيه: "أنت محروم مكبل كبلتك خطيبتك".

(2) ذكره أبو نعيم في الحلية: (8/ 111).

(3) ذكره ابن العماد في الشذرات: (2/ 400).

(4) ذكره السلمي في الطبقات: (ص 13).

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
وكانت قراءة الفضيل حزينة فإذا مر بآية فيها ذكر النار تردد فيها وسأل الله .

وكان يلقي له حصير بالليل في مسجده، فيصلي من أول الليل حتى تغلبه عيناه،
فيلقي نفسه على الحصير، فينام قليلاً ثم يقوم، فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم، وكذلك
حتى يصبح⁽¹⁾ .

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً
ولا مبتسماً، إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله أحب أمراً
فأحببت ذلك الأمر⁽²⁾ .

وكان ولده علي شاباً من كبار الصالحين، وهو من جملة من قتلهم المحبة.
وهم جماعة أفردهم الثعلبي في جزء .

قال ابن عينة: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه .

قال الفضيل: بكى ابني علي، فقلت: ما يبكيك؟! فقال: يا أبت! أخاف
ألا تجمعنا القيامة⁽³⁾ .

وكان يصلي حتى يوجف (أي يسقط من الخوف) إلى فراشه، يقول: يا أبت!
سبقي العابدون⁽⁴⁾ .

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية: (89/8) .

(2) ذكره أبو نعيم في الحلية: (103/8)، وفيه "فأحببت ما أحب الله" .

(3) ذكره أبو نعيم في الحلية: (103/8)، وفيه: "فأحببت ما أحب الله" .

(4) قال في العقد الثمين: (290/5): روى عن عبد العزيز بن أبي رواد وروى عن أحمد بن
يونس، وكان من الخائفين. كان يقدم على أبيه في الخوف والعبادة، مات قبل أبيه. وكان
سبب موته، أنه بات يتلو القرآن في محرابه، فأصبح ميتاً في محرابه .

سيدنا سفيان بن عيينة*

(107هـ - 198هـ)

هو سيدنا الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون أحد أتباع التابعين الكوفي ثم المكي الهلالي، الإمام الأمين، ذو العقل الرصين، والرأي الراجح المكين، المستنبط للمعاني، المرتبط للمباني، كان عالماً ناقداً، زاهداً عابداً، حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وكتب الحديث وهو ابن سبع، ثم برع حتى صار أواحد زمانه علماً وزهداً وورعاً.

قال الزمخشري في (الربيع): كان يحضر مجلسه مئة ألف نفس.

وكان يقول: أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، اصعدوا عليه، واطلعوا على التابعين. وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل.

ومن فوائده:

من زيد في عقله نقص في رزقه.

وقال: طلب ما لا بد منه ليس من حب الدنيا.

وقال: ماء زمزم كالطيب لا ينبغي رده.

وقال: العلم إن لم ينفع ضر.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 309/1. طبقات خليفة: 284، تاريخ خليفة: 468، التاريخ الكبير: 4/94، التاريخ الصغير: 2/258، المعارف: 506، الجرح والتعديل: 4/225، مشاهير علماء الأمصار: 149، الثقات لابن حبان: 6/403، حلية الأولياء: 7/270، تاريخ بغداد: 9/174، صفة الصفوة: 217، المختار من مناقب الأخيار: 189/ب، جامع الأصول: 14/234، تهذيب الأسماء واللغات: 1/224، وفيات الأعيان: 2/391، تهذيب الكمال: 9/177، سير أعلام النبلاء: 8/400 (120)، العبر: 1/326، تذكرة الحفاظ: 1/262، ميزان الاعتدال: 2/170، المغني: 1/268، الوافي بالوفيات: 15/281، العقد الثمين: 4/591، غاية النهاية: 1/308، تهذيب التهذيب: 4/117، طبقات الشعراني: 1/56، شذرات الذهب: 1/354.

وقال: عليكم بكتمان الفقر، فإنه من العمل الصالح.

وقال: الجهاد عشرة أجزاء، جهاد العدو جزء، وجهاد النفس تسعة أجزاء.

وقال: إنما عرف القوم لمحبتهم ألا يعرفوا، ولو أحبوا أن يعرفوا ما عرفوا.

وقال: شرار أهل العام الماضي خير من خياركم في هذا العام.

وقال: الزهد الصبر، وارتقاب الموت.

وقال: بحسب امرئ من الشر أن يرى من نفسه فساداً ولا يصلحها.

وقال: من تزين للناس بشيء يعلمه الله منه غيره شانه (الله)⁽¹⁾.

وقال: إنما أهل العلم الذين يعملون به.

وقال: من كانت معصيته في الشهوة فأرجو له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتتياً فغفر له، ومن كانت معصيته في كبر فخف عليه اللعنة، فإن إبليس عصى متكبراً فلعن.

وقال: لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام الله.

وقال: خلقت النار رحمة، يخوف الله بها عباده لينتهوا.

وقال: العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزد على الكثرة منها إلا شراً.

وقال: من أحب القرآن فقد أحب الله.

وقال: عليك بالنصح لله في خلقه، فإنك لن تلقاه بعمل أفضل منه.

وقال: لو نادى مناد من السماء: أن الناس كلهم يدخلون الجنة، وأنا وحدي في النار لكنت بذلك راجياً.

وقال: لا يمنحك من الدعاء ما تعلم من نفسك، فإن الله تعالى أجاب شر الخلق إبليس إذ قال: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿[الأعراف: 14-15]﴾.

وقال: ما شكر الله عبد استعان بنعمته على معصيته.

وقال: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف: 152/7] فهي لكل مفترٍ مبتدع إلى يوم القيامة.

وقال: العمل الصالح هو الذي لا تحب أن يحمذك عليه إلا الله.

وقال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وقال: ليس أحد إلا والله عليه الحجة البالغة إما في ذنب ارتكبه، وإما في نعمة قصر في شكرها.

وقال: أوحى الله إلى موسى عليه الصلاة والسلام: أول من مات إبليس، فإنه أول من عصى وإنما أعد من عصاني من الموتى.

وقال: لا يغرنك من اغتر بالله فمدحك بما تعلم من نفسك خلافه، فإنه ما من أحد يقول في رجل شيئاً من الخير إذا رضي إلا قال مثله من الشر إذا سخط، فاستأنس بالوحشة عن جلساء السوء.

وقال: أرفع الناس منزلة من كان بين الله وعباده، وهم الأنبياء والعلماء.

وقال: أصابني رقة فبكيت، وقلت في نفسي: لو كان بعض أصحابي حاضراً لرق معي، فغفوت فأتاني آتٍ فرفسني، وقال: خذ أجرك ممن أحببت أن يراك.

وقال: قال لي الثوري في اليقظة في حياته، وفي المنام بعد مماته: أقلل من معرفة الناس، فإن التخلص منهم شديد.

وقال: المدح لا يضر من عرف نفسه.

وقال: اسلكوا طريق الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها. وقال: الراضي عن الله لا يتمنى المنزلة التي هو فيها.

وقال: كنت أتفكر في معنى الحديث: " دَخَلَ فَقَرَاءُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ "⁽¹⁾ إلى آخره، فلم أقف عليه حتى رأيت كأن قائلًا يقول: الغني إذا ناب

(1) أخرجه الترمذي: 4/578 (2354) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم"، وهو (خمس مئة عام) قال الترمذي: وهذا حديث صحيح، وأخرجه ابن حبان. انظر الإحسان: 2/451 (676).

شيء التجأ إلى ماله وجاهه، والفقير إذا نابه شيء لا يلتجئ إلا إلى الله. فيبقى كل واحد مع من التجأ إليه، الغني مع من له، والفقير مع من له.

وقد أخذ عن عمرو بن دينار، والزهرى، ومحمد بن المنكدر، وأبي إسحاق، والشيباني والأعمش وصحب الإمام مالك.

وحدث عنه سفيان الثوري والشافعي والإمام أحمد بن حنبل والأوزاعي وغيرهم.

مات رحمته الله بمكة سنة 198هـ ودفن بالحجون وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

الإمام شقيق بن إبراهيم البلخي*

هو الإمام الشهيد أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي من كبار مشايخ خراسان. حدث عن أبي حنيفة، وكان أستاذ الإمام حاتم الأصم رحمته الله. مات شهيداً في غزوة كولان، سنة أربع وتسعين ومئة، حكاه ابن عساكر. وجزم ابن الجوزي، في المنتظم بأنه مات سنة ثلاث وخمسين ومئة⁽¹⁾. وأخبر عن نفسه في تلك الغزوة أنه رأى نفسه في ذلك اليوم كيوم الزفاف، ونام بين الصفين، حتى سمع غطيطة.

قيل: كان سبب زهده أنه رأى مملوكاً يلعب ويمرح في زمن قحط، فعاتبه. فقال: لمولاي قرية يدخل له منها ما يحتاج إليه...

فانتبه شقيق، فقال: هذا مولاه مخلوق... ومولاي أغنى الأغنياء...! فترك ما في بيته، وتخلّى للعبادة⁽²⁾.

* طبقات الأولياء: ص44. وانظر ترجمته في: تاريخ ابن معين 259، الجرح والتعديل: 4/373، طبقات الصوفية: 61 - 88، حلية الأولياء: 8/58، وفيات الأعيان: 2/375، العبر: 1/315، الميزان: 2/279، دول الإسلام: 1/123، فوات الوفيات: 2/105، مرآة الجنان: 1/445، تهذيب ابن عساكر: 6/329 - 335.

(1) انظر: المنتظم لابن الجوزي: 8/170، 171.

(2) هذا الخبر يختلف عما ذكره أبو نعيم في الحلية: (59/8) قال: «حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البغدادي سنة 58 وحدثني عنه أولاً عثمان بن محمد العثماني سنة 54 ثنا

ومن كلامه:

التوكل طمأنينة القلب لموعد الله .

من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبداً .
ومنه : إذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت ، والبس ما وجدت ، وارضَ
بما قضى الله عليك .

وقال : ليس شيء أحب إلي من الضيف ؛ لأن رزقه ومؤنته على الله ، وأجره لي ⁽¹⁾ .
وقال : إن أردت أن تعرف الرجل ، فانظر إلى ما وعده الله ، وما وعده الناس ،
بأيهما يكون قلبه أوثق ⁽²⁾ .

وقال : تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء : في أخذه ، ومنعه ، وكلامه .
وسئل : ما علامة التوبة ؟ فقال : إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب ،
والخوف المقلق من الوقوع فيها ، وهجران إخوان السوء ، وملازمة أهل الخير .
وقيل له : ما علامة المطرود ؟ فقال : إذا رأيت من الطاعة واستوحش منها قلبه ،
وحلا له المعصية واستأنس بها ، ورغب في الدنيا وزهد في الآخرة ، وشغله بطنه
وفرجه ، ولم يبال من أين أخذ الدنيا ، فاعلم أنه عند الله مباحد ، لم يرضه لخدمته .

= عباس بن أحمد الشامي أبو عقيل الرصافي ، ثنا أحمد بن عبد الله الزاهد قال : قال علي بن
محمد بن شقيق فذكر بعد خبر موته : أنه كان خرج إلى بلاد الترك لتجارة وهو حدث إلى
قوم يقال لهم : الخصوصية وهم يعبدون الأصنام فدخل إلى بيت أصنامهم وعالمهم فيه خلق
رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراء أرجوانية فقال له شقيق : إن هذا الذي أنت فيه باطل ،
ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شيء ، له الدنيا والآخرة ، قادر على كل
شيء رازق كل شيء ، فقال له الخادم : ليس يوافق قولك فعلك ، فقال له شقيق : كيف ذاك ؟
قال : زعمت أن لك خالقاً رازقاً قادراً على كل شيء ، وقد تغيبت إلى ههنا لطلب الرزق ولو
كان كما تقول فإن الذي رزقك ها هنا هو الذي يرزقك ثم فتريح العنا . قال شقيق : وكان
سبب زهدي كلام التركي ، فرجع فتصدق بجميع ما ملك وطلب العلم . انتهى باختصار .
وذكر هذا الخبر أيضاً ابن الجوزي بمعناه في المنتظم : (8 / 170) .

(1) ذكر هذا الخبر أبو نعيم في الحلية : (8 / 71) باختلاف في آخره وهو : (وأجره على الله) .

(2) ذكر هذا الخبر أبو نعيم في الحلية : (8 / 64 ، 66) باختلاف في اللفظ .

والتقى هو وإبراهيم بن أدهم بمكة، فقال له إبراهيم: ما بدء حالك الذي بلغك هذا؟ قال: سرت في بعض الفلوات، فرأيت طيراً مكسور الجناحين، في فلاة من الأرض، فقلتُ أنظر من أين يرزق هذا، فإذا أنا بطير قد أقبل، وفي فيه جراحة، فوضعها في منقاره فاعتبرت وتركت الكسب، وأقبلت على العبادة. فقال إبراهيم: ولم لا تكون أنت الذي أطعم المكسور، حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي ﷺ «واليد العليا خير من اليد السفلى»⁽¹⁾ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الأبرار. فأخذ شقيق يده يقبلها، وقال له أنت أستاذنا.

الإمام مالك بن أنس رحمته الله عليه (93هـ - 197هـ)

هو الإمام المشهور، أكمل العقلاء، وأعقل الفضلاء، ورث حديث الرسول، ونشر في أمته الأحكام والأصول، تحقق بالتقوى، وابتلي بالبلوى.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: حديث رقم (1400) من طريق: موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب، حدثنا هشام عن أبيه، عن حكيم بن حزام رحمته الله عليه، عن النبي ﷺ قال: "واليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول. وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله"، وأخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (2340) من طريق: قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس. فيما قرأ عليهم. عن نافع. عن عبد الله بن عمر رحمته الله عليه أن رسول الله ﷺ قال - وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة -: "واليد العليا خير من اليد السفلى".

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 420 (163). وكذلك: طبقات ابن سعد: (القسم المتمم)، 433، تاريخ خليفة 451/ طبقات خليفة: 275، التاريخ الكبير: 7/ 310، التاريخ الصغير: 2/ 199، 200، 201، المعارف: 498 الجرح والتعديل: 8/ 204، الثقات لابن حبان: 7/ 459، حلية الأولياء: 6/ 316، طبقات الفقهاء للشيرازي، 67، ترتيب المدارك: 1/ 102، صفة الصفوة: 2/ 177، المختار من مناقب الأخيار: 327/ 3، جامع الأصول: 15/ 25 ن تهذيب الأسماء واللغات: 2/ 75، وفيات الأعيان: 4/ 135، تهذيب الكمال: 27/ 91، سير أعلام النبلاء: 8/ 43 (10)، تذكرة الحفاظ: 1/ 207، العبر: 1/ 272، مرآة الجنان: 1/ 373، البداية والنهاية: 10/ 174، تهذيب التهذيب: =

أخذ العلم عن سبع مئة شيخ فأكثر، وما أفتى حتى شهد له سبعون إماماً أنه أهل لذلك. وكان ممن صحب من الأئمة الإمام جعفر الصادق والإمام نافع وابن المنكدر، وروى عن جعفر الصادق وغيره من أهل المدينة ولم يصل الإمام ﷺ إلى تلك المنزلة التي عرفتها الأمة له إلا بالفتح العلمي للمحمدي الذي راع به أئمة عصره. وكتب بيده مئة ألف حديث.

وجلس للتدريس وهو ابن سبع عشرة سنة وصارت حلقاته أكثر من حلقة مشايخه في حياتهم، وكان الناس يزدهمون على بابيه لأخذ الحديث والفقہ كازدحامهم على باب السلطان.

وله حاجب يأذن عليه، فيأذن أولاً للخاصة، فإذا فرغوا أذن للعامة وإذا جلس للفقہ جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب، ولبس ثياباً جديدة، وتعمم وقعد على منصة بخضوع وخشوع من أوله إلى آخره. ويبخر بالعود تعظيماً وأدباً مع حديث المصطفى ﷺ، حتى بلغ من تعظيمه له أنه لدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يحدث، فصار يصفر ويتلوى، حتى تم المجلس، وتفرق الناس، وقال: صبرت إجلالاً للمصطفى ﷺ.

وكان ربما يقول للسائل: انصرف، حتى أنظر. ف قيل له فيه، فبكى وقال: أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأي يوم.

وكان إذا أكثروا سؤاله كفهم وقال: حسبكم، من أكثر أخطأ، ومن أحب أن يجيب عن كل مسألة فليعرض نفسه على الجنة والنار ثم يجيب، وقد أدركناهم إذا سئل أحدهم فكان الموت أشرف عليه.

وسئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين: لا أدري.

وقال: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه (لا أدري) ليكون أصلاً في أيديهم يفرعون إليه. وكان إذا شك في الحديث طرحه، وإذا قال أحد: قال رسول الله ﷺ حبسه بالحبس، وقال: يصحح ما قاله، ثم يخرج.

وكان يقام بين يديه الرجل كما يقام بين يدي الأمراء. وكان شديد التمسك بالسنة، وكثيراً ما ينشد:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع
وناهيك بقول الإمام أحمد رحمه الله فيه: إذا رأيت الرجل يكرهه فاعلم أنه مبتدع.
وألف (الموطأ) في أربعين سنة، فأكثر الناس من عمل الموطآت، فقليل له:
شغلت نفسك بعمله، وقد أشركك الناس فيه. فقال: لتعلمن ما أريد به وجه الله،
فكأنما ألقيت تلك الموطآت في الآبار⁽¹⁾.

وكان يقول عند قيامه: ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

قال ابن إسحاق: ما صعبت علي مسألة نقلتها له إلا انكشفت لي.

وقال الحارث بن حسن: دخلت على مالك وابن القاسم، وابن وهب، فودعه كل منا، فقال له ابن وهب: أوصني، فقال: اتق الله، وانظر عمن تنقل، ولا بن القاسم: اتق الله، وانشر ما علمت، ولي: اتق الله، وعليك بتلاوة القرآن. فلم يرني أهلاً لذلك.

وكان يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم كل ليلة في النوم، وكان مهاباً جداً، إذا أجاب في مسألة لا يمكن أن يقال له: من أين؟

ودخل على المنصور، وهو على فرشه، وصبي يخرج ويدخل، فقال: أتدري من هذا؟ هو ابني، وإنما يفزع من هيتك.
ومن ثم أنشد فيه⁽²⁾:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس للأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

(1) الخبر في ترتيب المدارك: 195/1 مع زيادة.

(2) ثمار القلوب: 964/2 منسوبان إلى عبد الله بن محمد بن سالم الخياط، وفي ترتيب المدارك: 167/1 بلا نسبة وقد تمثل بهما الثوري، وفي سير أعلام النبلاء نسباً إلى مصعب بن عبد الله.

وأقام خمساً وعشرين سنة لا يخرج للجماعة، ويقول: أخاف أن أرى منكراً لا يمكنني تغييره.

ومكث سنين لا يخرج للجمعة، فسئل عنه، فقال: للناس أعذار. واحتمل الناس له ذلك، فكانوا أرغب ما كانوا فيه، وأشد تعظيماً له.

وفي (الإحياء): أنه كان يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويعطي الإخوان حقوقهم، فترك واحداً واحداً، ثم تركها كلها، وقال: لا يتهاى للرجل أن يخبر بكل عذر له.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: في عمر ينقص، وذنوب تزيد.

قال أشهب بن عبد العزيز: رأيت أبا حنيفة رحمته الله بين يدي مالك رحمته الله كالصبي بين يدي أمه.

قال الذهبي رحمه الله: وهذا يدل على حسن أدب أبي حنيفة رحمته الله، وتواضعه مع كونه أسن من مالك رحمته الله بثلاث عشرة سنة.

ولما ألف (الموطأ) اتهم نفسه في الإخلاص فيه، فألقاه في الماء، وقال: إن ابتل لا حاجة لي به، فلم يبتل منه شيء.

وكان إذا أراد قضاء الحاجة أبعد حتى يخرج من حرم المدينة حياء من صاحبها رحمته الله.

ومن فوائده ودقائق إشارات:

ما ثم أحد يُخاف عليه يوم القيامة كالعلماء، فإنهم يسألون عما يسأل عنه الأنبياء.

وقال: العلم ليس بكثرة الرواية، بل نور يضعه الله في القلب، يفرق به بين الحق والباطل.

وقال: إذا علمت علماً ظهر عليك أثره وسمته وسكنته ووقاره وحلمه لحديث: "العلماء ورثة الأنبياء" ⁽¹⁾.

(1) أبو داود: 3641، 3642 في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي: (2682)

وقال: أدركت الناس وهم يتعلمون العلم حتى يصل أحدهم إلى الأربعين، فينقطع للعبادة، ويطوي الفراش، ويقوم الليل كله.

وقال: ما جالست سفيهاً قط.

وقال: لا خير فيمن يرى نفسه بحالة لا يراه الناس لها أهلاً.

وقال: المرء والجدال في العلم يذهب بنوره من القلب.

وقال: من صدق في حديث متع بعقله، ولم يصبه هم ولا خوف.

وسئل عن كيفية الاستواء على العرش، فقال بعد إطراق وتفكير: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ولما اختفى أيام الفتنة، قال لمطرف: ما يقول الناس في؟ قال: الصديق يثني، والعدو يقع، قال: مازال الناس هكذا، عدو وصديق، لكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة بالذم⁽¹⁾.

وقال بكر بن سليم الصواف: دخلنا على مالك العشية التي مات فيها، فقلنا: كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا أن أغمضناه.

وذكر القشيري⁽²⁾ أنه قيل له: ما فعل الله بك بعد موتك؟ فقال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة: سبحان الحي الذي لا يموت.

ولد سنة بضع وتسعين بعد ما حملت به أمه ثلاث سنين.

وامتحن في خلافة المنصور، أو الرشيد لإفثائه بعدم وقوع طلاق المكره، فضربه أمير المدينة من ثلاثين إلى مئة، ومدت يده حتى انحلت كتفاه، وصار بعد ذلك لا يمكنه رفع يديه حتى مات، وصار يقول حين ضربه: اللهم، اغفر لهم،

= في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وابن ماجه: (223) في المقدمة، باب فضل العلماء، والحث على طلب العلم.

(1) الخبر في حلية الأولياء: 321/6، وفيه: نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها.

(2) الرسالة القشيرية: 721/2، باب رؤيا القوم.

فإنهم لا يعلمون، حمل مغمى عليه، فلما أفاق قال: أشهدكم أنني جعلت ضاربي في حل، وما زال بعد الضرب في رفعة من الناس وإعظام، حتى كأن تلك الأسواط حلِّي حلِّي به.

مات بالمدينة سنة سبع وتسعين ومئة، وقيل: اثنتين وتسعين ومئة، وقيل غير ذلك.

وأفرد الذهبي ترجمته رحمته الله بمؤلف حافل⁽¹⁾.

وأخرج ابن عساكر⁽²⁾ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: رأيت أبي في النوم وعليه قلنسوة طويلة، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: زينني بزينة العلم، قلت: فأين مالك بن أنس؟ قال: فوق، فوق، فلم يزل يكرر فوق، ويرفع رأسه حتى سقطت القلنسوة عن رأسه رحمته الله.

(1) ذكره الدكتور بشار عواد في مقدمته لكتاب سير أعلام النبلاء: 82/1 بعنوان: ترجمة مالك بن أنس.

(2) انظر مختصر تاريخ دمشق: 114/9 في ترجمة زيد بن أسلم.

القرن الثالث

الإمام الشافعي* (150هـ - 204هـ)

هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ويكنى أبا عبد الله. فعن ابن عبد الله بن عبد الحكم قال: قال الشافعي: ولدت بغزة سنة 150هـ وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين.

وقال: أخبرني غيره عن الشافعي يقول: لم يكن لي مال فكنت امرأ أكتب الشعر وأتي البوادي فأسمع منهم. وقدمت مكة وخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي (أي يمين قدمي) بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجة فقال: رجل من قريش من ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون معلماً، ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلماً، تفقه يُعَلِّك الله.

قال فنفعني الله بكلام ذلك الحجي، ورجعت إلى مكة وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب. ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي. ثم قدمت على مالك فكتبت موطأه فقلت له: يا أبا عبد الله أقرأ عليك؟ فقال: يا ابن أخي تأتي برجل يقرأه علي وتسمع، فقلت: أقرأ عليك فتسمع إلى كلامي. فقال: اقرأ. فلما سمع قرأت عليه حتى بلغت كتاب السبي. قال لي: اطوه يا ابن أخي تفقه تَعْلُ.

وعن محمد بن إسماعيل الحميدي عن أبيه. قال: كان الشافعي يطلب اللغة والعربية والشعر وكان كثيراً ما يخرج إلى البدو فيحمل ما فيه من الأدب. فبينما هو

يوماً في حي من أحياء العرب جاء إليه بدوي فقال له : ما تقول في امرأة تحيض يوماً وتطهر يوماً؟ قال : ما أدري . قال : يا ابن أخي الفريضة أولى بك من النافلة . فقال له : إنما أريد هذا لذاك ، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق . ثم خرج إلى مالك بن أنس .

وعن الحميدي عن الشافعي قال : كنت يتيماً في حجر أمي ، ولم يكن معها ما تعطي المعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام . فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة عظيمة فإذا امتلأ العظم تركته في الجرة .

وعن إسماعيل بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين .

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : يروى في الحديث أن الله تعالى يبعث على رأس كل مئة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها⁽¹⁾ ، فنظرنا في المئة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المئة الثانية فنراه الشافعي .

وقال مسلم بن خالد بن زنجي للشافعي : يا أبا عبد الله أفيت الناس ، أن والله أن تفتي ، وهو ابن دون عشرين سنة .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي يا أبت أي رجل كان الشافعي؟ سمعتك تكثر من الدعاء له . فقال : يا بني كان الشافعي كالشمس للدين ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟

وعن الميموني قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ستة أدعو لهم في السحر : أحدهم الشافعي .

وعن ابن راهويه قال : كنت مع أحمد بمكة فقال لي : تعال حتى أريك رجلاً لم تر عيناك مثله . فأراني الشافعي .

(1) (صحيح) وقد تقدم في ترجمة عمر بن عبد العزيز .

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي وحضر ميتاً فلما سجدنا عليه نظر إليه وقال: اللهم بغناك عنه وفقره إليك اغفر له.

وعن ربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرنى على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني.

وعن أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ.

وعن الحسين الكرابيسي، يقول سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: لوددت أن الخلق يتعلمون مني ولا ينسب إلي منه شيء. وسمعتة يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة.

وعن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال: سمعت الشافعي يقول: طالب العلم يحتاج إلى ثلاث: إحداها: حسن ذات اليد، والثانية: طول العمر، الثالثة: يكون له ذكاء.

وعن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن القه وقل له بلغني عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمي له المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر لا تزيدن على ذلك شيئاً. فإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، وإن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهاً لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتتها عليه سيئة، ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه والعفو أقرب للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَنَّتَ سَيْنَةٍ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40/42]. فإن نازعتك نفسك بالمكافأة ففكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدّها ثم أبدر له إحساناً بهذه السيئة

ولا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب ومفارقتة سهلة.

وقال: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط.

وعن أحمد بن الوزير قال: حدثنا محمد بن إدريس الشافعي قال: قبول السعاية شر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز.

وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر.

وعن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: من ضحك منه في مسألة لم ينسها أبداً.

وعنه قال: قال لي الشافعي: يا ربيع رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أنه من تعلم القرآن جل في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب ومن تعلم العربية رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

وعن أبي الوليد الجارودي قال: سمعت الشافعي يقول: لو علمت أن الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته.

وعن الربيع قال: سألت رجل الشافعي عن سنه فقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه وسألت رجل مالكا عن سنه فقال: أقبل على شأنك.

وقال لنا أبو بكر بن أبي طاهر: وجدت في هذه الحكاية زيادة من رواية أخرى ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه لأنه إن كان صغيراً استحقروه، وإن كان كبيراً استهزموه.

وعنه قال: كان الشافعي قد جَزَأَ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

وعنه قال: كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة.

وعن أبي بكر النيسابوري قال: سمعت الربيع يقول: كان الشافعي يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة، سوى ما يقرأ في الصلاة.

وعن نهشل بن كثير، عن أبيه قال: أدخل الشافعي يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن له ومعه سراج الخادم. فأقعه عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد هارون الرشيد. فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم. فأقبل عليه فقال: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه والقيح عندهم ما تكرهه. علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه. ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

وقال الحميدي: قدم الشافعي مرة من اليمن ومعه عشرون ألف دينار فضرب خيمته خارجاً من مكة فما قام حتى فرقها كلها.

وعن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: لن يجفو فعل من يصفو.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول، وسأله رجل عن مسألة فقال روي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ فقال له السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ فرأيت الشافعي أرعد

وانتفض وقال: يا هذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً فلم أقل به؟ نعم على السمع والبصر.

قال: وسمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر: تأخذ بهذا؟ فقال: إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب، ومد يديه.

وعنه قال: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت.

وعن أبي بيان الأصبهاني قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل نفعته بشيء أو خصصته بشيء؟ فقال نعم: سألت الله ألا يحاسبه. فقلت: بم استحق ذلك منك؟ قال: كان يصلي علي. فقلت: وما تلك الصلاة يا رسول الله؟ قال: اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون، وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

قال محمد بن أبي منصور: قرأت في كتاب محمد بن طاهر النيسابوري بخطه للشافعي رحمه الله:

إن امرؤ وجد اليسار فلم يصب حمداً ولا شكراً لغير موفق
الجد يدني كل شيء شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى عوداً فائمر في يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماء ليشربه ففاض فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحق
وعن المزني قال: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولكأس المنية شارباً
ولسوء أعمالتي ملاقياً وعلى الله تعالى وارداً فلا أدري روعي تصير إلى الجنة
فأهنتها أو إلى النار فأعزيتها؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضائق مذهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلماً

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما
وسمع الشافعي من مالك بن أنس وإبراهيم بن سعد وسفيان بن عيينة
وعبد العزيز الداروري ومسلم بن خالد الزنجي رحمهم الله، في خلق كثير.
وحدث عنه: الإمام أحمد بن حنبل وغيره من العلماء.

وتوفي عام 204هـ.

وقال الربيع بن سليمان: توفي الشافعي ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة آخر يوم
من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة 204هـ.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: ولد الشافعي في سنة 150هـ ومات
في آخر يوم من رجب سنة 204هـ وقد عاش 54 عاماً.

وعن الربيع قال: كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا
أعرابي فسلم ثم قال لنا: أين قمر هذه الحلقة وشمسها؟ فقلنا: توفي رحمه الله.
فبكى بكاء شديداً ثم قال: رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح بيانه منغلق الحجة،
ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوهاً مسودة، ويوسع بالرأي
أبواباً منسدة. ثم انصرف.

وعنه قال: رأيت الشافعي بعد وفاته بالمنام فقلت: يا أبا عبد الله ما صنع الله
بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب.

الإمام مولاي إدريس الأنور رحمهم الله * (177هـ - 213هـ)

هو بركة فاس والمغرب، وإمامهما وحرزهما، وواسطة عقدهما وفخرهما،
سلطان الأولياء، ونخبة الصلحاء والكبراء والعظماء والأتقياء، سيد الأسياد،

* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس: للشريف أبي عبد الله
محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 - 1345).

وقطب الأقطاب الأمجاد، الغوث الجامع، والنور الساطع اللامع، المجاهد في سبيل رب العالمين، والمؤسس لما عفى ودثر من معالم الدين، الخليفة الأصعد الأكبر، والهمام الأنزه الأنوه الأنور، منبع الأسرار والأنوار واللطائف، وعنصر المجد والكمالات وسائر المعارف، عين أعيان الخلفاء والعلماء والشرفاء، ووارث نور هديه الفضلاء، من تحلى بحلية الكمال والإرشاد والهداية، واتسم بسمة الدلالة على الله تعالى والقبول والرعاية، الغزير الوصف الذي تقصر عن تعداد أوصافه الطروس والأفلام، وتكل دون بلوغ أدناها ألسنة الأنعام، العلوي الفاطمي، الحسني الكامل، الحجازي الأصل، الزرهوني المنشأ والفصل، الفاسي الدار والقرار، والوفاء والمزار، مانح الزائرين وسائر القاصدين بأسراره الربانية المحمدية: أبو القاسم وأبو العلاء سيدنا ومولانا إدريس، المعروف بإدريس الأنور وإدريس الأزهر، وإدريس صاحب التاج، وإدريس المثنى، وإدريس الفاسي، ويعبر عنه بعض من لم يراع كمال الأدب معه بإدريس الأصغر، والعذر له ولأنه لم يرد بذلك تنقيصاً وإنما أراد تعريفه.

وهذا الذي ذكرناه من أن اسمه إدريس، هو اسمه في الظاهر، وأما في الباطن وعند أهل الله تعالى وأهل الحضرة، فيقال له: فضل. ذكر ذلك الولي الصالح الملامتي العارف أبو عبد الله سيدي محمد بن القاسم القندوسي في كتابه (التأسيس في مساوي الدنيا ومهاوي إبليس). قال: "وهكذا الأولياء، يعني: الذين صلحوا للحضرة، وخصوا بفضل الله العظيم يسمون في الحضرة بالفضلاء".

وهو ابن القطب الأشهر مولانا إدريس الأكبر الحجازي المغربي الزرهوني بن القطب مولانا عبد الله الكامل بن القطب مولانا الحسن المثنى بن أول الأقطاب مولانا الحسن السبط بن رابع الخلفاء، وإمام العلماء والفصحاء البلغاء، مولانا علي، وسيدة نساء الدنيا والآخرة، مولاتنا فاطمة الزهراء البتول، بنت سيد الكونين، وعروس الدارين، وشفيع الخلائق أجمعين، وممد الأولياء والأنبياء والملائكة وسائر المقربين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ﷺ، وشرف وكرم ومجد وعظم، ورضي عن جميع آله وأصحابه، وأنصاره وأصهاره، وجميع من انتمى لجناحه، ودعا بدعوته وانتظم في سلك أحبابه.

قدم والده مولانا إدريس الأكبر رحمته الله من الحجاز إلى المغرب، وهو أول آل البيت قدوماً إليه، بسبب الوقعة المشهورة بوقعة (فخ) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة، خلافاً لمن يقوله بالجيم، موضع فيه مويهة على مسيرة ثلاثة أميال من مكة، ونزل منه بمدينة (وليلي) قاعدة جبل زرهون، وهي المدينة الحالية الآن بإزاء الزاوية التي بها ضريحه المسماة بقصر فرعون. وكان نزوله بها في غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومئة، وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي أمير أوربة وكبيرهم، فأجاره وجمع البربر على مبايعته والقيام بدعوته، فبايعوه يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة.

وكان أكثر هذه البلاد على دين اليهودية والنصرانية، والمجوسية والاعتزال، فقام رحمته الله بنصرة دين الإسلام، ومحو آثار الكفر وغيره من أنواع الضلال، حتى طهر الله به المغرب من ذلك كله، وتوفي رحمته الله مسموماً مستهل ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومئة، وفي كتاب (جنا زهرة الآس) وكتاب (النبذة المختصرة المفيدة) أنه: توفي في منسلخ ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين ومئة، ودفن رحمته الله بخارج مدينة وليلي بالمحل المشهور به إلى الآن، المعروف بالزاوية.

قال في (النبذة المختصرة): "ولما توفي لم يترك بالمغرب إلا جارية له مولدة من بلاد البربر اسمها: كنزة، وتركها حاملاً منه في الشهر السابع من حملها، فولدت له صاحب الترجمة بعد ثلاثة أشهر من وفاته على الصحيح، وذلك في يوم الاثنين الثالث من شهر الله رجب سنة سبع وسبعين ومئة" وفي كتاب (جنا زهرة الآس) أنها ولدت سنة خمس وسبعين.

وذكر الشيخ أبو العباس المقرئ في (كنوز الأسرار) أنه كان مكتوباً بين كتفيه يعني: (بقلم القدرة الإلهية): "لا إله إلا الله محمد رسول الله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، الأمر كله بيد الله، هذا من نسل نبي الله، محمد رسول الله ﷺ".

وكان الذي تولى القيام بأمره بعد ولادته وبأمر البربر بعد أبيه: السيد الصالح، المحب في الجانب النبوي والخادم الناصح، أبو السعد سيدي راشد بن منصة الأوربي مولى أبيه ودفن تربته مقابل بالزاوية الزهرونية. فكفله حتى فطم وشب، وأدبه أحسن أدب، وحفظه القرآن فحفظه وهو ابن ثمانية أعوام، وقيل: ابن سبعة،

وعلمه السنة والفقه والحديث والنحو والشعر، والأدب وأمثال العرب وحكمها، وسير الملوك وسياستها، وعرفه أيضاً بأيام الناس، ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكايد الحروب، حتى عرف ذلك كله، وتمهر فيه وهو ابن عشرة أعوام أو إحدى عشرة سنة، على اختلاف المؤرخين.

ولما كملت له من السنين إحدى عشرة سنة أو نحوها، وظهر من ذكائه وعقله ونبله وفصاحته وبلاغته ما أذهل عقول العامة والخاصة، أخذ له مولاه راشد المذكور البيعة على جميع قبائل المغرب، فبايعوه بجامع مدينة ويلي يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومئة. وذكر الجزنائي في (جنا زهرة الآس) أنه: أخذها له يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول من سنة ست وثمانين ومئة، وخطب الناس إذ ذاك خطبة بليغة دعاهم فيها إلى الله تعالى وإلى طاعته. وفي (العبر) لابن خلدون أنه عليه السلام بويح حملاً ثم رضيعاً ثم فصيلاً إلى أن شب واستتم، فبويح مرة رابعة سنة ثمان وثمانين وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وبعد بيعته، سار في الناس بسيرة سلفه الصالح، وهدبهم الواضح، فجدد من معالم الدين ما بلي، وأظهر ما خفي، وأحضر ما غاب وغبر، وأحيا ما درس واندثر، ونشر العدل، وأظهر الحق والكمال والفضل، وألزم الاستقامة، وأقام السنة ورائه وأمامه، ونصح لله ولرسوله وللمؤمنين، وشهر شعائر الإسلام والمسلمين، حتى استقام أمره وملكه، وانتظم عقده وسلوكه، وثبت مكانه، وعز سلطانه، وقويت جنوده وأتباعه، وكثرت حواشيه وأشياعه، ووفدت عليه الوفود من البلدان، وقصده الناس من كل ناحية ومكان، وغزا ما لم يصله أبوه من النواحي والأقطار، وأسلم بدعوته من بقي من الكفار، ولم يبق إلا من رضي بأداء الجزية للمسلمين، أو بالدخول في زمرة عباد الله المؤمنين، ونشر العلوم وأوضح الشريعة والحقيقة، ومهد طريق الجمع بينهما حتى عرفت أصول الدين وفروعه، وتبين كمال الإيمان على ما هو عليه، فثبت الدين في المغرب وتقرر، وصارت شجرته فيه أصلها ثابت وفرعها في السماء.

فعلم ببركته أهل المغرب بعد أن جهلوا، وعملوا بعدما ضيعوا، وأقبلوا بعدما أعرضوا، واتصلوا بعدما انفصلوا، وقربوا بعدما بعدوا، وتأنسوا

بعدما استوحشوا وعزوا بعد ما ذلوا، وغلوا بعدما رخصوا، وعلوا بعدما سفلوا، وأربحوا به وبأبيه بعد الموت، وتداركهم الله ببركتهما قبل الفوت.

أمه عليها السلام سيدتنا كنزة: وهي جارية مولدة من تليد البربر، كما سبق، وهو الأصح، وقيل: إنها بنت إسحاق الأوربي أمير أوربة، وكانت ذات حسن وجمال وحياء وبهاء وكمال، وكاملة العقل والدين وتابعة لكتاب الله وسنة سيد المرسلين، وضريحها بالزاوية الزرهونية مع زوجها بإزائه.

وكنيته: أبو العلاء وأبو القاسم.

وصفته: أبيض اللون مشرب بحمرة، أكحل العينين أجعد الشعر، تام القد، جميل الوجه، أقى الأنف، مليح العينين، واسع المنكبين، شثن الكفين والقدمين، أبلج أفلج أدعج.

وكان عليه السلام شاعراً مجيداً، فصيحاً بليغاً أديباً، ومن شعره كما ذكره صاحب كتاب (صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار) قائلاً ما نصه: حدث أبو هاشم داود الجعفري أن إدريس بن إدريس أنشد لنفسه:

لو مال صبري بصبر الناس كلهم لكل في روعتي أو ضل في جرعي
بان الأوبة فاستبدلت بعدهم همّاً مقيماً وشملاً غير مجتمع
كأنني حين يجري الهم ذكرهم على ضميري مجبول على الجزع
تأوي همومي إذا حركت ذكرهم إلى جوانح جسم دائم الهلع
وكان أيضاً عالماً بكتاب الله، قائماً بحدوده، راوياً للحديث، عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام، وفصول الأحكام، ورعاً تقياً، جواداً كريماً، حازماً فاضلاً، بطلاً شجاعاً، شهماً مقداماً، له عقل راجح، وعلم راسخ، وحلم واسع، وإقدام في مهمات الأمور.

وقال بعضهم: "كان عالماً عاملاً، زاهداً مجاهداً ناسكاً، شجاعاً كريماً سخياً بنفسه وماله" انتهى.

وفي تأليف في الأنساب لسيدي أبي بكر بن محمد السيوطي نقلاً عن (القرطاس) يعني: الكبير بأن الله تعالى: "جمع فيه الخصال المحموده كلها في شبابه. قال: وكان يدرس اثني عشر علماً وهو ابن اثني عشرة سنة، وكان شجاعاً عارفاً ب سياسة الحروب كلها".

وفي (الدر النفيس) أنه: "كان يقري الضيف ويرحم الضعفاء والمساكين كثير الرحمة والشفقة على المؤمنين، أحن عليهم من الوالدة على ولدها، عظيم الحلم كثير العفو، ذا أناة وسكينة ووقار وحياء، مع المهابة والجلالة، متواضعاً من غير ذلة، جليلاً مهيباً من غير عجب ولا تكبر، يتواضع للصغير، ويرحم الكبير، ويقبل المعاذير، دائم بشاشة الوجه، طلق المحيا مستنيره...".

وفي (همزية) العلامة ابن زكري فيه ﷺ:

زانه الزهد والتواضع والحلم وعفو ورأفة وسخاء
ذو صواب في رأيه ونجاح وله الأدب البهي بهاء
قالوا: وكان ﷺ ملازماً للحق في تصرفاته، جارياً على قانون الشرع في أحكامه، لا يعدل عن الحق ولا ينحرف عن السنة، وكان يأخذ الجزية وزكوات الأموال في كل سنة على منهاج الشرع من غير تغيير ولا تحريف، ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه من الضعفاء والأرامل والأيتام، وكانت تأتيه الغنائم في غزواته وغزوات أصحابه، فيقسم الأربعة الأخماس على المجاهدين، ويصرف الخمس في مصارفه.

وأسس ﷺ المدينة الكبرى التي هي: مدينة فاس، وكان مبدأ تأسيسه لها صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة اثنين وتسعين ومئة، ورفع يديه عند إرادة الشروع في بنائها، ودعا لها ولأهلها وقال: "اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى بها كتابك، وتقام فيها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها...". فلم تزل دار علم وإقامة سنة ببركة دعائه وبركته ﷺ.

واعلم أن هذا الإمام ﷺ قد جمع الله تعالى فيه ما افترق في غيره من الخصال المحموده كلها، والمزايا الشريفة بأسرها، فكان ﷺ شريفاً من آل بيت

المصطفى ﷺ، شديد القرب منه والاتصال بجناحه العظيم، عالماً عاملاً، تقياً ديناً، زاهدا ورعاً، خاشعاً خاضعاً، ولياً صالحاً، عارفاً إماماً، عدلاً يحكم بين الناس بالحق، ويقضي فيهم بالشرع، ولا يزيغ عنه ولا يميل لسواه، فكان خليفة من خلفاء جده ﷺ في هذا المغرب الذي سعد به ظاهراً وباطناً، ولا أشرف من هذه المرتبة ولا أعلى من هذه المزية.

ولذا أطبق أكابر العلماء وجميع الأولياء وسائر الناس من جميع البلدان والأقطار والنواحي والأمصار على حسن الثناء عليه، وتعظيمه وقصد زيارته والتبرك به وبآثاره ﷺ.

وذكر الشريف السمرقندي في كتابه: (تحفة الطالب) والإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي الهاشمي الحسني في كتابه (عمدة الطالب) كلاهما نقلاً عن علي بن موسى الرضا قال: "رحم الله إدريس بن إدريس، فإنه كان نجيب أهل البيت وشجاعهم، والله ما ترك فينا مثله!".

وقال صاحب كتاب (صحيح الأخبار) لما تكلم على هذا الإمام ما نصه: "قال علي بن موسى الرضا الإمام الكبير ﷺ في شأن إدريس بن إدريس هذا: كان نجيب أهل البيت وشجاعهم. وكفى بهذه الشهادة شهادة". انتهى.

وقال العلامة ابن زكري في شرح همزته ما نصه: "وليحذر القائل للنصيحة كل الحذر أن يرتاب في خصوصيته، ويشك في ولايته، فينفي بذلك الحق عن أهله، ويكذب ذوي الصدق المعتقدين الذين أخبروا بذلك، فيستوجب المقت والطرده".

وقال في (الإشراف): "أجمع أهل العلم والكشف على أنه ﷺ من أهل الخصوصية كوالده".

وفي بعض تقايد الشيخ المسناوي رحمه الله بخطه ما نصه: "الحمد لله، كان شيخنا الإمام سيدي عبد القادر الفاسي رحمه الله يشير كثيراً إلى مولانا إدريس بن إدريس باني فاس ويقول: أجمع أهل البصائر على أنه بفاس وأنه من أهل التصريف. قاله ولده سيدي عبد الرحمن رحمه الله في تأليفه المسمى ب: (تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر).

وقال الشيخ المسناوي: "وكان أيضاً بعض كبار الأئمة العارفين ممن أدر كناه يشير إلى خصوصيته بما أدركه بنور بصيرته، وما يجده في نفسه عند مروره بمزارته، تلقيت ذلك ممن سمعه منه ."

ونص (تحفة الأكابر): "وكان، يعني: والده المذكور، يشير كثيراً إلى مولانا إدريس بن إدريس رحمته الله إشارة تؤذن بالاستمداد منه، وكان يقول: أجمع أهل البصائر على أنه بفاس وأنه من أهل التصريف. وبقي على البال أنه كان يلزم زيارته في أول أمره". انتهى.

وفي (الدر النفيس) ما نصه: "وقد ذكر لنا عن شيخ الإسلام، يعني: الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي رحمته الله، أنه قال: إن إدريس بن إدريس من أهل الخصوصية والتصريف. أخبره بذلك أهل البصائر. وفيه أيضاً: إن هذا الإمام رحمته الله من أهل القطبانية، وممن يتصرف حياً وميتاً في عالم الملك والملكوت، كما هو شأن الخواص والأكابر".

ويذكر عن الشيخ سيدي أحمد التجاني رحمته الله أنه كان يقول: "لو علم أهل فاس قدر مولانا إدريس، لذبحوا عليه أولادهم!"، ويحكى أيضاً عن بعض الأولياء من المتأخرين أنه كان يقول فيه رحمته الله: "إنه آدم الأولياء"، ويقول: "لو قدر أن يكون بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي لكان مولانا إدريس نبياً".

وكان الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله سيدي محمد بن الحفيد الدباغ المدعو بوطربوش رحمته الله يقول: "إن هذا الإمام رحمته الله بلغ من الولاية مبلغاً عظيماً خاصاً، لا يدرك ولا يعرف ولا كيف ولا يفهم... هذا معنى كلامه.

وقال في (الدر النفيس): "بدايته رحمته الله هي نهاية غيره من الأولياء، لأنه حاز عناية النبوة وعناية الولاية، ومن جمع بين هذين الوصفين، حاز غاية الكمال ونهاية الوصال قال: بل احتوى رحمته الله على ثلاثة أوصاف: العلم، والنسب، والولاية...". وقال أيضاً في موضع آخر ما معناه ببعض زيادة: "إن هذا الإمام رحمته الله هو سلطان الأولياء، ونخبة الأصفياء، وصاحب المدد المحمدي الذي لا يعدله مدد، والفرد الأحمدي الذي لا يوازيه أحد، والشمس التي إذا طلعت لم تر للكواكب أثراً، والأمير الذي إذا حضر لم يبق تصرف للوزراء...".

توفي رحمته الله في أول شهر ربيع الأول على ما ذكره الجزنائي في كتابه: (جنا زهرة الآس)، وغيره أو في الثاني عشر من جمادى الآخرة على ما ذكره البرنسي سنة ثلاث عشرة ومئتين، وهو ابن ست وثلاثين سنة على الصحيح، وقيل: ابن ثمان وثلاثين: بسبب أنه أكل عنباً فشرق بحبة منه وشهق شهقة ومات رحمة الله عليه. وقيل: إنه أكل عنباً مسموماً ومات منه.

ودفن رحمته الله بهذه البلدة بمسجد الشرفاء منها قريباً من دار القيطون بإزاء الحائط الشرقي منه، هذا ما لهجت به ألسنة الكافة من الخاصة والعامة، واتفق عليه جمهور المؤرخين، وأجمع عليه أهل الكشف قاطبة، وسواء لا يلتفت إليه ولا يعول أصلاً عليه، وروضته إلى الآن محل التعبد والتعبد بتلاوة القرآن، والأذكار، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأدعية والصدقة وقراءة العلم... وغير ذلك من أنواع البر والطاعات، في جل الأوقات، وغالب الساعات.

وأخبر غير واحد من الأولياء والصلحاء والعلماء الأخيار، بل ومن العامة، بأنه يجد في بعض الأحيان عند قبره الشريف، وروضته الشريفة، رائحة طيبة زكية عظيمة، تشق الأنوف والقلوب، لا يشبهها عود ولا مسك، ولا عنبر ولا غير ذلك من روائح الدنيا الطيبة، وربما تخرج تلك الرائحة حتى تتجاوز الباب، وتخرج إلى السوق فيشمها أهله ممن حاذى الباب، وذلك في الأوقات التي لا يطلق فيها عنده بخور ولا غيره.

وذكروا أن موضع قبره الشريف لم يكن معروفاً على سبيل القطع والتعيين، حتى اختبر أساس حائط القبلة من الجانب الأيسر ليصلح، وذلك في رجب عام أحد وأربعين وثمانمائة، فعثر حينئذ على قبره وجسده، ووجد اللحد قد بلي فلم يبق منه إلا القليل، والجسد المرحوم باقياً على حاله لم يتغير، ولم يكن للأرض عليه من سبيل، فكان ذلك من أعظم كراماته، وأسنى باهر آياته. وكان بين وفاته وظهور جسده كما ذكر ست مئة عام وثمانية وعشرون عاماً. على ما هو التحقيق في ذلك.

وذكر العلامة اليوسي في محاضراته ونقله عنه الشيخ أبو علي بن رحال في (الروض البانع الفائح)، وصاحب (المرقى) أن قبره الشريف: "ترياق مجرب في كل ما أنزل به من حاجة". وذكر العلامة ابن زكري في شرح همزته أنه: "محل

ظهور البركات الكثيرة، والاستشفاء وإجابة الدعاء"، وقال في (الدر النفيس):
"زيارة قبره ﷺ ترجع على صاحبها بخير الدارين، والنجاة من كرب
الدنيا والآخرة".

قال: وكذلك زيارة قبور الأولياء والصالحين، لكن هذا الإمام يزيد عليهم
بمزايا ومراتب عليا لم تكن لغيره".

واشتهر عند غير واحد من الأخيار أن من واطب على زيارة قبره أربعين يوماً
يصلي الصبح مع الجماعة هناك في كل يوم، ويسأل الله تبارك وتعالى عقب الصلاة
أن يجمعه بقطب الوقت، أو أن يعطيه شيئاً، أو يدفع عنه مكروهاً، أعطاه الله تعالى
ما يرجو، وأمنه مما يخاف ببركته ﷺ.

وذكر في (تحفة الإخوان في التعريف بساداتنا أهل وزان) أن بعض العلماء:
"كان إذا ضره الفيران في كتبه شكاهم لهذا القطب الكامل، فيكف الله عنه شرهم،
ويرفع عنه ضررهم.. قال: وأكابر الأولياء يأتون لحرمة من أقصى البلدان زائرين.
وبقرايته من رسول الله ﷺ مستشفعين ومتوسلين، حشرنا الله في زمرة، وأماتنا على
محبه... آمين". انتهى.

وترجمة هذا الإمام ﷺ واسعة جداً، ينظر بعضها من أراده في كتاب: (الدر
النفيس)، وفي أواخر (شرح همزية العلامة ابن زكري) له، وفي (شرح عقود
الفتاح)، للشيخ سيدي حمدون بن الحاج. وقد أفرد الشيخ محمد بن جعفر
الكتاني بتأليف مستقل سماه ب: (الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض مناقب قطب
المغرب وتاج مدينة فاس)، وقد طبع.

وللشيخ أبي الفيض سيدي محمد مرتضى الحسني الواسطي الزبيدي الحنفي
تأليف في نسبه ونسب والده سماه: (القول النفيس في نسب مولاي إدريس).

ومناقبه ﷺ أجل من أن يحيط بها أحد، أو يأتي عليها حصر أو حد، ولولا أن
المؤرخين الأوائل قصروا فيها غاية التقصير، وأتوا فيها بنزر النزر ويسير اليسير،
ما وسعتها المجلدات والأسفار، كتبها وجمعها أئمة الدين الكبار، رزقنا الله تبارك
وتعالى رضاه، ومن علينا بالاستمسك بحبله وعراه... آمين.

الإمام محمد بن علي الجواد* (195هـ - 220هـ)

هو أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، ويلقب الجواد.

كانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر رمضان، وقيل منتصفه، سنة خمس وتسعين ومئة.

ومن كلامه:

من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة.

رحلته:

قدم من مدينة رسول الله ﷺ إلى بغداد وافداً على أبي إسحاق المعتصم ومعه امرأته أم الفضل بنت المأمون، فتوفي في بغداد ودفن في مقابر قريش عند جده موسى بن جعفر، وحملت امرأته أم الفضل بنت المأمون إلى قصر المعتصم فجعلت مع الحرم. وقد أسند محمد بن علي الحديث عن أبيه.

علمه:

أسند محمد بن علي الجواد الحديث عن أبيه، وسمع منه: عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، ومحمد بن زيد الشيبه.

وفاته:

قال الذهبي: كان يلقب بالجواد، وبالقانع، وبالمرتضى.

* انظر ترجمته في سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد.

كان من سروات آل بيت النبي ﷺ.

وتوفي ببغداد في آخر سنة عشرين ومئتين شاباً طرياً له خمس وعشرون سنة.

وقبره عند قبر جده موسى.

وقيل: توفي في آخر سنة تسع عشرة ومئتين رحمه الله ورضي عنه.

وقال ابن خلكان: توفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة عشرين

ومئتين، وقيل: تسع عشرة ومئتين ببغداد، ودفن عند جده موسى بن جعفر عليه السلام أجمعين، في مقابر قريش، وصلى عليه الواثق بن المعتصم⁽¹⁾.

سيدنا بشر الحافي* (152هـ - 227هـ)

هو العارف بالله سيدنا بشر بن الحارث الحافي لقب بذلك لأنه جاء إلى إسكافي يطلب منه شسعاً لأحد نعليه، وكان قد انقطع.

فقال له الإسكافي: ما أكثر كلفتكم على الناس! فألقى النعل من يده والأخرى من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً بعدها.

كنيته: أبو نصر، أحد رجال الطريقة، ومعدن الحقيقة، مثل الصلحاء وأعيان الورداء.

(1) انظر: المحبر لابن حبيب (62، 308)، والمعارف لابن قتيبة: (391)، وتاريخ الطبري: (8/ 566، 623)، والعيون والحدائق: (3/ 357، 444)، وتاريخ بغداد (3/ 54، 55) رقم 997، والمختصر في أخبار البشر (2/ 33)، ودول الإسلام (1/ 133)، ومراة الجنان (2/ 80، 81).

* انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للمناوي 1/ 557. طبقات ابن سعد: 7/ 342، تاريخ ابن معين: 58، المعارف: 525، الجرح والتعديل: 2/ 356، طبقات الصوفية: 39 - 43، حلية الأولياء: 8/ 379 - 404، تاريخ بغداد: 7/ 71 - 83، الباب: 1/ 331، وفيات الأعيان: 1/ 247 - 277، عيون التواريخ: 8/ 121 - 123، مراة الجنان: 2/ 92، البداية والنهاية: 10/ 297 - 299، تهذيب التهذيب: 1/ 444، النجوم الزاهرة: 2/ 249 - 250، الخلاصة: 48، سير أعلام النبلاء: 10/ 469، المنتظم: 11/ 122 - 125).

أصله من مرو، وسكن بغداد. صحب الفضيل بن عياض ورأى سري السقطي، وغيره.

وسبب توبته أنه أصاب في الطريق رقعة فيها اسم الله، وقد وطئها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية، فطيبها وجعلها في شق حائط، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول: يا بشر! طيبت اسمي، لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

وروي: أنه نزل إلى النهر فغسله، وكان لا يملك إلا درهماً، فاشترى به مسكاً وماء ورد، وجعل يتتبع اسم الله ويطيبه، ورجع إلى منزله فنام، فأتاه آت وقال: يا بشر! كما طيبت اسمي لأطيبن ذكرك! وكما طهرته لأطهرن قلبك! ومناقبه جمّة أفردتها ابن الجوزي بالتأليف⁽²⁾.

مات عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول وقيل: لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومئتين، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة، وقيل: سبعاً وستين. وأخرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يجعل في القبر إلى الليل، وكان نهاراً صافياً.

ومن كلامه:

لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك⁽³⁾؟!

وقال: أول عقوبة يعاقب بها ابن آدم في الدنيا مفارقة الأحباب.

وقال: من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا سليماً في الآخرة فلا يحدث، ولا يشهد، ولا يؤم قوماً، ولا يأكل لأحد طعاماً⁽⁴⁾.

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية: (379/8).

(2) انظر: المنتظم لابن الجوزي: 122/11 - 125.

(3) ذكره أبو نعيم في الحلية: (397/8).

(4) ذكره أبو نعيم في الحلية (387/8).

وأنشد⁽¹⁾:

وليس من يروق لي دينه يغرنى يا قوم تزويقه⁽²⁾
من حقق الإيمان في قلبه يوشك أن يظهر تحقيقه
وقال الساجي: سمعت بشراً ينشد⁽³⁾:

أقسم بالله لرضخ النوى وشرب ماء القلب المالحه
أعز للإنسان من حرصه ومن سؤال الأوجه الكالحه
فاستغن باليأس تكن ذا غنى مغتبطاً بالصفقة الرابعه
فاليأس عز والتقى سؤدد ورغبة النفس لها فاضحه
من كانت الدنيا به برّة فإنها يوماً له ذابحه
وقال: غيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم.

وقال: التكبر على المتكبر من التواضع.

وقال: من أراد عز الدنيا وشرف الآخرة فعليه بثلاث: لا يأكل طعام أحد،
ولا يسأل أحداً حاجة، ولا يذكر الناس إلا بخير.

وقال: يكون الرجل مرأياً في حياته، وبعد موته يحب أن يكثر الناس على
جنازته!

وقال: لو علمت أن أحداً يعطي الله لأخذت منه، ولكن يعطي بالليل ويحدث
بالنهار.

وقال: يقول أحدهم: توكلت على الله! ويكذب لأنه لو توكل على الله صادقاً
لرضي بما يفعله به وقال: إذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه.

وقال: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه للناس.

(1) انظر: البيتين في الحلية: (388/8).

(2) في الحلية: "... يا صاح تبريقه".

(3) انظر الأبيات في الحلية: (389/8).

وقيل له: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: اذكر العافية، واجعلها إداماً!

وقال يوم ماتت أخته: إن العبد إذا قصر في الطاعة سلب من يؤنبه.

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: يا سيدي! ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولى تغرغرت عيناه بشر، وجعل يقول: رجل أحب رجلاً على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يدري ما حاله!

قال أبو عبد الله المحاملي⁽¹⁾: حدثني أبي قال: كان عندنا رجل من التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: أليس كنت تبغضهم؟! فقال: ليس الأمر على ما كنت أتوهم. فقلت له: كيف؟ قال: صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا الزاهد! فاشتري خبزاً وماء بدرهم، ثم شواء بمثله، فزادني غيظاً. ثم فالودجاً بدرهم، فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: يريد الخضرة والماء! فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه، فقامت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: أين بشر؟ قال: ذهب إلى بغداد. قلت: كم بيني وبينها؟ قال: أربعون فرسخاً. فقلت: إنا لله! فقال: اجلس حتى يرجع. فجاء الجمعة القابلة، ومعه شيء يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: يا أبا نصر! هذا رجل صحبتك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة. قال: فنظر إلي كالمغضب، وقال: لم صحبتني؟ قلت: أخطأت! قال: قم فامش! فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: اذهب إلى محلتك ولا تعد! فتبت إلى الله مما كنت أعتقد فيهم، ثم أثرت صحبتهم، وأنا على ذلك⁽²⁾.

وقال بعضهم: دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له: الناس يزدون من الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت!

(1) ذكر أبو نعيم في الحلية: 395/8 إسناد هذه الرواية من طريق: أخبرني أبو عبد الله محمد بن حنيف الشيرازي الصوفي فيما كتب إلي، حدثني أبو محمد عبد الله يوم الفضل، حدثني أبو عبد الله القاضي، حدثني أبي.

(2) ذكره أبو نعيم في الحلية: 395/8، 396.

فقال: ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد.

وقال منصور الصياد: مر بي بشر وهو منصرف من صلاة العيد فقال لي: في هذا الوقت؟! فقلت: ليس في البيت دقيق ولا خبز! فقال: الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق. وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: ألقها، وقل: بسم الله! فآلقيتها، فوقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: بعها! فبعتها بعشرة دراهم، واشترت منها جميع ما يحتاجون إليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: من؟ قلت: منصور الصياد! فقال: ادفع الباب، وضع ما معك في الدهليز، وادخل أنت. فدخلت، فقال: لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!.

وروي أنه أتى باب المعافى بن عمران⁽¹⁾ فدقه، فقبل: من؟ قال: بشر الحافي. فقالت بنية من داخل الدار: لو اشتريت نعلًا بدانتين ذهب عنك اسم الحافي.

وروي أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: إني أرملة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل علي في ذلك شيء؟ فقال: يجب أن تبيني! ثم انصرفت، فقال أحمد لابنه: اذهب فانظر أين تدخل! فرجع فقال: دخلت دار بشر فهي أخته⁽²⁾.

(1) المعافى بن عمران الأزدي الموصلية. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال: 6041 (28/ 147 - 156)، طبقات ابن سعد: 487/ 7، تاريخ الدارمي: الترجمة 792، ابن الجنيدي: الترجمة 700، ابن محرز: الترجمة 589، طبقات خليفة: 321، علل أحمد: 1/ 274، تاريخ البخاري الكبير: 8/ الترجمة 2146، ثقات العجلي: الورقة 51، المعرفة ليعقوب: 1/ 177، 524، 2/ 780، الجرح والتعديل: 8/ الترجمة 1835، الثقات لابن حبان: 7/ 529، الثقات لابن شاهين: الترجمة 1464، رجال البخاري للباجي: 2/ 761، سير أعلام النبلاء: 9/ 80، تذكرة الحفاظ: 1/ 187، الكاشف: 3/ الترجمة 5607، تهذيب التهذيب: 4/ الورقة 49، تاريخ الإسلام: الورقة 143 (أيا صوفيا 3006)، نهاية السؤل: الورقة 377، تهذيب التهذيب: 10/ 199 - 200، التقريب: 2/ 258، خلاصة الخزرجي: 3/ الترجمة 7067، تاريخ بغداد: 13/ 277 - 230.

(2) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: (14/ 437) من طريق: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، حدثنا

وقال محمد بن نعيم: دخلت عليه في علته، فقلت: عظني! فقال: إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء، فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت.

وروي أن رجلاً سأله أن يوصيه، فقال له بشر: عليك بلزوم بيتك، وترك ملاقة الناس. فقال له الرجل: بلغني عن الحسن أنه قال: لولا الليل وملاقة الإخوان ما كنت أبالي متى مت! فقال بشر: رحم الله الحسن! لقد كان الظن به خلاف هذا! وأنشد:

يا من يسر برؤية الإخوان هلاً أمنت مكاييد الشيطان
خلت القلوب من المعاد وذكره وتشاغلته بالحرص والخسران
صارت مجالس من ترى وحديثهم في هتك مستور وفتق قران
قال حسن المسوحي: رأيته بشراً يوماً بارداً، وأنا أرتعد من البرد فنظر إلي ثم أنشد⁽¹⁾:

قطع الليالي مع الأيام في خلق والنوم تحت رواق الهم والقلق
أحرى وأجدر بي من أن يقال غداً إني التمسيت الغنى من كف متملق
قالوا: رضيت بذا، قلت: القنوع غنى ليس الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسري وفي يسري فليست أسلك إلا واضح الطرق
وقال الحسن بن عمران المروزي: سمعت بشراً ينشد⁽²⁾:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور

= أبو علي عيسى بن محمد بن أحمد بن عمر الطوماري قال: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل (فذكره...).

(1) انظر الخبر والأبيات في: الحلية: 397/8.

(2) انظر البيت في: الحلية: 387/8.

الإمام حاتم الأصم*

هو الإمام أبو عبد الرحمن حاتم الأصم بن عنوان، وقيل: حاتم بن يوسف أبو عبد الرحمن البلخي من مشايخ خراسان صاحب شقيق بن إبراهيم البلخي، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه. مات سنة سبع وثلاثين ومئتين.

ولم يكن أصم، وإنما جاءته امرأة تسأله مسألة، فاتفق أن خرج منها ريح، فحجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك! وأراها من نفسه أنه أصم، فسرت بذلك، وقالت: إنه لم يسمع الصوت! فغلب عليه ذلك. حكاه أبو علي الدقاق⁽¹⁾.

من كلامه: الزم خدمة مولاك، تأتاك الدنيا راغمة، والأخرى راغبة⁽²⁾.

وقال: تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك⁽³⁾. وقال: من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذاب: من ادعى حب الله من غير ورع عن محارمه، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله، ومن ادعى محبة الرسول بغير محبة الفقراء⁽⁴⁾. وقال له رجل: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي عافية يوم إلى الليل! فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ فقال: إن عافية يومي ألا أعصي الله فيه!⁽⁵⁾. وسئل:

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملتن: 33. وكذلك: حلية الأولياء: 8/77-86، طبقات الصوفية: 91/97، تاريخ بغداد: 8/236-239، المنتظم: 11/253-255، شذرات الذهب: 3/168-170، الجرح والتعديل: 3/260، الأنساب: 1/294، 295، اللباب: 1/57، وفيات الأعيان: 2/26، 28، العبر: 1/424، مرآة الجنان: 2/118، النجوم الزاهرة: 2/290، 291 الرسالة القشيرية: 20، طبقات الشعرائي: 1/93، سير أعلام النبلاء: 11/484.

(1) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: 8/238، ابن الجوزي في المنتظم: 11/253.

(2) ذكره السلمي في الطبقات: 97 باختلاف في آخره: "... الدنيا راغمة، والجنة عاشقة".

(3) ذكره أبو نعيم في الحلية: 8/78، السلمي في الطبقات: 97.

(4) ذكره أبو نعيم في الحلية: 8/79، السلمي في الطبقات: 97 في آخره: "من غير محبة الفقر".

(5) ذكره أبو نعيم في الحلية: 8/86.

علام بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمل به غيري، فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أنني لا أخلو من عين الله حيث كنت، فأنا مستح منه⁽¹⁾.

وقال: ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر⁽²⁾. وقيل له: من أين تأكل؟

فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 63/7]⁽³⁾.

وقال: لقينا الترك، وكان بيننا جولة، فرماني تركي، فقلبني وقعد على صدري، وأخذ بلحيتي، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده، ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي، لأنظر ماذا ينزل منه بي، فقلت: قضيت سيدي بذلك؟! فعلى الرأس والعين! إنما أنا ملكك! فبينما أنا أخاطب سيدي، وهو قاعد على صدري، أخذ بلحيتي ليذبحني، إذ رماه بعض المسلمين بسهم، فما أخطأ حلقه، فسقط عني، فقممت أنا إليه، وأخذتها من يده، وذبحته بها. فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات⁽⁴⁾.

الإمام أحمد بن حنبل*

(164هـ - 241هـ)

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، الإمام المبجل، والهمام المفضل، علم الزهاد، وقلم النقاد، امتحن فكان في المحنة صبوراً، واجتبي فكان للنعمة شكوراً،

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية 77/8، الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: 237/8.

(2) ذكره السلمي في الطبقات: 96.

(3) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: 238/8.

(4) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: 239/8، ابن الجوزي في المنتظم: 254/11.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 517/1. وكذلك: طبقات ابن سعد: 354/7، التاريخ

عرضت عليه الدنيا فأبأها، والبدع فنفاها، وكان للحلم والعلم واعياً، وللفهم والفكر راعياً.

وقد ترجمه بعض أرباب المعاني فقال: هو الصديق الثاني، المروزي ثم البغدادي الصابر على المحنة، الناصر للسنة، شيخ العصابة ومفتدى الطائفة، وإمام الدنيا.

ولد سنة 164هـ ببغداد، تفقه على يد الشافعي وأخذ الحديث عن عبد الرزاق، ويزيد بن هارون، وعن عدد لا يحصى.

وأخذ عنه: البخاري ومسلم وأبو داود.

ولما خرج الشافعي من بغداد قال: ما خلفت بها أفقه ولا أروع ولا أزهد ولا أعلم منه.

وكان يحفظ ألف ألف حديث.

وقيل لابن المبارك: تضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبارهم.

وقد سارت بزهده وورعه، وتقلله من الدنيا الركبان، واتفق عليه الأعيان.

ومن فوائده:

رأيت رب العزة في المنام، فقلت له: بما يتقرب إليك المتقربون؟ قال: بكلامي.

قلت: بفهم أم بغير فهم؟ فقال: بفهم وبغير فهم.

وكان مجلسه خاصاً بالحديث، وبأمر الآخرة، لا يذكر فيه شيئاً من شؤون

= الكبير: 5/2، التاريخ الصغير: 345/2، الجرح والتعديل: 292/1، و68/2، حلية الأولياء: 161/9، بغداد 412/4، طبقات الحنابلة: 4/1 تاريخ ابن عساكر: 218/7، المختار من مناقب الأخيار: 60/ب، صفة الصفوة: 336/2، تهذيب الكمال: 427/1، سير أعلام النبلاء: 177/11، الوافي بالوفيات: 363/6، مرآة الجنان: 132/2، البداية والنهاية: 325/10، غاية النهاية: 112/1. تهذيب التهذيب: 22/1، طبقات الحفاظ: 186، الطبقات الكبرى للشعراني: 54/1.

الدنيا إلا لضرورة. وكان يحيي الليل كله، ويميل إلى العزلة، ويؤثرها حتى كان لا يرى إلا بالمسجد أو بجنائز، أو عيادة مريض وحج خمس حجات ثلاث منها ماشياً، وألف (مسنده) وهو أصل من أصول هذه الأمة.

ورأى الشافعي المصطفى ﷺ في النوم فقال له: اكتب إلى أبي عبد الله فاقراً عليه السلام، وقل له: ستمتحن، وتدعى إلى القول بخلق القرآن، فلا تجبهم، فيرفع لك الله علماً إلى يوم القيامة، فكتب إليه بذلك كتاباً، وجهزه مع الربيع، فلما وصله الكتاب، قال له الربيع: البشارة: فخلع أحمد قميصه فأعطاه إياه. فلما عاد للشافعي قال: ما أعطاك؟

قال: قميصه. قال: لا نفجعك فيه، لكن اغسله وادفع الماء إلي لأتبرك به.

ومن كلامه:

طوبى لمن أحمل الله ذكره.

وقال: زهد العوام عن الحرام، وزهد الخواص عن الفضول من الحلال، وزهد العارفين في ترك ما يشغل عن الله.

وقال: لأن تطلب الدنيا بالدف والمزمار، خير من أن تطلبها بدينك.

وقال: ما أوقني في بلية إلا صاحبة من لا أحشمه.

وقال: سألت ربي أن يفتح علي باباً من الخوف، ففتح فخفت على عقلي.

فقلت: يا رب، على قدر ما أطيق، ففعل ذلك فسكنت.

وقال: الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى.

وقال الطرسوسي: ذهبت أنا ويحيى بن الجلاء - وكان من الأبدال - إلى أحمد، فسألناه: بم تلين القلوب؟ فقال: بأكل الحلال، فمررنا من عنده إلى بشر، فسألناه عنه فقال: «أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ» [الرعد: 28/13] فقلت: إن أحمد سألته، فقال: أيش قال؟ فقلت: قال: بأكل الحلال. قال: جاء بالأصل، الأصل ما قاله أحمد.

وقال: إذا كان في الرجل مئة خصلة في الخير، وكان يشرب الخمر محتها كلها .
ورهن سطلاً له عند بقال بمكة فجاء يفكه، فأخرج إليه سطلين، فقال:
أحدهما لك.

فقال: أشكل علي سطلي، وهو لك والدراهم. قال: سطلك هذا وإنما أردت
أن أختبرك. قال: لا آخذه. وتركه ومضى.

وقيل له: ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل، ويأتيني
رزقي؟ فقال: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول المصطفى ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ
رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمَحِي"⁽¹⁾.

وكان بينه وبين يحيى بن معين صحبة أكيدة فهجره لقوله: لا أسأل أحداً شيئاً
ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته، حتى اعتذر، وحلف أنه كان مازحاً، فقال:
تمزح في الدين! أما علمت أن الأكل من الحلال قدمه الله على العمل الصالح؟
فقال: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51/23].

ومن كراماته:

ما أخرجه الطبراني: أنه كان لرجل أم مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت له:
اذهب إلى أحمد، وسله يدعو لي فأتاه، فدق الباب، فلم يفتح له، وقال: من هذا؟
فقال: أُمِّي مقعدة، وتسألك الدعاء فقال: نحن أحوج أن تدعو لنا، فرجع فوراً إلى
البيت، فخرجت له أمه على رجليها تمشي من ساعتها⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري تعليقاً: 98/6 في الجهاد، باب ما قيل في الرمح، قال الحافظ في
(الفتح): وهو طرف من حديث أخرجه أحمد من طريق أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر
بلفظ: "بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة
والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم" وإسناده حسن وله شاهد مرسل
بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شعبة... وللحافظ ابن رجب رسالة في شرح الحديث بعنوان
(الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ: بعثت بالسيف بين يدي الساعة).

(2) قال الذهبي في سير أعمال النبلاء: 212/11 بعد سرد هذا الخبر: هذه الواقعة نقلها ثقتان
عن عباس الدوري.

وأخرج أيضاً: أن رجلاً دخل عليه، وعنده جمع، فقال: من منكم أحمد بن حنبل؟ فقال أحمد: ها أنا، ما حاجتك؟ قال: جئت من أربع مئة فرسخ براً وبحراً، أتاني آت فقال: تعرف أحمد بن حنبل؟ فقلت: لا.

فقال: ائت بغداد وسل عنه فإذا رأيته فقل له: الخضر يقرئك السلام، ويقول لك: إن ساكن السماء الذي على عرشه استوى راض عنك، والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله.

وقد أفرد جمع مناقبه بالتأليف منهم: البيهقي، وابن الجوزي⁽¹⁾.

أخرج السلفي في الطيوريات: قيل للإمام: إن هؤلاء الصوفية قعود في المساجد على التوكل بغير علم. قال: العلم أقعدهم. قيل له: إن همتهم كسرة وخرقة، وقال: لا أعلم أعظم عذراً ممن هذه صفته. قيل: فإنهم إذا سمعوا السماع يقومون فيرقصون. قال: دعهم يفرحوا بربهم.

وكان مع سمو مقامه يتردد إلى بعض الصوفية فقليل له: أتردد مع جلاله قدرك إلى زاوية هذا الشيخ؟ قال: عنده رأس الأمر تقوى الله، أو قال: معرفة الله.

مات سنة إحدى وأربعين ومئتين، وارتجت الدنيا لموته، وأغلقت بغداد لمشهده، ومسحت الأرض المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها فحصر مقادير الناس بالمساحة ست مئة ألف.

وكان يقول للمبتدعة: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وأسلم يوم موته من اليهود، والنصارى، والمجوس، عشرة آلاف.

قال ابن أبي الورد: رأيت المصطفى ﷺ فقلت: ما شأن أحمد؟ قال: سيأتيك موسى فاسأله، فإذا بموسى فقلت: يا نبي الله، ما شأن أحمد؟ قال: بُلي في السراء والضراء فوجد صادقاً، فالحق بالصدقين.

(1) مناقب أحمد بن حنبل طبعه في مصر سنة 1349هـ محمد أمين الخانجي. انظر مؤلفات ابن الجوزي: 175.

سيدنا الإمام الحارث المحاسبي*

هو سيدنا الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري أحد الأوتاد والجامع بين الظاهر والباطن . سمي المحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه . مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين .

من كلامه:

من أراد أن يذوق لذة طعم معاشرة أهل الجنة فليصحب الفقراء الصادقين .
وقال: المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إثارك له على نفسك وزوجك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه .
وروي أنه كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على أصبعه عرق، فكان يمتنع منه .

وقال الجنيد: مربّي يوماً، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم! تدخل الدار وتناول شيئاً؟!

فقال: نعم! فدخلت الدار، وحملت إليه طعاماً من عرس قوم، فأخذ لقمة وأدارها في فيه مراراً، ثم قام وألقاها في الدهليز وفر . فلما رأيته بعد أيام، قلت له في ذلك .

فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 32. وكذلك: طبقات الصوفية: 56 - 60، حلية الأولياء: 79/10 - 113، الفهرست: 236، تاريخ بغداد: 207/8 - 211، الرسالة القشيرية: 15، الأنساب: 509/ب، صفة الصفوة: 207/2، 208، اللباب: 3/171، وفيات الأعيان: 2/57، 58، تهذيب الكمال: 215، تهذيب التهذيب: 1/113، 2، ميزان الاعتدال: 1/430، 431، العبر: 1/345، تاريخ ابن كثير: 10/345، طبقات الشعراني: 1/64، الكواكب الدرية: 1/218، 219، سير أعلام النبلاء: 12/110، المتظم: 11/308 - 309، شذرات الذهب: 3/197.

وبين الله علامة: ألا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكنني ابتلاعه، فمن أين كان ذلك الطعام؟

فقال: نعم! إنه حمل من دار قريب لي من العرس. ثم قلت له: تدخل اليوم؟
فقال: نعم! فقدمت إليه كسراً كانت لنا فأكل، وقال: إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدم مثل هذا.

وقيل: أنشده قوال بين يديه هذه الأبيات:

أنا في الغربية أبكى ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيب
عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي⁽¹⁾
أنا إن مت غراماً فاجعلوا حبي طيبي
فقام وتواجد وبكى حتى رحمه كل حضره.

قال ابن الأثير: هو أول من تكلم في إثبات الصفات.

قال الشيخ المحاسبي: مكثت ثلاثين سنة لا يسمع لساني إلا من سري، ثم ثلاثين سنة لا يسمع سري إلا من ربي.

الإمام علي الهادي بن محمد بن علي* (214هـ - 254هـ)

هو الإمام أبو الحسن الحسيني، علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي زين العابدين، لقّب بالهادي.

(1) ذكر السلمي في الطبقات: 60 الأبيات الثلاثة الأولى.

* انظر ترجمته في سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد. وكذلك: تاريخ يعقوبي: 2/ 484، 503، وتاريخ الطبري: 9/ 163، 381، والفرج بعد الشدة للتنوخي: 5/ 94، وتاريخ بغداد: 12/ 56، وتاريخ حلب للعظيمي: 262، والأنساب: 8/ 456، والكامل في

رحلته إلى بغداد:

طلب الخليفة المتوكل على الله من علي الهادي القدوم من المدينة إلى بغداد، ثم إلى سامراء، فقدمها وأقام بها عشرين سنة، وتسعة أشهر، إلى أن توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله.

فراسته:

اعتل المتوكل في أول خلافته، فقال: لئن برئت لأتصدقن بدنانيير كثيرة، فلما برئ جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلقوا، فبعثوا إلى علي بن محمد فسألوه فقال: يتصدق بثلاثو وثمانين ديناراً فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه، وقالوا تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا؟ فرد السؤال إليه فقال له قل لأمر المؤمنين في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: 25/9] فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين، وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له، وأجر عليه في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

وفاته:

قال الذهبي: توفي علي عليه السلام سنة أربع وخمسين ومئتين، وله أربعون سنة. وقال السمعاني: ولد أبو الحسن العسكري في سنة أربع عشرة ومئتين، ومات بسامراء في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين، ودفن في داره. فرحمه الله رحمة واسعة.

= التاريخ: 189/7، واللباب: 340/2، ومختصر التاريخ لابن الكازورني: 128، ووفيات الأعيان: 272/3، والعبر: 6/2، ومرآة الجنان: 159-161/2، والبداية والنهاية: 11/14، والوافي بالوفيات: 72-74 رقم (24)، والنجوم الزاهرة: 342/2.
(1) الأنساب للسمعاني: 196/4، تاريخ بغداد: 56/12، 57.

ذو النون المصري*

هو الإمام ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض. الشيخ الناطق بالحقائق، ذو العبارات الوثيقة، والإشارات الدقيقة، والصفات الكاملة.

وأصله من النوبة، ثم نزل إخميم⁽¹⁾ فأقام بها، فسمع يوماً صوت لهو ودفوف، فقال: ما هذا؟ قيل: عرس. وسمع بجانبه بكاء وصياحاً، فقال: ما هذا؟ قيل: فلان مات. قال: أعطي هؤلاء فما شكروا، وابتلي هؤلاء فما صبروا، لله علي إن بت بهذا البلد، فخرج فوراً إلى مصر فقطنها.

زهت به مصر وديارها، وأشرق بنوره ليلها ونهارها. قال ابن يونس: كان عالماً فصيحاً حكيماً، امتحن وأوذى لكونه أتاها لم يعلم لم يعهدوه، وكان أول من تكلم بمصر، في ترتيب الأحوال، وفي مقامات الأولياء وفحول الرجال، فقال جهلة المتفكهة: هو زنديق.

وقال مسلمة بن قاسم: كان عالماً صالحاً زاهداً ورعاً، مفتياً في العلوم، واحداً في عصره.

وقال الذهبي في (تاريخه الكبير) روى عن مالك والليث، وابن لهيعة وفضيل بن عياض، وابن عينة ومسلم الخواص وغيرهم⁽²⁾.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 1/ 597. وكذلك: طبقات الصوفية: 15، حلية الأولياء: 9/ 331 و 10/ 3، تاريخ بغداد: 8/ 393، الأنساب: 1/ 135، الرسالة القشيرية: 1/ 58، صفة الصفوة: 4/ 315، المختار من مناقب الأخيار: 149/ أ، الباب: 1/ 35 وفيات الأعيان: 1/ 315، مختصر تاريخ دمشق: 8/ 246، سير أعلام النبلاء: 11/ 532، العبر: 1/ 444، الوافي بالوفيات: 11/ ترجمة 37، مرآة الجنان: 2/ 149، البداية والنهاية: 10/ 347، طبقات الأولياء: 218، النجوم الزاهرة: 2/ 330، طبقات الشعراني: 1/ 70، شذرات الذهب: 2/ 107.

(1) إخميم: بلد على شاطئ النيل بالصعيد. معجم البلدان.

(2) سير أعلام النبلاء: 11/ 533.

وروى عنه: الحسن بن مصعب النخعي، وأحمد بن صليح⁽¹⁾ الفيومي، والطائي، وغيرهم.

وسئل عن سبب توبته، فقال: نمت بالصحراء، ثم فتحت عيني فإذا بقنبرة عمياء، سقطت من وكرها، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان⁽²⁾ إحداهما ذهب والأخرى فضة، في إحداهما سمس والأخرى ماء، فجعلت تأكل من ذا، وتشرب من ذا، فقلت: حسبي. فتبت.

ولما تكلم بعلوم لدنية لا علم لأهل مصر بها، وشوا به إلى خليفة بغداد، فحمل إليه في جماعة مغلولاً مقيداً، فقدم للقتل، فكلّم الخليفة، فأعجبه فأطلقه ورفقته، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم.

ولما حبس لم يأكل في السجن أياماً، فكانت له أخت تبعث له من مغزلها طعاماً على يد السجنان، فلا يأكله، فعاتبته بعد ذلك، فقال: كان حلالاً لكن جاءني على طبق ظالم، وأشار إلى السجنان. قال الغزالي⁽³⁾: وهذا غاية الورع.

ومن مقاماته العلية الفائقة، وأحواله المدهشة الخارقة: أن روحه الشريفة كانت تدبر أجساماً متعددة، فقد قال العارف ابن عربي: الروح الواحد يدبر أجساماً متعددة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة، وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطى ذلك، قال: وكان ذو النون المصري، وقضيب البان، ممن له هذه القوة كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن، من يد ورجل وسمع وبصر وغيرها، وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح، على ما وقع منها، فكذا هذه الأجساد التي تدبرها روح واحدة أي شيء وقع منها، ويسأل عنه ذلك الروح الواحد، وإن كان عين ما يقع من هذا الجسم عين ما يقع من الآخر. انتهى.

(1) وفي السير: 533/11: صبيح. والمثبت من الإكمال: 291/7.

(2) السكرجة: قصاع صغار يؤكل فيها، وكانت العرب تستعملها في الكوامخ وأشباهاها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم. متن اللغة (سكرج).

(3) إحياء علوم الدين: 20/2.

وأقام سهل سنين لا يسند ظهره للمحارب، ولا يتكلم، فلما كان ذات يوم بكى واستند، وتكلم وبالع في إبراز المعاني العجيبة والإشارات الغريبة، فقليل له فيه، فقال: كان ذو النون بمصر حياً فما تكلمت⁽¹⁾، ولا استندت إجلالاً له، والآن قد مات، فقل لي: تكلم، فقد أذنت.

ومن فوائده:

من راقب العواقب سلم.

وقال: إياك أن تكون للمعرفة مدعياً، أو بالزهد محترفاً، أو بالعبادة متعلقاً، وفر من كل شيء إلى ربك.

وقال: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

وقال: الزهاد ملوك الآخرة، وهم فقراء العارفين.

وقال: ثلاث من علامة التوفيق: الوقوع في عمل البر بلا استعداد له.

والسلامة من الذنب مع الميل إليه وقلة الهرب منه، واستخراج الدعاء والابتغال. وثلاث من علامات الخذلان: الوقوع في الذنب مع الهرب منه، والامتناع من الخير مع الاستعداد له، وانغلاق باب الدعاء والتضرع.

وقال: من وثق بالمقادير لم يغتم.

وقال: الأنس بالله نور ساطع، والأنس بغير الله سُم قاطع.

وقال: الشوق أعلى الدرجات في المقامات، إذا بلغه العبد استبطاً الموت شوقاً إلى ربه، وحباً للقائه، والنظر إليه.

وكان يقول في قوله تعالى ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172/7]: كأنه الآن في أذني.

وقال: إذا خرج مريد عن حوزة الأدب يرجع إلى حيث جاء.

(1) أي: فما تكلمت حتى مات.

وقال: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى.

وقال: الصبر السكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقال: أكثر الناس همّاً أسوأهم خلقاً.

وتذاكر جماعة عنده (أي ذي النون) في حديث: طاعة ما سوى الله للأولياء.

فقال: من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت، ثم يرجع مكانه، ففعل ذلك.

وقال: مدار الطريق على أربع: حب الجليل، وبغض الفاني القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

وسأله رجل عن مسألة فقال: إن قلبي لك مقفل، فإن فتح لك أجبتك، وإلا فاعذرني، واتهم نفسك.

وقال: احذر أن تنقطع عن الله فتكن مخدوعاً، وكل من نظر إلى عطائه ولم ينظر إليه فهو مخدوع.

وقال: ما أخلص عبد الله إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف.

وقال: إن الله ما منع الكفار الجنة بخلاً، بل ليصون من أطاعه عن أن يجمع بينه وبين أعدائه في دار واحدة.

وقال: البلاء ملح المؤمن فإذا عدمه فسد حاله.

وقال: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله.

وقال: إن لله عبداً عبدوه بخالص من السر، فشفهم بخالص من شكره، فهم الذين تمر صفهم مع الملائكة فرغاً، حتى إذا صارت إليه، ملأها لهم من سر ما أسروا.

وقال: من الحمق التماس الإخوان بغير الوفاء، وطلب الآخرة بالرفاء، ومودة النساء بالغلظة والجفاء.

وقال: من ادعى مقاماً، حجب به عن الله.

وقال: من أحب الخلوة، فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من الصدق.

وقال: من تزين بعمله، فحسنته سيئات.

وقال: الكريم يعطي قبل السؤال فكيف يبخل بعده؟ ويعذر قبل الاعتذار، فكيف يحقد بعده؟

وقال: ثلاثة من أعلام الصواب: الأنس بالله في جميع الأحوال، والسكون إليه في كل الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق في جميع الأشغال.

وقال: ثلاثة من أعلام اليقين: النظر إلى الله في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وقال: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وقال: إنما أحب الناس الدنيا لأنه تعالى جعلها خزانة أرزاقهم، فمدوا أعينهم إليها.

وقال: أدنى منازل الأنس أن يلقي في النار ولا يغيب عن مأموله.

وقال: لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاماً.

وقال: العبودية أن تكون عبده في كل حال كما هو ربك في كل حال.

وقال: الحسد داء لا يبرأ، وحسب الحسود من الشر ما يلقاه.

وقال: تنال المعرفة بثلاث: بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي المقادير كيف قدرها، وبالاخلاق كيف خلقها.

وقال: قرأت في بعض برابي⁽¹⁾ مصر بالسريانية: يقدر المقدرين والقضاء يضحك.

(1) البرابي: جمع بربي، كلمة قبطية تعني موقع العبادة، أو البناء المحكم. معجم البلدان: 1/362، وتكملة المعاجم العربية لدوزي: 1/268.

وقال: الصادق لا يبكي، فإن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسيلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف عندنا يا بطل.

وقال: العاقل يعترف بذنبه، ويجود بما لديه، ويزهد فيما عنده، ويكف أذاه، ويتحمل أذى غيره.

وقال: يأتي زمان تكون الدولة فيه لأهل الدنيا على أهل الآخرة.

وقال: لم يزل المنافقون يسخرون بالفقراء في كل عصر.

وقال: طوبى لمن تطهر ولزم الباب، وطوبى لمن تشمر للسباق، وطوبى لمن أطاع الله أيام حياته.

وقال: من وثق بالمقادير استراح، ومن تقرب قرب، ومن صفا صفي له.

وقال: من توكل وثق، ومن تكلف ما لا يعنيه ضيع ما يعنيه.

وسأله بعضهم عن حاله فقال: مالي حال أرضاها، ولا حال لا أرضاها، كيف أرضى حالي لنفسي وأنا لا أفي بما أراد مني؟ أم كيف لا أرضى حالي ولا يكون مني إلا ما أراد من الأحوال؟ ولست أدري أيهما أحسن؟ حسن حالي في حسن إحسانه إلي، أم حسن حالي في سوء حالي إذا كان⁽¹⁾ هو المختار لي.

وقال: من وجد فيه خمس خصال رجوت له السعادة ولو قبل موته بساعة: استواء الخلق⁽²⁾، وخفة الروح، وغزارة العقل، وصفاء التوحيد، وطيب المولد.

وقيل له: أوصني. قال: لا تكن خصماً لنفسك على ربك بما تستزيده في رزقك وجاهك، بل كن خصماً لربك على نفسك، فإنه لا يجتمع معك عليك، ولا تلقين أحداً بعين الازدراء والتصغير ولو مشركاً، خوفاً من عاقبتكما، فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها.

وقال: ما هلك من هلك إلا بطلب أمر قد أخفاه، وإنكار أمر قد أبداه.

(1) في الحلية: 382/9: إذ كان.

(2) في حلية الأولياء: 382/9: سوء الخلق عنه.

وقال: من نظر في عيوب الناس عمي عن عيوب نفسه، ومن عني بالفردوس والنار شغل عن القيل والقال، ومن هرب من الناس سلم من شرهم، ومن شكر المزيد زيد له.

وقال: احفظ عني خمساً، فإن حفظتها لم تبال ماذا أصبت بعدهن: عانق الفقر، وتوسد الصبر، وعاد الشهوات، وخالف الهوى، وافزع إلى الله في أمورك كلها، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والصبر والخوف.

وقال: خذ لنفسك سلاح الملامة⁽¹⁾ واقمعهَا برد الظلامة تلبس غداً سراييل السلامة، وأقصرها في روضة الأمان، وذوقها مضض فرائض الإيمان تظفر بنعيم الجنان، وجرعها كأس الصبر، ووطنها على الفقر حتى تكون تام الأمر فقيل له: وأي نفس تقوى على هذا؟ قال: نفس على الجوع صبرت، وفي سربال الظلام خطرت، نفس ابتاعت الآخرة بالدنيا بلا شرط ولا ثنيا، نفس تدرعت رهبانية القلق، ورعت⁽²⁾ الدجى إلى واضح الفلق.

وقال: قد غفلت القلوب عنه وهو منشيها، وأدبرت النفوس عنه وهو يناديها، فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيام والإنعام.

وقال: طوبى لعبد أنصف ربه، وأقر له بالآفات في طاعته، وبالجهل في معصيته، فإن أخذه بالذنوب رأى عدله، وإن غفر رأى فضله.

وقال: من المحال أن يحسن منك الظن، ولا يحسن منه المن.

وقال: كيف أفرح بعملتي وذنوبي مزدحمة؟! أم كيف أفرح بأملتي وعاقبتني مبهمة؟!

وقال: الكيس من بادر بعمله، وسوّف بأمله، واستعد لأجله.

وقال: لكل شيء علامة، وعلامة طرد العارف عن حضرة الله انقطاعه عن ذكره.

وقال: إذا تكامل الحزن قلصت الدمعة.

(1) في الأصل: الملائكة.

(2) انظر حلية الأولياء: 357، 356/9.

وقال: من القلوب قلوب تستغفر قبل أن تذنّب، فيتأب عليها قبل أن تتوب.

وقال: من آتسه الله بقربه، أعطاه العلم بغير تعب.

وقال: ليس بعاقل من لم ينصف من نفسه، وطلب الإنصاف من الناس.

وقال: لا تتواضع لمتكبر فتذل نفسك في غير محل، وتكبر نفسه بغير حق.

وقال: من عمي عن عيوب نفسه، انكشفت له عيوب الناس، فمقتته القلوب.

وقال: من طلب مع الخبز ملحاً يأكله، لم يفلح في الطريق أبداً.

وقال: لولا شغلي بنفسي، اشتغلت بكتابة الحديث.

وقال: أهل القرآن هم الذين نصبوا الركب والأبدان حتى نحلّت أيديهم، وذبلت شفاههم، وهملت عيونهم.

وقال: من علامة إعراض الله عن العبد أن تراه ساهياً، لاهياً، لاغياً معرضاً عن ذكر ربه، تثقل عليه مجالسة الذاكرين.

وقال: إن الله يغار أن يجمع بين أحبابه وأعدائه في دار، فلذلك جعل لكل فريق داراً.

وقال: ما رجع من رجع إلا من الطريق، ولو وصلوا إليه ما رجعوا عنه، فازهد في الدنيا ترّ العجب.

وسئل متى يأنس العبد بربه؟ قال: إذا خافه أنس به، أما علمتم أن من واصل في الذنوب نحي عن باب المحبوب.

وقال: وجدت مكتوباً على صخرة بيت المقدس: كل عاصٍ مستوحش، وكل مطيع مستأنس، وكل خائف هارب، وكل راج طالب، وكل قانع غني، وكل محب ذليل، ففكرت فإذا هي أصول لكل ما استعبد الله به الخلق.

وقال: لا أعيش إلا مع رجال تحن قلوبهم للتقوى، وترتاح إلى الذكر، ودق عليه رجل الباب، فشوش وقته، فنظر إليه من عالم الهيئة، وقال: اللهم من شغلني عنك فاشغله بك.

وقال: ثلاثة من أعلام الإيمان: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وإرشادهم إلى مصالحهم وإن كرهوه [وبذل النصيحة لهم متجرعاً لمرارة ظنونهم]⁽¹⁾.

وقال: لا تشغلنك عيوب الناس عن عيوب نفسك، فلست عليهم ب قريب.
وقال أحب عباد الله إليه أعقلهم عنه.

وقال: العارف في هذه الدار كرجل توج بتاج الكرامة، وأقعد على سرير، وعلق على رأسه سيف بشعرة، وأرسل على بابه سبعين ضارباً، فأنى له السرور⁽²⁾؟

وقال: من تقرب إلى الله بما فيه تلف نفسه حفظها عليه.

وقال: ما شبت قط إلا عصيت، أو هممت بمعصية.

وقال: كن عارفاً خائفاً، ولا تكن عارفاً واصفاً.

وقال: الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه.

وسئل عن السماع والصوت الحسن، فقال: وارد يزجج القلب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، أو بنفسه تزندق.

وسئل عن التوحيد، فقال: أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مزاج وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، وليس في السموات العلى، ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله، وكل ما يتصور في وهمك فالله بخلاف ذلك.

ومن كراماته:

أن تلميذه يوسف بن الحسين الرازي دخل عليه، فقال له: ما يقول الناس في؟ قال: زنديق. فقال: الأمر سهل حيث لم يقولوا يهودي، فإن الناس تنفر قلوبهم من اليهود أشد، فخرج فسمعهم يقولون: يهودي، فعاد فأخبره، وخرج فوجد فقهاء

(1) حلية الأولياء: 362/9.

(2) انظر الخبر بتمامه في حلية الأولياء: 361/9.

إخميم تعصبوا، ونزلوا على زورق ذاهبين إلى سلطان مصر ليشهدوا بكفره، فانقلب الزورق بهم، والناس ينظرون فغرقوا حتى الملاح، فقليل له : ما بال الرايس؟ قال : حمل الفساد.

وأخرج ابن الطحان في (ذيل تاريخ مصر) في ترجمة ذي الكفل، وهو أخو ذي النون، أن رجلين اختصما في ثلاث مئة إردب⁽¹⁾ قمح، فاعترف أحدهما بالحق، وادعى العجز، فوعظه ذو النون، فأصر، فقال لصاحب الدين : تصالحه على مئة إردب؟ فرضي، فقال لأخيه ذي الكفل : كل له من هذا البيت، وأوماً إلى بيت مهجور مملوء بالتراب، ففتحه، فرأى القمح يخرج من شقوقه، فكال له مئة، فقال : اردد الباب، فعاد مملوءاً تراباً كما كان.

وقال بكر بن عبد الرحمن كنت معه في البادية فجلسنا تحت [شجرة]⁽²⁾ أم غيلان، فقلت : ما أطيب الموضع! لو كان فيه رطب. فحرك الشجرة، وقال : أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرة إلا نثرت علينا رطباً جنياً، فتساقط علينا الرطب، فأكلنا وشبعنا، ثم نمت وقمت فحركت الشجرة فنثرت شوكة.

وكسر إنسان ثنية آخر، فأرادا الترافع للأمير، فمرا على الشيخ، فأخذها ووضعها في محلها، فوجد الرجل أسنانه كما كانت، ولم ير لمحل القلع أثراً.

وقال السلمي : دخلت عليه فرأيت بين يديه طستاً من الذهب، وحوله ند وعنبر، فأعطاني درهماً، فنفتت منه إلى أن وصلت إلى مقصدي⁽³⁾.

ومن وقائعه في سياحاته ما حكى:

قال : بينا أنا أسير في نواحي الشام، إذ وقعت على روضة خضراء، وإذا بشاب يصلي تحت شجرة، فسلمت، فأوجز في صلاته، ولم يرد.

(1) الإردب: كيل لأهل مصر، يسع 24 صاعاً أو 36 صاعاً، يختلف باختلاف الصاع في مختلف البلدان. متن اللغة (ردب).

(2) روض الرياحين: 305 (حكاية 251).

(3) وفي مختصر تاريخ دمشق: 249/8: إلى بلخ.

ثم كتب بإصبعه في الأرض:

منع اللسان من الكلام لأنه سبب الردى وجالب الآفات
فإذا نطقت فكن لربك ذاكراً وإذا سكنت فعد موتك آت
قال: فبكيت وكتبت بإصبعي في الأرض:

وما من كاتب إلا سيبلى ويفنى الدهر ما كتبت يده
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه
فصاح الشاب فمات، فقامت لأجهزه وأدفنه، وإذا بقائل: خل عنه، فإن الله
وعده أن لا يتولاه إلا ملائكته، فالتفت فلم أره.

وقال: وصف لي رجل بالجلب المقطم، فقصدته، فمكثت عنده أربعين يوماً،
ثم سألته فقلت: فيم النجاة؟ قال: في التقوى والمراقبة.

قلت: زدني، قال: فر من الخلق ولا تأنس بهم، قلت: زدني، قال: إن الله
عبادا حالقوه، فسقاهم كأساً من محبته فهم في شربهم عطاش وفي عطشهم أروياء،
ثم تركني.

وقال: صحبت زنجياً في التيه، فكان إذا ذكر الله ابيض، فورد علي أمر عظيم
فسألته فأنشد:

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيظهر
فأحيا به عني وأحيا به له إذ الحق عنه مخبر ومعبّر
ثم قال أيضاً:

أنت في غفلة وقلبك ساهي نفذ العمر والذنوب كما هي
جمة حصلت عليك جميعاً في كتاب وأنت عن ذاك لاهي
لم تبادر بتوبة منك حتى صرت شيخاً فحبلك اليوم واهي
فاجتهد في فكاك نفسك واحذر يوم تبدو السمات فوق الجباه

وقال: دخلت مغارة بجبل فوجدت فيها رجلاً يتعبد، فسألته عن مسألة في المحبة، فذاب كما يذوب الرصاص، ثم صار قدر النطفة بلا عظم ولا لحم فالتقطته بقطنة ودفنته.

وقال: بينا أنا أسير في جبال بيت المقدس إذ سمعت قائلاً يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخدام، ولهيت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدي الملك العلام، فتبعت الصوت، فإذا شاب أمرد، قد علاه اصفرار، يميل ميل الغصن إذا ميلته الريح، فلما رأيته توارى مني بالشجر.

فقلت له: ليس الجفاء من أخلاقهم، فأوصني، فخر ساجداً، وجعل يقول: هذا مقام من لا ذك، واستجار بمعرفتك، وألف محبتك؟! فيا إله القلوب، وما تحويه من جلال عظمتك، احجيني عن القاطعين لي عنك، ثم غاب فلم أراه.

وقال: رأيت في جبل لبنان رجلاً أغبر نحيفاً يصلي، فسلمت، فرد، فما زال راكعاً ساجداً حتى صلى العصر، ثم استند إلى حجر، ولم يكلمني، فقلت ادع لي: قال: آتسك الله بقربه، قلت: زدني، قال: من آتسه الله بقربه أعطاه أربعاً: عزاً من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى بغير مال، وأنساً بغير جماعة، ثم شفق، فلم يفق إلا بعد ثلاث، فقال: انصرف عني بسلام، قلت: أوصني، قال: أحب مولاك، ولا ترد بحبه بدلاً.

وقال: بينا أنا أسير في جبال أنطاكية، إذا بجارية كأنها مجنونة، وعليها جبة صوف، فسلمت فردت، وقالت: أألس⁽¹⁾ ذا النون؟ قلت: كيف عرفتني؟ قالت: بمعرفة حب الحبيب، ثم قالت: ما السخاء؟ قلت: البذل والعطاء، قالت: هذا سخاء الدنيا، فما سخاء الدين؟.

قلت: المسارعة إلى طاعة رب العالمين.

قالت: فإذا سارعت إلى طاعته، فهو أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد منه شيئاً، ويحك، إني أريد أن أطلب منه شيئاً منذ عشرين سنة فأستحي منه مخافة أن

(1) مستدرك من صفة الصفوة: 4/ 430، والمختار: 444/ب.

أكون أجير السوء. إذا عمل طلب الأجر، لكن أعمل تعظيماً لهيبته وعز جلاله، وذهبت وتركتني.

وقال: رأيت في تيه بني إسرائيل سوداء قد استلبها الوله من حب الرحمن شاخصة يبصرها نحو السماء.

فقلت: السلام عليك يا أختاه، قالت: وعليك السلام يا ذا النون.

قلت: من أين عرفتني؟ قالت: يا بطل، إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم أدارها حول العرش، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فعرفت روحي روحك في ذلك الجولان.

قلت: أراك حكيمة، فعلميني مما علمك الله.

قالت: يا أبا الفيض، ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب كل ما كان لغير الله، ويبقى القلب مصفى لا شيء فيه غيره، فحينئذ يقيمك على الباب ويوليكَ ولاية جديدة، ويأمر الخزان لك بالطاعة.

قلت: زيديني، قالت: خذ من نفسك لنفسك، وأطع الله إذا خلوت، يجبك إذا دعوت، والسلام.

وقال: كنت في جبل لكam فرأيت رجلاً قاعداً مطرقاً، فقلت: ما تصنع هنا؟ قال: أنظر وأرعى.

قلت: ما أرى عندك إلا الأحجار، فما الذي تنظره وترعاه؟ فنظر إلي مغضباً، وقال: أنظر خواطر قلبي، وأرعى أوامر ربي، فبحق من أطلعك علي إلا رحت عني، قلت: كلمني بشيء أنتفع به وأذهب.

قال: من لزم الباب أثبت من الخدم، ومن أكثر ذكر الذنوب أعقبه كثرة الندم، ومن استغنى بالله أمن من العدم، ثم تركني ومضى.

وقال: كنت على شاطئ النيل، فرأيت عقرباً، فأردت قتلها، فهربت، فوقفت على الشاطئ، فركبت على ظهر ضفدعة، فقامت بها حتى وصلت الجانب الآخر، فنزلت عن ظهرها، وإذا برجل نائم وهو سكران، وثعبان قد أقبل عليه ليلدغه،

فأسرعت العقرب نحو الثعبان فلدغته فتقطع، فأيقظت الرجل، فقام مرعوباً فأخبرته الخبر، فأطرق ثم قال: يارب هكذا تفعل بمن عصاك، فكيف بمن أطاعك؟ فوعزتكم ما عصيتكم أبداً.

وقال: اجتمعت في جبل بيسان بامرأة متعبدة كالشن البالي، كأنها تخبر عن أهل المقابر، فسألتها: أين وطنك؟

قالت: ما لي وطن إلا النار، أو يعفو العزيز الغفار، قلت: هل من وصية؟ قالت: شمر عن ساق الجد ودع ما يتعلق به البطالون من الرجاء الكاذب، الذي لا يتحقق لهم فيه، ولا يذرون كيف العواقب؟ فوالله لا يرد غداً المنزل إلا المضمرون.

وقال: ركبت سفينة، فسرقت منها قطيفة، فاتهموا رجلاً نائماً، فقلت: دعوني أترفق به، وإذا الشاب أخرج رأسه من عباءته، وقال: أقسمت عليك بي يارب، لا تدع واحداً من الحيتان إلا أتى بجوهرة، وإذا بوجه الماء كله حيتان في أفواهها الجواهر، ثم ألقى نفسه في البحر، ومر على وجه الماء إلى الساحل كالبرق.

وقال: رأيت شاباً عند الكعبة يكثر الركوع والسجود، فقلت له فيه، فقال: أنتظر الإذن من ربي بالانصراف، فسقطت عليه رقعة: من العزيز الغفور إلى عبدي الصادق، انصرف مغفوراً لك.

وقال: مررت في سياحتي برجل عند عين ماء تجري، فأقمت عليه يوماً وليلة، فلم يكلمني، ثم قال: رأيته يا بطل حين أقبلت، ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى الآن، قلت: ما الذي أفرعك مني؟ قال: بطالتك في يوم عملك، وشغلك في يوم فراغك، وتركك الزاد ليوم ميعادك، ومقامك على المظنون.

قلت: إن الكريم ما ظن به أحد شيئاً إلا أعطاه، قال: إنه لكذلك إذا وافقه عمل صالح وتوفيق، قلت: أوصني.

قال: عليك بمعابة نفسك إذا دعتك إلى بلية، ومنابدتها إذا دعتك إلى فترة، فإن لها مكرراً وخداعاً، فإذا فعلت هذا أغناك عن الخلق وسلمك عن مجالسة الفاسقين.

وقال: رأيت بسواحل الشام امرأة، فقلت: من أين أقبلت؟ قالت: من عند قوم ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16/32] قلت: وإلى أين؟ قالت: إلى قوم ﴿لَّا نُلْهِمِهِمْ تَحِيَّةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37/24].

وقال: رأيت على شاطئ البحر جارية مكشوفة الرأس، مسفرة، فقلت لها: استري وجهك بخمار، قالت: ما يصنع الخمار بوجه قد علاه الاصفرار، إليك عني يا بطل، فإني شربت البارحة بكأس المحبة مسرورة، فأصبحت اليوم من حبه مخمورة، قلت: أوصيني، قالت: عليك بالسكوت، ولزوم البيوت، وارض بالقوت حتى تموت.

وقال: رأيت في سياحتي شيخاً، فقلت: كيف الطريق إلى الله؟ قال: دع طريق الخلاف والاختلاف. قلت: أليس "اختلاف العلماء رحمة" قال: إلا في تجريد التوحيد. قلت: ما تجريده؟ قال: فقدان رؤية ما سواه لوجدانه، قلت: هل يكون العارف مسروراً؟ قال: وهل يكون محزوناً؟ قلت: أليس من عرف الله طار همه؟ قال بل من عرفه زال همه، قلت: أليس من عرفه صار مستوحشاً؟

قال: معاذ الله بل يكون مهاجراً متجدداً، قلت: وهل يأسف العارف على شيء غير الله؟ قال: وهل يعرف غير الله فيأسف عليه؟ قلت: وهل يشاق إلى ربه؟ قال: وهل يغيب عنه طرفة عين حتى يشاقه؟ قلت: ما اسم الله الأعظم؟ قال: أن تقول (الله) وأنت تهابه. قلت: كثيراً ما أقوله، ولا تداخلني هيبة، قال: لأنك تقول (الله) من حيث أنت لا من حيث هو، قلت: عظمي، قال: حسبك من الموعظة علمك بأنه يراك، قلت: فما تأمرني، قال: اطلعه عليك في جميع أحوالك لا تنسه. ولما احتضر قيل له: ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل موتي. وكلموه وهو في النزاع فقال: لا تشغلوني، فقد عجبت من كثرة لطف الله بي. مات عام 245هـ، ودفن بالقرافة، وقبره بها ظاهر مقصود بالزيارة، وعليه أنس ومهابة، وهو بقرب قبر عقبة بن عامر الجهني الصحابي، وقيل: بل هو وعقبة، وعمرو بن العاص الثلاثة في قبر واحد.

وعند قبر ذي النون قبر صاحب الدربة، وذلك أن ذا النون قيل له في النوم: اقعد غداً على شفير الخندق يَجِيءُ ميت من الأولياء فصل عليه، فلما أصبح فقعد

فجاء رجلان يحملان ميتاً على درابة، فوضعه، فصلى عليه، ودفنه وأوصى أن يدفن تحت رجله.

الإمام البخاري*

(194هـ - 256هـ)

هو الإمام الحافظ العلم المشهور محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري يكنى أبو عبد الله قدس سره.

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الوراق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنوات أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس: روى سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: يا أبا فلان إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك. فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني فأحكم كتابه وقال: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في سن ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، ثم خرجت مع أمي وأبي إلى مكة فلما حججت رجع أبي وأمي وتخلفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، وصنفت كتاب التاريخ عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة.

قال أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البخاري: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم من أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر.

قال السعداني: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال محمد بن إسماعيل: أخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح، من زهاء ست مئة ألف حديث.

وقال محمد بن يوسف الفريزي: قال محمد بن إسماعيل: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

قال مسبح بن سعيد: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان في أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليالٍ، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة.

قال علي بن محمد بن منصور: سمعت أبي يقول: كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، فرفع إنسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس، فلما غفل الناس رأته مد يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كفه. فلما خرج من المسجد رأته أخرجها فطرحها على الأرض.

وقال محمد بن أبي حاتم: كنت أرى أبا عبد الله يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القذاحة فيوري ناراً وسراجاً ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.

وقال بكر بن منير: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

إن فضائل البخاري كثيرة، وحفظه للحديث حفظ غزير قد شهد له الأكابر بذلك حتى قال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل. وكان نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير. ولد يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة.

وتوفي قدس الله سره ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة عيد الفطر، ودفن يوم عيد الفطر بعد صلاة الظهر وذلك لغرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين وقبره في قرية خرتنك لا تبعد كثيراً عن مدينة سمرقند.

الإمام الحسن العسكري*

(231هـ - 260هـ)

هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقبه الذي عرف به العسكري، نسبة إلى عسكر سرّ من رأى (سامراء) الذي بناه المعتصم لما كثر عسكره، وضاعت عليه بغداد، وتأذى به الناس، فانتقل إلى هذا الموضع بعسكره، وبني به هذا البنيان.

فمن نسب إلى العسكر بالعراق فلأجل سكنى سامراء. وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أرسل أباه علياً إليها، وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، فنسب هو وولده إليها.

مولده:

كانت ولادته رحمه الله يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومئتين، وقيل: سادس شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، سنة اثنين وثلاثين ومئتين.

وفاته:

توفي بسامراء في ثامن ربيع الأول من سنة ستين ومئتين، وله تسع وعشرون سنة، ودفن إلى جانب والده.

* انظر ترجمته في سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد. وانظر: تاريخ حلب للعظيمي: 264، 362، والكامل في التاريخ: (274/7)، والمختصر في أخبار البشر: (49/2)، وتاريخ ابن الوردي: (236/1)، ومرآة الجنان: (2/172/173)، والعيون والحدائق: (ج4ق1/229، 256)، وتاريخ بغداد: (366/7) رقم (3886)، ووفيات الأعيان: (2/94، 95)، ومقاتل الطالبين: (46)، وشذرات الذهب: (2/141).

الإمام أبو يزيد البسطامي* (188هـ - 261هـ)

هو السيد الهمام أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي. كان جده مجوسياً وأسلم وهم ثلاثة إخوة: آدم، وطيفور، وعلي وكلهم زهاد عباد، وأبو يزيد أجلمهم حالاً. مات سنة إحدى وستين ومئتين، وقيل: سنة أربع وستين، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومن كلامه:

ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقطتها وهي تضحك، وسئل: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟

فقال: ببطن جائع، وبدن عار⁽¹⁾.

وقيل له: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: ما لا يمكن وصفه.

ف قيل له: فما أهون ما لقيته نفسك منك؟ فقال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات، فلم تجبني، فمنعتها الماء سنة.

وقال أبو تراب: سألته عن فقير، هل له وصف؟

فقال: نعم لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء.

وقال: الناس كلهم يهربون من الحساب، ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله أن يحاسبني.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملتن: 117. وكذلك: طبقات الصوفية: 67-74، حلية الأولياء: 34-42/10، وفيات الأعيان: 2/531، ميزان الاعتدال: 2/346، العبر: 2/23، البداية والنهاية: 11/35، النجوم الزاهرة: 3/35، سير أعلام النبلاء: 13/86، اللباب: 1/152، المنتظم: 12/166، شذرات الذهب: 3/269-270.
(1) ذكره السلمي في الطبقات: 74.

فقليل : لم ؟

قال : لعله يقول لي فيما بين ذلك : يا عبدي .

فأقول : لبيك .

فقوله لي : يا عبدي ! أحب إلي من الدنيا وما فيها ، ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشاء .

وقال له رجل : دلني على عمل أتقرب به إلى ربي .

فقال : أحب أولياء الله ليحبوك ، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه ، فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه ، فيغفر لك .

قال عيسى بن آدم ، ابن أخي أبي يزيد : كان أبو يزيد يعظ نفسه ، فيصيح عليها ويقول : يا مأوى كل سوء ، المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام ، وأكثره بعشرة أيام ، وأنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعد ما طهرت ، متى تطهرين ، إن وقوفك بين يدي طاهر ، فينبغي أن تكوني طاهرة .

وروي :

أنه أذن مرة ، ثم أراد أن يقيم ، فنظر في الصف ، فرأى رجلاً عليه أثر سفر ، فتقدم إليه فكلمه بشيء ، فقام الرجل وخرج من المسجد ، فسأله بعض من حضره ، فقال الرجل : كنت في السفر ، فلم أجد الماء ، فتيمنت ونسيت ودخلت المسجد ، فقال لي أبو يزيد : لا يجوز التيمم في الحضر فذكرت ذلك ، وخرجت⁽¹⁾ .

وروي :

أنه قال لبعض أصحابه : قم بنا إلى فلان لرجل قد شهر نفسه بالزهد في ناحية ، فقصداه ، فرآه أبو يزيد خرج من بيته ، ودخل المسجد ، وتفل في قبلة المسجد ، فقال أبو يزيد لصاحبه : هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من آداب السنة ، كيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء ؟

(1) ذكره السلمي في الطبقات : 80 .

وروي:

أن شقيقاً البلخي وأبا تراب قدما عليه، فقدمت السفرة، وشاب يخدم أبا يزيد، فقالا له: كُل معنا يا فتى.

فقال: أنا صائم.

فقال له أبو تراب: كُل ولك أجر صوم شهر. فأبى.

فقال له شقيق: كل، ولك أجر صوم سنة. فأبى.

فقال أبو يزيد: دعوا مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ. فأخذ ذلك الشاب في سرقة، بعد سنة، فقطعت يده.

وقال أحمد بن خضرويه:

رأيت رب العزة في المنام، فقال: يا أحمد! كل الناس يطلبون مني، إلا أبا يزيد، فإنه يطلبني. ومن شعره:

غرس الحب غرساً في فؤادي فلا أسلو إلى يوم التنادي
جرحت القلب مني باتصال فشوقي زائد والحب بادي
سقاني شربة أحيا فؤادي بكأس الحب في بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادي

وروي:

أن يحيى بن معاذ الرازي كتب إلى أبي يزيد: إني سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد، ولسانه خارج، وهو يقول: هل من مزيد.

وأنشد:

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسى فأذكر من نسيت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

الإمام سهل بن عبد الله التستري*

(200هـ - 283هـ)

هو الشيخ الأمين، الناصح المكين، الناطق بالعقل الرصين، من أعظم المشايخ المشهورين. ولم يبرز للناس حتى وقع الإذن له من الله، وأطلعته على عدد مريديه، وأسمائهم، وأنسابهم، ومن يفتح عليه منهم ومن يموت قبل الفتح.

فهو حبر تجمل الإسلام بوجوده وزين طريق الصوفية بقلائد فوائده وعقوده.

صحب خاله محمد بن سوار، ولقي ذا النون، وأخذ عنه الأكابر طبقة بعد طبقة.

وطبق الأرض من علوم الحقائق، فحسده فقهاء بلده فقاموا عليه، ونسبوه إلى عظام وقبائح، لقوله: التوبة فرض على العبد في كل نفس، ولم يزالوا به حتى أخرجوه وجماعته من بلده إلى البصرة فمات بها.

حفظ القرآن وهو ابن سبع، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع ومقامات الإرادة، وفقه العبادة، وهو ابن عشر، فيحسن الإجابة.

وكان لا يفطر إلا كل خمسة عشر يوماً، وإذا دخل رمضان، يأكل أكلة واحدة في أول ليلة منه، ثم يطوي بقيته، لكنه يفطر كل ليلة على الماء القراح، أو على زبيبة، ليخرج عن الوصال⁽¹⁾ المنهي عنه. وكان إذا دخل عليه ضيف يأكل معه، وإن لم يكن له شهوة إلى الأكل ذلك الوقت.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 633/1. وكذلك: حلية الأولياء: 189/10، الرسالة القشيرية: 92/1، الأنساب: 55/3، المنتظم: 163/5، صفة الصفوة: 64/4، المختار من مناقب الأخيار: 197/أ، اللباب: 176/1، وفيات الأعيان: 429/2، سير أعلام النبلاء: 330/13، العبر: 70/2، الوافي بالوفيات: 16/16، مرآة الجنان: 200/2، طبقات الأولياء: 232، طبقات الشعراني: 77/1، شذرات الذهب: 182/2.

(1) الوصال في الصوم هو: ألا يفطر يومين أو أياماً. النهاية (وصل). عن عائشة رضي الله عنها قالت: نهى الرسول ﷺ عن الوصال رحمة بهم... أخرجه البخاري: 202/4 (1964) في الصوم، باب الوصال، ومسلم: 1105 في الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم.

وكان يسمع القرآن وغيره فلا يتحرك، فلما كان أواخر عمره، صار يتواجد ويقول: ضعفنا والله عن التحمل، وصار واردنا أقوى منا.

وكان يطوي ثلاثين وأربعين، وقيل: وسبعين ليلة، لا يأكل شيئاً قال الغزالي⁽¹⁾: وقد انتهى إلى ذلك جماعة يكثرون عددهم منهم: محمد بن عمرو المغربي⁽²⁾، وعبد الرحمن بن إبراهيم، ودحيم، وإبراهيم التيمي، وحجاج بن فرافصة، وحفص العابد المصيصي، وزهير، وسليمان الخواص، وإبراهيم الخواص، كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة، وذكر بعضهم أن من طوى أربعين يوماً من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت، أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية. انتهى.

قال ابن عربي⁽³⁾: وكان بدء سهل في هذا الطريق سجود القلب، وكم من ولي كبير الشأن، طويل العمر، مات وما حصل له سجود القلب، ولا علم أن للقلب سجوداً مع تحققه بالولاية، ورسوخ قدمه فيها فإن سجوده إذا حصل لا يرفع رأسه أبداً من سجده، فهو ثابت على تلك القدم الواحدة التي تنفرع منها أقدام كثيرة، وأكثر الأولياء يرون تقلب القلب من حال إلى حال، ولهذا سمي قلباً، وصاحب هذا المقام، وإن تقلبت أحواله، فمن عين واحدة هو عليها ثابت، يعبر عنها بسجود القلب، ولهذا لما رأى سهل في ابتداء دخوله الطريق أن قلبه سجد، وانتظر أن يرفع فلم يرفع، فبقي حائراً فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعه، فما وجد أحداً يعرفها، فإنهم أهل صدق لا ينطقون إلا عن ذوق محقق، فقليل له: إن في عبادان شيخاً معتبراً⁽⁴⁾ لو رحلت إليه؟ ففعل، فقال له: أيها الشيخ، أيسجد القلب؟ فقال: إلى الأبد، فوجد شفاءه عنده، فلزم خدمته، فالله تعالى يؤتي ما شاء من علمه من يشاء من عباده ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15/40].

(1) إحياء علوم الدين: 90/3 في كتاب كسر الشهوتين، باب بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن.

(2) كذا في الأصول وفي حلية الأولياء: 128/10، وفي الإحياء محمد بن عمرو الغرني، تصحيف واسمه محمد بن عمرو الغزي، انظر سير أعلام النبلاء: 464/11.

(3) الفتوحات المكية: 20/2، الباب 73.

(4) الشيخ هو أبو حمزة بن عبد الله العباداني، انظر الرسالة القشيرية: 94/1.

ومن فوائده:

الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم ينفعهم الندم⁽¹⁾. وقال: من الأولياء من إذا مر على قوم عصاة فسلم عليهم، أو سلموا عليه فرد غفر الله لهم جميع ذنوبهم، وأمنهم من عذابه، ومنهم من لا تأكل النار من جالسهم ولو لحظة، وحضر جنازتهم.

وقال: الصبر عن النساء خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار.

وقال: المستمع عن المعنى الذي استمع لأجله، لأنه من الأسرار التي تقصر عنها العبارات.

وسئل عن ذات الله، فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول، وتراه العيون في العقبي ظاهراً في ملكه وقدرته، فإنه تعالى قد حجب الخلق في الدارين عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والأبصار لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بالأبصار من غير إحاطة، ولا إدراك نهاية.

وقال: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصر هالك.

وقال: ما من ساعة إلا والله يطلع في القلوب، فأَي قلب وجد فيه غيره سلط عليه العدو.

وقال: التائب من يتوب من غفلته في كل لمحة.

وقال: لا يستحق الرجل الرئاسة على الناس إلا إن احتمل أذاهم، وبذل لهم ما بيده، وزهد فيما بيدهم.

(1) أورده الغزالي: 23 / 4 مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. قال الحافظ العراقي: إنما يعزى إلى علي بن أبي طالب لكن عزاه الشمراني في طبقاته لسهل التستري. وانظر كشف الخفا:

وقال: دخلت الفتنة على العلماء من الرخص والتأويلات، وعلى العارفين من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر.

وقال: لا يرى في القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام، والاقتداء بالمصطفى ﷺ في أكله.

وقال: لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا.

وقال: لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل.

وقال: جعل العلم والحكمة في الجوع، وجعلت المعصية والجهل في الشبع.

وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وقد قال في الحديث: (ثُلْتُ لِلطَّعَامِ)⁽¹⁾ فما زاد فإنما يأكل من حسناته.

وقال: إنما صار الأبدال أبدالاً بإخماس البطون، والصمت، والسهر، والخلوة.

وقال: رأس كل بر بين السماء والأرض الجوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع.

وقال: إقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله.

وقال: لو كانت الدنيا دماً عبيطاً⁽²⁾ كان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكله عند الضرورة بقدر القوام فقط.

وقال: من انتقل من نفس إلى نفس بغير ذكر فقد ضيع حاله.

وقال: من أعظم المعاصي الجهل بالجهل، والنظر إلى العامة وسماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا تصنع لقوله، بل يتهم فيما يقول، لأن كل إنسان يدفع ما لا يوافق محبوبه.

(1) عن المقدام بن معد يكره قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه" أخرجه الترمذي: 590 / 4 (2380) في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم 121 / 4 وصححه الذهبي.

(2) العبيط من الدم: الطري الخالص.

وقال: أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والافتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق.

وقال: من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو جاهل به.

وقال: قد آيس علمائنا من ثلاث: لزوم التوبة، ومعانقة السنة، وترك أذى الناس.

وقال: العيش أربعة: عيش الملائكة في الطاعة، والأنبياء في العلم وانتظار الوحي، والصديقين في الافتداء، وسائر الناس في الأكل والشرب كالبهائم.

وقال: الولي من توالى أفعاله على الموافقة.

وقال: خلق الله الخلق ولم يحجبهم عنه، فجاءهم الحجاب عن تدبيرهم واختيارهم معه، وذلك هو الذي كدر عليهم عيشتهم.

وقال: مخالطة الفقير للناس ذل، وبعده عنهم عز.

وقال: ما من ولي صحت ولايته إلا يحضر إلى مكة كل ليلة جمعة لا يتأخر.

وقال: اجتمعت برجل من أصحاب المسيح عليه السلام، فرأيت عليه جبة صوف فيها طراوة، وقال: لها من أيام المسيح سبع مئة سنة، فعجبت، فقال: الأبدال لا تخلق ثيابهم، وإنما يخلقها رائحة الذنوب، ومطاعم السحت، ولذلك قيل إن للخضر عليه السلام إزارًا ورداء لا يلبان ولا يخلقان.

وقال: إذا أصابتكم مصيبة فلا تقولوا: أخ، فإنه اسم الشيطان، وقولوا: آه فإنه اسم الرحمن، وكذا وه فإنه مقلوب هو.

وقال: إن شاء الله سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياؤه، وأخرجها من قلوب أهل وداده، لأنه لم يرضها لهم.

وقال: إياكم ومعادة من أشهره الله بالولاية، فإنه كان بالبصرة ولي فعاده أهلها وآذوه، فغضب الله عليهم، فهلكوا أجمعين في ليلة.

وقال: طوبى لمن تعرف بالأولياء، فإنه ربما استدرك ما فاته من الطاعة، وإن لم يستدرك شفّعوا فيه، لأنهم أهل فتوة.

وقال: الدنيا حرام على صفوة خلق الله، لا يتناولون فيها إلا بقدر الضرورة.
وقال: إذا قام عبد بما يجب لله عليه قام الله بما يجب عليه من الحقوق.

وقال: من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف عنه حجاب.

وقال: أعظم ما يحجب به العبد عن مشاهدة الملكوت، وعن دخول حضرة الله، سوء المطعم وأذى الخلق.

وقال: ما دامت النفس تشتهي المعصية فلا يصل للقلب شيء من نور الطاعة، فأدبوا أنفسكم بالجوع والعطش.

وقال: حياة القلب الذي يموت بذكر الحي الذي لا يموت.

وقال: علامة المؤمن الكامل أن لا يخاف أحداً دون الله.

وسئل عمن لا يأكل أياماً أين يذهب لهب جوعه؟ فقال: يطفئه نور القلب.

وقال: لا تفتش عن مساوئ الناس، ومعرفة أخلاقهم، ولكن فتش عن أخلاق الإسلام وما حالك فيه حتى يعظم في نفسك، وتجتهد في التلبس بتلك الأخلاق.

وقال: إن الله قال لآدم عليه السلام: أنا الله، لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي، وخاف غير عدلي لم يعرفني.

وقال: ما أعطي عبد شيئاً أفضل من علم يزداد به يقيناً وافتقاراً إليه.

وقال: من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان. قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23/5].

وقال: البلوى قسمان: بلوى رحمة وبلوى عقوبة فبلوى الرحمة تبعث صاحبها على إظهار فقره وفاقته إليه تعالى وترك تدبير نفسه واختياره، وبلوى العقوبة تبعثه على اختيار نفسه وتديرها.

وقال: الابتلاء كالمرض، يمرض الواحد مئة سنة فلا يموت، ويمرض آخر ساعة فيموت.

وقال: ما نظر واحد إلى نفسه فأفلح، ولا ادعى لنفسه حالاً فتم له، والسعيد

من صرف بصر نفسه عن أفعاله وأقواله، وفتح له سبيل الفضل والإفضال، ورؤية منة الله عليه في جميع الأفعال.

وقال: السرور بالله هو السرور، والسرور بغيره هو الغرور.

وقيل له: ما القوت؟ قال: ذكر الحي الذي لا يموت، قال: هذا قوت الأرواح، فما قوت الأشباح؟ قال: دع الدنيا لبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها.

وفي رواية عنه: قيل له: ما القوت؟ قال: الله. قيل له: سألتك عن قوت هذا الجسد، قال: الله الذي به يقوم كل شيء، فلما ألحوا، قال: ما لكم وله، دع الديار إلى مالکها، إن شاء عمرها، وإن شاء خربها.

ويقول ليس من شأن اللطيفة الإنسانية صحبة هذا الشكل الخاص، فلا بد أن تشتغل بما هو عين حياتها ووجودها، وأي بيت أسكنها فيه سكتته.

وقال: أصفى ما يكون ذكري له إذا كنت محموماً.

وقال: التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد.

وقال له رجل: دخل لص داري وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله، لو دخل اللص قلبك -وهو الشيطان- وأفسد التوحيد، ماذا كنت تصنع؟

وقال: العلوم ثلاثة: علم ظاهر يبذل لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يظهر إلا لأهله، خوف الفتنة، وعلم بين العبد وربّه يستحيل إظهاره لأحد من الخلق.

وسئل عن الاسم الأعظم، فقال: أروني الأصغر أركم الأعظم، أسماء الله كلها عظيمة، اصدق وخذ أي اسم شئت يفعل معك.

وقال: من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة أو لضرورة.

وقال: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم.

وقال: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف: الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنيين والمتصوفة الجاهلين.

وقال: المرء يعصي الله مئة سنة ثم يطيعه، ويختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم في ساعة فتجره للكفر، فيهلك، ومن ذلك عظم الحذر واشتد البلاء، وأصله حديث: "إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ... " إلى آخره⁽¹⁾.

وقال: الغضب أشد على البدن من المرض، لأنه إذا غضب دخل عليه من الألم أكثر مما يدخل عليه من المرض، ولهذا قال المصطفى ﷺ: "لا تَغْضَبْ"⁽²⁾ وكرره.

وقال: الفرح كله في تدبير الله لعباده.

وقال: ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب إلى الله من الذلة والافتقار.

وقال: أول دلائل المحبة دوام ذكر المحبوب، ولا يستقر ذلك في صميم القلب إلا بعد أن يكون التصديق والتحقيق زاده، أو التسليم والرضا مراده.

وقال: من ثقلت عليه الوحدة فهو بعيد من باب الله.

وقال: من خان الله في السر هتك ستره في العلانية.

وقال: لما دخلت البصرة، وجدت بها أربعة آلاف يتكلمون في علم المعرفة.

وقال: من تمام المحبة، أن تحب ما يحبه حبيبك، وتكره ما يكرهه.

وقال: دع التدبير والاختيار لله الواحد القهار، فإن تدبير الخلق لأنفسهم هو المكدر لعيشهم.

(1) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... إن أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب..."، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

ومسلم: (2643) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي. وللحديث رواية أخرى تبين معنى عمل أهل الجنة، وأهل النار، فقد أخرج مسلم: 4/2042 (112) عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة".

(2) أخرجه البخاري: 10/519 (6116) في الأدب، باب الحذر من الغضب، والترمذي: 4/371 (2020) في البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، عن أبي هريرة.

وقال: من علم أن الله قريب منه فقد بعد عن كل ما سواه.

وقال: من أسلم قلبه لله تولى الله جوارحه.

وقال: إن الله حجب عقول الخلق بحجب لطيفة، فحجب العلماء عنه بالعلم، والزهاد بالعمل، والحكماء بلطائف الحكمة، وأما العارفون فأسكن قلوبهم من نور المعرفة، فلم يحجبهم بشيء.

وقال: يا مسكين، كان الله ولم تكن، ويكون الله ولا تكون، فلما كونك اليوم صرت تقول: أنا وأنا! كن الآن كما كنت قبل تكوينك، واعرف فاقة نفسك وحقارتها، ونزلها منزلتها من الذلة والاحتقار.

وقال: الهجرة فرض إلى يوم القيامة، من الجهل إلى العلم، ومن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

وقال: ليس خوفنا من النار، ولا رجاؤنا للجنة، بل خوفنا من الحجاب ومطلبنا لقاء الله.

وقال: طوبى لمن عرف الحق وأهله، فإنه يتدارك ما فرط منه، فإن لم يتدارك كانوا له شفعاء.

وقال: الدنيا حرام على صفوة الله من خلقه، كما أن صيد الحرم حرام على المحرم.

وقال: أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً بمحمود.

وقال: أجمع العلماء على تفسير العافية بأن لا يكل الله العبد إلى نفسه، وأن يتولاه، وهو قول المصطفى ﷺ: "لا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي"⁽¹⁾.

وقال: الأنفاس معدودة، فكل نفس يخرج بغير ذكر الله فهو (نفس) ميت.

وقال: يتفاضل الناس يوم القيامة بقدر يقينهم، فمن كان أغزر يقيناً⁽²⁾ كان فوق

(1) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء النبي ﷺ "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني" ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: 10/181، وقال: رواه البزار، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك.

(2) مناقب الأخبار: 61/أ.

من دونه في ميزانه، وأدنى مراتب اليقين الثقة بالله، وأدنى مراتب التوكل ترك الاختيار.

وقال: إنما منع الله الغافلين لذة مناجاته، لأنه لم يرض عقولهم لمعرفته، ولا أبدانهم لخدمته، فأذلهم وجعلهم عبيد الدنيا.

وكان يقول: الرجل من يصلي في فلاة، فينصرف من صلاته، فينصرف معه أمثال الجبال من الملائكة، على مشاهدة منه إياهم.

وقال ابن عربي: وأنا أقول: الرجل من يصلي في فلاة فينصرف بالحال الذي هو في صلاته، فلا ينصرف معه أحد من الملائكة، فإنهم لا يعرفون أين يذهب، وهؤلاء هم رجال الغيب.

وقال: أعمال البر كلها في صحائف الزاهدين.

قال الياضي⁽¹⁾: هذا في نهاية التحقيق⁽²⁾؛ فإن أهل الدنيا يخرج بعضهم من بعض ماله⁽³⁾ في عمل البر، والزهاد خرجوا عن الكل لله، وجمعوا بين العبادة البدنية والقلبية والمالية.

وقال: لي أربعون سنة أكلم الله، والناس يظنون أنني أكلهم.

قال القيصري: هذه كلمة شأنها عظيم، قل من يفهم حقيقتها، فإن فهمت فاحمد الله، وإلا فسلم كل صنعة لأهلها، ولا تنكر ما لا تفهم تخسر أول أنصبه المؤمنين وهو التصديق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن كراماته:

أنه حصل له فالج آخر عمره، فكان إذا حضرت الصلاة زال عنه، فإذا فرغ منها عاد إليه.

(1) روض الرياحين: 48.

(2) كذا في الأصول، وفي روض الرياحين: التصديق.

(3) في الأصول: بماله. والمثبت من روض الرياحين.

ومنها أنه احتاج في سياحته إلى الوضوء، وفقد الماء، فاغتم، فأتاه دب بجرة خضراء مملوءة ماء، فوضعها بين يديه وانصرف.

ومنها: أن رجلاً دخل إليه يوم الجمعة قبل الصلاة، فرأى في بيته حية عظيمة، فوقف، فقال: ادخل، لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه، ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقال: بيننا وبين الجامع مسيرة يوم، فأخذ بيده فأدخله إليه فوراً، فصليا، ثم خرج ينظر الناس خارجين، فقال: أهل لا إله إلا الله كثير، والمخلصون منهم قليل.

وكانت السباع يأتونه زائرين، وعنده بيت يسمى بيت السباع، فينزلهم فيه، ويضيفهم باللحم جهاراً، ثم يأذن لهم بالانصراف.

وقال له تلميذه عبد الرحمن بن أحمد: يا سيدي، ربما أتوضأ، فالماء الذي يسيل من أعضائي يصير قضبناً من الذهب والفضة، فقال له: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخاشة يشتغلون بها؟!

وسأله رجل الصحبة، فقال: إن كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبنى.

وله ذكر عظيم الشأن جربه أهل العرفان.

قال بعضهم: ومن تعلق به لم يعجزه شيء من الموجودات.

ومن ذكره كل ليلة سبع مرات وهو في فراشه، وجد له حلاوة في سره، وهو هذا: الله معي، والله ناظر إلي، والله شاهد علي⁽¹⁾.

(1) كذا في الأصول والخبر في الرسالة القشيرية: 93/1 عن سهل قال: قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ فقال لي: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهد علي. فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة، فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سري.

وله تصانيف نفيسة منها: (رقائق المحبين ومواعظ العارفين وجوابات أهل اليقين) وغير ذلك.

مات سنة ثلاث وثمانين ومئتين، عن ثلاث وثمانين سنة.

الإمام أحمد بن محمد النوري*

هو الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد النوري البغدادي لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً. صحب السري وابن أبي الحواري. وكان من أقران الجنيد، كبير الشأن. مات قبل الجنيد، في سنة خمس وتسعين ومئتين.

والنوري نسبة إلى نور⁽¹⁾، بليدة بين بخارى وسمرقند، وقيل: لنور كان بوجهه فنسب إليه، وقيل له: النوري لحسن وجهه.

سئل عن أدب المعرفة. فقال: لا تصل إلى أول مبدأ حواشي المعرفة حتى تخوض إلى الله سبعة بحار من نيران، بحرأ بعد بحر، فعسى بذلك يقع لك أوائل بدء علم المعرفة.

وقال: إذا امتزجت نار التعظيم مع نور الهيبة في السر هاجت ريح المحبة من حجب العطف على النار والنور، فيظهر فيه الاشتياق وتلاشى البشرية، فيتولد من ذلك المثابرة.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 15. وكذلك: تاريخ بغداد: 338/5 - 343، حلية الأولياء: 267/10 - 273، المنتظم: 73/13 - 75، طبقات الصوفية: 164 - 169، صفة الصفوة: 249/2، الرسالة القشيرية: 16، نتائج الأفكار القدسية: 1/148، الطبقات الكبرى للشعراني: 102/1، البداية والنهاية: 106/11. اختلف في اسمه فقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (338/5): أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال: أحمد بن محمد النوري كنيته أبو الحسين، ويقال: محمد بن محمد وأحمد أصح بغدادي المولد والمنشأ، كان يعرف بابن البغوي قديماً نسبة لقريه بغشور، وأصله من خراسان من ناحية بغداد.

(1) انظر: الباب: 243/3.

ومن كلامه:

التصوف ترك كل حظ للنفس .

وأنشد لنفسه :

إلى الله أشكو طول شوقي وحيرتي ووجدني بما طالت علي مطالبه
ومن قد يرى جسمي وكدر عيشتي ويمنعني الماء الذي أنا شارب
فيا ليت شعري ما الذي فيه راحتي وما آخر الأمر الذي أنا طالبه
وقال في قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40/2]: أوفوا بعهدي في
دار محبتي، على بساط خدمتي، بحفظ حرمتي، أوف بعهدكم في دار نعمتي، على
بساط قربتي، بسرور رؤيتي .

ومكث عشرين سنة، يأخذ من بيته رغيفين . فيخرج إلى سوقه فيتصدق
بهما، ويدخل إلى مسجده، فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه، فيذهب
إليه . فيظن أهل سوقه أنه تغذى في منزله، وأهل بيته أنه أخذ معه غذاءه، وهو
صائم⁽¹⁾ .

ونزل في الماء ليغتسل، فجاء لص فأخذ ثيابه ومضى، فرجع بعد ساعة
بالثياب وقد جفت يده اليمنى، فقال: سيدى! قد رد ثيابي فرد عليه يده! فردت
ومضى⁽²⁾ .

ولما سعي بالصوفية إلى الخليفة، وأمر بضرب أعناقهم، تقدمهم النوري، وقد
بسط النطع، قال له السيف: لا أدري لماذا تبادر؟! وما الذي يعجلك؟ قال: أوثر
أصحابي علي بحياة لحظة! فتحير السيف وأنهى خبرهم إلى الخليفة، فرد أمرهم
إلى القاضي⁽³⁾ . فألقى القاضي يومئذ على أبي الحسين مسائل فقهية . فأجاب عنها،
ثم قال: وبعد! فإن الله عبداً إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله! وسرد

(1) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: (339/5).

(2) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: (340/5).

(3) في حلية الأولياء، وتاريخ بغداد: كان القاضي يومئذ إسماعيل بن إسحاق.

ألفاظاً حتى أبكى القاضي. فأرسل إلى الخليفة، وقال: إن كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض موحد فخلى سبيلهم⁽¹⁾.

وقال: حيل بيني وبين قلبي أربعين سنة، ما اشتيت شيئاً، ولا تمنيت شيئاً، ولا استحسنت شيئاً منذ عرفت ربي.

وأنشد لنفسه:

ذكرت ولم أذكر حقيقة ذكره ولكن بوادي الحق تبدو فأنطق
إذا ما بدا ذكر لذكر ذكرته يغيبني عن ذكر ذكرى فأغرق
وأغرق بالذكر الذي قد ذكرته عن الذكر بالذكر الذي هو أسبق
واعتل النوري، فبعث الجنيد بصره فيها دراهم وعاده، فردها النوري. ثم اعتل
الجنيد، فدخل عليه النوري عائداً، فقعد عند رأسه، ووضع يده على جبهته، فعوفي
في ساعته.

فقال النوري للجنيد: إذا زرت إخوانك فارقهم بهذا البرء⁽²⁾.

وروي: أنه أصابته علة، وأصابته الجنيد علة، فالجنيد أخبر عن حاله،
والنوري كتم، ف قيل له: لم لم تخبر كما أخبر صاحبك؟ فقال: ما كنا لنبتلى ببلوى
فتوقع عليها اسم الشكوى، ثم أنشد:

إن كنت للسقم أهلاً قد كنت للشكر أهلاً⁽³⁾
عذب فلم يبق قلب يقول للسقم مهلاً
فأعيد ذلك على الجنيد، فقال: ما كنا شاكين، ولكننا أردنا أن نكشف عن عين
القدرة فينا. ثم أنشد يقول:

(1) وهذا الخبر في تاريخ بغداد وحلية الأولياء باختلاف في اللفظ يسير وله تنمة: "وسأله السلطان يومئذ: من أين يأكلون؟ فقال: لسنا نعرف الأسباب التي يستجلب بها الأرزاق، نحن قوم مديرون، وقال: من وصل إلى وده أنس بقره، ومن توصل بالوداد فقد اصطفاه من بين العباد".

(2) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد: 340/5.

(3) في تاريخ بغداد: 340/5، وحلية الأولياء: 270/10.

أجل ما عنك⁽¹⁾ يبدو لأنه عنك جلا
وأنت يا أنس قلبي أجل من أن تجلا
أفنيته عن جميعي فكيف أرى المحلا
فبلغ ذلك الشبلي، فأنشأ يقول:

محنني فيك أنني لا أبالي بمحنني
يا شفائي من السقم أم وإن كنت علتي
تبت دهرًا فمذ عرفتك ضيعت توبتي⁽²⁾
قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتي
وروي: أنه اجتمع الجنيد والنوري ورويم وابن وهب وغيرهم في سماع،
فمضى بعض الليل وأكثره، فلم يتحرك أحد منهم، ولا أثر فيه القول.
فقال النوري للجنيد: يا أبا القاسم! هذا السماع يمر مرًا، ولا أرى وجدًا
يظهر! فقال الجنيد:

يا أبا الحسين! ﴿وَرَى الْجَبَالَ تَحْسَبُ جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 27/88]
فأنت يا أبا الحسين، ما أثر عليك؟! فقال النوري: ما بلغت مقامي في السماع.
فقال له الجنيد: وما مقامك فيه؟ فقال: الرمز بالإشارة دون الإفصاح، والكناية
دون الإيضاح. ثم وثب وصفق بيديه، فقام جميع من حضر بقيامه ساعة.
وكان سبب وفاته⁽³⁾ أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل من وداذك منزلًا تحير الأبواب عند نزوله

(1) في الحلية: "ما منك".

(2) في الحلية: "ضيعت فيك توبتي".

(3) قد اختلف في سبب وفاته فقال ابن الجوزي في المنتظم: (13: 74): قال أبو الحسن القناد: مات النوري في مسجد الشونيزية جالسًا متقنعًا، فبقي أربعة أيام لم يعلم بموته أحد. وذكر ذلك أيضاً الخطيب في تاريخ بغداد: (5/343).

فتواجد وهام في الصحراء، فوقع في أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله مثل
السيوف، وكان يمشى عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجله، ثم وقع
مثل السكران، فورمت قدماه ومات.

وقال الحسين بن الفضيل: حضرت النوري، وهو في الموت، فقلت: ألك
حاجة؟ أو في نفسك شهوة؟ فرفع رأسه، وقد انكسر لسانه، وقال: إي والله!
أشتهي شهوة كبيرة! قلت: وما هي؟ قال: أشتهي أن أرى الله! ثم تنفس تنفساً
عالياً، كالمتواجد وفارق الدنيا.

وأشد النوري:

كم حسرة لي قد غصت مرارتها جعلت قلبي لها وقفاً لبلواكا
وحق ما منك يبليني ويتلفني لأبكينك أو أحظى بلقياكا

القرن الرابع

الحكيم الترمذي*

هو الإمام محمد بن علي بن الحسين الترمذي الصوفي الشافعي صاحب التصانيف المشهورة، زاهد اشتهر بملازمة العبادة بين العباد، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية وعلو الإسناد، وناسك سلك طريق القوم، وهجر في وصله النوم، رحل في طلب الحديث والعلم، وتلفع بمروط التقوى والحلم، ولقي الأكابر، وأخذ عن أرباب المحابر، ومع ذلك كان صدرأ معظماً، وصوفياً محدثاً مفخماً، كثير الكيس واللطافة، غزير المعارف.

لقي أبا تراب النخشيبي، والبلخي، ومن في تلك الطبقة، وسمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره، وهو من أقران البخاري.

قال الحافظ ابن النجار في (تاريخه)⁽¹⁾: كان إماماً من أئمة المسلمين، له المصنفات الكبار في التصوف، وأصول الدين، ومعاني الحديث، وفي شيوخه كثرة.

* طبقات الصوفية للمناوي: 2/ 130، وكذلك: حلية الأولياء: 10/ 233، الرسالة القشيرية: 1/ 138، مناقب الأبرار: 121/ أ، الأنساب للسمعاني: 3/ 42، صفة الصفوة: 4/ 168، المختار من مناقب الأخيار: 352/ ب، المستفاد من ذيل بغداد لابن النجار: 109، سير أعلام النبلاء: 13/ 439، تذكرة الحفاظ: 2/ 645، طبقات ابن عبد الهادي (ترجمة 636) طبقات الشافعية: 2/ 245، طبقات الأولياء: 362، لسان الميزان: 5/ 308، طبقات الشعراني: 1/ 91، طبقات الحفاظ: 282، مفتاح السعادة: 2/ 309، شذرات الذهب: 2/ 221.

(1) المستفاد: 110.

وقال أبو نعيم في (الحلية)⁽¹⁾: له التصانيف الكثيرة في الحديث، وهو مستقيم الطريقة يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين.

قال ابن الجوزي⁽²⁾: هو من أكابر مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة، وكان يقول: ما صنعت شيئاً لينسب إلي، لكن إذا اشتد علي وقتي أتسلى بمصنفاتي.

وقال القشيري في (الرسالة)⁽³⁾: هو من كبار الشيوخ.

وقال الكلاباذي في (التعرف)⁽⁴⁾: هو من أئمة الصوفية.

وقال ابن عطاء الله: كان الشاذلي والمرسي يعظمانه جداً، ولكلامه عندهما الحظوة التامة، ويقولان: هو أحد الأوتاد الأربعة فلا تلتفت لخرافات المخرفين وطعنهم فيه بالبهتان.

وله حكم جليلة الشأن فمنها قوله: كفى بالمرء عيباً أن يسره ما يضره.

وقال وقد سئل عن الإنسان، فقال: ضعف ظاهر حاضر، ودعوى عارضة. وقال: إذا مكثت الأنوار في السر نطقت الجوارح بالبر.

وقال: لا ينكر الكرامات إلا ذوو القلوب المحجوبة عن الله، فإن الكرامة إنما هي صنع الحق.

وقال: الولي أبداً في ستر حاله، والكون ناطق بولايته، ومدعي الولاية ناطق بولايته، والكون كله يكذبه.

وقال: الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله، وما وصل العبد لمقام إلا وهو محترم لأهل ذلك المقام، إذ الإخلال بواجب حقهم يطرده عن حضرتهم.

وقال: لا يسمى عالماً إلا من لم يتعد حدود الله مرة في عمره.

(1) الحلية: 233/10.

(2) صفة الصفوة: 167/4.

(3) الرسالة القشيرية: 138/1.

(4) ذكره الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف مع من صنف في المعاملات: صفحة 12، تصحيح أرثر جون أربري، مكتبة الخانجي، 1932م - 1352هـ.

وقال: ما استصغرت أحداً من المسلمين إلا وجدت نقصاً في معرفتي وإيماني .

وقال: ما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل ، وأكلهم الشهوات وارتكابهم الرخص والتأويلات .

وقال: رأس مالك قلبك ووقتك ، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون ، وضيعت أوقاتك بشغلك بما لا يعينك ، فمتى يريح من خسر رأس ماله؟

وقال: أقرب القلوب إلى الله قلب رضي بصحبة الفقراء وأثر الباقي على الفاني ، وشهد سوابق القضاء مع اليأس من الأفعال .

وقال: القناعة رضا النفس بما قسم لها .

وقال: الفتوة أن تكون خصماً لربك على نفسك .

وقال: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمه ، وخضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه .

وقال: ذكر الله يرطب القلب ويلينه ، فإذا خلا عن ذكر الله أصابته حرارة النفس ، ونار الشهوات ، فقسا ويبس ، وامتنعت الأعضاء من الطاعة ، فإذا مددتها تكسرت كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للقطع ، وتصير وقود النار .

وقال: نور المعرفة في القلب وإشراقه في عين الفؤاد في الصدر ، فبذكر الله يرطب القلب ويلين ، وبذكر الشهوات واللذات يقسو ويبس .

وقال: ما من نور في القلب إلا ومعه رحمة من الله بقدر ذلك ، فهذا أصل ، والعبد مادام في الذكر فالرحمة دائمة عليه كالمطر ، فإذا غفل قحط .

وقال: ليس في الدنيا حمل أثقل من البر ، فإن من برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك .

وقال: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعوت الربوبية أجهل .

وقال: رأيت رب العزة في المنام ألف مرة أسأله خاتمة الخير ، فقال لي : قل :

أربعين مرة - وفي رواية إحدى وأربعين مرة - يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا الله، يا الله، يا الله.

وقال: الدنيا عروس الملوك، ومرآة الزهاد⁽¹⁾.

ومن كراماته:

أنه لما قام عليه معاصروه، وكفروه، جمع كتبه كلها وألقاها في البحر، فالتقطتها سمكة وابتلعها، ثم لفظتها بعد سنين، وانتفع الناس بها. وقال الحافظ ابن حجر: مات في حدود العشرين وثلاث مئة.

الإمام إسحاق بن محمد النهرجوري*

هو الإمام أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري صاحب الجنيذ وغيره. مات بمكة، سنة ثلاثين وثلاث مئة.

ومن كلامه:

الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفر⁽²⁾ في المركب.

وقال: من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً، ومن كان غناه بالمال لم يزل

(1) تنمة الخبر في حلية الأولياء: 235/10: أما الملوك فتجملوا بها، وأما الزهاد فنظروا إلى آفتها فتركوها.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 24. وكذلك: حلية الأولياء 380/10 - 381، طبقات الصوفية: 378 - 381، الرسالة القشيرية: 27، المنتظم: 20/14، العبر: 221/2، الوافي بالوفيات: 8/423 - 424، مرآة الجنان: 2/398، البداية والنهاية: 11/203، النجوم الزاهرة: 3/275، سير أعلام النبلاء: 15/232، شذرات الذهب: 4/168، العقد الثمين: 3/182 - 183.

(2) ذكره السلمي في الطبقات: 380.

فقيراً، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل محروماً، ومن استعان على أمره بغير الله لم يزل مخذولاً⁽¹⁾.

وقال: المتوكل على الحقيقة من رفع مؤونته عن الخلق، وشكر من أعطاه، ولم يذم من منعه، لأنه يرى المنع والعطاء من الله.

وقال: رأيت رجلاً في الطواف بفرد عين (أي بعين واحدة).

يقول: أعوذ بك منك! فقلت: ما هذا الدعاء؟!

فقال: نظرت إلى شخص فاستحسنته، فإذا لطمة وقعت على بصري، فسالت عيني، فسمعت: لطمة بلطمة، ولو زدت لزدنا.

الإمام أحمد بن محمد الروذباري*

هو الإمام أبو علي أحمد بن محمد بن القاسم الروذباري البغدادي ثم المصري.

ذكره الخطيب في تاريخ بغداد فقال: هو من كبار الصوفية. سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف.

أصله بغدادي كان من أبناء الرؤساء وصار شيخ الصوفية ورئيسهم بها.

مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وقال السمعاني: سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة.

وروذبار يقال لمواضع عند الأنهار الكبار، وهذا الموضع عند طوس كما قال السمعاني وقال الطلحي: قرية من بغداد.

(1) ذكره السلمي في الطبقات: 379.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 13. وكذلك: طبقات الصوفية: 354 - 360، الرسالة القشيرية: 26، الأنساب: 266/ب، صفة الصفوة: 454/2 - 455، العبر: 195/2، دول الإسلام: 195/1، البداية: 180/11 - 181، النجوم الزاهرة: 3/248، حسن المحاضرة: 400/1 - 401، سير أعلام النبلاء: 535/14، حلية الأولياء: 381/10 - 382، المنتظم: 343/13 - 345، تاريخ بغداد: 347/1.

صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء وغيرهم. كان أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة، كبير الشأن.

ومن كلامه:

من الاغترار أن تسيء فيحسن إليك، فتترك الإنابة توهماً أنك تسامح في الهفوات، وترى أن ذلك من بسط الحق عليك.

وقال: لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد ما بقي محب إلا مات.

وأنشد:

نعمى تسر إذا رأتك وأختها تبكي لطول تباعد وفراق
فاحفظ لواحدة أوان سرورها وعد التي أبكيتها بتلاقي

وقال: قدم علينا فقير في يوم عيد، في هيئة رثة، قال: هل عندك مكان نظيف، يموت فيه فقير غريب؟ فقلت كالمتهاون به: ادخل ومت حيث شئت! فدخل فتوضأ وصلى ركعتين، ثم اضطجع ومات، فجهزته، فلما دفنته وكشفت عن وجهه لأضعه في التراب، ليرحم الله غربته، ففتح عينيه وقال: يا أبا علي! أتدللني بين يدي من يدللني؟!

فقلت: يا سيدي! أحياء بعد الموت؟! قال: نعم! أنا حي، وكل محب لله حي!، لأنصرك غداً بجاهي يا روذباري.

قالت فاطمة أخته⁽¹⁾: لما قربت وفاة أخي كانت رأسه في حجرى، ففتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول: يا أبا علي! قد بلغناك الرتبة القصوى، وإن لم تسألها، وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم تردها.

وأنشأ يقول:

(1) يسميها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة أخيها أحمد، فاطمة بنت أحمد. ويكنيها أم سلمة.

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورد من جناكا
ومن كلامه :

التصوف ينفي عن صاحبه البخل، وكَتَبُ الحديث ينفي عن صاحبه الجهل،
فإذا اجتمعا في شخص فناهيك به نبلاً. وأنشد لنفسه :

فما مل ساقبها وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يذهب اللبا
يدور بها طرف من السحر فاتر على جسم نور ضوءه يخطف القلب
يقول بلفظ يخجل الصب حسنه تجاوزت يا مشغوف في حالك الحبا
فسكرك من لحظي هو الوجد كله وصحوك من لفظي يبيع لك الشربا
وقال: أقبح من كل قبيح صوفي شحيح. وأنشد :

أشرت إلى الحبيب بلحظ طرفي فأعرض عن إجابتي المليح
فقلت أضع مذهبه المرجي ومزق ذلك العهد الصحيح
ألم نسمع بالأقبح إلا وأقبح منه صوفي شحيح
وقال: إن الخشوع في الصلاة علامة فلاح المصلي.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 23-1-2].

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: 30/41]
استقاموا بالرضا، على مر القضاء، والصبر على البلاء، والشكر في النعماء.

ومن أصحابه: أبو علي الحسن بن أحمد الكاتب⁽¹⁾، أحد مشايخ وقته، من
كبار أهل مصر. مات سنة نيف وأربعين وثلاث مئة⁽²⁾.

(1) انظر ترجمته في: حلية الأولياء: 385/10 - 386، المنتظم: 94-95، طبقات
الصوفية: 386-388، البداية والنهاية: 228/11.

(2) من كلامه: إذا انقطع العبد إلى الله تعالى بكلية، فأول ما يفيد الاستغناء به عن الناس.

الإمام إبراهيم بن محمد النصراباذي*

هو الإمام أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي نسبة إلى نصراباذ محلة من محال نيسابور هو شيخ نيسابور، والمحدث المؤرخ.

صحب الإمام الشبلي، وأبا علي الروذباري، والمرتعش، وغيرهم. وهو أستاذ أبي عبد الرحمن السلمي مات بمكة ودفن بقرب الفضيل سنة سبع وستين وثلاث مئة⁽¹⁾.

أخذ الحديث عن ابن خزيمة وابن أبي حاتم والطحاوي وغيرهم.

ومن كلامه:

مراعاة الأوقات من علامات التيقظ.

وقال: التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمت المشايخ، والملازمة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

وقال: المحبة مجانبة السلو على كل حال.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: وقع قحط، فخرج الناس للاستسقاء، فلما ارتفع النهار جاء غبار وريح وظلمة، لا يستطيع أن يرى أحد أحداً، من شدة الغبار ونحن

= وقال: صحبة الفساق داء، والدواء مفارقتهم.

وقال: إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

في (العقد الثمين) أنه توفي في سنة تسع وستين وثلاث مئة.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 6. وكذلك: المنتظم: 98/13. انظر

ترجمته في: سير أعلام النبلاء: 263/16، طبقات الصوفية: 484 - 488، تاريخ بغداد:

168/6، الرسالة القشيرية: 30، المنتظم: 256/14، اللباب: 310/3 - 311، دول

الإسلام: 227/1، العبر: 343/2، الوافي بالوفيات: 117/6 - 118، العقد الثمين:

237/3 - 239، النجوم الزاهرة: 129/4، طبقات الشعراني: 144/1، نتائج الأفكار

القدسية: 13/2 - 15، شذرات الذهب: 263/16.

(1) في (العقد الثمين) أنه توفي في سنة تسع وستين وثلاث مئة.

مع الأستاذ أبي القاسم، فقال: جئنا بأبدان مظلمة، وقلوب غافلة، ودعونا بلسان مثل الريح، فنحن نكيل ريحاً ويكتال علينا ريح.

فلما كان الغد خرج وكان فقيراً، لكن له وجاهة عند الناس فطلب من أغنيائهم، فاشتري بقرة، وكثيراً من لحم الغنم، وأرزاً، وآلات حلوى، ونادى:

من أراد من ذلك فليحضر عند المصلى. فحضروا وأكلوا وحملوا ماءً فمطروا بعد العصر مطراً كثيراً، وركن إلى المسجد حتى الصباح، وكان يترنم:

خرجوا للاستسقا فقلت لهم دمعني ينوب لكم عن الأنواء
قالوا: صدقت! ففي دموعك مقنع لو لم تكن ممزوجة بدماء

وقال: حج الإمام سنة ست وستين وثلاث مئة. فكان يقصد سماع الحديث والأخذ عن المشائخ والعلماء، فلما دخل بغداد جاء إلى القطيعي، فرد على قارئه مرة ثم أخرى. فقال له: إن كنت تحسن القراءة فقم فاقراً، فأخذ الجزء منه، وقرأ قراءة تحير منها القوم، قرؤوا في مجلس واحد قدر قراءة خمسة أيام.

وكان لا يفارقه المحبرة والمقلمة والبياض فليل له في ذلك.

فقال: ربما سمعت شيئاً من حمال أو غيره حكمة، فأثبتته.

ولما دخل إلى مكة نظر إلى المقبرة، فقال: طوبى لمن كان قبره بها وأمرني بالرجوع لوالدي فمرض ومات رحمه الله.

صفحة بيضاء

رقم 152

القرن الخامس

سيدنا أبو علي الدَّقَّاق*

هو سيدنا أبو علي الدَّقَّاق المغربي المراكشي، كان عظيم الشأن، صحب الشيخ الكبير أبا محمد صالح، من أصحاب الأستاذ أبي مدين، ودخل الشام، وصحب فيها الشيخ أبا محمد الأزهري، والعارف محمد العجمي، وأراه آيات عظام، وحكايات تضيق عنها العقول والأفهام.

فمن حكاياته عنه قال: أدخلني العجمي ثلاث مئة وستين عالماً غير عالم السماء والأرض. وقال: كان للعجمي أصحاب كلهم أرباب كرامات وعلوم. وقد أخبر عنه فقال: وصل بي إلى جبل قاف، وأراني الحيَّة الدائرة به، خضراء، ورأسها على ذنبها.

وقال: كان إذا مشى بي إلى أمر خارق أغيب عن حسي، فخرج يوماً من دمشق، ونحن صحبتته، حتى وصلنا طبرية وقفنا على قبر.

فقلت: يا سيدي، هذا قبر سليمان؟ فقال: كذا يقال، ثم مشى وأنا خلفه، فأشرف على بناء مهول، وإذا بقوم تلقَّوه، وسلَّموا عليه، وتبرَّكوا به ثمَّ مشوا أمامه، فوجدت منهم وحشةً.

فقال لي الشيخ: يا علي، احفظ نفسك، واشتغل بي، ولا تشتغل بمن تراه، فهؤلاء جن، نحن قادمون على سليمان بن داود عليهما أفضل الصلاة والسلام، نبي الله، فلما وصلنا للبنيان تلقَّته طائفة أخرى، وأدخلوه قصرًا عظيمًا، وأنا خلفه، وإذا في صدره رجل قائم، عليه هيئة عظيمة ونور، ويده عصا.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 4/ 121 (50). الكواكب السيرة: 317.

فقال: هذا سليمان عليه الصلاة والسلام، وقبل يده، وفي أصبعه الخاتم، ثم قدّم له الجن طعاماً، فأكلنا، ثم أطلعوه على ذخائر سليمان عليه الصلاة والسلام ثم دخل مغارةً فيها دوي مزعج، ورائحة منكّرة، فقالوا له: هذا سجن ابن إبليس، سجنه فيه سليمان عليه الصلاة والسلام، ثم أجلسونا على سرير، فطار في الهواء، حتى وصلنا إلى دمشق.

قال الشيخ أبو علي: وكان العجمي إذا كان في سياحة لا يطول له ظفر ولا شعر، ولا يحدث، فإذا دخل على بلد جرى عليه ما يجري على غيره.

وحكى عن شيخه العجمي أيضاً أنّه دخل بغداد على الشيخ عمر البزار، فوجد رجلاً قائماً في مجلسه عند الباب يعدل أوطية الجالسين، فقال العجمي للبزار: تعرف هذا القائم؟ قال: نعم، هو الخضر... انتهى.

الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري* (377هـ - 465هـ)

هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري صاحب الرسالة والتفسير وغيرهما، الجامع بين الشريعة والحقيقة. ولد سنة سبع وسبعين وثلاث مئة.

صحب أبا علي الدقاق، وغيره. وأصله من أستواي، من العرب الذين قدموا خراسان. توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه.

حضر إلى نيسابور ليتعلم الحساب لأجل قريته، فاتفق حضوره مجلس الدقاق،

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 57. وكذلك: المنتظم: 148/16، تاريخ بغداد: 83/11، الكامل: 402/8، البداية والنهاية: 107/12، طبقات السبكي: 243/3 - 248، وفيات الأعيان: 299/1، مفتاح السعادة: 438/1، 186/2، تاريخ نيسابور: ترجمة 1104، الأنساب: 156/10، تبين كذب المفتري: 271-276، إنباه الرواة: 2/193، وفيات الأعيان: 205/3، العبر: 259/3، مسالك الأبصار: 89/1/5، مرآة الجنان: 91/3، طبقات الإسنوي، 313/2، النجوم الزاهرة، 91/5، درر الأبقار، 111، روضات الجنات، 444، مقدمة الرسالة القشيرية للدكتور عبد الحليم محمود.

فأعجبه كلامه، ووقع في قلبه، فرجع عن ذلك العزم، وسلك طريق الإرادة فقبله الدقاق، وأقبل عليه، وتفرس فيه فجذبه.

أخذ الفقه فأتقنه، ثم الأصول، على ابن فورك، والأستاذ أبي إسحاق، وجمع بين طريقتيهما. ونظر في كتب ابن الباقلاني⁽¹⁾.

وزوجه الدقاق ابنته مع كثرة أقاربها. وحج في رفقة فيها الجويني، والد الإمام، والبيهقي وغيرهما.

وسمع ببغداد والحجاز، وكانت له فراسة، وفروسية. وأما مجلس التذكير فهو إمامه.

عقد له مجلس الوعظ ببغداد، فروى في أول مجلس منه الحديث المشهور:

"السَّفرُ قطعةٌ من العَذاب"⁽²⁾. الحديث، فقام شخص فقال: لم سمي عذاباً؟

فقال: أنه سبب فرقة الأحباب! فاضطرب الناس وتواجدوا، وما أمكنه أن يتم المجلس، فنزل.

ومن إنشاداته:

ألا حي بالدمع أطلالها وعرج لتعرف أحوالها

مات سنة 465، ودفن بجانب أستاذه الدقاق بمشهدهم.

الحسن بن بشرى الجوهري*

(القرن الخامس)

هو صوفي طار بالمجد طائره، ورجع تالياً سورة الحمد قاصده وزائره،
أضاءت آفاق قطره بأنواره، وفاح من روض سيرته عطر نواره.

(1) هو: محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني، المتوفى سنة ثلاث وأربع مئة.

(2) حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

* تحفة الأحباب: (الحسين): 261، الكواكب السيارة: 136 (الحسين)، جامع كرامات الأولياء: 390/1، وفي المطبوع الحسن بن بشر.

وكان ذا مكاشفات وأحوال عاليات، منها :

أن صاحبه الأبياري بات ليلة في القرافة، فحدث نفسه بأن فلاناً يصلي مئة ركعة وفلاناً أكثر، فلم لا تكون كهؤلاء؟ ثم بات يصلي الليل كله، ثم دخل عليه لمّا أصبح، فلما وقع بصره عليه تبسّم، وقال: ليس الشأن في كثرة العدد، وإنما الشأن في الإتيان، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7/11] وما قال أكثر.

وخرج مع أصحابه يصلون على جنازة، فجلسوا في غرفة ينتظرونها.

فقال: قوموا بنا، فخرجوا، فسقطت الغرفة دفعة واحدة.

وأناه رجل ملهوف فقال: أنا كاتب، وضاع مني دفتر الحساب، وأنا عند أمير جائر وقد دلوني عليك.

فقال: اذهب اشتر بدرهم حلاوة وإيتني بها، فمضى واشترى الحلاوة، فأخذ الحلوي ورقة يضع فيها الحلاوة، فإذا هي من دفتره.

فقال له: من أين لك هذا؟

قال: اشتريته الساعة، فأخذه منه، وأتى به الشيخ.

فقال له: كل حلاوتك، فلا حاجة لنا بها⁽¹⁾.

وفضائله كثيرة.

مات في أواخر القرن الخامس ودفن بالقرافة عند قبر أبيه رحمته.

(1) رويت مثل هذه القصة عن الشيخ أبي العباس الدمنهوري. انظر روض الرياحين: 501 (حكاية 462).

القرن السادس

الإمام محمد بن محمد الغزالي* (450هـ - 505هـ)

هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي قدس الله تعالى سره، كنيته أبو حامد، ولقبه زين الدين، وانتسابه في التصوف للشيخ أبي علي الفارمذي.

قال حجة الإسلام: لقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي، قدس الله روحه، عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله سره، أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك، وهو بعد في السلوك غير واصل.

* انظر نفحات الأنس من حضرات القدس للملا نور الدين الجامي، وتبيين كذب المفتري: 291، المنتظم: 168/9، معجم البلدان: 531/3، اللباب: 379/2، الكامل: 10/491، طبقات ابن الصلاح: 249/1، وفيات الأعيان: 216/4، المختصر في أخبار البشر: 237/2، سير أعلام النبلاء: 322/19، العبر: 10/4، دول الإسلام: 24/2، المستفاد من تاريخ بغداد: 37، مرآة الزمان: 25/8، مرآة الجنان: 177/3، الوافي بالوفيات: 274/1، طبقات السبكي: 191/6، طبقات الإسنوي: 242/2، البداية والنهاية: 173/12، طبقات الأولياء: 103، وفيات ابن منقذ: 266، النجوم الزاهرة: 5/203، الأنس الجليل: 265/1، مفتاح السعادة: 332/2، 336، 341، 343، 347، 350، 560، 562، طبقات ابن هداية: 192، كشف الظنون: 12، 23، 24، 36، 82، 97... الكواكب الدرية: 291/2، شذرات الذهب: 10/4، هدية العارفين: 79/2، وانظر إلى كتاب: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي، والحقيقة عند الغزالي للدكتور سليمان دينا، والأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك، والغزالي لأحمد فريد وجدي، والغزالي لمحمد البهي.

وكان في بداية الحال في طوس ونيسابور، مشغلاً بتحصيل العلوم، وتكميلها، وبعدها اجتمع بنظام الملك، وحصل له قبول تام، فمن كان في صحبة نظام الملك من العلماء والفضلاء، باحثوه وناظروه، فغلب عليهم، ففوضوا إليه تدريس النظامية ببغداد، فذهب إلى بغداد في سنة أربع وثمانين وأربع مئة، فجميع أهل العراق صاروا محبين له، وابتلوا بحبه، فحصل له جاه وقدر رفيع، ثم ترك ذلك كله بالاختيار، واختار طريق الزهد، والانقطاع عن الخلق، فعزم على الحج في سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، وبعد الحج رحل إلى الشام، وأقام بها مدة مديدة، وذهب إلى بيت المقدس، ثم مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ثم رجع إلى الشام، وأقام بها ما شاء الله، ثم رجع إلى الوطن، وكان مشغولاً بحاله عن الخلائق.

وصنف كتباً مفيدةً مثل (إحياء العلوم) و(جواهر القرآن)⁽¹⁾ و(تفسير ياقوت التأويل) أربعون مجلداً، و(مشكاة الأنوار) وغيرها من الكتب المشهورة.

ثم رجع إلى نيسابور، ودرس في نظامية بغداد، وبعد مدة رجع إلى الوطن، فبنى خانقاه للصوفية، ومدرسة لطلبة العلم، وقسم الأوقات على وظائف الخير، من ختم القرآن، وصحبة أرباب القلوب، وتدريس العلوم، حتى قبض في رابع جمادى الآخر سنة خمس وخمس مئة.

قال الشيخ الإمام أبو الفتح عامر بن نحام الساوي: كنت يوماً في المسجد الحرام، بعد الظهر قبل العصر فأخذني وجد وحال الفقراء حتى تعبت لا أقدر أن أقف ولا أقدر أن أجلس فطلبت مكاناً حتى أستريح ساعة، فدخلت بيتاً من بيوت رباط الحرم، فرقدت على جنبتي الأيمن بمواجهة البيت وحططت اليد تحت أسطوانة، حتى لا يجيء النوم، ولا ينتقض الوضوء فدخل واحد من المبتدعين، كان مشهوراً بالبدعة ففرش السجادة بذلك البيت، وأخرج من جيبه لوحاً، وحسبت أنه كان من حجر، وكان عليه شيء مكتوب، فقبله ووضعه على مسجده، وطول الصلاة يتضرع ويمسح الخدين عليه، ووضعه على عينه، وقبله ووضعه في جيبه فلما رأيته كرهت فعله، فجاء في خاطري: يا ليت رسول الله ﷺ كان حياً، حتى

(1) جواهر القرآن ودرره: طبع أكثر من مرة، والكتاب بيان لسر القرآن، وشرح لمقاصده، ولعلوم القرآن، وفي تفضيل بعض آي القرآن على بعض.

يخبر هذا المبتدع عن شناعته، وبت متفكراً فيه، فغبت عن الحس فرأيت بين النوم واليقظة فضاءً واسعاً وناساً كثيراً واقفين، وفي يد كل واحد كتاب مجلد، وهم يدخلون على واحد فسألت عن حالهم قالوا: ﷺ هناك جالس، وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرأوا العقائد والمذاهب، حتى يحققوا مذاهبهم واعتقادهم، فدخل واحد قالوا: هو الشافعي ﷺ. وفي يده كتاب، فدخل وسلم على رسول الله ﷺ فرد جوابه وقال: مرحباً. فجلس الشافعي عنده وقرأ كتابه الذي كان عنده في الاعتقاد والمذاهب فدخل رجل آخر، وقالوا: هو أبو حنيفة ﷺ.

وكان في يده كتاب وجلس عند الشافعي وقرأ من ذلك الكتاب الاعتقاد والمذهب، هكذا يجيء أصحاب المذاهب واحد بعد واحد حتى ما بقي أحد فرأيت واحداً من الروافض دخل وفي يده كتاب غير مجلد فيه اعتقاداتهم الباطلة، وأراد أن يدخل في وسط حلقتهم يقرأ عند رسول الله ﷺ فخرج واحد من تلك الحلقة، ومنعه وأخذ كراريسه من يده، ورمى بها، وأهانته، فلما رأيتهم فرغوا وما بقي أحد أقبلت وفي يدي كتاب مجلد فصحت وقلت: يا رسول الله هذا الكتاب في اعتقادي، واعتقاد أهل الإسلام فإن كان إذنكم يا رسول الله أقرأ. قال ﷺ: ما الكتاب؟ قلت: (قواعد العقائد)⁽¹⁾ من مصنفات الغزالي.

فأذن لي بقراءته، فجلست وابتدأت القراءة من أولها، إلى المحل الذي قال الغزالي: إن الله بعث النبي الأمي القرشي محمداً ﷺ إلى كافة العرب والعجم، والجن والإنس.

فلما قرأته ظهر على وجه النبي ﷺ أثر السرور والبشر، فلما قرأت نعتة وصفته، التفت إلي وقال: أين الغزالي؟ وكان الغزالي واقفاً، قال: أنا الغزالي، يا رسول الله.

وجاء وسلم عليه، فرد النبي ﷺ جواب سلامه، وقبل يده ومسح بها وجهه، وجلس عند رسول الله ﷺ فما استبشر بقراءة أحد إلا بقراءتي (قواعد العقائد) فلما انتهت من النوم، وجدت أثر البكاء على عيني من مشاهدة الكرامات.

(1) قواعد العقائد، ويسمى أيضاً: الرسالة القدسية في قواعد العقائد، والتسمية الثانية تشير إلى أنه ألف في القدس. والكتاب قسم من كتاب الإحياء.

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره قطب زمانه أخبر أنه رأى في الواقعة النبي ﷺ يتفاخر بالغزالي ﷺ مع سيدنا موسى وعيسى صلوات الله عليهما .

وأمر النبي ﷺ الغزالي بتعزيز بعض المنكرين⁽¹⁾.

ومن كلامه ﷺ:

في مكتوب كتبه إلى بعض أصدقائه: إن الروح موجود ويرى أنه ليس بموجود فلا يدركه أحد، وهو في البدن سلطان قاهر ومتصرف والبدن أسيره ومحكوم، ولا ينظر إلا البدن والبدن غافل ساه عنه، ونسبة كل العوالم مع القيوم هكذا فإن قيوم العالم موجود متصرف لا يرى ولا يتحرك شيء إلا منه ولا يعزب مثقال ذرة عنه وليس لذرات العالم وجود إلا به، وهو قائم بنفسه والعالم قائم به، وبالضرورة يكون معه حقيقة الوجود له والقيومية والوجودية لغيره بسبيل العارية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: 4/57] ولكن الخلق لا تعرف المعية، إلا معية الجسم بالجسم، أو معية العَرَض بالعَرَض، أو معية العَرَض بالجسم وهذه المعية بالنسبة إلى الله تعالى محال، ومعية الحق نوع رابع بل حقيقة المعية هذه وهذه أيضاً موجود ليس بمركبي ومن لم يعرف هذه المعية ويطلب القيوم لا يجده.

وأيضاً عنه: إذا جاء الإعصار في هواء صاف وارتفع من الأرض وصار مثل المنارة مستطيلاً يعصر نفسه، والرائي يحسب هذا الإعصار من الغبرة، وليس هكذا بل في كل ذرة هواء محرك، ولا يرى ولا يدرك الهواء، أما الغبار والتراب فيرى فليس للغبار حركة ووجود ويرى أنه موجود والهواء موجود ليس بمركبي والتراب مجبور الهواء والسلطنة والتصرف للهواء لا للتراب.

(1) أخرج الياضي في نشر المحاسن الغالية: 222: أن الشيخ ابن حرازهم خرج على أصحابه ومعه كتاب، فقال: أتعرفونه؟ قالوا: هذا (الإحياء) وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهى عن قراءة (الإحياء) فكشف لهم المذكور عن جسمه، فإذا هو مضروب بالسياط، وقال: أتاني الغزالي في النوم، ودعاني إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفنا بين يديه، قال: يا رسول الله، هذا يزعم أنني أقول عليك ما لم تقل فأمر بضربي، فضربت.

الإمام عبد الرحيم القشيري* (434هـ - 514هـ)

هو الإمام عبد الرحيم بن عبد الكريم أبو نصر، أو أبو منصور ابن الأستاذ أبي القاسم القشيري الإمام العلم، بحر مغدق زخار، وحبر هو في زمانه رأس الأحبار إذا قيل كعب الأحبار، وضرغام تقدم وإمام تقتدي به الهداة وتأتّم، نما من تلك الأصول الطاهرة غصنه المورق، وسما على الأنجم الزاهرة بدره المشرق، ويتوب العاصي بمجرد سماع لفظه. كم من فاسق تاب في مجلسه ودخل في الطاعة! وكم من كافر آب إلى الحق ساعة وعظه وآمن في الساعة، بمن بعث بين يدي الساعة!

لو استمع له الصخر لانفلق، ولو فهم كلامه الوحش لاستحسنه وقال صدق، يصدع القلب القاسي خطابه، يكاد يجمع عظام ذوي الغفلة النخرة عتابه، ويشتت شمل الشياطين ما يقول، ويقتت الأكباد ما يجمعه من الحق المقبول.

هو الرابع من أولاد الأستاذ، وأكثرهم علماً، وأشهرهم اسماً.

تخرج على (إمام الحرمين) أبي المعالي الجويني وعلى والده، والشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

وسمع: الصابوني، والبيهقي، وحدث بالكثير.

* انظر: طبقات الصوفية للمناوي: 2/ 248 (422). وكذلك: الأنساب: 10/ 156، تبين كذب المفتري: 308، المنتظم: 9/ 220، والكامل: 10/ 587، وفيات الأعيان: 3/ 207، سير أعلام النبلاء: 19/ 424، العبر: 4/ 33، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: 158، فوات الوفيات: 2/ 310، مرآة الجنان: 3/ 210، طبقات السبكي: 7/ 159، طبقات اللأسنوي: 2/ 302، الوافي بالوفيات: 18/ 332، البداية والنهاية: 12/ 187، طبقات المفسرين للسيوطي: 18، طبقات المفسرين للدواودي: 1/ 291، طبقات ابن هداية الله: 73، شذرات الذهب: 4/ 45، إيضاح المكنون: 2/ 606، هدية العارفين: 1/ 559.

وقد ذكره صاحب (السياق)⁽¹⁾ أفصح المؤرخين على الإطلاق، عبد الغفار الفارسي فقال: إمام الأئمة، وحبر الأمة، وبحر العلوم، وصدر القوم، وهو أشبه أولاد أبيه خلقاً به، كأنه شق منه شقاً، رباه والده، وحصل أنواعاً من العلوم الدقيقة، وحكماً جمّة من علوم الحقيقة.

ولما مات أبوه انتقل إلى إمام الحرمين، ثم صار رأساً كبيراً يقتدى به، وأطبق أهل العراق على أنهم لم يروا مثله في تبحره، عديم النظر، فريد الوقت، بقية أكابر الدنيا على الإطلاق، ومن أعظم مناقبه أن شيخه إمام الحرمين نقل عنه في كتاب الوصية من (النهاية)⁽²⁾.

وقيل إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت، وكان يحب العزلة والانزواء وبالجملّة فقد كان معظماً جداً حتى عند مشايخه، وقد أطنب شيخه صاحب (التنبيه) في الثناء عليه.

ومن كلامه:

قال والدي: ليكن لك في اليوم والليلة ساعة تحضر فيها بقلبك، وتخلو بربك، وتقول: تدارك قلبي ببسيطة⁽³⁾ من إقبالك وبذرة من أفضالك.

ومن كراماته:

أنه اعتقل لسانه من آخر عمره إلا للذكر خاصة.

مات رحمته الله سنة 514 هـ وهو في عمر الثمانين.

(1) كتاب السياق في ذيل نيسابور لعبد الغافر بن إسماعيل، أبي الحسن الفارسي سبط أبي القاسم القشيري. توفي بنيسابور سنة 529 هـ. انظر هدية العارفين: 1/ 587.

(2) هو كتاب: نهاية المطلب في دراية المذهب. هدية العارفين: 1/ 626.

(3) في طبقات السبكي: بشطية.

الإمام أبو الفتح الغزالي الطوسي* (...هـ - 520هـ)

هو الإمام أحمد بن محمد، أبو الفتح الغزالي الطوسي -أخو الغزالي حجة الإسلام أبي حامد- من كبار الوعاظ السادات، صاحب كرامات وإشارات. طاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه. وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة. مات بقزوين سنة عشرين وخمس مئة.

ومن كلامه:

من كان في الله تلفه كان على الله خلفه.

وقال في قوله سبحانه في الحديث القدسي: كذب من ادعى محبتي فإذا جنة الليل نام عني: لا تظن أن كل نوم حرام. الحرام نومك، لأنه غفلة في غفلة، إذ كان نومهم عن غلبة. فهم ما داموا أحياء يراقبونه، فإذا ناموا راقبهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1/4].

وكان لأخيه الإمام أبي حامد، كتاب قلما يفارقه، ولا يمكن أحداً من مطالعته، فأوصى عند وفاته أن يحمل إلى أخيه أحمد، ولا يبذل لأحد، ثم أمر بغسله وعدم إرساله إليه.

وكان يقول: أما الوعظ فلست أرى نفسي له أهلاً، لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاض، ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة؟! وهل يستقيم الظل والعود أعوج؟!.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملحق: 23. وكذلك: المنتظم: 237/17 - 240، البداية والنهاية: 12/196، وفيه: (أبو الفتح الطوسي)، الكامل: 9/240.

الإمام أحمد بن أبي الحسن علي الرفاعي* (500هـ - 578هـ)

هو الشريف النسب أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن يحيى بن حازم بن علي بن ثابت بن علي بن الحسن الأصغر بن المهدي بن محمد بن الحسن، بن يحيى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الشهيد الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وطريقه في الصحبة صحب خاله الشيخ منصوراً، وهو صحب الشيخ علياً القارئ الواسطي، وهو صحب الشيخ أبا الفضل بن كامخ، وهو صحب الشيخ علي بن تركان، وهو صحب الشيخ أبا علي الروذباري، وهو صحب الشيخ علياً العجمي، وهو صحب الشيخ أبا بكر الشبلي، وهو صحب الشيخ أبا القاسم الجنيد... وبقيّة السند معروف.

هو أستاذ الطائفة المشهورة، كان من حقه التقديم، فإنه أوحّد وقته حالاً وصلاً. وكان فقيهاً شافعيّاً.

أصله من المغرب، وسكن البطائح، بقرية يقال لها: أم عبيدة بفتح العين وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه.

وسمي بالرفاعي، نسبة إلى رفاعه من المغرب. والبطائح قرى مجتمعة في وسط الماء، بين واسط والبصرة، مشهورة بالعراق.

* انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن: 22. وكذلك: الكامل لابن الأثير: 11/200، مرآة الزمان: 8/370، وفيات الأعيان: 1/171، العبر: 4/233، تاريخ الإسلام: الورقة 72 (أحمد الثالث 14/2917)، الوافي: 7/219، طبقات السبكي: 6/23، البداية والنهاية: 12/312، عقد الجمان: 16/الورقة 651، شذرات الذهب: 4/259، سير أعلام النبلاء: 21/77.

ومن كلامه:

من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، والأنس بالخلق انقطاع عن الحق،
والأدب سنة الفقراء وورثة الأغنياء.

وسئل : لماذا تحجب إجابة الدعوة؟ فقال : لقلة الحلال!

وسئل عن الفتوة، فقال : هي الصفح عن عثرات الإخوان، وألا ترى لنفسك
فضلاً على غيرك.

وسئل عن التصوف فقال للسائل : تسألنا عن تصوفنا أو تصوفكم؟ فقال :
يا سيدي! كانت مسألة فصارت اثنتين، اشرحهما لي! فقال : أما تصوفكم أنتم فهو
أن تصفي أسرارك، وتطيب أخبارك، وتطيع جبارك، وتقوم ليلك وتصوم نهارك.
وأما تصوف القوم، فكما قيل :

ليس التصوف بالخرق من قال هذا قد مرق
إن التصوف يا فتى حرق يمازجها قلق
وكان يعظ الناس بكرة يوم الخميس، وما بين الظهر والعصر من نفس اليوم.
وكان يسمع صوته البعيد منه في المجلس كالقريب. ويحضر مجلسه الأصم الذي
لا يسمع، فيفتح الله سمعه بكلامه حتى ينتفع بما يقول.
وكان كثيراً ما ينشد هذا الشعر :

والله لو علمت روعي بما نطقتم قامت على رأسها فضلاً عن القدم
قيل : إنه أقسم على أصحابه إن كان فيه عيب أن ينبهوه عليه، فقال الشيخ عمر
الفاروقي : يا سيدي! أنا أعلم فيك عيباً! قال : وما هو؟ قال : يا سيدي! عيبك أننا
من أصحابك. فبكى الشيخ والفقراء وقال : أي عمر! إن سلم المركب حمل من فيه!
وتوضاً يوماً، فوقعت عليه بعوضة، فوقف لها حتى طارت.

وقال: أقرب الطرق الانكسار، والذل والافتقار، وتعظيم حرمان الله،
والشفقة على خلق الله، وأن يقتدى بسنة رسول الله ﷺ.

ولأتباعه أحوال عجيبة: من أكل الحيات بالحياة، والنزول إلى النار فيطفئونها، ويركبون الأسد، ونحوه.

ولهم مواسم يحضرها من لا يحصى، يقومون بكفاية الكل، ولم تكن لغيرهم وإنما الولاية لهم. وأولادهم يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن. وله شعر حسن، ومنه:

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يُمطرُ الهم والأسى وتحتي بحار للهوى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول، ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيطلق
وأحضر بين يديه طبق تمر، فبقي ينفي لنفسه الحشف يأكله، ويقول: أنا أحق
بالدون، فإني مثله دون.

وكان لا يجمع بين لبس قميصين، ويأكل بعد يومين أو ثلاثة أكلة.
وجاء عنه أنه قال: الفقير المتمكن، إذا سأل حاجة وقضيت له، أنقص تمكنه
درجة.

وكان لا يقوم للرؤساء، ويقول: النظر إلى وجوههم يقسي القلب. ولما مرض
مرض الوفاة، قال له بعض أصحابه: أوصنا! فقال: من عمل خيراً قدم عليه، ومن
عمل شراً ندم عليه.

وكان مرضه بالإسهال، دام عليه أكثر من شهر، وكان يعاوده في اليوم والليلة
أكثر من ثلاثين مرة، وهو عقب كل مرة يسبغ الوضوء ويصلي.
وأخبر أن الرب تعالى وعده ألا يعبر وعليه شيء من لحم الدنيا، ففني لحمه
بأجمعه قبل خروجه من الدنيا.

ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس، ثاني عشرة شهر جمادى
الأولى سنة ثمانين وسبعين وخمس مئة، وعمره ثمانية وسبعون، بأم عبيدة.

وقال الشطنوفي في كتابه مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني : إنه ناهز الثمانين .

قال : وهو القائل : الشيخ من يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء !

ودخل عليه شخص ، وكان على جبهته مكتوب سطر الشقاوة ، فمحي ببركته .

وهو القائل ، وقد سئل عن وصف الرجل المتمكن ، قال : هو الذي لو نصب له سنسان على أعلى شاهق في الأرض ، وهبت الرياح اليمانية ما حركت منه شعرة واحدة .

وقعد مرة على الشط ، وقال : أشتهي أن آكل سمكاً مشوياً ! فلم يتم كلامه حتى امتلأ الشط سمكاً .

ورؤي ذلك اليوم منه في الشط ما لا يرى مثله ، فقال : إن هذه الأسماك تسألني بحق الله أن آكل منها ! فأكل القوم ، وبقي في الطواجن رؤوس وأذنان وقطع .

فقال له رجل : ما صفة الرجل المتمكن ؟

فقال : أن يعطى التصريف العام في جميع الخلائق وعلامته أن يقول لبقايا هذه الأسماك : قومي فاسعي ! فتقوم فتسعى . ثم أشار الشيخ إليها ، فكان كما ذكر . ورآه ابن أخته عبد الرحيم أبو الفرج ، ورجل قد نزل عليه ، فقال له : مرحباً بوتد المشرق !

فقال له : إن لي عشرين يوماً لم آكل ولم أشرب ! وأريد أن آمر هذا الإوز الذي في السماء ، فتنزل واحدة مشوية ! ففعل ، فنزلت كذلك ، ثم أخذ حجرين من جانبه فصارا رغيفين ، ثم مد يده إلى الهواء فأخذ كوز ماء ، فأكل ذلك وشرب ثم قال الشيخ لتلك العظام : اذهبي باسم الله ! فذهبت سوية وطارت .

وقال قبل موته : أنا شيخ من لا شيخ له ، أنا شيخ المنقطعين .

وما تصدر في مجلس ، ولا جلس على سجادة قط ، وقال : أمرت بالسكوت ! وكان لا يتكلم إلا قليلاً .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد البطائحي : انحدرت في أيام سيدي عبد القادر إلى أم عبيدة ، فقال لي الشيخ أحمد : اذكر لي شيئاً من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته . فذكرت منها شيئاً ، فجاء رجل في أثناء حديثي .

فقال: مه! لا يذكر عندنا مناقب غير مناقب هذا! فنظر الشيخ إليه مغضباً، ورفع الرجل من بين يديه ميتاً.

ثم قال: ومن يستطيع وصف مناقبه؟! ومن يبلغ مبلغه؟! ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اغترف! لا ثاني له في وقتنا هذا.

ووصى أولاد أخيه وأكابر أصحابه، وجاء رجل يودعه لأنه مسافر إلى بغداد، فقال: إذا دخلتم بغداد فلا تقدموا على زيارة الشيخ أحداً، حياً أو ميتاً فقد أخذ له العهد: أيما رجل من أصحاب الأحوال دخل بغداد فلم يزره سلب حاله، ولو قبيل الموت. الشيخ عبد القادر! حسرة من لم يره!

الإمام قطب الدين النيسابوري* (505هـ - 578هـ)

هو الإمام أبو المعالي مسعود بن محمد مسعود بن طاهر النيسابوري، الفقيه الشافعي، الملقب قطب الدين؛ تفقه على أبيه والإمام محمد بن يحيى النيسابوري صاحب الإمام الغزالي وصاحب (المحيط في شرح الوسيط) ت(548هـ)، وسمع الحديث من هبة الله بن سهل السيدي البسطامي ت(533هـ)، ورأى الأستاذ أبا نصر القشيري ت(514هـ)، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور.

وكان قد قرأ القرآن الكريم والأدب على والده، وقدم سنة (538هـ) بغداد ووعظ بها وتكلم في المسائل فأحسن وتزوج ابنة أبي الفتوح الإسفراييني، وقدم دمشق سنة (540هـ)، ووعظ بها وحصل له قبول، ودرس بالمدرسة المجاهدية ثم

* انظر وفيات الأعيان لابن خلكان: 718 ص 418، وسير أعلام النبلاء للذهبي، وترجمة النيسابوري الطريثي في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 309/4، ومرآة الزمان: 8/372، وعبر الذهبي: 235/4. وشذرات الذهب: 263/4، وطبقات الشافعي للأسنوي: 498/2، ومرآة الجنان: 413/3، والدارس في تاريخ المدارس: 83/1، والأعلام: 220/7.

بالزاوية الغربية من جامع دمشق بعد موت الفقيه أبي الفتح نصر الله المصيصي؛ وذكره الحافظ ابن عساكر في (تاريخ دمشق).

ثم خرج إلى حلب وتولى التدريس مدة بالمدرستين اللتين بناهما له نور الدين محمود وأسد الدين شيركوه، ثم مضى إلى همذان وتولى التدريس بها، ثم رجع إلى دمشق ودرس بالزاوية الغربية وحدث، وتفرد برياسة أصحاب الشافعي رحمته الله.

وكان عالماً صالحاً، وصنف كتاب (الهادي) في الفقه، وهو مختصر نافع لم يأت فيه إلا بالقول الذي عليه الفتوى، وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع ما يحتاج إليه في أمور دينه، وحفظها أولاده الصغار حتى تترسخ في أذهانهم من الصغر، قال بهاء الدين بُنْ شداد في سيرة السلطان⁽¹⁾: ورأيت -يعني السلطان- وهو يأخذها عليهم، وهم يقرؤونها بين يديه من حفظهم. وكان متواضعاً قليل التصنع، مطرحاً للتكليف.

وكانت ولادته سنة خمس وخمس مئة، في الثالث عشر من شهر رجب الفرد. وتوفي في آخر يوم من شهر رمضان المعظم، سنة ثمان وسبعين وخمس مئة بدمشق، وصلى عليه يوم العيد، وكان نهار الجمعة، ودفن بالمقبرة التي أنشأها جوار مقبرة الصوفية غربي دمشق، رحمه الله تعالى.

وقال بعض أصحابه: أنشدنا الشيخ قطب الدين لبعضهم:

يقولون إن الحب كالنار في الحشا ألا كذبوا فالنار تذكو وتخمد
وما هي إلا جذوة مس عودها ندى فهي لا تخبو ولا تنقد
والله تعالى أعلم بالصواب.

(1) سيرة صلاح الدين لابن شداد: 7.

السلطان صلاح الدين الأيوبي* (532هـ - 589هـ)

هو السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان الكردي . ولد عام 532هـ في قلعة تكريت ونشأ في الموصل وبعلي بك في كنف والده الذي كان أحد ضباط نور الدين زنكي العسكريين .

وخلال تلك الفترة كان صلاح الدين شاباً عادياً يكرس أوقاته في اللعب وركوب الخيل . واستمر في ذلك حتى خروجه مع عمه (أسد الدين شيركوه أكبر أمراء جيش نور الدين زنكي) في حملته إلى مصر حيث انضم إلى معسكر عقائدي يروج للإعداد الفكري والروحي والعسكري ، ولقد وصف صلاح الدين حالته النفسية عند بدء التحاقه بهذا المعسكر فقال : " كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختيارى " .

لقد تغيرت شخصية صلاح الدين بتأثير التوجه الإسلامي الذي تعرض له واتخذ موقعه في الحركة الإسلامية التي يقودها نور الدين . ويصف ابن شداد⁽¹⁾ هذا التحول في حياة صلاح الدين واستقراره على النهج الإسلامي بعد وفاة عمه أسد الدين وتولي صلاح الدين أمر مصر مكانه فيقول : " وفوض الأمر بعده إلى السلطان واستقرت القواعد واستتبت الأحوال فتأب وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما ازداد إلا جداً إلى أن توفاه الله⁽²⁾ كما قدم لنا ابن شداد بعض أسماء العلماء الذين أثروا في حياة صلاح الدين : تعلم صلاح الدين على يد كبار العلماء ومن أشهرهم قطب الدين النيسابوري ت(578هـ) الذي كتب عقيدة الإسلام له ولأولاده⁽³⁾ .

* انظر هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس للكيلا ني .

(1) القاضي بهاء الدين ابن شداد الذي عاصره واجتمع معه وعمل في التدريس وعرف أخباره وأرخ له في كتابه (سيرة صلاح الدين) .

(2) مصدر ابن شداد : 40 .

(3) ابن شداد : سير صلاح الدين ، 7 .

وقال الإمام السبكي أيضاً في التحول: "وكان صلاح الدين حين اتصل بخدمة نور الدين قد طلق اللذات"⁽¹⁾.

ويضيف السبكي أن صلاح الدين سمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، والشيخ قطب الدين النيسابوري، وعبد الله بن بري النحوي وجماعة آخرين.

وقد ذكر الكيلاني في كتابه (هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس) في صبح إدارة الدولة الزنكية الأيوبية بالصبغة الإسلامية:

القيادات الإدارية:

حيث إنّ المصادر التي أمدته أغلبية عناصرها تخرجت من مدارس الإصلاح (الصوفية) مع شيء من التوزيع والتخصيص العام إذ يلاحظ أن غالب القيادات الإدارية قد تخرجت من مدارس حران ودمشق التي مثلتها، مدرسة حياة بن قيس الحراني⁽²⁾. والمدرسة البيانية⁽³⁾.

أما القيادات السياسية والعسكرية:

فقد تخرج غالبيتها من منطقة الموصل وجبل هكار والأكراد. وقد شكل خريجو هذه المدارس من الأكراد الهكارية والروادية جمهرة أمراء الجيش وقيادة الفتح وجنوده، ويأتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي وهي من الأكراد الروادية، من بلدة (دوين) من أعمال أذربيجان والذين شكلوا فيما بعد أمراء جيش صلاح الدين وقادته. ومنهم (الأمير الكبير) سيف الدين المشطوب الهكاري.

(1) السبكي: طبقات الشافعية، 7، 341، 4، 327.

(2) الكيلاني في كتابه: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، 264.

(3) المصدر السابق: 262.

أما القيادات العلمية:

فقد كان أكثرها من مدارس الشرق كالمدرسة القادرية⁽¹⁾ والمدرسة السهروردية⁽²⁾ وفروعها.

قادة السلطان صلاح الدين المتخرجة من مدارس الإصلاح (الصوفية):

(1) الأمير ضياء الدين عيسى بن محمد الهكاري:

نسبة إلى منطقة جبال هكار هو أكبر أمراء الجيش في زمن صلاح الدين فقيهاً تفقه على يد الإمام أبي القاسم بن البزري بالجزيرة، ثم انتقل إلى حلب وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي، والحافظ ابن عساكر.

وكان في بداية أمره أحد مساعدي أسد الدين شيركوه، وإمام الصلاة في الجيش وأسهم معه في فتح مصر وساهم في إسناد السلطة إلى صلاح الدين بعد عمه أسد الدين. كان يتمتع بشجاعة فائقة وحنكة عسكرية. وكذلك تدرج في القيادة حتى صار أكبر أمراء جيش صلاح الدين، ولقد استمر في عمله حتى توفي عام 585هـ في مخيمه خلال حصار عكا⁽³⁾.

(2) موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي صاحب (كتاب المغني):

عمل في التدريس مع ابن عمه الحافظ عبد الغني، وتخرجاً من المدرسة القادرية. ويبدو أن السنوات التي قضاها موفق في بغداد تركت أثراً كبيراً في حياته فظل متعلقاً بها وزارها مرات عديدة بعد تخرجه واشتهر أمره⁽⁴⁾، كما ظل متأثراً بالشيخ عبد القادر ينوه بفضائله ويروي كراماته⁽⁵⁾. ولقد أصبح موفق هذا مستشاراً من مستشاري السلطان صلاح الدين، وصار عالماً من أعلام الفقه

(1) المصدر السابق: 202.

(2) المصدر السابق: 260.

(3) ابن الأثير، والكامل في التاريخ: 42/12. السبكي: طبقات الشافعية، ج 4.

(4) ابن رجب: طبقات الحنابلة، 2/134.

(5) الذهبي: العبر، 4/176.

الحنبلي، يحرص الكل على التفقه على يديه وعلى دراسة كتبه.

(3) القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري :

هو الذي درس في بغداد ثم هاجر إلى الشام، واتصل بالسلطان صلاح الدين وأرسله مراراً رسولاً إلى دار الخلافة، فارتفع شأنه وولي القضاء في الشام، ثم انتقل إلى قضاء الموصل وظل فيها حتى وفاة صلاح الدين حيث انتقل إلى حماة فأقام فيها حتى توفي عام 599هـ⁽¹⁾.

(4) أسعد بن المنجا بن بركات :

لقد بنى نور الدين مدرسة في حران وسلمها إلى أسعد بن المنجا الذي (توفي عام 606هـ/1209م)، والذي درس على الشيخ عبد القادر ثم عاد إلى الشام. كذلك أسند نور الدين إليه التدريس في المدرسة المسمارية⁽²⁾ وأسند إليه القضاء⁽³⁾ واستمر في ذلك حتى بعد وفاة السلطان صلاح الدين. ولقد استمرت ذريته تتناوب التدريس في مدرسته فيما بعد⁽⁴⁾.

ولقد لعب أدواراً في غاية الخطورة وإذا كنا لا نعرف طبيعة الدور الذي قام به، إلا أن إشارة ابن رجب تضيف إلى عمله في التدريس والقضاء وأنه كان "له اتصال بالملوك وخدمة السلاطين"⁽⁵⁾.

(5) علي بن برداون بن زيد الكندي :

الذي "حظي عند السلطان نور الدين"⁽⁶⁾. ويشابهه حامد بن محمود الحراني وقد صحب الشيخ عبد القادر ودرس عليه، وعندما انتهى من الدراسة ذهب إلى دمشق حيث اتصل بنور الدين فولاه التدريس والقضاء والمظالم في حران.

(1) السبكي: طبقات الشافعية، 7/ 272-273.

(2) ابن رجب، طبقات الحنابلة، ح2، ص49.

(3) الذهبي: العبر، ص5، ص17.

(4) النعيمي: الدارس في أخبار المدارس، ح2، ص115.

(5) ابن رجب: طبقات الحنابلة، ح2، ص49.

(6) المصدر نفسه: ص313.

ويذكر ابن رجب أنه: "رحل إلى بغداد ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر، وجاء إلى دمشق في حوائج إلى نور الدين، ونزل عندنا في المدرسة وأضافه والدي"⁽¹⁾.

(6) زين الدين بن علي بن إبراهيم بن نجا:

هو الواعظ الأنصاري الدمشقي القادري الذي وصف لقاءه بالشيخ عبد القادر فقال:

"اشتغلت عليه بالعلم، ففتح الله عز وجل علي في سنة بما لم يفتح به على غيري في عشرين سنة وتكلمت ببغداد"⁽²⁾.

ولقد قدر لابن نجا هذا أن يكون من رجال صلاح الدين ومستشاريه.

قال أبو شامة: "وكان السلطان صلاح الدين يستشير ويروقه تديره ويميل إليه لتقديم معرفته وكريم سجيته"⁽³⁾.

وصنف ابن رجب أن صلاح الدين كان يسمى ابن النجا عمرو بن العاص، ويعمل برأيه وأن كثيراً من أرباب الدولة وأهل السنة في مصر كانوا لا يخرجون عما يراه لهم زين الدين بن النجا.

وأن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين قال له: "إذا رأيت مصلحة في شيء فاكتب إلي بها، فأنا ما أعمل إلا برأيك"⁽⁴⁾.

(7) الوزير أبو الفاضل محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري:

هو وزير نور الدين زنكي. وهو الذي قدم من بغداد إلى دمشق فقد كان فقيهاً أصولياً شغل مناصب مختلفة كالسفارة والوزارة وناظر الأوقاف وناظر المالية والقضاء، واستمر على ذلك حتى قيادة صلاح الدين⁽⁵⁾.

(1) المصدر نفسه: ص 313.

(2) التادفي: فلائد الجواهر، ص 33.

(3) أبو شامة: الروضتين، ح 2 ص 58.

(4) ابن رجب: الطبقات، ح 1 ص 437.

(5) السبكي، طبقات الشافعية، ح 6 ص 118، ح 4، ص 74.

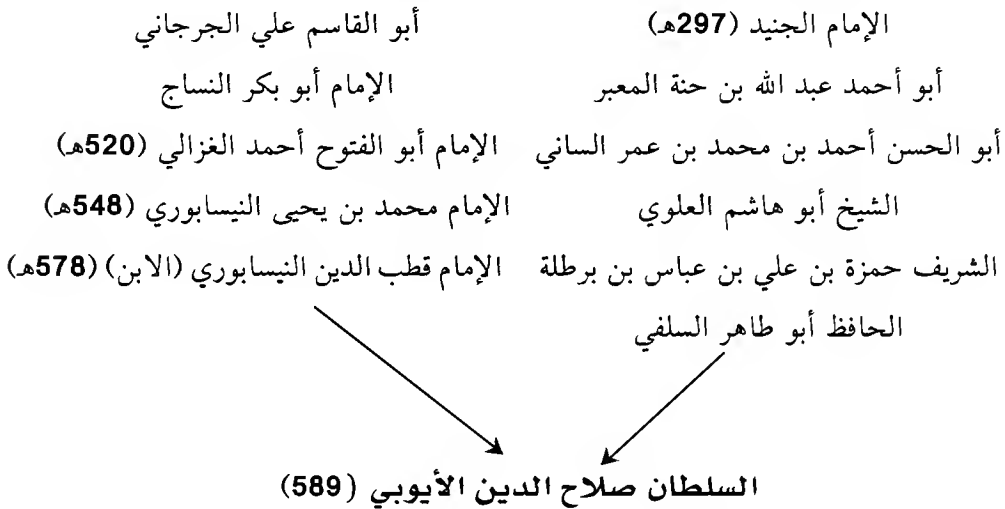
(8) القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي :

وهو الذي قال صلاح الدين عنه : لم أفتح البلاد بسيفي وإنما برأي القاضي الفاضل . ولقد كان القاضي الفاضل يجمع إلى حنكة السياسة ورعاً فائقاً ، فكان كثير الصيام والصلاة وقراءة القرآن . وكان متواضعاً يكثر عيادة المرضى والإحسان للفقراء⁽¹⁾ .

(9) الفقيه المشهور قطب الدين النيسابوري⁽²⁾ :

رأى الإمام عبد الرحيم القشيري وإمام الحرمين الجويني . وكان عالماً صالحاً ، وصنف كتاب (الهادي) في الفقه ، وهو مختصر نافع لم يأت فيه إلا بالقول الذي عليه الفتوى ، وجمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع ما يحتاج إليه في أمور دينه ، وحفظها أولاده الصغار حتى تترسخ في أذهانهم من الصغر ، وذكر بهاء الدين بن شداد في سيرة السلطان . قال : ورأيت - يعني السلطان - وهو يأخذها عليهم ، وهم يقرؤونها بين يديه من حفظهم⁽³⁾ .

اتصال السلطان صلاح الدين بالسلسلة الذهبية:



(1) السبكي : طبقات الشافعية ، ح 7 ، ص 34 .

(2) مر ذكره في القرن السادس .

(3) وفيات الأعيان لابن خلكان .

سيدي أبو العباس السبتي* (524هـ - 601هـ)

هو سيدي أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي الولي الزاهد العالم العارف بالله ذو الكرامات الشهيرة والمناقب الكثيرة والأحوال الباهرة، نزيل مراكش وبركتها ودفينها، ولد بمدينة سبتة سنة أربع وعشرين وخمس مئة، آخر أيام المرابطين. وببلدته نشأ وحفظ القرآن الكريم وأخذ العلم عن العارف سيدي أبي عبد الله الفخار دفين تطوان وأحد تلامذة القاضي عياض.

وكان سيدي أبو العباس جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان ذا بسطة فيه وقدرة على الكلام، كان لا يناظره أحد إلا أفحمه ولا يسأله إلا أجابه، وكأن القرآن والحجج على طرف لسانه حاضرة، يأخذ بمجامع القلوب ويسحر العامة والخاصة ببيانه، يأتيه المنكر للإنكار عليه فما ينصرف إلا مسلماً منقاداً، وكان حليماً صبوراً يحسن إلى من يؤذيه ويحلم على من يسفه عليه، رحيماً عطوفاً محسناً إلى اليتامى والأرامل.

وكان في أوائل أمره يسكن الفندق ويعلم الطلبة النحو والحساب، وما يأخذه من أجرة ينفقه على الطلبة الغرباء وباقي أوقاته يقضيها متجولاً في الأسواق يذكر الناس ويأمرهم بالصلاة ويضربهم على تركها.

وذكر عن نفسه أنه كان في ابتداء حاله يسمع كلام الناس في التوكل فترك الأسباب والعلائق نهائياً وخرج سائحاً حتى أجهدته الجوع والتعب، وكان كما يقول قد نشأ في رفاهية من العيش فدخل قرية وقصد مسجدداً فصلى المغرب ثم العشاء وتفرق المصلون وبقي كذلك وهو تعباً جائع فجلس يتلو القرآن، فإذا رجل قد أقبل يبحث عن بقرة له فوجده بالمسجد فقال له لعلك ما أكلت شيئاً فذهب فأتاه بخبز ولبن ثم انصرف فوجد بقرته بالدار ثم قال لعلني ما خرجت إلا لأطعم هذا الجائع.

* انظر كتاب الشوف إلى رجال التصوف لابن زيات.

ويعتبر سيدي أبو العباس من عجائب الزمان فله أحوال غريبة وخاصة فيما يرجع إلى الزهد في الحياة وعدم اكترائه بالمال ومتاع الدنيا، وتحققه بمقام الإيثار.

فقد ذكر ابن الخطيب قال: حدثني أبو الحسن الصنهاجي وهو من خواص خدامه قال: سألته عن بدايته وبما تنفعل له الأشياء ويستجاب له الدعاء، ولم صار يأمر بالصدقة والإيثار كل من شكاً إليه حالاً أو تعذر عليه مطلوب في هذه الدار.

فقال لي: ما أمر الناس إلا بما ينتفعون به، لأنني لما قرأت القرآن وقعدت بين يدي الشيخ أبي عبد الله الفخار ونظرت في كتب الأحكام وبلغ سني عشرين سنة تدبرت قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90/16].

وقلت: إني مطلوب به، فبحثت عن الآية، فوقفت على أنها نزلت حين آخى ﷺ بين الأنصار والمهاجرين فسألوه أن يعلمهم حكم المؤاخاة فأمرهم بالمشاطرة، ففهمت أن العدل المأمور به في الآية هو المشاطرة.

ثم تأملت حديث: "تَفْتَرُقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ" وأنه ﷺ لما آخى بين الصحابة وذكر له الأنصار أنهم شاطروا المهاجرين ذكر ذلك⁽¹⁾ الحديث إثره.

فقلت: إن الذي هو عليه وأصحابه الإيثار والمشاطرة فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتيني شيء إلا شاطرت فيه الفقراء، فبقيت عليه عشرين سنة فأثمر لي حكم الخاطر⁽²⁾، فلا يحكم خاطري بشيء إلا صدق. فلما أكملت أربعين سنة تدبرت الآية فإذا العدل هو الشطر والإحسان زائد عليه فعقدت نية أن لا يأتيني قليل ولا كثير إلا أعطيت ثلثه لله عز وجل فعملت عليه عشرين سنة فأثمر لي الحكم بالولاية أو العزل فأولي من شئت وأعزل من شئت⁽³⁾.

ثم نظرت بعد في أول ما فرضه الله على عباده في مقام الإحسان فوجدته شكر النعمة بدل إخراج الفطرة على المولود قبل أن يفهم. ووجدت أصناف من يعطي

(1) هذا الحديث وارد من طرق عن جماعة من الصحابة وهو في المسند والسنن وغيرها بأسانيد صحيحة

(2) الإلهام والكشف.

(3) هذا مقام يعطيه الله تعالى من شاء من عباده وأوليائه، وهو مقام التصريف في الكون، وقد كان على هذا القدم كثير من العارفين وقد يزهد فيه بعضهم فلا يعبأ به.

الصدقة الواجبة سبعة وسبعة آخر صرفها فيها الإحسان والزيادة وذلك أن لنفسك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً وللرحم حقاً وللضيف حقاً ولليتيم حقاً، وذكر صنفين آخرين.

قال: فانتقلت لهذه الدرجة وعقدت معه تعالى عقداً في إمساك سبعي حق النفس والزوجة وصرف الخمسة الأسبوع لمستحقها فأقمت عليه أربعة عشر عاماً فأثمر لي الحكم في السماء، فإذا قلت: يا رب، قال لي: لبيك. ثم قال لي: نهايته بتمام عمري بعد ستة أعوام تكملة العشرين عاماً. قال الصنهاجي: فأرخت ذلك اليوم فلما مات وحضرت جنازته تذكرت التاريخ وحققت العدد فنقصت من الستة أعوام ثلاثة أيام فيحتمل كونه من الشهور الناقصة.

وهكذا كانت أحواله مع الناس أيضاً فهو لتحقيقه بمقام الزهد والإيثار كان لا يأتيه أحد يريد شيئاً إلا أمره بالصدقة والإحسان، وكان يقول: كل ما أردت أن يفعل الله لك فافعله مع عبده. وقيل له مرة: أما ترى ما فيه الناس من القحط والغلاء؟ فقال: إنما حبس المطر عنهم ليدخلهم فلو تصدقوا لمطروا. وشكا إليه شخص مرة تأخر المطر فأمره بإخراج شطر ما أنفق صدقة ففعل، قال: فخرجت إلى البحيرة التي عمرتها والشمس شديدة الحر فيئست من المطر وقد أشرف جميع غرسي على الهلاك فبقيت ساعة فإذا سحابة أمطرت البحيرة ورويت، وظننت أن الدنيا كلها أمطرت فخرجت فإذا هو لم يتجاوزها. أقول: وهذه القصة شبيهة بصاحب الحديقة الذي أمطر وحده لكونه كان يتصدق بثلاث محصوله وحديثه في (صحيح مسلم).

ومن أخباره الرائعة النادرة في الإيثار ما ذكره ابن الزيات في (التشوف) عن أبي العباس الصنهاجي خديم الشيخ: أن رجلاً كان يعرف بابن السماك وكان غنياً فافتقر ووصل لأبي العباس عليه ثوب خلق تظهر منه عورته، فشكا إليه حالته فأخذ بيده إلى أن خرج معه من باب تاغزوت، فجاء إلى مطهرة هناك. قال: فدخل أبو العباس المطهرة وتجرد من ثيابه وناداه: خذ هذه الثياب. فأخذها، وكان ذلك بعد العصر فأراد أن يعرف ما يكون من أمره فصعد إلى حائط وجعل يرقبه، فإذا بفتى خرج من الباب على دابة معه رزمة ثياب، فلما رأى الرجل نزل إليه، فقال له: أين الفقيه أبو العباس؟ فقال: ها هو في الساقية عريان. فقال له: أمسك الدابة.

فسمع أبا العباس يقول له من داخل المطهرة: أين تلك الثياب؟ فأخذها منه وخرج، ثم سأل الرجل ذلك الفتى عن سبب مجيئه، فذكر أن إحدى الكرائم أمرته أن يحملها، وقالت له: لا تدفعها إلا للفقير ولا يلبسها إلا هو. قال: وهذه قصة صحيحة مشهورة. اهـ.

نعم، إنها والله لقصة عجيبة اشتملت على أخلاق وأوصاف نادرة وكرامات لا يتصف بها إلا أمثال سيدي أبي العباس الذي كان قد استوى عنده التبر والبحر.

فوائده ومنازعه واستنباطاته:

وكان له منازع واستنباطات هامة فكان يقول: معنى قول المصلي: الله أكبر، أي: هو أكبر من أن نطن عليه بشيء. فمن رأى شيئاً من متاع الدنيا في نفسه أكبر فلم يحرم ولا كبر. ومعنى رفع اليدين في التكبير: تخليت من كل شيء لا قليلاً ولا كثيراً. وهكذا يتكلم في جميع العبادات، ويقول: سر الصوم أن تجوع، فإذا جعت تذكرت الجائع وما يقاسيه من نار الجوع فتصدقت عليه، فمن صام ولم يعطف على الجائع فكأنه لم يصم.

ومن منازعه ما ذكره ابن الزيات بقوله، وكان يقول: أصل الخير في الدنيا والآخرة الإحسان، وأصل الشر البخل. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: 6-5/92].

وقال إبليس -فيما ذكره القرآن الكريم-: ﴿ثُمَّ لَآتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17/7].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [75] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: 75-76].

وقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9/59].

وقال: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: 17/68].

وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [133] ﴿الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: 133-134].

وقال: ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177/2].

وقال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72/33].

فهي أمانة الرزق، فأعطت السماء ما فيها من الماء وهو المطر، والأرض
ما فيها من المياه النازلة من الجبال، وكذا الجبال، وأنبئت الأرض وأبت إمساكها،
فخزن الإنسان جميعاً عنده ومنع المساكين. إنه كان ظلوماً جهولاً. وفي الحديث:
"هم الأقلون ورب الكعبة إلا من قال هكذا وهكذا" الحديث وكان آخر عمره كثيراً
ما يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ الآيات إلى ﴿وَأَنْ
سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ [النجم: 33/53 - 40].

ويقول: من قال إن الله لا يجازي على الصدقات فقد وافق اليهود في الفرية
على الله تعالى، لأنهم قالوا: يد الله مغلولة، أي: لا يجازي على الصدقات.

أبو الفتح الواسطي*

هو الإمام أبو الفتح الواسطي الرفاعي أخذ عن الإمام الرفاعي رحمته الله، وخدمه
مدة حتى فتح عليه، وذلك أنه وقف يوضئ شيخه، فاقطلع نخامة وألقاها، فتناولها
أبو الفتح، فكشف له عن المشرق والمغرب، وصارت الدنيا كلها بين عينيه
كالقصعة، ورأى الإسكندرية فأطال النظر إليها، فقال له الشيخ: يا أبا الفتح،
إقامتك ووفاتك بها، وأذن له في التوجه إليها، فلم ير إقبالاً، فعاد للشيخ، وأقام
عنده مدة ثم أمره بالعودة إلى الإسكندرية، وأنشده:

أيها السائر في دعة أينما كنت فما عنك خلف
إنما أنت سحاب ممطر أينما صرفه الله انصرف

* طبقات الصوفية للمناوي: (107)، 4/166، طبقات الشعراني: 1/237، جامع كرامات
الأولياء: 1/285.

ليت شعري أي أرض أمحلت وأغيثت بك من بعد التلف

فسافر إلى الإسكندرية، فاتفق دخوله إليها يوم جمعة وقت الصلاة، فجلس في الجامع الغربي، فدخل عليه قاضي البلد، وجلس عنده، وامتحنه، فأجابه، ثم قال له الشيخ: رجل نام وهو منتظر الصلاة، فاحتلم واستيقظ، فوجد الخطيب على المنبر، وكان إذا اشتغل بالطهارة فاتته الجمعة، وإن جلس لم يجد ما يتيمم به، فماذا يفعل؟ فسكت القاضي وتناعى، فنام واحتلم، واستيقظ والخطيب في أثناء الخطبة، فتحير، فوضع الشيخ عليه سجادته، فوجد القاضي حوض ماء، فاغتسل منه، ثم رفع عنه السجادة، فإذا هو مكانه وقد شرع الإمام في الإحرام بالصلاة، فلما انقضت الصلاة أكب القاضي على أقدام الشيخ يقبلها، واعتذر له.

وقيل إن خطيب جامع العطارين كان من أشد المنكرين عليه، فهداه الله وزال إنكاره، وصار من أجل أصحابه. وأقبل عليه الخلق وأخذوا عنه، منهم الشيخ عبد السلام القليبي، والبلتاجي، والمليجي، والبخاري، والديريني، وأمثالهم. ولم يزل الشيخ مقيماً بالإسكندرية والناس مقبلون عليه، وحاله في تزايد حتى مرض، وقدم الشاذلي رحمته الله، وأقام خارج الصور، وأرسل يستأذن في الدخول فأبى، وقال: شاش واحد لا يسع رأسين، فمات أبو الفتح في الليلة الثانية في الثمانين وخمس مئة، وصلى عليه الشاذلي رحمته الله. مات بالإسكندرية، وقبره بها ظاهر يزار.

صفحة بيضاء

رقم 182

القرن السابع

الإمام شهاب الدين السهروردي* (539هـ - 632هـ)

هو الإمام عمر بن محمد بن عمويه⁽¹⁾ الشيخ شهاب الدين السهروردي، شيخ شيوخ العارفين بالعراق على الإطلاق بالاستحقاق، صاحب (عوارف المعارف) أحيا رسم الصوفية فساد بما شاد وعمر، وأمر ونهى في سلطان فضله، فأذعن أهل الطريق له، وقالوا: سمعاً وطاعة لما نهى وأمر.

ولد سنة تسع وثلاثين وخمس مئة بسهرورد، ونشأ بها، ثم قدم بغداد.

فصحب عمه الشيخ أبا النجيب عبد القاهر، الذي كفله لما قتل أبوه وهو جنين⁽²⁾.

وأخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني، وغيره، وسمع الحديث من جماعة وكان فقيهاً، شافعيّاً، عالماً، صوفيّاً، ورعاً، زاهداً، عارفاً، شيخ وقته في علم

* تنظر طبقات الصوفية للمناوي: 492/2. وكذلك: معجم البلدان: 290/3 (سهرورد)، مرآة الزمان: 679/8، التكملة لوفيات النقلة: 380/3، ذيل الروضتين: 163، وفیات الأعيان: 446/3، الحوادث الجامعة: 74، سير أعلام النبلاء: 373/22، طبقات السبكي: 338/8، طبقات الإسنوي: 63/2، البداية والنهاية: 138/13، طبقات الأولياء: 262، الفلاحة والمفلوكون: 120، النجوم الزاهرة: 283/6، 292، قلاند الجواهر: 111، مفتاح السعادة: 355/2، هدية العارفين: 785/1، جامع كرامات الأولياء: 219/2، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 370/4.

(1) في الأصول: ابن عمر، والمثبت من مصاعد ترجمته، نسبة: عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، واسمه عبد الله. انظر مصادر ترجمته.

(2) جاء في سير أعلام النبلاء: 375/22 عن المترجم: قتل أبي بسهرورد ولي ستة أشهر.

الحقيقة، وإليه المنتهى في تربية المريدين، ودعا الخلق إلى الحق، وتسليك طريق العبادة والخلوة.

وسلك طريق الرياضة والمجاهدة، وقرأ أولاً الفقه والخلاف والحديث، ثم انقطع ولازم الخلوة، وداوم الصوم، والذكر والتعبد، ثم تكلم على الناس عند علو سنه وقصد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتأبوا، ووصل به خلق إلى الله، وصار له أصحاب كالنجوم، ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد.

ثم أضر في آخر عمره وأقعد، ومع ذلك ما أخل بالأوراد، وداوم الذكر وحضور الجمع في محفة، والمضي إلى الحج إلى أن دخل في عمر المئة، وكانت محفته على أعناق الرجال من العراق إلى البيت الحرام.

وناهيك بثناء العارف ابن عربي عليه فإنه قال: المشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي. قال: وهو مقام عمر شهاب الدين السهروردي الذي مات ببغداد، فإنه روى لي عنه من أثق بنقله من أصحابه، أنه قال باجتماع الرؤية والكلام. قال: فمن هنا علمت أن مشهده برزخي لا بد من ذلك وغير ذلك لا يكون. انتهى.

ولما حج آخر حجاته، كان محفلاً، بحيث كان معه نحو الألف من أهل العراق، فلما رأى ازدحام الناس عليه في المطاف، واقتداءهم بأقواله وأفعاله، قال في سره: يا ترى هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء في؟ وقد ذكرت في حضرة الحبيب؟ فواجهه ابن الفارض مخاطباً له بقوله:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج⁽¹⁾

صرخ وخلع كل ما عليه، وألقاه عليه، فخلع الحاضرون من المشايخ والفقراء ما عليهم، وألقوه عليه، فكان أربع مئة خلعة. وعلم أن ابن الفارض كان في الحضرة.

(1) ديوان ابن الفارض 147، من قصيدة مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

وله مؤلفات غريبة في طريق القوم.

وله في علم الحروف كتاب حافل على رأي أهل الأنوار. قال فيه: سمعت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدمايل.

وقد ترجمه خلائق كثيرون، وأثنوا عليه منهم الحافظ بن حجر، فقال: كان رأس الصوفية في زمانه.

وكان أهل الطريق يكتبون إليه من البلاد فتاوى من جميع الأقطار يسألونه عن أحوالهم ومنازلاتهم، فمما كتب إليه بعضهم: إن تركت العمل، أخلدت إلى البطالة، وإن عملت داخلني العجب، فأيهما أولى؟ فأجابه: اعمل، واستغفر الله من العجب.

وسئل عن الأكل الحلال للصوفية، فقال: ما لا يذمه الشرع فهو حلال، رحمة من الله على عباده، والاستقصاء في الحلال على قانون الورع الأعلى يفضي إلى الحرج، وذلك مرفوع، فالشرع هو الميزان المستقيم.

واستفتي في السكنى في الربط التي بنيت من مال الولاية، فأجاب: نعم يجوز للمريد أن يسكنها.

سيدي عمر بن الفارض*

(576هـ - 632هـ)

هو العارف بالله تعالى سلطان العاشقين، وملاذ أهل التمكين، ومربي الفقراء والمريدين، وموصلهم إلى مقامات الإنزال والتمكين، الأستاذ شرف الدين أبو حفص عمر السعدي المحمدي الهاشمي المعروف بابن الفارض قدس الله سره، وأفاض علينا بره.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الفاسي المغربي: ص 69. الأعلام: 5/ 55 - 56، وفيه عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار الوفاة، ووفيات الأعيان: 1/ 383، وميزان الاعتدال: 2/ 266، وخطط مبارك: 5/ 59.

كان عليه السلام معتدل القامة، وجهه جميل حسن، مشرب بحمرة ظاهرة، وإذا استمع وتواجد وغلب عليه الحال يزداد وجهه جمالاً ونوراً، ينحدر العرق من سائر جسده، حتى يسيل تحت قدميه على الأرض. وكان عليه نور حياء وبهجة، وجلالة وهيبة.

وكان إذا مشى في المدينة تزدحم الناس عليه، ويلتمسون منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده، فلا يمكن أحداً من ذلك، بل يصفحه، وكانت ثيابه حسنة، ورائحته طيبة.

وكان إذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وهيبة، وسكينة ووقار، وكان يحضر مجلسه مشايخ الفقهاء والفقراء، وأكابر الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة ورؤساء الناس، وهم في غاية ما يكون من الأدب معه، والإنصات له، وإذا خاطبوه فكأنهم يخاطبون ملكاً عظيماً.

وكان ينفق على من يزوره نفقة متسعة، يعطي من يده عطاء جزيلاً، ولم يكن يتسبب في تحصيل شيء من الدنيا، ولا يقبل من أحد شيئاً.

قال ولده سيدي جمال الدين محمد رحمه الله: سمعت والدي يقول: كنت في أول تجريدي أستاذن أبي، وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم⁽¹⁾، وآوي فيه، وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً، ثم أعود إلى والدي لأجل بره، ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذ خليفة الحكم للعزیز بالقاهرة ومصر المحروستين، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، فيجد سروراً برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم أشتاق إلى التجريد فأستاذنه، وأعود إلى السياحة، وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة، إلى أن توفي والدي، وكان قبل وفاته قد اعتزل الحكم، واعتزل الناس، وانقطع للعبادة إلى الله تعالى بقاعة الخطابة في الجامع الأزهر زماناً، وبعد وفاته عاودت التجريد والسياحة، وسلوك طريق الحقيقة، فلم يفتح علي بشيء، فحضرت يوماً من السياحة إلى القاهرة، ودخلت المدرسة السيوفية، ووجدت رجلاً شيخاً بقالاً على باب

(1) المقطم: هو الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر القاهرة، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة ويسمى في كل موضع باسم. معجم البلدان: 5/ 176.

المدرسة يتوضأ وضوءاً غير مرتب، غسل يديه، ثم غسل رجليه، ثم مسح برأسه، ثم غسل بوجهه، فقلت له: يا شيخ، أنت في هذا السن على باب المدرسة بين فقهاء المسلمين، وتتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي؟ فنظر إلي وقال: يا عمر أنت ما يفتح عليك في مصر، وإنما يفتح عليك بالحجاز بأرض مكة شرفها الله تعالى، فاقصدها، فقد آن لك وقت الفتح. فعلمت أن الرجل من أولياء الله تعالى، وأنه يتستر بالمعيشة وإظهار الجهل بعدم ترتيب الوضوء، فجلست بين يديه، وقلت له: يا سيدي، أين مكة؟ ولم أجد ركباً ولا رفقة في غير أشهر الحج. فنظر إلي وأشار بيده، وقال: هذه مكة أمامك. فنظرت معه فرأيت مكة شرفها الله تعالى، فتركته، وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت، وجاءني الفتح حين دخلتها. وإلى هذا الفتح أشار رحمه الله في قصيدته الدالية بقوله:

يا سميري روح بمكة روعي شادياً إن رغبت في إسعادي
كان فيها أنسي ومعراج قدسي ومقامي المقام والفتح بادي⁽¹⁾

قال رحمه الله: ثم شرعت في السياحة في أودية مكة وجبالها، وكنت أستأنس منها بالوحوش ليلاً ونهاراً، وأقمت بواد كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد، وكنت آتي منه كل يوم وليلة، وأصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، ومعني سبع عظيم الخلقة يصحبني في ذهابي وإيابي، وينخ⁽²⁾ لي كما ينخ الجمل، ويقول: يا سيدي، اركب فما ركبت قط، وتحدث بعض جماعة من المشايخ المجاورين بالحرم في تجهيز مركوب يكون عندي في البرية، فظهر لهم السبع عند باب الحرم، وسمعوا قوله: يا سيدي، اركب. فاستغفروا الله، وكشفوا رؤوسهم، واعتذروا إلي.

ثم بعد خمس عشرة سنة سمعت الأستاذ البقال يناديني: يا عمر، تعال إلى القاهرة احضر وفاتي، وصل علي. فأتيته مسرعاً فوجدته قد احتضر، فسلمت عليه،

(1) المعراج: السلم والمصعد (ج) معارج ومعارج.

(2) نَخَّ الإبل وبالإبل نَخاً: صوت لها لتبرك.

وسلم علي، وناولني دنانير ذهب، وقال: جهزني بهذه، وافعل كذا وكذا، وأعط حملة نعشي إلى القرافة⁽¹⁾ كل واحد منهم ديناراً، واطرحني على الأرض في هذه البقعة، وأشار بيده إليها، وانتظر يا عمر قدوم رجل يهبط عليك من الجبل، فصل أنت وهو علي، وانتظر ما يفعل الله في أمري.

قال: فجهزته وطرحته في البقعة كما أشار إلي، فهبط إلي رجل من الجبل، كما يهبط الطائر المسرع، لم أره يمشي على رجليه، فعرفته بشخصه. كنت أراه يصفع قفاه في الأسواق.

فقال: يا عمر، تقدم فصل بنا على الأستاذ، فتقدمت وصليت إماماً، ورأيت طيوراً بيضاء وطيوراً خضراء صفوفاً بين السماء والأرض، يصلون معنا ورأيت طيراً أخضر عظيم الخلقة قد هبط عند رجليه، وابتلعه، وارتفع إليهم، وطاروا جميعاً، ولهم زجل بالتسبيح بصوت مرتفع عظيم، يطرب السامع إلى أن غابوا عنا، فسألت الرجل الذي هبط من الجبل عن ذلك.

فقال: يا عمر، أما سمعت أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، هم شهداء السيوف، وأما شهداء المحبة فأجسادهم وأرواحهم في أجواف طيور بيض، وهذا الرجل الأستاذ البقال منهم، وأنا يا عمر كنت منهم، وإنما حصلت مني هفوة، فطردت عنهم، فأنا اليوم أصفع قفاي في الأسواق ندماً وتأديباً على ذلك.

قال سيدي عمر: ثم ارتفع الرجل إلى الجبل كالطائر، وغاب عني، وفي هذه البقعة التي أشار الأستاذ البقال إلى سيدي عمر رحمته الله دفن سيدي عمر حسب وصيته، وهذه البقعة هي القرافة الشاذلية الكبرى، تحت المسجد المبارك المعروف بالعارض، بالقرب من مراكم موسى بسفح المقطم، عند مجرى السيل، وضريحه بها معروف ظاهر، ويزار، وما من قاصد يقصده للزيارة، إلا وتحفه الأنوار، وتقضى له الحوائج، ويقصده للزيارة سكان أهل مصر والقاهرة، يتبركون به،

(1) القرافة: مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترتّب للأكابر. معجم البلدان: 4/ 317. تراجم السادة الشاذلية ومناقبهم.

ويدعون الله سبحانه وتعالى عنده، فيستجاب لهم ببركته، لكمال استغراقه وشهوده حياً وميتاً في حضرة الله وحضرة رسوله ﷺ.

وكانت ولادته ﷺ في الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مئة بالقاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وست مئة بقاعة الخطابة بالأزهر الشريف، وحمل من ثم حيث مدفنه المذكور.

ومن كراماته رحمه الله ما أخبر به ولده سيدي جمال الدين محمد.

قال: رأيت الأستاذ رحمه الله نائماً مستلقياً على ظهره، وهو يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله رافعاً صوته، مشيراً بأصبعه اليمنى واليسرى إليه، واستيقظ من نومه، وهو يقول كذلك ويشير بأصبعيه كما كان يفعل، وهو نائم، فأخبرته بما رأيته وسمعت منه، وسألته عن سبب ذلك، فقال: يا ولدي، رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقال لي: يا عمر، لمن تتسب؟ فقلت: يا رسول الله أنتسب إلى بني سعد قبيلة حليلة السعدية⁽¹⁾ مرضعتك.

فقال: لا، بل أنت مني ونسبك ينتهي إلي. فقلت: يا رسول الله، إنني أحفظ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد.

فقال: لا - ماداً بها صوته - بل أنت مني ونسبك متصل بي. فقلت: صدقت يا رسول الله. مكرراً لذلك، مشيراً بإصبعي كما رأيت وسمعت.

(1) حليلة السعدية (توفيت بعد 8هـ - 630 م).

حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر السعدي البكري الهوازاني. من أمهات النبي ﷺ في الرضاع. كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال ويفضّلن من يكون أبوه حياً لبره إلا أن سيدنا محمداً ﷺ كان يتيماً، مات أبوه عبد الله، فتسلمته حليلة من أمه (أمنة) ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة، وعادت به إلى أمه. وماتت أمه وعمره ست سنين فكفله جده عبد المطلب وقدمت حليلة على مكة بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بخديجة، وشكت إليه الجذب، فكلم خديجة بشأنها فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما. وجاءت إلى النبي ﷺ يوم حنين، وهو على الجعرانة، فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه. ولها رواية عن النبي ﷺ روى عنها عبد الله بن جعفر. الأعلام: 271/2، والإصابة: 274/4، وتاريخ أبي الفداء: 112/1.

قال ولده رحمه الله: وإلى هذا النسب الشريف أشار الأستاذ رحمه الله في القصيدة الياثية، حيث قال:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب أبوي
والذي يطالع كلام الأستاذ رحمه الله تعالى يقف على كمال استغراقه وشهوده
وتمكنه من مقام القرب الأسنى، وهو مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 9/53].
فمن ذلك تائيته المشهورة المسماة بـ (نظم السلوك)⁽¹⁾.

قال ولد الشيخ رحمه الله: كنت أرى والدي في غالب الأوقات دهشاً، وبصره شاخصاً، لا يسمع من يكلمه ولا يراه، فتارة يكون واقفاً، وتارة يكون قاعداً، وتارة يكون مضطجعاً على جنبه، وتارة يكون مستلقياً على ظهره مغطى كالميت، يمر عليه عشرة أيام متواصلة وأقل من ذلك وأكثر وهو على هذه الحالة، ولا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم ولا يتحرك، ثم يستفيق وينبث من هذه الغيبة، ويكون أول كلامه أنه يملي من القصيدة (نظم السلوك) ما فتح الله عليه، وهذه القصيدة الغراء، والفريدة الزهراء التي تكاد تخرج عن طوق وسمع البشر ألفاظاً ومعاني هي التي أولها:

نعم بالصبا قلبي صبا لأحبتي فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت⁽²⁾
وكان رحمه الله جرد من نفسه شخصاً سألته عن غرامه عند هبوب الصبا، لما أذكره الهبوب شمائل ذلك المحبوب، أو قال مجيئاً لمن سألته بلسان الحال.
ولما قربت وفاته رحمه الله، ودعاه إليه مولاه سأل الله تعالى أن يجمع عليه جماعة من الأولياء.

قال الشيخ إبراهيم الجعبري الشاذلي رحمه الله دفين باب النصر من أبواب مصر: كنت يوماً بالسياحة على نهر الفرات، وأنا أخطب روعي بروحي، وأناجيها

(1) التائية في التصوف للشيخ أبي حفص عمر بن علي بن الفارض الحمري.
روى ابن بنته عنه أنه لما أتمها رأى النبي عليه السلام في المنام فقال: يا عمر ما سميت قصيدتك؟ قال: سميتها لوائح الجنان وروائع الجنان، فقال: لا بل سمها نظم السلوك.
(2) هذا البيت في كشف الظنون: 267 وهو مطلع تائيته الصغرى.

بتلذذي بفنائني في المحبة، فمرّ بي رجل كالبرق، وهو يقول:

فلم تهون ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتل فيك صورتي
فعلمت أن هذا نفس محب، فوثبت إلى الرجل، وتعلقت به، وقلت له: من
أين لك هذا النفس؟ فقال: هذا نفس أخي الشيخ شرف الدين بن الفارض.

فقلت له: وأين هذا الرجل؟ فقال: كنت أجد نفسه من جانب الحجاز، والآن
أجد نفسه من جانب مصر، وهو محتضر، وقد أمرت بالتوجه إليه، وأن أحضر
انتقاله، وأصلي عليه، وأنا ذاهب إليه، وتركني، والثفت إلى جانب مصر، فتبعته إلى
أن دخلت على سيدي عمر بن الفارض في ذلك الوقت وهو محتضر، فقلت له:
السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، اجلس وأبشر،
فأنت من أولياء الله تعالى، واعلم يا إبراهيم أنني لما احتضرت سألت الله تعالى أن
يحضر وفاتي وانتقالي إليه جماعة من الأولياء، وقد أتى بك أولهم فأنت منهم، قال
الشيخ إبراهيم: ثم رأيت الجنة قد تمثّلت له، فلما رآها قال: آه. وصرخ صرخة
عظيمة، وبكى بكاء شديداً، وتغير لونه وقال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيّعت أيّامي
أمنية ظفرت روعي بها زمناً واليوم أحسبها أضفأت أحلام

فقلت له: يا سيدي، هذا مقام كريم. فقال: يا إبراهيم، رابعة العدوية⁽¹⁾ تقول
وهي امرأة: وعزّتك ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا رغبةً في جنتك، بل كرامة
لوجهك الكريم، ومحبة فيك. وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه، وقضيت عمري

(1) رابعة العدوية (توفيت 135هـ = 752م). رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، مولاة آل
عتيك، البصرية. صالحة مشهورة، من أهل البصرة ومولدها بها. لها أخبار في العبادة
والنسك، ولها شعر. من كلامها: "اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم" توفيت
بالقدس، قال ابن خلكان: "وقبرها يزار، وهو يظاهر القدس من شرقيه، على رأس جبل
يسمى الطور" وقال: "وفاتها سنة 135هـ كما في شذور العقود لابن الجوزي، وقال غيره
سنة 185هـ". الأعلام: 10/3، ووفيات الأعيان: 182/1، والشريشي: 231/2، والدر
المشور: 202.

في السلوك إليه. قال: ثم بعد ذلك سكن قلقه، وتبسم وسلم، وودعني، وقال لي: احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة، وصل علي معهم، واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهن، ثم بعد ذلك توجه إلى بلادك. قال سيدي إبراهيم: ثم اشتغل عني بمناجاة ومخاطبة، فسمعت قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمع صوته، ولا أرى شخصه. قال: عمر، فما تروم؟ فقال:

أروم وقد طال المدى منك نظرة وكم من دماء دون مرماي طلت
ثم بعد ذلك تهلل وجهه، وتبسم، وقضى نحيبه فرحاً مسروراً، فعلمت أنه قد أعطي مرامه. وكنا عنده جماعة كثيرة، فيهم من أعرفه من الأولياء، وفيهم من لا أعرفه، ومنهم الرجل الذي كان سبب المعرفة، وحضرت غسله وجنازته، ولم أر في عمري جنازة أعظم منها، وازدحم الناس على حمل نعشه، ورأيت طيوراً بيضاء وخضراء ترفرف عليه، وصلينا عليه عند قبره، ولم يتجهز حفره إلى آخر النهار، والناس مزدحمون عليه، وذلك لما كنت أنظره بما فتح الله به عليّ من الكشف إلى الروح المقدسة المحمدية، وهي تصلي إماماً وأرواح الأنبياء والملائكة والأولياء من الإنس والجن يصلون عليه مع روح رسول الله ﷺ طائفة بعد طائفة، وأنا أصلي مع كل طائفة إلى آخرهم، حتى إذا انتهت الصلاة تجهز القبر، وصارت الناس تتعجب من ذلك، ولكن من فتح الله بصيرته شاهد سرّ ما هنالك.

قال الشيخ إبراهيم الجعبري رحمته الله: أقمت عنده بعد الدفن ثلاثة أيام بلياليهن، وأنا أشاهد من حاله ما لم تحتمله العقول، ثم توجّهت إلى بلدتي جعبر، وكانت هذه السفرة أول دخولي مصر، ولسان الحال يقول:

جزاك الله عن ذا السعي خيراً ولكن جئت في الزّمن الأخير

الإمام محيي الدين محمد بن علي بن عربي* (560هـ - 638هـ)

هو الإمام الشيخ محمد بن علي بن محمد بن أحمد، الطائي الحاتمي المرسى محيي الدين بن عربي قدس الله سره.

ولد بمرسية من بلاد الأندلس بتاريخ 560هـ وسكن إشبيلية، نزيل دمشق وسكن الروم مدة وكان ذكياً كثير العلم كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب. ثم تزهد وتعبد، وتفرد وتوحد، وسافر وتجرد، وعمل الخلوات مات رحمته الله سنة 638هـ.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 2/ 513 وكذلك: مرآة الزمان: 8/ 736، ذيل الروضتين: 170، التكملة لوفيات النقلة: 3/ 555، التكملة لكتاب الصلة: 2/ 652، المستفاد من ذيل بغداد: 115، سير أعلام النبلاء: 23/ 48، العبر: 5/ 158، ميزان الاعتدال: 3/ 659، المختصر المحتاج إليه: 1/ 102، الوافي بالوفيات: 4/ 173، فوات الوفيات: 3/ 435، مرآة الجنان: 4/ 100، عنوان الدراية: 156، طبقات الأولياء: 469، البداية والنهاية: 13/ 156، طبقات القراء: 2/ 208، تبصرة المنتبه: 3/ 930، لسان الميزان: 5/ 311، العقد الثمين: 2/ 160، النجوم الزاهرة: 6/ 339، طبقات المفسرين للسيوطي: 28، مفتاح السعادة: 1/ 232، الفلاذ الجوهريّة: 397، طبقات الشعراني: 1/ 188، الكواكب الدرية: 2/ 513، نفح الطيب: 2/ 161، شذرات الذهب: 5/ 190، التاج المكلل للكنوجي: 174، هدية العارفين: 2/ 114، جامع كرامات الأولياء: 1/ 118، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 4/ 377.

وانظر ما كتبه الدكتور زكي مبارك عنه في كتابه التصوف الإسلامي: 1/ 160، ودائرة المعارف الإسلامية: 1/ 231.

أشهر من دافع عنه، وألف في الانتصار له كتباً:

- أ - مجد الدين الفيروزآبادي في رسالة في الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين.
- ب - جلال الدين السيوطي في كتابه: تنبيه الغبي بترثة ابن عربي.
- ج - علي بن ميمون المغربي في كتابه: تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي.
- د - علي بن إبراهيم القاري البغدادي في كتابه: الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين.
- هـ - عبد الوهاب الشعراني في كتابه: القول المبين في الرد عن محيي الدين.
- و - عبد الغني النابلسي في كتابه: الرد المتين على منتقضي الشيخ محيي الدين.

وهو أول من تكلم في وحدة الوجود فهو سلطان العارفين وتاج الواصلين وذكر الإمام اليافعي بعض كراماته⁽¹⁾.

وله أشعار لطيفة غريبة، وأخبار نادرة عجيبة، وله مصنفات كثيرة، جمع واحد من أكبر مشايخ بغداد مناقبه، وذكر فيها أن مصنفات الشيخ أكثر من خمس مئة. وذكر في خطبة رسالة الفهرست ما نصه: ليس قصدي ومرامي تصنيف الكتب كما كان قصد سائر المصنفين والمؤلفين، بل سبب بعض المصنفات كان هكذا: قد يرد علي وارد من جانب الحق يكاد أن يحرقني، فأشغل نفسي بها، وسبب بعض المصنفات كنت مأموراً من الله تعالى في المكاشفات وفي المنامات⁽²⁾.

وذكر في (تاريخ اليافعي)⁽³⁾ أنه وقع الاجتماع بين الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ ابن عربي، ونظر كل منهما إلى الآخر، وتفرقا قبل أن يقع الكلام، فسئل الشيخ ابن عربي عن حال الشيخ شهاب الدين، قال: رجل مملوء من قرنه إلى قدمه من السنة.

وسئل الشيخ شهاب الدين عن حال الشيخ ابن عربي، قال: هو بحر الحقائق. ونسبة خرقته في التصوف تتصل إلى الشيخ عبد القادر بواسطة واحدة، وله نسبة أخرى تتصل بالخضر عليه السلام بواسطة واحدة أيضاً.

قال رحمته الله: لبست هذه الخرقه المعروفة من يد أبي الحسن على بن عبد الله بن جامع بيستانه بالمقل، خارج الموصل سنة إحدى وست مئة، ولبسها ابن جامع من

(1) مرآة الجنان: 100/4.

(2) إن مؤلفات ابن عربي من الكثرة بمكان، فقد فهرسها ابن عربي نفسه قبل موته بست سنوات، وقد قام بجمعها عثمان يحيى في مجلدين كبيرين باللغة الفرنسية أولاً ثم ترجمها إلى العربية، صدرا عن المعهد الفرنسي بدمشق سنة 1964، وقد فهرسها كوركيس عواد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: 51/30، 268، 395، وأما تعدادها فقد قال عواد في مجلة المجمع 60/30: وكان قد ذكر لنا بعض المحبين أنه قد ضبط لنا نحو أربعة آلاف مصنف. ولعل في هذا الرقم مبالغة، فقد جاء في نفح الطيب 2/177 أن صاحب الترجمة قد أجاز الملك المعظم أن يروي عنه مصنفاته، ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفاً وأربع مئة مصنف.

(3) مرآة الجنان: 101/4.

يد الخضر عليه السلام، وفي الموضع الذي ألبسه إياها ألبسنيها ابن جامع على تلك الصورة، من غير زيادة ولا نقصان.

وقال رحمته الله : صحبت الخضر عليه السلام، وتأدبت به، وأخذت عنه في وصية أوصانيها شفاهاً بالتسليم لمقالات الشيوخ، وغير ذلك وقد رأيت منه ثلاثة أشياء من خرقه العوائد، رأيت يمشي على البحر، وطي الأرض، ورأيت يصلي في الهواء. وقد تربى وسلك طريق القوم على يد تلامذة الشيخ أبي مدين الغوث التلمساني.

وذكر أيضاً في (الفتوحات)⁽¹⁾ حكاية عن حاله رحمته الله : ولقد آمنا بالله، وبرسوله، وما جاء به مجملاً ومفصلاً مما وصل إلينا من تفصيله، ومما لم يصل إلينا، أو لم يثبت عندنا، فنحن مؤمنون بكل ما جاء به، في نفس الأمر، أخذت ذلك عن أبوي أخذ تقليد، ولم يخطر لي ما حكم النظر العقلي فيه من جواز وإحالة ووجوب، فعملت على إيماني بذلك حتى علمت من أين آمنت، وبماذا آمنت، وكشف الله عن بصري وبصيرتي وخيالي، فرأيت بعين البصر ما لا يدرك إلا به، ورأيت بعين البصيرة ما لا يدرك إلا بها، ورأيت بعين الخيال ما لا يدرك إلا به، فصار الأمر لي مشهوداً، والحكم المتخيل المتوهم بالتقليد موجوداً، فعلمت قدر من اتبعته، وهو الرسول المبعوث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشاهدت جميع الأنبياء كلهم من آدم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشهدني الله تعالى المؤمنين كلهم حتى ما بقي من أحد ممن كان ويكون إلى يوم القيامة خاصتهم وعامتهم، ورأيت مراتب الجماعة كلها، فعلمت أقدارهم، واطلعت على جميع ما آمنت به مجملاً مما هو في العالم العلوي، وشهدت ذلك كله، فما زحزحني علم ما رأيت وعاينته عن إيماني، فلم أزل أقول وأعلم ما أقوله وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا لعلمي، ولا لعيني، ولا لشهودي، فواخيت بين الإيمان والعيان، وهذا عزيز الوجود في الاتباع، فإن مزية الأقدام للأكابر إنما تكون هنا إذا وقعت المعاينة لما وقع به الإيمان، فتعمل على عين لا على إيمان، فمن لم يجمع بينهما فاته من الكمال أن يعرف قدره ومنزلته، فهو وإن كان من أهل الكشف فما كشف الله له عن قدره ومنزلته فجهل نفسه، فعمل على المشاهدة، والكامل من عمل على الإيمان مع ذوق العيان، وما انتقل ولا أثر

فيه العيان، وما رأيت لهذا المقام ذائقاً بالحال، وإن كنت أعلم أن له رجالاً في العالم، لكن ما جمع الله بيني وبينهم في رؤية أعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم، فقد يمكن أن أكون رأيت منهم، وما جمعت بين عينه واسمه، وكان سبب ذلك أنني ما علقت نفسي قط إلى جانب الحق أن يطلعني على كون من الأكوان، ولا حادث من الحوادث، وإنما علقت نفسي مع الله تعالى أن يستعملني فيما يرضيه، ولا يستعملني فيما يباعدني عنه، وأن يخصني بمقام لا يكون لمتبع أعلى منه، ولو أشركني فيه جميع من في العالم لم أتاثر لذلك، فإني عبد محض، لا أطلب التفوق على عباده، بل جعل الله في نفسي من الفرح أن أتمنى أن يكون العالم كله على قدم واحدة في أعلى المراتب، فخصني الله بخاتمة أمر لم يخطر لي ببال، فشكرت الله تعالى بالعجز عن شكره مع توفيقه في الشكر حقه، وما ذكرت ما ذكرته من حالي للفخر لا والله، وإنما ذكرته لأمرين:

الواحد لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 93/11] وأية نعمة أعظم من هذه؟! من هذه!

والأمر الآخر: لیسمع صاحب همة فتحدث فيه همة لاستعمال نفسه فيما استعملتها، فينال مثل هذا، فيكون معي، وفي درجتي، وأنه لا ضيق ولا حرج إلا في المحسوس.

وذكر الشيخ صدر الدين في كتاب (الفكوك)⁽¹⁾: فقال إنه كان لشيخني نظر مخصوص، فإذا أراد أن يطلع على حال أحد ينظر إليه، ثم يخبر عن حاله الدنيوي والأخروي.

قال الشيخ في الباب الرابع والأربعين من (فتوحاته المكية): ورد علي وارد، فزال شعوري، فمضى علي زمان أصلي الصلاة مع الجماعة، وأنا كنت إمامهم، وأصلي الصلاة مع رعاية الأحكام والأركان، وليس لي اطلاع بهذه الأمور، فأقول: أخبروني بعد إفاقتي وإلا مالي علم حركاتي كحركات النائم، ففهمت

(1) الفكوك في مستندات حكم الفصوص للشيخ صدر الدين القنوي، والكتاب حل لمشكلات الفصوص. انظر كشف الظنون: 1288.

حفظ الله وقتي، وعمله بي كما عمل بالشبلي رحمه الله، فلا أعلم وقت الصلاة أيرجع إلى الشعور أم لا .

وذكروا حال الشبلي عند الجنيد رحمته الله فقال: الحمد لله الذي لم يجبر على لسانه ذنب .

وذكر أيضاً في (الفتوحات)⁽¹⁾: كنت أطوف بالبيت بعد صلاة الجمعة، فرأيت شخصاً يطوف بالبيت، ولا يزاحم أحداً، ويدخل بين اثنين ولا يفرقهما، فعلمت أنه روح متجسد، فوقفت على طريقه، وسلمت عليه، فرد جواب سلامي، فمشيت معه، فوقع الكلام بيني وبينه، فعلمت أنه أحمد السبتي⁽²⁾ رحمه الله، فسألته: لم اخترت يوم السبت من الأيام لكسبك؟ قال: ابتداء الله خلق العالم في يوم الأحد، ففرغ يوم الجمعة، فهذه الستة أيام كان الله في أفعالي، فأنا أكون في خدمته، ولا أعمل شيئاً لحظ نفسي، فخصصت يوم السبت لنفسي. ثم سألته: من كان في زمانك قطب؟ قال: أنا. ثم ودعني وذهب، فلما رجعت إلى المكان الذي كنت أجلس فيه، سألتني واحد من أصحابي: رأيت رجلاً غريباً، ما رأيته قبل هذا في مكة أبداً، وكان يتكلم معك في الطواف، من هو، ومن أين جاء؟ فذكرت ذلك عند الأصحاب، فأعجبهم.

وذكر أيضاً في (الفتوحات)⁽³⁾: أنه في سنة ست وثمانين وخمس مئة، حضر واحد من العلماء الفلاسفة في مجلسي، وما أثبت النبوة كما يثبت النبوة أهل الإسلام، وأنكر خوارق العادات، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام، وكان أيام الشتاء، وكانت مجمرة من النار في وسط المجلس، قال الفيلسفي: تقول العامة رموا سيدنا إبراهيم في النار، وما أحرقت النار، وهذا محال، لأن النار محرقة بالطبع، والأجسام قابلة. وابتدأ بالتأويلات، وقال: إن المراد بالنار المذكور في كلام الله غضب النمرود، فما وقع عليه غضبه. فلما فرغ الفيلسفي من كلامه قال

(1) الفتوحات المكية: 368/1.

(2) أحمد بن هارون الشريد: الزاهد العارف، تارك القصر والخلافة، المنصرف للعبادة والذكر. وما كان يعمل إلا يوماً واحداً هو يوم السبت صوتاً لوجهه عن ذل السؤال، لذا قيل له السبتي. توفي سنة 184هـ قبل أبيه. انظر الكواكب الدرية: 33/2.

(3) الفتوحات المكية: 58/3، 59.

بعض حضار المجلس، ويريد به الشيخ نفسه قال: ما تقول أن أريكم ما قال الله في حق إبراهيم عليه السلام ﴿بَرَدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: 69/21]، وقصدي رفع إنكار معجزة إبراهيم عليه السلام، ليس إظهار الكرامة لنفسي. قال المنكر: لا يمكن هذا. فقال: هذه النار التي في المجرمة، هي تلك النار التي تحرق بالطبع أو غيرها؟ قال الفيلسفي: هي تلك النار. فحمل المجرمة، وصب النار على ذيل قميص المنكر، وحركها بيده، وصبر ساعة، فما احترق ثوبه، ثم رمى النار في الكانون، وقال للمنكر: حظ يدك في النار. فلما قرب اليد من النار احترقت يده، فقال: علمت أن إحراق النار، وعدم إحراقها من الله تعالى، لا بالطبع؟ فاعترف المنكر، وأسلم.

وقال في (الفتوحات) أيضاً⁽¹⁾: كان واحدٌ من أخوالي ملكاً على مدينة تلمسان يقال له يحيى بن يغان وكان في زمانه رجل فقيه عابد منقطع من أهل تونس يقال له أبو عبد الله التونسي كان منقطعاً عن الخلق وكان في موضع خارج تلمسان مشغولاً بعبادة الله تعالى خرج يوماً من ذلك الموضع ذاهباً إلى تلمسان، ويحيى بن يغان مع الخيل والحشم وصل إليه، قالوا له: هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته، فمسك لجام فرسه، فسلم عليه الشيخ، فرد عليه السلام، وكان على الملك ثياب فاخرة، فقال له: يا شيخ، هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز الصلاة فيها؟ فضحك الشيخ، فقال له الملك: لم تضحك؟ قال: من سخف عقلك، وجهلك بنفسك، وما لك شبيه عندي إلا بالكلب يتمرغ في دم الجيفة ويأكل قذارتها، فإذا جاء يبول، يرفع رجله حتى لا يصيبه البول، وأنت وعاء ملئ حراماً، وتساءل عن الثياب، ومظالم العباد في عنقك قال: فبكى الملك، ونزل عن دابته، وخرج عن ملكه من حينه، ولزم خدمة الشيخ، فمسكه الشيخ ثلاثة أيام، ثم جاءه بحبل، فقال له قد فرغت أيام الضيافة، قم فاحتطب. فكان يأتي بالحطب على رأسه ويدخل به السوق والناس ينظرون إليه ويبكون فيبيع ويأخذ قوته، ويتصدق بالباقي، ولم يزل في مدة ذلك حتى درج، ودفن خارج تربة الشيخ، وقبره اليوم بها يزار، وكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم يقول: التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان إنه ملك فزهد يقول لو ابتليت بما ابتلي به من الملك ربما لم أزهد.

العلامة عبد العزيز بن عبد السلام* (577هـ - 660هـ)

هو العلامة عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، عز الدين السلمي الدمشقي، ثم المصري، الملقب بسلطان العلماء شيخ الشافعية، وقدة الصوفية، إمام عزه دائم، وطائر فضله حائم، وبحر كمال موجه زاخر، وجوهر علومه فاخر.

كان وافر التقشف، تارك التكلف، حسن الخلق، مهاب المنظر، ناهياً عن المنكر، عظيم الجد والمجاهدة.

احتلم في ليلة شديدة البرد، فجاء إلى ماء جامد فكسره واغتسل، فكادت روحه تزهرق.

فسمع قائلاً يقول: لأعوضنك بها عز الدنيا والآخرة.

ولد ونشأ في دمشق.

هذا وقد بلغ رتبة الاجتهاد، وقصد للأخذ عنه من أطراف البلاد.

له التصانيف المفيدة، والمناقب التي يبلى الزمان وهي جديدة.

درس بدمشق وبها خطب بزاوية الغزالي، وركي بمصر عند سكنه بها إلى أسمى

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: (527) 2/ 447. وكذلك: ذيل الروضتين: 216، ذيل مرآة الزمان: 1/ 505، تالي كتاب وفيات الأعيان: 95، العبر: 5/ 260، مختصر دول الإسلام: 2/ 128، فوات الوفيات: 2/ 350، مرآة الجنان: 4/ 153، الوافي بالوفيات: 18/ 520، البداية والنهاية: 13/ 235، تاريخ علماء بغداد: 104، النجوم الزاهرة: 7/ 208، المنهل الصافي: 7/ 286، مفتاح السعادة: 2/ 212، حسن المحاضرة: 1/ 314، طبقات ابن هداية الله: 222، طبقات المفسرين للداوودي: 1/ 308، كشف الظنون: 92، 116، 220، 260، 399، 438، 453، 883، 1028، 1081، 1143، 1158، 1219، 1359، 1360، 1590، 1780، 1787، 1855، 1985، شذرات الذهب: 5/ 301، إيضاح المكنون: 1/ 84، 167، 631، هدية العارفين: 1/ 580.

الرتب، ولي الحكم بالديار المصرية في عهد الصالح نجم الدين أيوب، وحاز قصب السبق في ميدان طائفته العصرية.

أخذ الفقه عن ابن عساكر، والأصول عن الآمدي. ورحل إلى بغداد، وكان يلبس قبع⁽¹⁾ لباد، ويحضر به المواكب السلطانية بلا عمامة.

ومن مؤلفاته: (تفسير) مختصر في مجلد، و(القواعد الكبرى)⁽²⁾، و(الصغرى)، و(مجاز القرآن)⁽³⁾، و(شجرة المعارف)، و(شرح الأسماء الحسنى)، و(مختصر النهاية)، و(الجمع بين الحاوي والنهاية)، و(الفتاوي الموصليّة)، وغير ذلك.

وسمع الحديث من: ابن طبرزد، وغيره.

وأخذ عنه: الدمياطي، وابن دقيق العيد، وهو الذي لقبه سلطان العلماء، والتّاج الفركاح⁽⁴⁾، والباجي، وخلق كثير.

وكان أولاً ينكر على الصوفيّة، ويقول: هل لنا طريق غير الكتاب والسنة؟! فلما اجتمع بالشاذلي وذاق مذاهبهم، قطع السلسلة الحديد بالكراسة، وصار يمدحهم، بل دخل في عدادهم.

ولي خطابة دمشق، فلم يلبس السّواد، ولا سجع خطبة، وترك الثّناء على الملوك، وكتب له السلطان الأشرف موسى جواباً عن كتاب كتبه العز يطلب منه عقد مجلس بسبب العقائد، وكان الأشرف متحاملاً عليه، مع خصومه الحنابلة،

(1) القبع: طاقية توضع تحت العمامة، أو الطربوش. المعجم المفصل بأسماء الملابس: 279. وفي الأصول: قبعاً لباداً.

(2) كتاب في فروع الشافعية، وكثير منها مأخوذ من شعب الإيمان للحليمي. كشف الظنون: 1359، وقد طبع في دمشق تحت عنوان: قواعد الأحكام في مصالح الأنام.

(3) جاء في حاشية طبقات السبكي: 247/8: هو المطبوع بالأسنانة باسم الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. واسمه في هدية العارفين 580/1: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز. وقد اختصره السيوطي وسماه مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن. كشف الظنون: 1590.

(4) في طبقات السبكي 209/8: تاج الدين بن الفركاح.

فكتب إليه العز كتاباً في آخره. وبعد: فإننا نزعم أننا من جملة حزب الله [وأنصار دينه] وجنده، وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي. وافتتحه بقوله: ﴿قَوْرَيْكَ لَسَّالْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92-93].

ولما سلّم الملك الصّالح إسماعيل قلعة صفد للفرنج، نال منه على المنبر، ولم يدع له، فغضب السلطان، وعزله، وسجنه، ثم أطلقه، فنزح إلى مصر، هو وابن الحاجب، فولّاه السلطان قضاء مصر، فتمكّن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكثر، فشقّ ذلك على حاشية الملك فعزله.

ومن كلامه:

الشريعة كلها مصالح، إما بدرء مفسد، أو بجلب مصالح، فإذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: 104/2] فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلّا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بينهما.

وقال: من أدل دليل على أنّ القوم قعدوا على أساس الشريعة، وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على أيديهم من الخوارق، ولا يقع شيء منها من فقيه إلّا إذا سلك طريقهم.

وقال: كلام العارف ينبع من قعر قلب قليب قلبه، تسوقه جداول أفكاره إلى مصب لسانه، فيقع على مزارع المسامع، فإذا صادف أرضاً طيبة أنبتت شجرة طيبة، تطلع أزهار الحكم وثمار العبر.

وقال: لا تصحب إلّا من تجد من أنفاسه عطرية نفحات المعرفة وثمرات المحبة، فإنّه من الأنفاس ما يكون نسيماً مورقاً، ومنها ما يكون سموماً محرقاً.

وقال: إذا أراد سلطان المحبة أن يصطفي لنفسه حبيباً بعث عليه بريد الإرادة وجيش في طلبه جيوش الرعاية، وجند جنود العناية، فوافوه في بادية الطلب حائراً، وعلى أقدام سلوك الأدب سائراً، لا يعرف جهة، فيشير إليها، ولا لقيّة فيعول عليها، فأخذ بيده رفيق التوفيق، ودلّ به دليل التحقيق.

وقال: العارف من فاح من طيب أنفاسه عرف المعرفة بالله، ولاح لجلاسه من أسارير وجهه نور الإيمان بالله، فكلامه شفاء، ونظره نور وضياء.

وقال: يا أهل السلوك إلى منازل الملوك، الطريق ضيق المجال، لا يسلكها إلا فحول الرجال، فمن لا دليل له فهو ضال، ومن لا مسلك له فهو مع الجهال، ومن لا مربى له فهو من الأنذال، ومن لا تربية له فدعواه محال، ومن لا شيخ له فهو خائب الآمال، من لا أدب له فهو ساقط من عين الكمال، ومن لا صدق له فضحته شواهد الأحوال، ومن لا همة له نزل عن رتب العوال، ومن لا عزيمة له انقطع عن الأبطال، ومن لا عمل له فعلمه نكال. واعجباه إلى بطل يتناول إلى منازل الأبطال، وهو من الأطفال، يجول مجال الرجال.

وقال: إذا بذرت حبة المحبة في أرض القلوب السليمة ورسخت عروقها في أعمال السرائر المستقيمة نسخت أحكامها القديمة ما كان من الأوصاف والأخلاق الذميمة.

ومن كراماته:

أنه لما ورد الخبر بوصول التتار، رسم السلطان المظفر قطز بالخروج بعد العيد، فطلع عليه وقال: ما تأخرتك؟ قال: حتى نهى أسياًفاً. قال: لا، قم. قال: فتضمن لي على الله النصر؟ قال: نعم. فكان كما قال.

ولما وصل الفرنج إلى المنصورة لقتال المسلمين في مراكز عديدة، والريح أشرعت قلعوها، واستظهر العدو، وضعفت قلوب المسلمين، وكان الشيخ معهم، فأشار بيده إلى الريح، وقال: يا ريح، خذهم. عدة مرات، فعادت على الفرنج، وكسرت مراكزهم، وكان الفتح.

ومنها: أن السلطان كلمه مرة بغلظة فغضب، وحمل حوائجه على حمارته، وأركب زوجته، ومشى خلفهم خارجاً من القاهرة، فلحقه غالب المسلمين رجالاً ونساءً وصبياناً، فبلغ السلطان الخبر، فقيل له: متى راح ذهب ملكك. فلحقه وترضاه حتى عاد.

ومنها : قومته الكبرى في أمراء مصر، وقوله لهم: أنتم أرقاء، يجري عليكم حكم العبيد، فلم يستطع أحد منهم أن يعارضه، حتى إنَّ نائب السلطنة استشاط غضباً، وقال: كيف يقول هذا، ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا، وسل سيفه، وركب في محفله، وجاء للشيخ والسيف مسلول، فدق الباب، فخرج ولده وعاد فأخبره بما اكتثر، ثم خرج كأنه قضاء الله نزل على ذلك الأسد، فحين عاينه يبست يده، وسقط السيف فبكى، وسأل الشيخ أن يصفح عنه، فقال: بشرط، أن أنادي عليكم، وأبيعكم، وأصرف الثمن في المصالح، فنادى على أولئك الأمراء واحداً بعد واحد، ولم يبيعهم إلا بالثمن البالغ، وهذا لم يقع نظيره لأحد.

ومنها : أنه كان بينه وبين رجل⁽¹⁾ في الريف صداقة، فأرسل له هدية فيها وعاء جبن، فانكسر في الطريق، فاشتري الرسول بدله من ذمي، فلما وصلت الهدية للشيخ قبلها إلا الجبن وقال: وهذا الذي حلبته يدها نجسة بلحم خنزير، ولم يكن علم الخبر.

وخرج يوماً إلى الدَّرس، وعليه قبع لباد، وقد نسي، فلبس فردته مقلوبة، فتبسّم بعض الحاضرين، فتأمله الشيخ، ولم يكثر وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ تَعَزَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 91/6].

وكان مع شدّته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار. وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد.

ولما مرض قال له السلطان: من في أولادك يصلح لوظائفك؟ قال: ليس فيهم من يصلح لشيء منها.

وأفتى مرة بشيء، ثم ظهر له أنه خطأ، فنادى في مصر والقاهرة: من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به، فإنه خطأ. ووقع مرة غلاء كثير، فصارت البساتين تباع بشيء قليل، فأعطته زوجته حلياً ليشتري لها به بستاناً، فتصدق بثمنه، فقالت له:

(1) الرجل هو عبد الله البلتاجي. انظر: طبقات السبكي.

اشتريت لنا؟ قال: نعم، اشتريته في الجنة. وكان مع الفقر كثير الصدقة، حتى إذا لم يكن معه أعطى قبعه.

وحكى عنه ولده أنه قال: بينما أنا في بدايتي بين النائم واليقظان وإلى اليقظة أقرب، وإذا بالنداء: أتدعي محبتنا ولا تتصف بصفاتنا، وتتخلق بأخلاقنا؟ وعرضت علي الأسماء الحسنى، وقيل: أنا الرؤوف الرحيم، فكن رؤوفاً رحيماً بكل من قدرت على رحمته، أنا الغفار، فكن ستاراً لعيوب الناس، وإياك وإظهار عيوبك وإعلان ذنوبك، فإن إعلان العيوب مسخط لعلام الغيوب، أنا الحلیم، فاحلم على كل من آذاك، وأنا اللطيف، فافرق بكل من أمرت بالرفق به، فإني لطيف بعبادي.

مات بالقاهرة سنة ستين وست مئة، ودفن بالقرافة الكبرى في آخرها.

أبو القاسم القباري الشاذلي*

هو العابد الزاهد أبو القاسم بن منصور يحيى المالكي الإسكندراني، المعروف بالقباري قدس الله سره، أحد العباد المشهورين بكثرة الورع، والانقطاع، والمجاهدة.

ولما قدم سيدي أبو الحسن الشاذلي إلى الإسكندرية صار يحضر مجالسه، ويسمع وعظه ومذاكراته، وأخذ عنه علوم الحقائق، وانقاد إليه، وصار من خواص أصحابه.

وتحكى عنه كرامات كثيرة.

توفي رحمه الله بالإسكندرية سنة اثنتين وستين وست مئة، ودفن بظاهرها، وله مقام ثم ظاهر يزار وله الشهرة التامة عند أهل الإسكندرية وغيرها. نفعنا الله به آمين.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: ص 36.

سيدي أبو الحسن الششتري* (610هـ - 668هـ)

هو أبو الحسن سيدي علي الششتري من أبرز الشخصيات بين الأوساط الصوفية، ولد ﷺ سنة عشر وست مئة بشستر بضم الشين الأولى مع التاء قرية كانت بوادي آس بالأندلس، ونشأ فيما بينها وبين لوشه، وقرأ القرآن وحفظه في صغره مبكراً وأتقنه بعدة روايات مع تجويده الكامل.

ثم طلب العلم وقضى دهره في تحصيله حتى صار من المبرزين في العلوم الإسلامية وخاصة الفقه والحديث وعلوم القرآن. وتذكر المصادر أنه عقد رحلة واسعة النطاق وأنه دخل المغرب وأقام بمكناس وبفاس، ثم بجاية مدة واجتمع فيها بأصحاب أبي مدين وصحبهم وانتسب إليهم مدة، ثم فاجأه ابن سبعين بحقائقه وعلومه فافتتن به وصحبه من جديد وسلم إليه نفسه وألقى إليه الزمام فرباه وسلّكه حتى فتح الله عليه بسببه.

وقد حدثنا المقرئ في (نفح الطيب) عن كلمات ابن سبعين التي ألقاها إلى مريده الششتري عندما التقى به، فكانت كمغناطيس جذبته إليه، فقد قال له: إن كنت تريد الجنة فإذهب إلى أبي مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فسلم إلي. اهـ.

وقوله: فإذهب إلى أبي مدين. مراده طريقة أصحابه وإلا فأبو مدين توفي قبل أن يولد الششتري بنحو من خمسة عشر عاماً.

وعندما أخذ عن ابن سبعين طلب منه أن يتجول في السوق مغنياً بالبيت الآتي:

بدأت بذكر الحبيب وعيشي وكاسي يطيب
ثم مضى يغني بهذا البيت، ولكنه لم يستطع في اليومين الأولين أن يضيف إليه شيئاً. وفي اليوم الثالث فتح الله تعالى عليه، فقال:

* المطرب بمشاهير أولياء المغرب: ص 127.

لَمَّا دَارَ الْكَأْسَ مَا بَيْنَ الْجَلَّاسِ
عَنَنَهُمْ زَالِ الْبَاسِ
سَقَاهُمْ بِكَأْسِ الرِّضَا عَفَا اللَّهُ عَمَّا مَضَى
إِلَى أَنْ أَتَمَّ آيَاتِهِ الْمَعْرُوفَةَ.

ويذكر مترجموه أنه كان يتجول ويسافر كثيراً مع شيخه، وأنه أقام بتونس وبطرابلس حيث عاش بها مدة، وهناك عرضوا عليه القضاء فامتنع ولم يوافق فاستحمله فقال في ذلك آيياته المشهورة التي منها:

رَضِيَ الْمَتِيمُ فِي الْهَوَى بِجَنُونِهِ خَلَوَهُ يَفْنِ عَمْرِهِ فِي فَنُونِهِ
لَا تَعْذِلُوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذْلَكُمْ لَيْسَ السَّلْوُ عَنِ الْهَوَى مِنْ دِينِهِ
ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ حَيْثُ أَقَامَ بِهَا مَعْتَكِفًا بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَاتَّخَذَ
بِهَا مَرِيدِينَ لَهُ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ بِهِ فِي الْأَزْهَرِ أحياناً وبغيره أخرى.

ومن الواضح أن مصر كانت كغيرها من البلاد وقته تزخر بعدد كبير من رجال التصوف، وكان على رأسهم بمصر القطب أبو الحسن الشاذلي، ولم نر في أي مصدر من المصادر أنهما التقيا فمن المحتمل أن يكون لقي جماعة من أصحابه وتبرك بهم وحفظ لهم في نفسه احتراماً ولذلك نجده أحياناً ينتسب إليهم في بعض مقطعاته:

شيوخِي هُم شَاذِلِيَّةٌ. وَسَيِّدِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّشْتَرِي لَمْ يَفْرُطْ فِي زِيَارَتِهِ لِلدِّيَارِ
الْمَقْدُوسَةِ، فَقَدْ حَجَّ عِدَّةَ مَرَاتٍ وَزَارَ الْمَدِينَةَ الْمُنُورَةَ كَذَلِكَ، وَهَنَّاكَ اجْتَمَعَ بِشَيْخِهِ
ابْنُ سَبْعِينَ الَّذِي كَانَ قَدْ لَجَأَ إِلَى مَكَّةَ وَأَقَامَ بِهَا مُجَاوِراً بَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ
بِوَشَايَةِ بَعْضِ الْأَكْبَارِ، ثُمَّ رَحَلَ الشَّشْتَرِي إِلَى الشَّامِ سَنَةَ 650هـ.

وبقي متجولاً في صحاري مصر والشام إلى أن توفي شيخه بمكة المكرمة، فعند ذلك استقل بالخلافة والإمامة ورئاسة الفقراء والمتجربين حتى كان يسافر معه المئات من المريدين. ولما دنا أجله وكان قد رحل إلى مصر اشتدت عليه علة مرضه بالقرب من دمياط من عمالة القدس أو الخليل عند قرية يقال لها الطينة فسأل الفقراء عن اسم

المكان فقيل له الطينة، فقال: حنت الطينة إلى الطينة. ولما توفي حمله الفقراء إلى دمياط حيث دفن بها. وكان قبيل موته سأله بعض الفقراء عن الفقير، فقال: هو الذي يمشي بعد موته ثمانية عشر ميلاً. يشير بذلك إلى نفسه ﷺ.

إن سيدي الششتري من الشخصيات العظيمة التي كانت بمغربنا. رحمه كثير من المؤرخين وغيرهم، وأقدم من ذكره الغبريني في (عنوان الدراية) ووصفه بأوصاف سامية رائقة، وذكره العارف سيدي أحمد زروق في (شرحه لنونيته) وقال عنه: الأستاذ الفقيه المقرئ المحدث الصوفي العالم العامل الكامل المحقق المدقق أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري.

قال ابن ليون: كان من أبناء الملوك والأمراء فصار من سادات الفقراء، وكان يقرأ عليه القرآن بالروايات، وكان عرافاً بالأصول الستة وأنواع الرواية.

وقال الطواح: كان من التجار والسفار، ثم صار من الشيوخ الأبرار، قرأ الرأي أي الفقه، ثم تصوف والتزم طريقة فما تشوف، وكان ذا عزيمة وهمة مع مشاركة في علوم جملة... إلى آخر كلام زروق. وأطال أحمد بابا في (النيل) والمقري في (نفح الطيب) وابن جعفر في (السلوة) في ترجمته.

ولسيدي الششتري آثار ومؤلفات ذكرها مترجموه، وفيها ما لا يوجد له أثر لحد الآن، ومن الموجود منها (الرسالة العلمية) وهي التي اختصرها ابن ليون في كتاب أسماه (الإنالة العلمية في الانتصار للطائفة الصوفية).

وشعره حلو مؤثر جذاب للحضرة الإلهية ولذلك استحسنته كثير من المشايخ وأوصوا به مريديهم وأولعوا به وبإنشاده في الحضرات وحلقات الذكر، وأثنى عليه الغبريني وابن عباد ومولاي العربي الدرقاوي والعارف ابن عجيبة وغيرهم حتى قال ابن عباد: وأما أزجال الششتري ففيها حلاوة وعليها طلاوة ولي فيها شهوة وإليها اشتياق، وأما تحليلتها بالنغمة والصوت الحسن فلا تسأل فإن قدرتم أن تقيدوا منها ما وجدتموه فافعلوا ذلك. اهـ

وكان العارف سيدي محمد بن الصديق قدس الله سره يأمر بإنشاده في الحضرة. ولا يزال الشاذليون وغيرهم ينشدون أزجاله ومقطعاته وقصائده في سائر

مدن المغرب والجزائر وفي تونس والشام وغيرهم، وقد اعتنى الصوفية بها اعتناءً هاماً وشرحوا بعض القصائد والمقطعات منها، فقد شرح (نونيته) كل من سيدي أحمد زروق وسيدي أحمد بن عجيبة كما شرحاً معاً كثيراً من كلامه.

ومن شعر المشتري:

وشعره دائر بين ثلاثة معان: تغزل وهو أقل ما فيه، وسلوك وهو مُستَوْفَى في بعضها، وحقائق وتوحيد وفناء وهو باقيها. وإلى القارئ نبذاً من شعره ونظمه.

فمن ذلك قوله في الهيام والحب:

سقيت كأس الهوى قديماً من غير أرضي ولا سمائي
أصبحت فيه فريد عصري بين الورى حاملاً لوائي
لي مذهب مذهب عجيب في الحب قد فاق يا هنائي
يا من هم للجميل أهل إن لم يمنوا فيا شقائي
حاشاكم يا أهيل نجدي أن تقطعوا منكم رجائي
ومنها قوله في ذلك أيضاً:

إذا لم يكن معنى حديثك لي يدرى فلا مهجتي تشفى ولا كبدي تروى
نظرت فلم أنظر سواك أحبه ولولاك ما طاب الهوى للذي يهوى
ولما اجتلاك الفكر في خلوة الرضا وغيب قال الناس ضلت به الأهوا
لعمرك ما ضل الحبيب وما غوى ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى
ولو شهدوا معنى جمالك مثل ما شهدت بعين القلب ما أنكروا الدعوى
خلعت عذارى في هواك ومن يكن خليع عذار في الهوى سره النجوى
ومزقت أثواب الوقار تهتكاً عليك وطابت في محبتك البلوى
فما في الهوى شكوى ولو مزق الحشا وعار على العشاق في حبك الشكوى

فيصرح بأنه نظر فلم يجد شيئاً يستحق الحب سوى الله تعالى وأنه لولاه ما طاب الهوى لمن يهوى .

ويسترسل يرد على العاذلين ويناديهم بأنهم لو قدر لهم مشاهدة جمال الله مثل ما شاهد منه ما أنكروا عليه ، ولذلك فإنه لم يبق له حياء في سبيل الحب الإلهي بل خلع عذاره ومزق أثواب وقاره وتهتك وهام في محبوه .

ويصف حبه مرة بالخمرة ، وقد يكون إشارته بذلك إلى معرفة محبوه وتحققه بتوحيده الخالص ، فيقول في ذلك معرضاً بالفقهاء المنكرين :

طاب شرب المدام في الخلوات اسقني يا نديم بالآنيات
خمرة تركها علينا حرام ليس فيها إثم ولا شبهات
عنت في الدنان من قبل آدم أصلها طيب من الطيبات
أفتني أيها الفقيه وقل لي هل يجوز شربها على عرفات
أو يجوز الطواف والسعي بها ويلبي ويرمي بالجمرات
أو يجوز القرآن والذكر بها أو يجوز التسبيح في الصلوات
فأجاب الفقيه إن كان خمر عنب فيه شيء من المسكرات
شربها عندنا حرام يقيناً زائد فيه شيء من الشبهات
آه يا ذا الفقيه لو ذقت منها وسمعت الألحان في الخلوات
لتركت الدنيا وما أنت فيه وتعش هائماً ليوم الممات
ويقول :

سلبت ليلى مني العقلا قلت : يا ليلي ، ارحم القتلى
حبها مكنون ، في الحشا مخزون أيها المفتون ، هم بها ذلا
إنني هائم ولها خادم أيها اللائم ، خلني مهلا
لزمت الأعتاب ، وطرقت الباب قلت للبوابة : هل ترى وصلا

قال لي: يا صاح، مهرها الأرواح كم محب راح، يعشق القتلى
أيها العاشق، إن كنت صادق للسوى فارق، تغتنم وصلا
وينادي العاذلين والعائبين فيعتذر لهم بأنه من أهل الغرام الذين أولعوا بالأذكار
والطرب والغناء، ويصرح لهم بأن ما هو عليه ليس كما يفهمون فيقول:

يا كثير الملام	لا تلمنا دعنا
نحن أهل الغرام	كل معنى معنا
نحن قوم لنا	في المعاني أسرار
الهوى طبعنا	والولوع بالأذكار
والطرب والغنا	به تزول الأغيار
لا تكاثر كلام	سكرنا ينفعنا
عن طباع المعوام	العذار خلعنا
رق معنى الهوى	في النفوس والأشباح
يا خلي الجوى	لو ذقت من ذا الراح
يا له من مدام	من سكر به عنى
شربوه الكرام	ولهم فيه معنى
خمراً صافى زلال	ليس هو من أعناب
شاهدوه الرجال	بالقلوب والألباب
خصهم ذو الجلال	الكريم الوهاب
بالهنا المستدام	إذ عليه المبنى
هم أناس كرام	في محل أسنى

ويوصي الصوفية بالهيام في المحبوب إذا أرادوا الوصال والرقى وبلوغ المأمول
فيقول :

إن شئت أن ترقى فخلّ الأكوان
أفـن وزد عشقاً يكن لك الشان
واتبع الحق وارحل للميدان
تنل ما تطلب على الكمال
هم في هوى المحبوب ولا تبالي



أنا الذي ندري هذه الطريقة
سارت إلى سري نور الحقيقة
وهمت في سكري ولم أفيق
ولذلي المشروب شربه حلالـي
هم في هوى المحبوب ولا تبالي



الوصل يا محلاه والهجر مر
يا سعد يا بشراه من كان حر
والغير يا بلواه يهيم في غير
لقد هوى المعتوب والغير سالي
هم في هوى المحبوب ولا تبالي



إلى غير ذلك من موشحاته وأزجاله، ولعل نونيته العظيمة القيمة من أبرز قصائده وأطولها وأجمعها لمقاصد الطريق وأجملها فلقد ضمنها مقصود القوم وحالتهم مع الله ومعاملتهم معه مع كلامه على العقل وبعض الشخصيات الذين لهم اتصال بالموضوع.

توفي رحمته الله سنة 668هـ، ودفن كما قدمنا بمدينة دمياط، فطيب الله ثراه وأسبل عليه شآبيب رحماته، آمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

صدر الدين محمد القنوي*

هو الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القنوي قدس الله سره، كنيته أبو المعالي، وكان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن، والعقلي والنقلي. وكان بينه وبين نصير الدين الطوسي أسئلة وأجوبة.

وكان قطب الدين العلامة الشيرازي في علم الحديث من تلامذته، وكتب كتاب (جامع الأصول) بخطه، وقرأه عنده، وكان يفتخر به، ومن هذه الطائفة الشيخ مؤيد الدين الجندي، والشيخ شمس الدين الأيكي، والشيخ فخر الدين العراقي، والشيخ سعد الدين الفرغاني، قدس الله أسرارهم، كانوا من تربيته، وغيرهم كانوا كثيراً، وصلوا مرتبة الكمال من صحبتة.

والشيخ صدر الدين صاحب الشيخ سعد الدين الحمودي كثيراً، وسأله أسئلة كثيرة، والشيخ الأكبر محيي الدين رحمته الله، لما توجه من بلاد المغرب إلى الروم وفي بعض المشاهد كشف له أحوال الشيخ صدر الدين وقت ولادته، من استعداده للعلوم والتجليات، والأحوال، والمقامات، وما كان في مدة عمره، وبعد الموت في البرزخ، وبعد البرزخ، وما يظهر عليه، بل شهد أحوال أولاده، ومشاهدهم، ومقامهم، وعلومهم، وتجلياتهم، وأسماءهم عند الله، وحلية كل واحد منهم،

* انظر نفحات الأنس من حضرات القدس للملا نورالدين الجامي: 738

وأحوالهم، وأخلاقهم، وكل ما يجري لهم وعليهم إلى آخر أعمارهم، وبعد المفارقة في برازخهم وما بعدها، فلما وصل الشيخ الأكبر قونية بعد موت أبي الشيخ صدر الدين تزوج أمه، وكان في خدمة الشيخ، وصحبته، وتربيته.

وله مصنفات مثل: (تفسير سورة الفاتحة)، و(مفتاح الغيب)، و(الفصوص)، و(الفكوك)، و(شرح الحديث)، وكتاب (النفحات الإلهية)، التي ذكر فيها الواردات القدسية لنفسه، ومن يريد أن يطلع على كماله الذي حصل له في هذا الطريق فليطالع، لأنه ذكر فيه كثيراً من الأحوال، والأذواق، والمكاشفات، والمنازلات لنفسه.

ومن ذلك ما ذكره بقوله: رأيت في سابع عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وست مئة في الواقعة الطويلة الشيخ الأكبر، ووقع الكلام بيني وبينه كثيراً في الآثار، وأحكام الأسماء الإلهية، فأعجبه ما بينت من الأحكام حتى تلاً أولاً وجهه من السرور، وتحرك رأسه من الذوق، وكان يعيد بعض كلامي ويقول: مليح، مليح. فكنت أقول: يا سيدي، أنت مليح، لأن لك القدرة أن تربى الناس حتى تجد مثل هذا الكلام، وتكلم به، ولعمري إنك إنسان وما سواك لا شيء.

ثم قربت منه، وقبلت يده، وقلت: إن لي حاجة إليك. قال: اطلب. قلت: أريد أن أتحقق بكيفية الشهود الدائم الأبدي ما كان لك في تجلي الذات. وكنت أعني بذلك حصول ما كان حاصلًا له من شهود التجلي الذاتي الذي لا حجاب بعده، ولا مستقر للكمال دونه، فأجاب سؤالي، وقال: أعطيتك ما أردت، وأنت تعرف كان لي أولاد وأصحاب، وما حصل لأحد هذا المعنى. قلت: يا سيدي، الحمد لله على اختصاصي بهذه الفضيلة، أعلم أنك تحيي وتميت⁽¹⁾. وقلت كلاماً آخر لا ينبغي إفشاؤه، فانتبهت من تلك الواقعة، والمنة لله على ذلك.

وكان بينه وبين مولانا جلال الدين الرومي قدس الله رُوحَيْهما اختصاص ومحبّة ومصاحبة.

كان يوماً عند الشيخ مجلس عظيم، وأكابر قونية كانوا مجتمعين، وكان الشيخ صدر الدين جالساً في صدر المجلس على سجادة، وعلى دكة، فدخل مولانا جلال

(1) أي يحيي القلوب بذكر الملك العلام ويميت النفوس بالمجاهدة.

الدين المولوي، فأعطاه الشيخ سجادته، وما جلس مولانا عليها، وقال: يوم القيامة ما أجيب إن سئلت لم جلست على سجادة الشيخ صدر الدين؟ قال: أنت تجلس على طرف، وأنا أجلس على طرف آخر. ثم ما جلس مولانا، فقال الشيخ: السجادة التي لا تنبغي لك لا تنبغي لي أيضاً.

فرفعوها ورموها بعيداً، مات مولانا جلال الدين قبله، وأوصاه بالصلاة عليه.

قال: إن شرف الدين القونوي سأل الشيخ صدر الدين قدس الله سرهما:

من أين؟ إلى أين؟ وما الحاصل في البين؟ فأجاب الشيخ: من العلم إلى العين، والحاصل في البين تجدد نسبة جامعة من الطرفين ظاهرة بالحكمين.

ومات سنة اثنتين وسبعين وست مئة بقونية وأوصى بأن ينقل تابوته، ويدفن عند شيخه ابن عربي⁽¹⁾.

جلال الدين محمد البلخي الرومي*

(604هـ - 672هـ)

هو مولانا جلال الدين محمد البلخي الرومي قدس الله تعالى سره، كان مولده ببلخ في السادس من ربيع الأول سنة أربع وست مئة.

وقيل: كان مولانا في سن خمس يظهر عليه بعض الصور الروحانية والأشكال الغيبية، يعني خواص الأنس المستورين بقباب العزة.

ووجد بخط مولانا بهاء الدين ورق مكتوب فيه: مولانا جلال الدين كان في ست سنين، وكان في بلخ، فيوم الجمعة طلع على السطح مع الصبيان، وكانوا يدورون على سطوحنا، فقال واحد منهم: يا جماعة، تعالوا ننظ من هذا السطح إلى السطح الآخر. فقال مولانا جلال الدين محمد: مثل هذه الحركة تقع من الكلاب والهررة، والحيوانات الأخرى، فحيف على الإنسان يشتغل بمثل هذا، فإن كان لكم قوة تعالوا

(1) طبقات الأولياء لابن الملقن.

* نفحات الأنس من حضرات القدس للملا نور الدين الجامي.

نَظُر إلى السماء. وفي تلك الحالة غاب عن نظر الصبيان، ففزع الصبيان، فبعد لحظة رجع، وقد تغير لونه بلون آخر، وعيناه متغيرتان، فقال: الوقت الذي كنت أتكلم معكم فيه رأيت جماعة بلباس أخضر، أخذوني من بينكم، وذهبوا بي إلى السماء، وأروني عجائب الملكوت، فلما سمعوا صياحكم ردوني إلى عندكم.

وقيل: كان في تلك الأيام يأكل الطعام بعد أربعة أيام.

وقيل: لما عزم إلى مكة ووقعت المصاحبة والمجالسة في نيسابور مع الشيخ فريد الدين العطار، أعطاه الشيخ كتاب (أسرار نامه)، فكان معه هذا الكتاب على الدوام.

وكان يقول مولانا: أنا لست هذا الجسم الذي ينظره العاشقون، بل أنا ذلك الذوق والسرور الذي يظهر في باطن المریدين من كلامي، الله، الله، إن وجدتم ذلك النفس وذقتموه فاغتنموا ذلك الوقت، واشكروا الله تعالى شكراً كثيراً، فإني ذلك الذوق الذي وجدتم.

قالوا عند مولانا: يقول فلان إن القلب والروح في خدمتكم. قال مولانا: اسكتوا، مثل هذا الكذب بقي عند الناس كثيراً، فمن أين وجد هذا القلب والروح حتى يكون في خدمة الرجال؟ ثم توجه إلى جلبي حسام الدين، وقال: الله، الله، ينبغي أن تجلس مع أولياء الله ركة بركة، لأن لذلك القرب أثراً عظيماً.

أحذرك البعد يا منيتي فبعدك فيه دواعي الخراب
تقرب تحب وكن دائماً كثير التداني حليف اقتراب

وقال: الطير الذي يطير من الأرض إلى السماء إن لم يتصل بالسماء يبعد من الأرض ومن شبكة الصيادين، ويتخلص منها، فهكذا من دخل في طريق الصوفية، وإن لم يصل بمرتبة الكمال لكنه حصل له الامتياز عن الخلق وأهل السوق، وخرج عن مزاحمة الدنيا، وحصل له الخفة، لأنه: نجا المخفقون وهلك المثقلون.

وقيل: جاء واحد من أبناء الملوك عند مولانا يعتذر، ويقول: يا مولانا، لا تؤاخذني، فإني مقصر في خدمتكم. فقال مولانا: ليس لي حاجة باعتذارك، لأنه إن كان أحد يمتن بمجيئكم فأنا أمتن بعدم مجيئكم.

ويوماً رأى واحداً من أصحابه مغموماً، قال: لا يكون الغم إلا بالتعلق بأمور المحدثات، فأني نفس يكون فارغاً من هذا العالم، وتجدد نفسك غريباً؟ وأي لون تنظر؟ وأي لذة تذوق؟ وتعرف لا بقاء له، فتوجه إلى أمر آخر، فلا يكون ضيق القلب.

وقال: إن الحر الذي لا يغضب بأذى الناس، والفتى الذي لا ينتقم ممن يؤذيه.

وكان عادة مولانا كل يوم يسأل الخادم: هل شيء في بيتي من المأكولات؟ فإن قال الخادم: لا. ينبسط، ويشكر الله تعالى، ويقول: الحمد لله، بيتي اليوم شبيه بيت النبي ﷺ. وإن قال الخادم: ما لا بد للمطبخ منه حاضر. فيحصل له الانفعال، ويقول: اليوم يجيء من بيتي رائحة بيت فرعون.

وقيل: إنه ما سرجوا في مجلسه الشمع إلا بالندرة، وكان سراج به بالدهن، ويقول: هذا للملوك، وهذا للصعلوك.

ويوماً ذكروا في مجلسه الشيخ أوحده الدين الكرمانى رحمه الله تعالى، أنه كان رجلاً عاشقاً، ومتقياً متورعاً عن الخبائث، قال مولانا: ليته يفعل الشيء، ويتجاوز عنه.

أبواب مولانا عوال شمع من غير حد نزاهة أن تحصرها فإن وصلت إليها لا تقف واصعد فخلف ما ترى ما لا ترى قال مولانا يوماً: أنا أسمع من صوت الباب صرير باب الجنة. فقال منكر:

أنا أسمع ذلك الصوت، وما يحصل لي حال. قال مولانا: حاشا وكلا، ما أسمع أنا هو سبب فتح الباب، وما يسمع هو سبب غلق الباب. وأيضاً عنه قال: دخل رجل في خلوة صوفي، وقال: لم جلست وحدك؟ قال: الآن صرت وحدي بدخولك، لأنك صرت مانعاً لي من الحق.

التمس جماعة الإمامة من مولانا، ومن جملتهم الشيخ صدر الدين القونوي، فقال: أنا رجل من الأبدال، أجلس بأي مكان أصلي، وأقوم، ولالإمامة ينبغي أن

يكون من أرباب التصوف وصاحب التمكين . وأشار إلى الشيخ صدر الدين فقام للإمامة، وقال مولانا: من صلى خلف إمام تقي فكأنما صلى خلف نبي . ويوماً كان مولانا في السماع وجاء في خاطر فقير أن يسأل: ما الفقر؟
فقرأ مولانا هذا الرباعي في أثناء السماع .

الجـوهر فقـر وسوى الفقـر عرض
الفقـر شفـاء وسوى الفقـر مرض
العالم كله خداع وغرور والفقر من العالم سر وغرض
وسئل: أيقع من الصوفي ذنب؟ قال: نعم، إن أكل الطعام بلا اشتها، لأن لذة الطعام بلا اشتها للفقير ذنب عظيم .
وأيضاً عنه قال: الصحبة عزيزة، فلا تصاحبوا غير أبناء الجنس .

وقال: قال في هذا المعنى الشيخ شمس الدين التبريزي قدس الله سره: إن علامة قبول المريد أن لا يجلس مع الأجانب، وإن اتفق صحبة الأجنبي فيجلس كما يجلس المنافق في المسجد، والصبي في المكتب، والأسير في السجن .

وأيضاً عنه، قال في مرض الموت: لا تحزنوا من موتي، لأن نور حسين بن المنصور تجلى بعد مئة وخمسين سنة على روح الشيخ فريد الدين العطار، فكان يرشده، ففي أي حال تكونوا كونوا معي، واذكروني، حتى أكون في مددكم بأي لباس أكون .

وقال: كان لي في هذا العالم تعلقان، تعلق بالبدن، وتعلق بكم، فلما خرجت من البدن، وصرت مجرداً، وظهر عليّ عالم التجريد والتفريد، فالتعلق الثاني يتعلق بكم .

ويوماً جاء الشيخ صدر الدين قدس الله سره لعيادة مولانا، وقال: شفاك الله شفاءً عاجلاً، ويكون رفع درجات، ويصح بدنك، لأن مولانا روح العالم .

فقال مولانا: لعل هذا شفاء الله بكم، فما بقي شيء بين العاشق والمعشوق إلا قميص من الشعر، ألا تُريدُونَ أن يتصل النور بالنور .

عريت لكم عن جرم جسمي لما تعرى عن الخيال
فها أنا اليوم في سرور وأوج أنس من الوصال
بكي الشيخ صدر الدين وأصحابه، فقرأ مولانا هذا البيت:

أنت ما تعلمن أن جسمي ودمي جليسي هو في باطني المليك العالي
أوصى مولانا أصحابه: أوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية، وبقلة الطعام،
وقلة المنام، وقلة الكلام، وهجران المعاصي والآثام، ومواظبة الصيام، ودوام
القيام، وترك الشهوات على الدوام، واحتمال الجفاء من جميع الأنام، وترك
مجالسة السفهاء والعوام، ومصاحبة الصالحين والكرام، وإن خير الناس من ينفع
الناس، وخير الكلام ما قل ودل، والحمد لله وحده.

سأله: من يكون بعدك خليفتك؟ قال جلبي حسام الدين. ووقع التردد في هذا
السؤال إلى ثلاث مرات، ففي الرابع قالوا: ما تقول في حق سلطان ولد؟ فقال:
هو من الفتیان، ليس له حاجة بوصية.

فسأله جلبي حسام الدين: من يصلي عليك؟ قال: الشيخ صدر الدين.
ثم قال: أصحابي يجرون بي إلى هذا الجانب، ومولانا شمس الدين يطلبني
إلى ذلك الجانب، يا قومنا، أجيوا داعي الله، لا بدّ من الموت.
توفي قدس الله تعالى روحه وقت غروب الشمس، خامس جمادى الآخرة سنة
اثنين وسبعين وست مئة.

سألوا الشيخ مؤيد الدين الجندي: ما كان يقول الشيخ صدر الدين في حق
مولانا؟ قال: والله، إن الشيخ صدر الدين يوماً كان جالساً مع خواصّ المحبّين،
مثل شمس الدين الأيكي، وفخر الدين العراقي، وشرف الدين الموصلّي، والشيخ
سعيد الفرغاني، وغيرهم، فوقع الكلام عن سيرة مولانا، فقال الشيخ: لو كان
أبو يزيد، والجنيد حيين في عهده، لحملوا غاشيته بكمال الذوق والحب، ويرون
المنة على أنفسهم، كان مائدة الفقر المحمدي، وذوقي كله تطفيله. فاستحسن
كلامه جميع المصاحبين.

أبو عبد الله الشاطبي*

هو الزاهد العابد نزيل الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاذلي المشهور بالشاطبي، أحد المشهورين بالعبادة والزهادة. وكان رضي الله عنه شيخاً كبيراً، جليل الذكر، وله مجاهدات وكرامات تحكى عنه.

وكان رضي الله عنه ممن يترضى على سيدي الأستاذ أبي الحسن الشاذلي، فرأى رسول الله ﷺ، وقال له: يا سيدي يا رسول الله، إني أترضى على الأستاذ الشاذلي في كل ليلة، فهل في ذلك من شيء؟ فقال له رسول الله ﷺ: أبو الحسن ولدي، والولد جزء من الوالد.

فعلم مكانة الأستاذ رضي الله عنه، فأخذ عنه، وانقاد إليه، وصار من أجل خلفائه، وقصد بالزيارة من جميع النواحي.

توفي قدس الله سره بالإسكندرية سنة ثلاث وسبعين وست مئة، ودفن بمسجده بالجهة المعروفة به، ومقامه يزار ويتبرك به. قدس الله سره. آمين.

سيدي أحمد البدوي** (596هـ - 675هـ)

هو أبو العباس سيدي أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي الأستاذ الصالح العارف المجذوب، المعروف بالأستاذ أبي الفتيان الحسيني النسب، الطاهر الحسب، العلوي المثلث، المعروف المشهور.

عرف بالبدوي لكثرة ما كان يتلثم. وهو حفيد من أحفاد الرسول ﷺ ويرجع

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: 192.

** انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لسيدي عبد الوهاب الشعراني. وفي المناوي: (490) 2/386. وكذلك: الأعلام: 1/175، والنجوم الزاهرة: 7/253 وهو فيه "أبو الفتيان. ويعرف بأبي اللثامين السطوحى" لأنه مكث على السطوح مدة 12 سنة.

نسبه الشريف إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه .

وقد هاجر أهله وأجداده من الحجاز سنة 73 هجرية بعد استشهاد الإمام الحسين مع الهجرة المعروفة للأسرة الهاشمية من آل بيت النبي ﷺ هاربين من بطش الأمويين . وقد استقر المطاف بأسرة السيد أحمد البدوي في المغرب حتى نهاية القرن السادس الهجري ، وهو القرن الذي شهد ميلاد السيد أحمد البدوي عام 596 هـ في مدينة فاس المغربية ، إلا أن أسرته التي اعتادت على الاضطهاد قد خرجت بالليل من فاس هرباً من بطش دولة الموحدين في المغرب ، وعادت إلى مسقط رأسها مكة المكرمة .

وفي مكة المكرمة نشأ السيد أحمد البدوي وتعلم العلوم وفقه أحكام المذهب الشافعي ، وقد كان مشهوراً بين أقرانه بعد أن حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه الشافعي ثم هاجر إلى بغداد عام أربع وثلاثين وست مئة هجرية ، وقد واجه الامتحان الأول والعسير في العراق حيث كانت هناك امرأة ذات حسن وجمال تسمى فاطمة بنت بري ، وقد شغف بها رجال كثيرون من عليّة القوم ومن ذوي الحسب ، وقد سقطوا أمامها صرعى لفنتتها وجمالها الأخاذ الذي حرك القلوب وأزاغ العيون .

وعندما قابلها السيد البدوي أقرت بولايته واتبعت بعد ذلك طريق الشرع والتزمت الحق ، وقالت : اشهدوا أنني أستغفر الله . . وكان لقاء البدوي بفاطمة بنت بري شهادة له بالولاية وأنه قطب أقطاب عصره . وبعد ذلك عاد إلى مكة وظل في عبادة دائمة .

وروي أنه ذات ليلة وهو نائم رأى رؤية " سر إلى طنطا (طنطا) في مصر فإنك تقيم فيها وتربي رجالاً " . . وكان قد أوشك على الأربعين من عمره ، فاستجاب لهذا النداء ورحل إلى مصر واستقر في طنطا عام سبعة وثلاثين وست مئة للهجرة في أواخر دولة الأيوبيين .

وكان أول بيت نزل فيه بطنطا منزل الشيخ (ركين الدين) ، وكانا قد تحابا في الله حين زار الشيخ ركين الدين مكة المكرمة . وبعد وفاة ركين الدين انتقل البدوي إلى دار ابن شحيط .

وقد لقب بـ "السيد" لنسبه الشريف الذي تعود أصوله إلى الذرية الصالحة لأهل بيت رسول الله ﷺ.

كما لقب (بالفراج) لأنه هو الذي قال: الفقراء كالزيتون فيهم الصغير والكبير ومن لم يكن له زيت فأنا أساعده في جميع أموره وقضاء حوائجه لا بحولي ولا بقوتي، ولكن ببركة النبي ﷺ تقضى حاجات الفقراء. من هنا أطلقوا عليه لقب باب المصطفى ﷺ. كما سمي (العطاب) لكثرة الأضرار التي لحقت به طوال حياته.

وقد كانت كنيته (أبو الفتيان) فهو من أهل الفتوة والقوة الجسدية والروحية أيضاً، فلم يكن في مكة في زمنه من هو أشجع منه أو أقوى منه. واتفق المؤرخون على أن في أجداد البدوي من الأئمة الإثني عشرية تسعة أئمة هم:

الإمام علي كرم الله وجهه، والإمام الحسين والإمام علي زين العابدين والإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي الرضا والإمام محمد الجواد والإمام علي الهادي.

وقد قال عنه الشيخ عبد العزيز الدرين: إنه بحر علم لا يدرك له قرار. وصار واحداً من تلاميذه وأتباعه ومريديه الذين لا يتركونه أبداً، حيث كان هؤلاء الأتباع عابدين ساجدين ذاكرين يقرؤون القرآن العظيم في معظم أوقاتهم، ويتعلمون من السيد البدوي علوم الفقه والشرع الحنيف، ويسبب دروسه الدينية والروحية استطاع أن ينجح في تأسيس رجال أشداء أقوياء أتقياء، هم الذين حاربوا وجاهدوا وقاتلوا وكافحوا وناضلوا ضد الغزاة الفرنسيين. وقد كان على رأسهم السيد البدوي إمامهم ورائدهم، وقد استطاعوا هزيمة الفرنسيين وأسر القائد الشهير لويس التاسع ملك فرنسا، والتحفظ عليه في بيت ابن لقمان بالمنصورة. فلولا دوره العظيم في تأسيس هؤلاء الرجال لكان لحملة لويس التاسع وللتاريخ رأي آخر وقول مخالف لما هو عليه الآن.

وللسيد البدوي أتباع لهم شأن عظيم بين قومهم فقد كان الإمام الشعрани- رحمه الله- يقول: إن الظاهر بيبرس كان يعتقد فيما يقال عن السيد البدوي من بطولات ومآثر كثيرة وكبيرة، حتى إنه كان يذهب إليه في مقره بطنطا بل وينحني أمامه ليقبل يده ويستشيريه في مجريات الأمور العسكرية والدينية.

والسيد البدوي كان بديناً ضخماً طويلاً القامة طويلاً غير بائن، عظيم الوجه كث اللحية، سهل الخدين، قمحي اللون قريباً إلى البياض، أكحل العينين أقنى الأنف وبوجهه حبات من أثر الجدري، وصوته خافض غير جهوري، لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان كثير القيام بالليل.

ومن أقواله المشهورة:

- كلما حسنت أخلاق المريد حسن إيمانه، ولا معنى أن يتخلق المرء بخلق ولا يعمل به.
- يجب الرضا والتسليم بحكم الله، وهذا هو الصبر.
- إياك وحب الدنيا، فإنه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل، واعلم أن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 128/16].
- أشفق على اليتيم، وأكس العريان، وأطعم الجوعان، واعطف على الغريب، وأكرم الضيف عسى أن تكون عند الله من المقبولين، واعلم أن كل ركعة بالليل خير من ألف ركعة بالنهار.
- طريقتنا قائمة على الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو مدسوس لا بد من الحذر منه.
- لا تتعلق بالدنيا وراع الإحسان في العمل، وابتعد عن الشح بالعطاء.
- استمر في ذكر الله ولا تغفل عن قيام الليل، ولا تكن سيئ الخلق في المعاملة.
- الزم الصدق دائماً.
- كن صافي النفس والقلب حسن الوفاء حافظاً للعهد.
- الزهد لا يتحقق إلا بشيئين: بترك الشهوات، وترك سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في باب من الحرام.
- البداية بالتوبة هي الندم والإفلاع عن الذنوب، والاستغفار منها مع العزم والتصميم بالبعد عن كل ما يغضب الرب.

النسب الروحي للشيخ سيدي أحمد البدوي *

سيدنا أحمد الرفاعي



الإمام يحيى بن شرف النووي** (631هـ - 676هـ)

هو شيخ الإسلام، نادرة الزهاد الفخام، المجتهد في الصيام والقيام، ختام المتأخرين، وحجة الله على عباده المؤمنين.

كان يحيى سيداً وحسوراً⁽¹⁾ وليثاً على النفس هسوراً، لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعاً معموراً.

له الزهد والقناعة، ومتابعة السلف من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أنواع العلوم فقهاً

* المرجع: الطبقات الكبرى لسيدى عبد الوهاب الشعراني. ونيل الخيرات الملموسة بزيارة آل البيت والصالحين بمصر المحروسة لسعيد أبو الأسعاد.

** انظر طبقات الصوفية للمناوى: 2/565، ذيل مرآة الزمان: 3/283، تذكرة الحفاظ: 4/1470، العبر: 5/312، مرآة الزمان: 4/182، طبقات السبكي: 8/395، البداية والنهاية: 13/278، النجوم الزاهرة: 7/278، الدارس في تاريخ المدارس: 1/24، مفتاح السعادة: 1/398، 2/17، طبقات ابن هداية: 225، هدية العارفين: 2/524، شذرات الذهب: 5/354، جامع كرامات الأولياء: 2/284، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: 4/64، معجم المؤلفين: 13/202، ومن الكتب التي أفردت عنه: مناقب الإمام النووي لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، والإمام النووي لعللي الطنطاوي.

(1) الحصور: من لا يأتي النساء عفة وزهداً، وهو القادر عليهن. متن اللغة (حصر). ومات النووي ولم يتزوج.

وحديثاً وتوصوفاً ولغةً وغيرها .

ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وست مئة، ونشأ في ستر وصيانة . ولما بلغ سن التمييز صار يرى نوراً .

وكان الصبيان يكرهونه على اللعب، فيهرب منهم .

وكان بدمشق رجل صالح اسمه ياسين بن عبد الله المغربي المراكشي، له دكان بظاهر باب الجابية، وكان صاحب كشف وكرامات، فمر بنوى فرأى النووي، وهو صبي فتفرس فيه النجابة، وحثه على حفظ القرآن والعلم . فكان النووي بعد ذلك يزوره، ويتأدب معه، وأخذ عنه الطريق .

ولما بلغ نحو عشرين سنة قدم دمشق واستمر بالمدرسة الرواحية⁽¹⁾ حتى مات، وحج مرتين .

وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً، وانتصب للتصنيف، فكان لا ينام الليل، ويكتب حتى تكل يده ويعجز، فيضع القلم ثم ينشد:

لئن كان هذا الدمع يجري صبايةً على غير سلمى فهو دمع مضيع
واستمر على هذا، حتى هجمت عليه المنية قبل بلوغ الخمسين .

وصرح بعض أهل الكشف بأنه لم يمت حتى تقطب .

وذكر الشيخ الصالح أبو القاسم المري أنه رأى في النوم رؤى كثيرة، ونوبة تضرب، فقال: ما هذا؟ قيل: الليلة تقطب النووي، فجاءه يخبره، فوجد حوله جماعةً فنهض حتى لقيه قبل وصوله إليهم فاستكتمه .

وكان يضرب به المثل في شدة الورع .

وذكر اليافعي في (روضة)⁽²⁾: أن سارقاً خطف عمامة النووي وهرب، فصار

(1) أنشأها زكي الدين، أبو القاسم، هبة الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن رواحة، اشتهر بذلك لأنه ينسب إلى أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة من جهة أمه . منادمة الأطلال: 102 .

(2) روض الرياحين: 525 (حكاية 488) .

يعدو خلفه ويقول: ملكتك إياها، قل قبلت.

وظهرت له كرامات كثيرة من سماع الهاتف، وفتح الباب المقفل، وغير ذلك كانشفاق الحائط ليلاً، وخروج شخص له حسن الصورة، وكلامه معه في مصالح الدارين، واجتماعه بالأولياء.

ومن قوة يقينه ملازمته لحية عظيمة في بيته بالرواحية وتخرج إليه، فيضع لها لباباً تأكله، وأحواله كثيرة.

وكان من الدين بمكان الرأس من الجسد، ظهر له العلم فشمّر إليه، ونظر إلى الخيرات، فأفرغت عليه. إذا ذكر الصلحاء ذكرهم بتعظيم وتوقير واحترام، وسودهم وكثر كراماتهم ومناقبهم.

ومن كراماته:

ما حكاه ابن الوردي عن ابن النقيب أنه دخل عليه، فقال له: أهلاً بقاضي القضاة، اجلس يا مدرس الشافعية. فوليها بعد ذلك.

ومنها ما حكاه عن البارزي أنه رأى النووي في النوم، فقال له: ما تختار في صوم الدهر؟ قال: فيه اثنا عشر قولاً للعلماء. فلما انتبه تتبع ذلك حولاً كاملاً، فوجد الأمر كذلك.

وعاد العارف القدوة أبا الحسن المقيم بدمشق، وكان مريضاً بمرض النقرس⁽¹⁾ فجلس عنده، وشرع يتكلم في الصبر فلما تكلم ذهب الألم قليلاً قليلاً، فما قام من عنده حتى زال الكل.

وكان يقول بحرمة النظر إلى الأمرد ولو بلا شهوة. فامتحنه بعض المرد وصعد إلى أعلى خلوته وأكب على رأسه ينظر إليه، فرفع رأسه فبمجرد وقوع بصره عليه سقط لحم وجه الأمرد.

ومناقبه كثيرة مفردة بعدة تأليف.

مات سنة ست وسبعين وست مئة ودفن بنوى.

(1) النقرس: مرض ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. متن اللغة (نقرس).

نجيب الدين علي الشيرازي*

هو الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي، قدس الله سره. كان عالماً وعارفاً، ومنبع العلم والمعارف.

وأبوه كان من أبناء التجار والأغنياء الكبار، وجاء من الشام إلى شيراز، وتأهل وتوطن بها، وليلة رأى أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه في المنام، فأحضر له طعاماً، فأكل معه، وبشره بولد نجيب صالح، فلما ولد له ولد سماه باسم أمير المؤمنين علي، ولقبه نجيب الدين.

وكان في بداية الحال يحب الفقراء، ويجلس معهم، وأبوه يفصل له ثياباً فاخرة نفيسة، وهو لا يلبسها، ويقول: أنا لا أحب ثياب النساء. ولا يلتفت إلى طعام لذيق، ويلبس الصوف، ويأكل الطعام الذي ما كان فيه تكلف، حتى كبر سنه، وقوي طلب المعرفة، فكان يجلس في بيت خال وحده، فليلة رأى في الرؤيا أنه خرج شيخ من روضة الشيخ الكبير، ووراء ستة شيوخ ماشين واحد عقب واحد، فالشيخ الأول التفت إليه، وتبسم، وأخذ بيده، وأعطى الشيخ الأخير، وقال: هذه وديعة من الله عندك. فلما انتبه، ذكر رؤياه عند أبيه، فقال أبوه: أنا لا أقدر على تعبيرها، لكن الشيخ إبراهيم من عقلاء المجانين، فأرسل إليه واحداً، يسأله عن تعبيرها.

فلما سمع الشيخ إبراهيم، قال: ما هذا الرائي إلا علي بن بزغش، والشيخ الأول الشيخ كبير، والشيوخ الآخرين الذين كانوا في طريقته، والشيخ الأخير يطلبه حتى يتصل بمقصوده.

فطلب الإجازة من أبيه، وتوجه إلى جانب الحجاز، فلما اجتمع بالشيخ شهاب الدين السهروردي عرفه الشيخ، وهو أيضاً عرف الشيخ أنه الذي رآه في المنام، وقال بتعبير الرؤيا، ولازم خدمته سنين كثيرة، ولبس الخرقه من يده، وسمع عند الشيخ مصنفات الشيخ وغيرها، وبرخصة الشيخ رجع إلى شيراز، وتزوج، وبنى خانقاه، وجلس فيها لإرشاد الطالبين، واشتهر عنه حالات وكرامات عند الخلائق، وله كلام

* انظر نفحات الأنس من حضرات القدس للملا نور الدين الجامي.

لطيف، ورسائل شريفة، فكان يخرج منه نفحات الشيخ شهاب الدين وأنفاسه.

قيل له يوماً: بين لنا سر التوحيد بمثال واضح. فقال: مرآتان وتفاحة.

وكان واحد من فضلاء الزمان حاضراً، فأملى هذه الأبيات:

إن نجيب الدين شيخ كامل مكمّل مقدم قديم
جاء إلينا بحروف قالها جديدة ميدانها التكليم
إن مثال وحدة الوجود أن ترويه عني هاك يا فهم
تفاحة من بين مرآتين فاندظرها ترها فيها التعليم
ويوماً قال: أنا كل يوم أصف حال المعشوق، وهذا عجب ليس له حال.

فقال: أريد أحداً ينظم هذا. فقال ذلك الفاضل:

في الحسن ليس كمثلك فلم تطول صدك وليس حالي بخالٍ عن خال خدك وودك
قد طال وصفي بخال لما تخيلت خدك وليس في الخد خال هذا عجيب فخدك
توفي في شعبان سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة.

الإمام العفيف التلمساني*

هو الإمام سليمان بن علي بن عبد الله بن ياسين العفيف التلمساني، الذكي الحاذق، المنطقي الخارق، تلميذ القونوي⁽¹⁾، صاحب (شرح الأسماء الحسنی)⁽²⁾

* للمزيد انظر طبقات الصوفية للمناوي: 2/ 756 (552)، العبر: 5/ 367، تالي كتاب وفيات الأعيان: 82، فوات الوفيات: 2/ 72، مرآة الجنان: 4/ 216، الوافي بالوفيات: 15/ 408، البداية والنهاية: 13/ 326، النجوم الزاهرة: 8/ 29، كشف الظنون: 266، 802، 1034، 1264، 1829، 1891، شذرات الذهب: 5/ 412، إيضاح المكنون: 2/ 232، هدية العارفين: 1/ 100، أعيان الشيعة: 7/ 308.

(1) محمد بن إسحاق القونوي.

(2) كتاب ذكر فيه معاني الأسماء الإلهية الواردة في القرآن، فذكر الاسم ثم الآية التي وردت فيه، وذكر في كل اسم ما ذكره الإمام محمد البيهقي، والإمام أبو محمد الغزالي، والإمام

و(شرح منازل السائرين) و(شرح مواقف النفري)⁽¹⁾ و(شرح الفصوص) وصاحب كتاب (الخلوة)، عمل فيه أربعين خلوةً، كل خلوة أربعون يوماً. مات سنة تسعين وست مئة⁽²⁾ أثنى عليه ابن سبعين⁽³⁾ وفضله على شيخه القونوي، فإنه لما قدم شيخه القونوي رسولاً إلى مصر اجتمع به ابن سبعين لما قدم من المغرب، وكان التلمساني مع شيخه القونوي، قالوا لابن سبعين: كيف وجدته؟ يعني في علم التوحيد فقال: إنه من المحققين، لكن معه شاب أحذق منه، وهو العفيف التلمساني.

وكان -أعني- التلمساني يقول: كان شيخي القديم متروضاً متفلسفاً، والآخر فيلسوفاً متروضاً. يعني القونوي، فإنه أخذ عنه، ولم يدرك ابن عربي.

والعفيف هذا من عظماء الطائفة عليه السلام.

نسب سيدي العفيف في الطريق:

ابن عربي (638هـ)



محمد بن إسحاق القونوي (672هـ)



العفيف التلمساني (690هـ)

= أبو الحكم بن برجان الأندلسي، وما انفرد كل واحد منهم، وما اتفق عليه اثنان منهم، وذكر أشياء على لسان أهل التصوف. كشف الظنون: 1034.

(1) محمد بن عبد الجبار النفري، المتوفى سنة 354هـ.

(2) في الأصول سنة خمس وسبعين وست مئة، والمثبت من مصادر ترجمته كلها.

(3) عبد الحق بن سبعين.

الإمام البوصيري*

(608هـ - 696هـ)

هو الإمام أبو عبد الله شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي الصنهاجي الشاذلي البوصيري الإمام الرباني، والعارف الصمداني، ذو المعارف النورانية، والمواهب الصمدانية قدس الله سره.

ولد رحمته الله بـ (دلاص)⁽¹⁾ أول شهر شوال سنة ثمان وست مئة، وكان أبواه قدما من المغرب فاستوطنا هذه البلدة، فنشأ رحمته الله في حجر أبيه حتى ترعرع ومال إلى العلم، فحفظ القرآن وبعض المتون، وقدم الأزهر، وحضر إلى مشايخ العصر حتى كملت معالمه، فأجازوه فأفتى ودرس، وصارت له هيبة عظيمة، وبرع في النظم حتى فاق أهل عصره، وكانت له همة عالية.

وكان في بدايته من مقربي السلاطين، وله عندهم الحظوة التامة مقبولا فيما بينهم، وكان يمدحهم بالشعر الرقيق، ويهجو أعداءهم، وانقطع إلى التصوف، ومال إليه، فسلك على يد المربي سيدي أبي العباس المرسي قدس سره، وأخذ عنه علم الحقائق والأسرار، حتى لوحظ بالأنوار والأسرار، وبدأت عليه إشارات الولاية، وألوية الهداية، فعظمت هيئته وأجلته العيون والأنظار، وشدت إليه الرحال من جميع الأمصار، وعمل القصائد البديعة، والموشحات⁽²⁾ الغريبة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكفي في فضله برده الميمية المشهورة⁽³⁾، وهي قصيدة لم يأت بمثلها أحد، لا من قبله ولا من بعده، وهي من الأسرار، اعتنت بشأنها مشايخ

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: ص 191. وكذلك: الأعلام: 139/6 وفيه وفاته سنة 696هـ، وفوات الوفيات: 205/2، وآداب اللغة: 3/120، تراجم السادة الشاذلية ومناقبهم.

(1) في الأعلام: 139/6. (معجم البلدان: 459/2)

(2) الموشحات: نوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهي نظم غنائي يعتمد على تغير الوزن وتعدد القافية.

(3) أشهر شعره البردة، ومطلعها: "أمن تذكر جيران بذى سلم" (الأعلام: 139/6).

الطرق، وذكروا لها فضائل وخواصّ وأسراراً.

بلغ عليه السلام مقام الغوثية الكبرى، ودام له الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة والمنام.

سيدنا ياقوت العرشي* (627هـ - 707هـ)

هو سيدنا أبو الدر بن عبد الله الحبشي كان شيخاً صالحاً، ذا هبة ووقار، إماماً في المعارف عابداً زاهداً، وهو من أجلّ من أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسى عليه السلام.

وأخبر به سيدي أبو العباس عليه السلام يوم ولد ببلاد الحبشة، وصنع له عصيدة⁽¹⁾ أيام الصيف في الإسكندرية، ف قيل: إن العصيدة لا تكون إلا في أيام الشتاء. فقال: هذه عصيدة أخيكم ياقوت، ولد ببلاد الحبشة، سوف يأتيكم. فكان الأمر كما قال.

وهو الذي شفع في الشيخ شمس الدين بن اللبان، لما أنكر على سيدي أحمد البدوي عليه السلام وسلب علمه وحاله، بعد أن توسل بجميع الأولياء. وسمي العرشي لأن قلبه كان لم يزل تحت العرش، وما في الأرض إلا جسده، وقيل لأنه كان يسمع آذان حملة العرش.

وكان عليه السلام يشفع حتى في الحيوانات، وجاءته مرة يمامة⁽²⁾، فجلست على كتفه، وهو جالس في حلقة الفقراء، وأسرت إليه شيئاً في أذنه، فقال بسم الله، ونرسل معك أحداً من الفقراء.

فقالت: ما يكفييني إلا أنت. فركب بغلة من الإسكندرية، وسافر إلى مصر

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: ص 222.

(1) العصيدة: دقيق يخلط بالسمن ثم يطبخ (ج) عصائد.

(2) اليمامة: واحدة اليمام؛ الحمام البري. وهو جنس طير من الفصيلة الحمامية ورتبة الحماميات.

العتيقة، ودخل إلى جامع عمرو، فقال: اجمعوني على فلان المؤذن، فأرسلوا وراءه، فجاء، فقال: هذه اليمامة أخبرني بالإسكندرية أنك تذبج فراخها كلما تفرخ في المنارة.

فقال: صدقت وقد ذبحتها مراراً. فقال: لا تعد. فقال: تبت إلى الله تعالى. ورجع الأستاذ إلى الإسكندرية رحمته الله.

ومناقبه رحمته الله كثيرة مشهورة بين الطائفة الشاذلية بمصر وغيرها.

توفي رحمته الله بالإسكندرية ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع وسبع مئة عن ثمانين عاماً، ومقامه بالإسكندرية رحمه الله كعبة الزوار، تقصده الناس كبيرهم وصغيرهم للزيارة والتبرك، نفعا الله به.

سيدي إبراهيم الدسوقي*

(633هـ - 676هـ)

هو سيدي إبراهيم الدسوقي ابن سيدي أبي المجد القرشي الحسيني الهاشمي، سليل الذرية الصالحة وسلالة الأطهار الأشراف، فأبوه يتصل نسبه بالإمام الحسين رحمته الله، وكذلك أمه رحمها الله هي حفيدة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي قريبة القطب العلامة الزاهد الإمام أبي الحسن الشاذلي، وتؤكد بعض كتب الأثر أنها أخته، والإمام إبراهيم الدسوقي يتصل نسبه أيضاً بالسيد أحمد البدوي رحمته الله بالإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر.

والإمام الدسوقي رحمته الله قد تفقه صغيراً في مذهب الإمام الشافعي بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم.

وما لم يعرفه الكثير عن الإمام الورع إبراهيم الدسوقي رحمته الله أنه كان غزير الثقافة وصاحب مؤلفات في الفلسفة الإسلامية والفقهاء الإسلامي، بل إن منها

* انظر ترجمته في الأعلام: 59/2، وطبقات الشعراني: 143/1-158. وأهل البيت وأحفاد النبي صلى الله عليه وسلم لهشام خضر.

ما ترجم إلى اللغات الأوروبية فقد انتشرت مؤلفاته على يد المستشرقين في إنجلترا وألمانيا وهولندا، وصارت مواد أساسية في المعاهد العليا ومراكز الأبحاث والجامعات لدى الغرب الأوروبي.

كان الإمام الدسوقي يتصف أيضاً بإجادته اللغات الفارسية والسريانية والعبرية، حتى إن له مؤلفات بتلك اللغات إلى جانب اللغة العربية محفوظة إلى الآن داخل المتحف البريطاني بالعاصمة لندن.

عاصر الإمام الدسوقي حبيبه الإمام البدوي وعاشا معاً في عصر الظاهر بيبرس والسلطان الأشرف خليل بن قلاوون؛ فهو مولود سنة ثلاث وثلاثين وست مئة في مدينة دسوق المطلّة على نهر النيل، وقد لقب الإمام بأبي العينين نظراً لتفوقه ونبوغه في الجمع بذكاء وحكمة بين عين الشريعة وعين الحقيقة؛ أي علم الشرع وعلم الحقيقة ألف كتاباً مشهوراً في فقه الإمام الشافعي رحمه الله بعنوان (شرح الدسوقي على متن الغاية للقاضي أبي شجاع) هذا إلى جانب مؤلفات عدة في مختلف العلوم الشرعية والفلسفة الإسلامية، مع مؤلفات أخرى حول التصوف وعلوم الحقيقة، وهي حيثيات دفعت السلطان الظاهر بيبرس لأن يصدر قراراً بتعيينه شيخاً للإسلام، وقد تولى المشيخة الرسمية طوال فترة حكم الظاهر بيبرس إلى أن توفاه الله عام 676 هجرية. كما أصدر السلطان بيبرس مرسوماً آخر ببناء زاوية يجتمع فيها الدسوقي مع تلاميذه وأحبابه لتلقي مختلف العلوم.

وإمعاناً في توثيق ما أوردناه حول سيرته ومحاسنه وشهرته الذائعة الصيت في مختلف أنحاء المعمورة، ها هي أبيات من قصيدة شعرية محفوظة إلى الآن في المتحف البريطاني في قسم المخطوطات الصوفية النادرة يقول الدسوقي:

سقاني محبوبي بكأس المحبة فتهت على العشاق سكرًا بخلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لو أضاء لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضراً أطوف عليهم كرة بعد كرة
بإذن من المختار خير مهذب فإن رسول الله شيخي وقدوتي
وعاهدته عهداً حفظت لعهد وعشت وثيقاً ثابتاً بمحبتني

فيكفي أن يتحدث عنه العلامة الكبير والإمام العظيم عبد الوهاب الشعراني ويقول عنه: (كان له المعراج الأعلى في المعارف، والمنهج الأسنى من الحقائق، والطور الأرفع في المعالي والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علوم الحقيقة، والباع الطويل في التصريف الناقد، والفتح المضاعف في معنى المشاهدات. وهو أحد من أظهره الله عز وجل إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، ومكنه من إحكام الولاية، وقلب له الأعيان وخرق له العادات وأظهر على يديه العجائب منذ طفولته ﷺ).
ويكفي أن نسوق هذه القصيدة العظيمة دليلاً على رفعة سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ.

تجلى لي المحبوب في كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني مني بكشف سرائري فقال: أتدري من أنا؟ قلت منيتي
فأنت مناي بل أنا أنت دائماً إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتي
فقال: كذاك الأمر لكنه إذا تعينت الأشياء كنت كنسختي
فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
فصرت فناء في بقاء مؤبد لذات بديمومة سر مديّة
وغيبني عني فأصبحت سائلاً لذاتي عن ذاتي لشغلي بغيبتي
وأنظر في مرآة ذاتي مشاهداً لذاتي بذاتي وهي غاية بغيتي
فأغدو وأمري بين أمرين واقف علومي تمحوني ووهمي مثبتتي
خبأت له في جنة القلب منزلاً ترفع عن دعد وهند وعلوة
أنا ذلك القطب المبارك أمره فإن مدار الكل من حول ذروتي
أنا شمس إشراق العقول ولم أفل ولا غبت إلا عن قلوب عمية
يروني في المرآة وهي صديّة وليس يروني بالمرآة الصقيلة

وبي قامت الأنباء في كل أمة بمختلف الآراء، والكل أمتي
ولا جامع إلا ولي فيه منبر وفي حضرة المختار فزت ببغيتي
وما شهدت عيني سوى عين ذاتها وإن سواها لا يلم بفكرتي
بذاتي تقوم الذات في كل ذروة أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلي وهند والرباب وزينب وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة وما لوحوا بالقصد إلا لصورتي
نعم نشأني في الحب من قبل آدم وسري في الأكوان من قبل نشأني
أنا كنت في العلياء مع نور أحمد على الدرة البيضاء في خلوتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا وأسكن في الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقاً وأعطيت داوداً حلاوة نغمة
أنا كنت مع نوح بما شهد الوري بحاراً وطوفاناً على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت في كل حالة أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في شرح هذه القصيدة⁽¹⁾ وجميع ما فيه استطالة من هذه الأبيات إنما هو بلسان الأرواح، ولا يعرفه إلا من شهد صدور الأرواح من أين جاءت، وإلى أين تذهب، وكونها كالعضو الواحد من المؤمن إذا اشتكى فيه ألماً تداعى له سائر الجسد، وذلك خاص بالكامل المحمدي لا يعرفه غيره. وقد كان سهل بن عبد الله التستري رحمته الله يقول: أعرف تلامذتي من يوم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» [الأعراف: 172/7]، وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم أربي تلامذتي، وهم

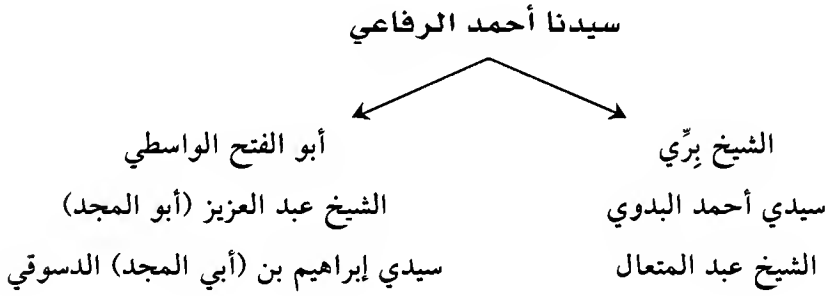
(1) الطبقات الكبرى للشعراني: ص 258.

في الأصلاب لم يحجبوا عني إلى وقتي هذا، ونقله ابن عربي رحمه الله في الفتوحات. وكان رحمه الله يقول: أشهدني الله تعالى ما في العلى، وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللوح المحفوظ، وأنا ابن ثماني سنين، وفككت طلسم السماء، وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السبع المثاني حرفاً معجماً حار فيه الجن، والإنس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته، وحركت ما سكن، وسكنت ما تحرك بإذن الله تعالى وأنا ابن أربع عشرة سنة، والحمد لله رب العالمين.

ومن أقواله:

- إذا وعظت الناس فعظهم بعلمك وعملك، فإذا رآك الناس بالعلم عاملاً سمعوا منك وعملوا.
- الصوفي الحقيقي يكون حملاً للأذى، ولا يؤذي من يؤذيه ولا يتحدث فيما لا يعنيه.
- من لم يكن منكم متشرعاً متحققاً نظيفاً عفيفاً شريفاً فليس من أولادي، وإن كان من صليبي.
- قاتلوا عدو ربكم وعدوكم، فقد انتهك حرمت دينكم وعطل دور العلم واقتحم بلادكم. . يا أبنائي كونوا شجعاناً؛ فإن أعداء الإسلام هدفهم كما قال تعالى في قرآنه الكريم: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ [الكهف: 20/18].
- طريقتنا طريقة جهد وتحقيق وتصديق وعمل، وغض بصر، وتنزه وطهارة يد وفرج، ولسان، فمن خالف شيئاً منها رفضه الطريق طوعاً أو كرهاً.
- شربت دنان الصرف في حضرة الرضا وكان دليلي في الهدى سيد العرب رحم الله الإمام العالم الصوفي الفقيه البليغ الفصيح أبا العينين.

النسب الروحي للشيخ إبراهيم الدسوقي وسيدي أحمد البدوي* :



* نيل الخيرات الملموسة بزيارة آل البيت والصالحين بمصر المحروسة، لسعيد أبي الأسعاد.

القرنُ الثامن

سيدي علي البدوي الشاذلي*

هو سيدنا الإمام علي البدوي الشاذلي تلميذ سيدي ياقوت العرشي رحمته الله.

قال رحمته الله: وكثيراً ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من الإسكندرية إلى بلاد الأندلس، فأذهب إليها وأرجع في يوم واحد بسرعة خطاي من غير أن تطوى لي الأرض.

وكان يأمر أصحابه بوضع الأواني الفارغة للضيوف ويقول لهم: غمضوا عيونكم ثم يفتحونها فيجدون الأواني كلها ملاءى بالأطعمة المختلفة.

سيدي فتح الله العجمي**

وهو الإمام سيدنا فتح الله العجمي من أجلّ تلامذة سيدي ياقوت العرشي رحمته الله.

وكان من أجلاء العارفين بالله وأكبرهم حالاً وأعلاهم مقاماً وهمة وله علوم كان يختص بها.

وكان ينطق بكل لسان.

وهو من الطيارين في الهواء.

وكان يأتي بفاكهة الشتاء في الصيف وبفاكهة الصيف في الشتاء.

* انظر طبقات الشاذلية الكبرى للطعمي: ص 176.

** انظر طبقات الشاذلية الكبرى للطعمي: ص 185.

وكان يقرأ علم الأصول والفقه والتصوف.

وهو شيخ سيدي أحمد بن عروس رحمته الله.

الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند* (717هـ - 791هـ)

هو الغوث الأعظم، وعقد جيد المعارف الأنظم، انزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار، وعادت الأشرار ببركة أسرارهِ من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار.

ولد قدس الله سره في شهر محرم، سنة سبع عشرة وسبع مئة في قصر العارفان، وكانت بشائر الولاية في غرته الطاهرة ظاهرة، وعلائم السعادة على كرائم أحواله بادية بادرة، أتشفه الله تعالى منذ كان طفلاً بالكرامات الزاهية الزاهرة.

تلقي هذه الطريقة العلية في الظاهر من سيدنا الشيخ محمد بابا السماسي، ثم من بعده صاحب السيد أمير كلال، وربته روحانية مولانا الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس الله سرهم.

قال قدس الله سره: "أرسلني جدي، وكان سني وقتئذ نحو ثمانين سنة، إلى سماس لخدمة العارف الكبير والمرشد الشهير الشيخ محمد بابا السماسي باستدعاء منه لي، فلما نلت الوصول إليه لم يأت وقت الغروب إلا وقد وجدت بركتة بنفسية سكية وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً، ثم إني قمت وقت السحر فتوضأت وأتيت المسجد الذي فيه أصحابه فأحرمت بالصلاة فلما سجدت دعوت الله تعالى وتضرعت إليه كثيراً، فمر على لساني في أثناء دعائي: "إلهي أعطني قوة على تحمل البلاء ومحنة المحبة"، ثم إني صليت الفجر مع الشيخ قدس الله سره، فلما انصرف من الصلاة التفت إلي وذكر لي كل ما صدر مني على طريق الكشف، ثم قال لي: "يا ولدي ينبغي أن تقول في دعائك: إلهي أعط هذا العبد الضعيف ما فيه رضاك، فإن الله تعالى لا يرضى أن يكون عبده في بلاء، وإن ابتلى حبيبه

* للمزيد انظر كتاب تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية لمحمد الكردي..

على مقتضى حكمته، يعطيه قوة على تحمله ويطلعه على حكمته، فلا ينبغي للعبد أن يختار البلاء، فإنه ينافي مقام الأدب".

وقال قدس سره لما توفي حضرة الشيخ محمد بابا السماسي: "أخذني الجد إلى سمرقند، فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني إليه وسأله الدعاء لي، فكانت تنالني بركتهم، ثم أتى بي إلى بخارى وزوجني بها، وكانت إقامتي في قصر العارفان، ومن العناية الإلهية بي أنه وصلت إلي قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات، فتحسنت أحوالي وقويت آمالي، إلى أن حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره، وأخبرني بأن الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي، وقال له: "لا تأل جهداً بتربية محمد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه، ولست مني في حل إن قصرت في ذلك"، فقال له قدس سره: "إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل" ثم وفي وعده.

وقال قدس الله سره: "كنت في بخارى والسيد كلال في نسف، فوجدت في نفسي داعية لزيارته، فبادرت لذلك في الحال فلما وصلت إلى مقدمه وسلمت عليه قال لي: "يا ولدي لقد جئت في وقت الحاجة، فإننا هياناً المطبخ ونريد من يحتطب لنا!"، فشكرته على هذه الإشارة وذهبت وأتيت بالحطب أحمله على ظهري وفيه من الشوك ما فيه وأنا أنشد بيتاً بالفارسية معربه:

جمال كعبة مقصودي ينشطني فالشوك كالخز عندي حين أحمله

وأعلم أنه من زمن الشيخ محمود الإنجير فغنوي إلى زمن السيد أمير كلال كانوا يجتمعون للذكر بالجهر، وكانوا إذا انفردوا يذكرون خفية، فلما تلقى سيدنا البهاء قدس سره هذه الطريقة العلية اقتصر على الذكر الخفي أخذاً بالعزيمة، حتى كان إذا اجتمع أصحاب الأمير كلال قدس سره وشرعوا بالذكر يقوم من بينهم، فكان يشق ذلك عليهم ويسيء بعضهم به الظن، وهو لا يلتفت إليهم ولا ينظر إلى مراعاة خواطرهم، مع تمام محافظته على خدمة الأمير قدس سره ورعاية الآداب الواجبة في حقه، وكمال الاستسلام والانقياد لأوامره، والأمير قدس سره يزداد كل يوم التفاتاً إليه واعتناء بشأنه واهتماماً بتربيته، ولم يزل في صحبته حتى اجتمع ذات يوم أصحاب الأمير قدس سره لعمارة مسجده، وكانوا زهاء خمس مئة.

فبعد فراغهم جلسوا كلهم عنده، فالتفت إلى من كان يسيء الظن بحضرة البهاء بهاء الدين وقال: إنما هو غلط وغير صحيح، فإن الله تعالى قد قبله ولكن ما عرفتموه، ونظري والتفتاني إليه كان تابعاً لقبوله تعالى.

ثم أشار إلى ثديه وقال له: إنك قد ارتضعت ثدي التربية حتى نضب، ولم تزل قابليتك في علو واستعدادك في قوة، فقد أجزت لك أن تسعى في طلب المشايخ فتستفيد منهم، وتستفيض على مقتضى عظمة همتك.

قال سيدنا البهاء: فكانت هذه الإشارة من السيد قدس سره سبب ابتلائي.

وقال قدس الله سره: "ثم صحبت مولانا عارف الديك كراني سبع سنين، ثم مولانا قثم شيخ، ونمت ليلة فرأيت الحكيم أتى قدس الله سره وكان من أكابر مشايخ الترك وهو يوصي بي درويشاً، فلما انتهت بقيت صورة الدرويش في مخيلتي، وكانت لي جدة صالحة، فقصصت عليها هذه الرؤيا، فقالت: سيكون لك يا ولدي من مشايخ الترك نصيب، فلم أزل أتوخي لقاء هذا الدرويش حتى لقيته في بخارى، فعرفته وكان اسمه خليل، غير أنني لم أتمكن وقتئذ من صحبتته، فذهبت إلى البيت وأنا مشغول البال، فلما كان وقت المغرب أتاني شخص فقال لي: إن الدرويش خليل يريدك، فأخذت في الحال هدية الزيارة وأسهرت بالذهاب إليه، فلما تشرفت بلاقائه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا، فقال بالتركي: إني أعلم ما رأيت فلا حاجة إلى البيان، فمال قلبي إليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه، ونلت بصحبته أحوالاً عالية، حتى إن أهل ما وراء النهر قد ولوه بعد مدة عليهم سلطاناً، فما تركت ملازمته بل كنت أشاهد منه في أيام سلطنته أحوالاً عظيمة فيزداد قلبي حباً به ويزداد هو تربية لي وترقية لأحوالي ورأفة بي، وطالما علمني من آداب الخدمة ما نفعتني كل النفع في معرفة آداب السير والسلوك، وأقمت في صحبتته ست سنين مدة سلطنته، فكنت في الجلوة مراعيّاً لآداب خدمته، وفي الخلوة محرم خاصة صحبتته.

وقال قدس سره: "لقيت أوائل الطلب والجذبة رجلاً من أحباب الله فقال لي:

الظاهر أنك من الأصحاب؟

فقلت: أرجو من بركة نظر الأحباب أن أكون من الأصحاب، فقال لي: كيف

تعامل الوقت؟

فقلت له : إن وجدت شكرت وإلا صبرت ، فتبسم وقال : هذا سهل ، وإنما الأهم أن تكلف نفسك أنها إذا فقدت الطعام والشراب أسبوعاً لا تعصيك .

فتواضعت له وأقبلت عليه ، وطلبت منه الإمداد فأمرني بالاشتغال بجبر الخواطر وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لا يكثر بهم أحد من الناس ، مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والانكسار ، فامتثلت أمره وصرفت في ذلك أياماً كثيرة ، ثم بعد ذلك أمرني بإمالة الأذى عن الطريق ، فثابرت على ذلك سبع سنين بحيث لا يرى أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبل أو أحجارها ، هذا وكل ما أمرني به ذلك العزيز فعلته بصدق طوية وإخلاص ونية ، ووجدت منه النتائج النفسية في نفسي والترقي التام في أحوالي " .

وقال قدس الله سره : بت ليلة مع الأصحاب في منزل بزيورتون ، فاحتلمت ، فخرجت ليلاً لأغتسل ، وكان ذلك في فصل الشتاء والمياه قد جمدت ، فكنت كلما أتيت ماء أجده جامداً من شدة البرد ، ولم أجد ما أكسر به الجليد ولا أخبرت بذلك أحداً من أصحابي لئلا أشق عليهم ، وما معي إلا فروة عتيقة ، فلما يئست ذهبت من زيورتون إلى منزلي في قصر العارفان ، وصرت أفتش على ما أكسر به الجليد ، وما أطلعت أحداً من أهلي على ذلك ، فبعد استيعاب المنزل وما حوله وجدت على حافة حوض قرب المسجد إناء يغترفون به الماء ، فجعلت أكسر به الجليد ، وأصابني مشقة تامة من ذلك حتى تجرحت يدي ، ثم أخذت به الماء واغتسلت ، فبردت برداً شديداً ، فلبست تلك الفروة ، وفي تلك الساعة مع هذا البرد الشديد ، ورجعت من قصر العارفان إلى زيورتون .

وله اجتهادات قوية ومجاهدات غير هذه كلية تعلم من الوقوف على مقاماته نفعنا الله والمسلمين ببركاته ، وقد حج ثلاث مرات . ومر أخيراً بمرور وأقام بها مدة ، ثم انتقل إلى بخارى وأقام في قصر العارفان ، وكان يعرف قبل بقصر الهندوان ، فطار صيت إرشاده كل مطار ، وقصدت رحابه بالرحلة من كافة الأقطار ، واشتعل به الكون نوراً ، وتبدلت غيوم القلوب بعلوم الغيوب وشرور النفوس سروراً ، وأصبح يث من العلوم الغيبية والأسرار الوهية والمعارف الأحدية والفيوضات المحمدية ما لا يحيط به محيط ، وكيف يحاط بالبحر المحيط وله آيات بينات هن على جلالة بينات .

وقال قدس الله سره في قوله في الحديث القدسي: "نفسك مطيتك فارفق بها"، إشارة إلى النفس المطمئنة المتشرفة بخلعة ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّيَّ إِنَّ رَبِّيَّ﴾ [يوسف: 53/12]، وقد يحصل لبعض الأولياء حال بحيث يصلون في الانقياد إلى مقام إذا أمروا بشيء لا تمكنهم المخالفة.

وقال قدس الله سره في معنى قوله ﷺ: "أط الأذى عَنِ الطَّرِيق" ⁽¹⁾، أي أذى النفس، والطريق طريق الحق، كما قيل لأبي يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خل نفسك وتعال.

وقال قدس الله سره: "من طلب الحق تعالى فقد طلب البلاء"، وورد في الأحاديث القدسية: "مَنْ أَحَبَّنِي ابْتَلَيْتُهُ" ⁽²⁾، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحبك، فقال ﷺ: "استعدَّ للفقْر"، وأتاه آخر فقال له: يا رسول الله إني أحب الله، فقال "استعد للبلَاءِ".

وقيل له قدس الله سره: بماذا يتطلع أهل الله على الخواطر والأعمال الخفية والأحوال؟ فقال: بنور الفراسة التي أكرمهم الله تعالى بها، كما ورد في الحديث الصحيح: "اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ" ⁽³⁾.

وطلب منه قدس الله سره إظهار الكرامات فقال: "مشينا على وجه الأرض مع وجود هذه الذنوب أظهر الكرامات".

(1) رواه أحمد في المسند برقم (19810) 4/ 423، والديلمي في الفردوس برقم (8420) 5/ 355، وهو عند غيرهما.

(2) روى الطبراني عن محمد بن إبراهيم بن عنة الجهني عن أبيه عن جده قال: خرج النبي ﷺ ذات يوم، فلقيه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله بأبي وأمي أنت، إنه ليسوئي الذي أرى بوجهك، وعن ما هو قال: فنظر النبي ﷺ إلى وجه الرجل ساعة ثم قال: الجوع، فخرج الرجل يعدو أو شبيهاً بالعدو حتى أتى بيته فالتمس فيه الطعام فلم يجد شيئاً فخرج إلى بني قريظة فأجر نفسه بكل دلو ينزعها ثمرة حتى جمع حفنة أو كفاً من تمر ثم رجع بالتمر حتى وجد النبي ﷺ في مجلس لم يرم فوضعه بين يديه وقال: كل، أي رسول الله، فقال النبي ﷺ: من أين لك هذا التمر، فأخبره الخبر، فقال له رسول الله ﷺ: إني لأظنك تحب الله ورسوله، قال: أجل والذي بعثك بالحق لأنت أحب إلي من نفسي وولدي وأهلي ومالي،... الحديث " (المعجم الكبير، حديث رقم 155، 83/18).

(3) رواه الترمذي في جامعه الصحيح برقم (3126) 5/ 298، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (7843) 8/ 23. ورواه غيرهما.

وسئل قدس سره عن قول الجنيد: اقطع القارئ وصل الصوفيين، فمن القارئ ومن الصوفي؟ فأجاب بأن القارئ هو المشغول بالاسم والصوفي هو المشغول بالمسمى، وسئل قدس الله سره عن قولهم: "الفقير هو الذي لا يحتاج إلى أحد"، فقال: "المراد منه نفي الاحتياج إلى السؤال، كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: "حسبي من سؤالي علمه بحالي".

وقال قدس الله سره: "إن الأحوال من الشيخ كرامات للمريد"، وذكر عنده قدس الله سره أنه قيل للشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قدس سره عند احتضاره، أية آية نقرأ أمام جنازتك؟ فقال: اقرؤوا هذا البيت، وأنشد بالفارسية ما معربه: وأحسن ما في الكون من عين أصله سرور محب من حبيب بوصله فقال سيدنا البهاء قدس الله سره: "هذا عمل عظيم ليقرؤوا أمام جنازتي هذا البيت".

وأنشد بالفارسية ما مضمونه، وهو من تعريب صاحب الرشحات: أتيناك بالفقر لا بالغنى وأنت الذي لم تزل محسناً وقال قدس الله سره: "تصحيح النية مهم للغاية؛ لأن النية من عالم الغيب لا من عالم الكسب، ولذلك لم يصل أحد كبراء الإسلام (يعني ابن سيرين) على جنازة الحسن البصري رحمهما الله تعالى وقال: لم تحضرني النية". وروي عن الشيخ سهل التستري أنه قال: "النية نور لأن النون نور الله، الياء يد الله، والهاء هداية الله، وإن النية نسيم الروح".

وقال قدس الله سره يوماً لأصحابه: "ما الفقير؟!"، فما أجابه أحد، فقال: "من باطنه حرب وظاهره سلم".

وقال قدس الله سره: "إذا تكلم المريد بحال ليس فيه حرم الله عليه شرف الوصول إلى ذلك الحال".

وأنشد مجنون بيتاً بالفارسية في حضرته، معناه:

كل الوري تهوى الملاح وإنما يرقى العلي من كان يهوى غيرها

فقال قدس الله سره: "إنا قد استفدنا الطريق من هذا القائل"، ثم أمر المريدين بحفظه.

وقال عليه السلام: "إن أهل الله يتحملون ثقل الخلق ليتهدب منهم الخلق، ويتشرفوا بالقرب من أولياء الله تعالى، فإنه ما من ولي إلا والله نظر إلى قلبه، علم ذلك أم لا، فكل من لقيه نال بركة ذلك النظر الإلهي".

وقال عليه السلام: "إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال". وأنشد بيتاً بالفارسية معربه:

من بدلت أوصافه فهو البدل بخلة الله غدا خمرة خل
وقال عليه السلام: "في العبادة طلب الوجود، وفي العبودية تلف الوجود، ولا ينتج العمل ما دام الوجود باقياً".

وقال قدس الله سره: "الطريق التي يصل بها العارفون إلى معروفهم ويجدونهم دون غيرهم، مبنية على ثلاثة أمور: المراقبة والمشاهدة والمحاسبة. فالمراقبة نسيان المخلوق بدوام النظر إلى الخالق.

والمشاهدة واردات غيبية ترد على القلب، ولما كان الزمان لا بقاء له، فلا يمكننا إدراك ذلك الوارد بصفة تقوم بنا، وإنما ندركه من القبض والبسط، ففي القبض شاهد الجلال، وفي البسط شاهد الجمال.

والمحاسبة هي أن نحاسب أنفسنا عن كل ساعة تمر بنا هل مرت بحضور أو تفرقة، فنعد الكل نقصاً ثم نستأنف العمل من أوله".

وقال قدس الله سره: "السالكون في دفع الخواطر الشيطانية والنفسانية متفاوتون، فمنهم من يراها فيدفعها عنه قبل أن تصل إليه، ومنهم من يطردها بعد وصولها إليه، ولكن قبل أن تستقر وتستحكم، ومنهم بعد أن تصل إليه وتتمكن يسعى في صرفها وهذا لا يجدي نفعاً تاماً، غير أنه إذا عرف السالك منشأ ذلك وسبب الانتقالات إليه لا يخلو من فائدة".

وقال قدس الله سره: "معرفة كيفية التحول والانتقال من حال إلى حال في غاية الإشكال".

وقال قدس الله سره: "الوقوف الزماني الذي هو وظيفة السالك أن يكون ناظراً إلى أحواله، فيعلم لكل زمان من الشكر أو العذر ويعامله بما يليق به".

وقال قدس سره: "ينبغي أن يكون تلقين الذكر من الكامل المكمل ليؤثر وتظهر نتيجته، فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية".

وقال قدس سره لحضرة العزيزين، وهو سيدنا الشيخ علي الرامثيني: "طريقان في الذكر: سر وجهر، فاخترت منهما السر لأنه أقوى وأولى".

وقال قدس سره: "الوقوف العددي أول مراتب العلم اللدني"، وقال قدس سره: "لا يتمكن من الوصول إلى حب الله إلا من خرج عن نفسه"، وقال: "مثل أهل الله مثل الصياد الحاذق الذي يدخل الحيوان الوحشي في شبكته ثم يوصله بحكمته إلى مقام الاستئناس".

وقال قدس سره: "لهذه الطريقة ثلاثة آداب: أدب مع الله سبحانه وتعالى، وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مستكماً للعبودية بامثال الأوامر واجتناب النواهي، معرضاً عن ما سواه بالكلية، وأدب مع رسول الله ﷺ، وهو أن يستغرق في مقام (فاتبعوني)، ويراعي ذلك في جميع الأحوال وجوباً، ويعلم أنه ﷺ واسطة بين الحق والخلق، وأن كل شيء تحت تصرف أمره العالي، وأدب مع المشايخ وهو لازم للطالبين، لأنهم سبب في متابعتهم ﷺ وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق، فينبغي للمريد حضوراً أو غيبة أن يكون مراعيّاً لأحوالهم مقتدياً بهم متمسكاً بأذيالهم".

وقال قدس الله سره: "على المرشد أن يعلم أحوال المريد في الأزمنة الثلاثة: الماضي والمستقبل والحال، حتى يمكنه أن يريه، وعلى السالك أن يكون عند اجتماعه بأحد من أحباب الله، حافظاً حال نفسه، ثم يزن زمن صحبته وزمنه السابق، فإن وجد في حاله انتقالاً من نقص إلى كمال على حد قوله ﷺ: "أصبّت فالزم"⁽¹⁾ فليجعل صحبة هذا العزيز فرض عين عليه".

(1) ورد بلفظ عرفت فالزم، ونصه: "عن ابن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: كيف أصبحت يا حارث؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال: انظر ما تقول، فإن لكل شيء حقيقة،

وقال قدس الله سره: "كل من مال إلينا أو انتسب إلى محبتنا بعيداً كان أو قريباً لا بد أن نلحظ نسبته كل يوم وليلة نمده من منبع عين الشفقة والتربية بالإمداد الدائم إن كان حافظاً لأحواله، منقياً لطريق الإمداد من أدناس التعلقات وأوساخها".

وقال رحمه الله في قوله في الحديث الشريف: "أنا جليس من ذكرني" ⁽¹⁾ إشارة إلى بيان حال أهل الباطن.

وفي قوله أيضاً: "الصوم لي وأنا أجزي به" ⁽²⁾ إشارة إلى الصوم الحقيقي؛ وهو الإمساك عن السوى بالكلية.

وقال رحمه الله: "المراد من الأمة في قوله ﷺ: "نصيب أمّتي من نار جهنم كنصيب إبراهيم من نار نمرود"، وفي قوله ﷺ: "لا تجتمع أمّتي على ضلالة" ⁽³⁾، "إنما هي أمة المتابعة، فإن الأمة على ثلاثة أقسام: أمة الدعوة، وأمة الإجابة، وأمة المتابعة".

وقال رحمه الله في قوله ﷺ: "الصلاة معراج المؤمن" فيه إشارة إلى درجات الصلاة الحقيقية؛ وهي أن تكون أكبرية حضرة الحق حالاً للمصلي عند تحرّمه، ويظهر الخضوع والخشوع على قلبه حتى يصل إلى مرتبة الاستغراق، وقد كانت هذه صفة رسول الله ﷺ، وروي أنه كان يظهر ل صدره الشريف صوت يسمع من خارج المدينة، وأنه كان له أزيز كأزيز المرجل.

= فما حقيقة إيمانك؟ فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظلمات نهاري، وكأنني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأنني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكأنني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها، فقال: يا حارثة عرفت فالزم ثلاثاً (الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (3367) 3/266، وروى الحديث غير الطبراني).

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (1224) 1/108. ورواه غيره.

(2) رواه البخاري في صحيحه برقم (7054) 6/2723، ومسلم في صحيحه برقم (1151) 2/807. ورواه غيرهما.

(3) رواه ابن حجر الهيتمي في مجمع الزوائد، باب النهي عن مخاصمة الناس 7/221. ورواه غيره.

وسأله عليه السلام أحد علماء بخارى عما يحصل به الحضور للعبد في الصلاة، فقال له: "بأكل الحلال ومراقبة الحق تعالى خارج الصلاة وعند الوضوء وتكبيرة الإحرام". وقال عليه السلام في قوله عليه السلام في الحديث الشريف: "ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت" ⁽¹⁾ إشارة إلى أنه ينبغي للسالك أن يكون الخلاء له ملاً، وأن ما يفعله في الملاء رعاية لنظر الخلق إليه يفعله بالخلوة". وقال عليه السلام: "ورد في الأخبار والآثار وكلام المشايخ الكبار: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب.

ومعناه أن العبد المحبوب إذا عرف العذر عن الذنب واعتذر به لم يضره".

وقال عليه السلام: "الصلاة والصيام والمجاهدة هي طريق الوصول إلى الله تعالى، ولكن نفي الوجود عندنا أقرب، وإن كان لا بد منه مع العبادة والمجاهدة أيضاً، إلا أنها لا تحصل إلا بترك الاختيار وعدم رؤية الأعمال".

وقال عليه السلام: "كل من وفق لمخالفة نفسه وإن كان هو في حد ذاته عملاً قليلاً، يجب عليه أن يراه عظيماً ويشكر الله تعالى على توفيقه له، فإن من قال: إذا أردت مقام الأبدال فعليك بتبديل الأحوال مراده مخالفة النفس".

وقال عليه السلام في قوله عليه السلام: "الكاسبُ حبيبُ الله" إشارة إلى كسب الرضا لا كسب الدنيا، وقال عليه السلام: "الوصول إلى سر التوحيد ممكن في بعض الأحيان، وأما الوصول إلى سر المعرفة فمشكل".

وقال عليه السلام: "إذا شاكت رجل الفقير شوكة فعليه أن يعلم من أي وجه وصلت إليه".

وقال قدس الله سره: "إن طريقتنا من النوادر، وهي العروة الوثقى، وما هي إلا التمسك بأذيال متابعة السنة السنية، واقتفاء آثار الصحابة الكرام، ولقد أدخلوني في هذا الطريق من باب الفضل، فإني لم أشهد أولاً وآخرأ إلا فضل الحق تعالى، والعمل فيه يحصل منه فتوح كثيرة، لأن رعاية السنة السنية من أعظم الأعمال"، وبه يعلم معنى قوله قدس الله سره: "كل من أعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه". وسئل قدس الله سره: بماذا يصل العبد إلى طريقكم؟ فقال: بمتابعة سنة رسول الله عليه السلام.

(1) أورده المناوي في فيض القدير: 463/5.

وقال قدس سره: "ينبغي للمتوكل أن لا يرى نفسه متوكلاً وأن يخفي توكله في الكسب".

وقال قدس الله سره: "إن نظرنا إلى عيب الصاحب بقينا بلا صاحب، فإن أحداً لا يخلو من الصفات البشرية".

وقال قدس الله سره: "إنا تحملنا في هذا الطريق الذلة، ففضل الحق علينا من محض إحسانه بالعزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8/63]".

وكان يحب الفقراء والفقير، ويحضر أصحابه عليه وعلى كسب الحلال ويستدل بقوله ﷺ: "العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها طلب الحلال، وواحد سائر العبادات"⁽¹⁾، وكان يقول: كل ما حصل لي فهو من ذلك.

وكان إذا قدم عليه طعام صنع في حال غضب أو كراهية أو حصل فيه أدنى مشقة، بل لو كان وضع فيه أحد ملعقة على هذه الحالة لا يمد يده إليه، ولا يدع أحداً ممن معه أن يتناول منه شيئاً.

وكان قدس الله سره يصوم أكثر أيامه، فإذا جاءه ضيف وكان عنده ما يكرمه به يأكل معه ويقول سرّاً لأصحابه: "إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يتفرقون إلا عن ذواق"، وقال الشيخ أبو الحسن الخرقاني في كتابه (أصول الطريقة ووصول الحقيقة): إن فضل موافقة الإخوان فيما ليس بمعصية، ليس أقل ثواباً من صوم النفل، ومن آداب الصوم إخفاؤه.

وكان قدس الله سره إذا زاره أحد أحبائه تولى خدمته بنفسه، واعتنى به كل الاعتناء، وخدم دابته أحسن خدمة وقدم لها الماء والعلف بيده المباركة لكيلا يكون في قلب الضيف هم منها، لقوله ﷺ: "هم المؤمن دابته، وهم المنافق بطنه" ويقول: نقل عن العزيزان قدس الله سره أنه كان يبتدئ أولاً بخدمة دابة ضيفه ويقول: "إنها كانت سبباً لوصوله إلي وتشرفي به".

(1) أورده الديلمي في الفردوس برقم (4222) 79/3 بلفظ: "العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشرة كسب اليد من الحلال".

وكان قدس الله سره إذا زار أحداً من أصحابه يسأل عن أهله وأولاده ويلاطف كل واحد منهم بما يناسبه، ويبحث عن متعلقاته ودوابه حتى دجاجاته، ويظهر الشفقة على كل بحسبه ويقول: "كان أبو يزيد عليه السلام إذا رجع من الاستغراق يفعل هكذا".

وكان دأبه قدس الله سره -مع كمال تجرده وزهده- البذل والإيثار، فإذا أهدى إليه أحد شيئاً على شرطه قبله وقابله أضعافه تأسيماً به عليه السلام، وبركته سرت هذه الأخلاق الكريمة إلى أصحابه قدس الله أرواحهم، ودعاه بعض أصحابه في بخارى، فلما أذن للمغرب قال للمولى نجم الدين دادر: "أتمثل كل ما أمرك به؟" قال: نعم، قال: "فإن أمرتك بالسرقة تفعلها؟"، قال: لا، قال: ولم؟، قال: لأن حقوق الله تعالى تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد، فقال: إن لم تمثل أمرنا فلا تصحبنا، ففرغ المولى نجم الدين فرعاً شديداً وضاعت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم أن لا يعصي له أمراً، فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده، وسألوه العفو عنه فعفا عنه، ثم خرج سيدنا الشيخ عليه السلام وفي خدمته المولى نجم الدين ونفر من أصحابه، وساروا إلى محلة باب سمرقند، فأشار الشيخ إلى بيت وقال: اخرجوا جداره وادخلوا تجدوا في الموضع الفلاني منه كيساً مملوءاً أمتعة فأتوا بها"، ففعلوا، ثم ساروا إلى زاوية هنالك وجلسوا، فبعد ساعة سمعوا نبج الكلاب، فأرسل المولى نجم الدين وبعض أصحابه إلى ذلك البيت فوجدوا السراق قد خرخوا جداراً آخر ودخلوا فلم يجدوا شيئاً.

فقالوا لبعضهم: جاء قبلنا سراق وأخذوا ما فيه، فعجب أصحاب الشيخ عليه السلام من ذلك الأمر، وكان صاحب البيت في بستان له، فأرسل الشيخ إليه الأمتعة صباحاً مع مريد وأمره أن يخبره أن الفقراء مروا على بيتك فاطلعوا على هذه القضية فخلصوا الثياب من السارقين، ثم نظر إلى المولى نجم الدين وقال له: "لو امتثلت الأمر ابتداءً لوجدت حكماً جمة".

وقال بعض أصحابه: سبب محبتي له وصحبتي معه عليه السلام أنني كنت يوماً في سوق بخارى في دكان لي، فأتى عليه السلام وجلس إلى دكاني وشرع يذكر بعض مناقب أبي يزيد إلى أن قال: "ومما ذكر في مناقبه أنه قال: لو مس طرف ثوبي أحد صار

محباً لي ومشغوفاً بي ومشى خلفي، وأنا أقول: "لو حركت كمي لجعلت جميع أهل بخارى كبيرهم وصغيرهم والهيئ بي هائمين بحبي، يذرون البيت والدكان ويتبعوني"، ووضع يده المباركة على كمي، فوقع بصري حالتنذ على كمي فاعتراني حال غبت فيه عن نفسي ولبثت زمناً طويلاً كذلك، فلما فقت استولت علي سلطة محبته، وتركت البيت والدكان ولزمت خدمته".

وعن الشيخ عارف الديك كراني أحد أجلاء خلفاء السيد أمير كلال رحمته الله أنه قال: "ذهبنا يوماً لزيارة الشيخ بهاء الدين في قصر العارفان، فلما رجعنا إلى بخارى كان معنا زمرة من فقرائها، فتكلم شخص منهم على الشيخ رحمته الله فنهيناه وقلنا له: إنك لا تعرفه ولا يجوز لك أن تسيء الظن والأدب مع أولياء الله تعالى، فلم ينته، فجاء زنبور ودخل فمه حالاً ولدغته فتألم ألماً شديداً لم يستطع معه صبراً، فقلنا له: هذا من سوء أدبك مع الشيخ، فبكى بكاءً كثيراً ثم تاب وأتاب فبرئ في الحال.

وحاصر عسكر صحراء قيجاق مدينة بخارى مرة، فاشتد البلاء على أهلها وهلك منهم خلق كثير، فأرسل أميرها إليه رحمته الله نفرأ من خاصته بأننا عجزنا عن مقاومة الأعداء بالكلية وفسد كل ما دبرناه، وتقطعت بنا الأسباب، ولم يبق ملجأ نلتجئ إليه من هؤلاء الظلمة إلا أنتم، فتضرعوا إلى الله تعالى أن يخلص المسلمين من أيديهم فهذا وقت المساعدة والأخذ باليد، فقال لهم: نتضرع إليه تعالى الليلة وننظر ما يفعل رب العزة جل جلاله، فلما طلع الفجر أخبرهم، فقال: بأني بشرت بانجلاء البلاء بعد ستة أيام، فبشروا أميركم بذلك، فسر أهل بخارى سروراً تاماً وكان كما ذكر، فإنه بعد ستة أيام رفع عسكر الأعداء الحصار عن البلد وانجلوا عن آخرهم.

وقال الشيخ علاء الدين العطار: "كنا نقرأ عند احتضار حضرة الشيخ رحمته الله سورة يس، فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطع فاشتغلنا بالكلمة الطيبة، فتوفي رحمته الله، وذلك ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبع مئة، وسنه أربع وسبعون سنة، ودفن في بستانه في الموضع الذي أمر به، وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة، ودحوا البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً، وأجرى الملوك عليه

أوقافاً جمّة وبالعوا بالاعتناء به وترفع شأنه، ولم يزل كذلك إلى يومنا هذا يستغاث بجنابه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابه نفعا الله به .

وله عليه السلام خلفاء حنفاء كثيرو العدد، ولكل واحد منهم خلفاء كثيرون ذوو كرامات شهيرة، ومنهم من سرى إليه سر هذه النسبة العلية من سيدنا النقشبند مثل سيدنا الشيخ علاء الدين العطار عليه السلام.

واعلم أن للطريقة النقشبندية ثلاث سلاسل:

الأولى: وهي السلسلة المتصلة من مدينة العلم إلى بابها الأعظم سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الإمام الحسين إلى سيدنا الإمام زين العابدين علي الأصغر، إلى سيدنا الإمام محمد الباقر، إلى سيدنا الإمام جعفر الصادق، إلى سيدنا الإمام موسى الكاظم، إلى سيدنا الإمام علي الرضا، إلى سيدنا معروف الكرخي، إلى سيدنا السري السقطي، إلى سيدنا أبي قاسم الجنيد البغدادي، إلى سيدنا الشيخ أبي علي الروذباري، إلى سيدنا أبي علي الكاتب، إلى سيدنا أبي عثمان المغربي، إلى سيدنا أبي القاسم الكركاني، إلى سيدنا أبي علي الفارمدي (شيخ السلسلة الثالثة)، وهذه هي المسماة بسلسلة الذهب لاتصالها بآل البيت الأطهار رضوان الله عليهم أجمعين .

الثانية: وهي السلسلة المتصلة من روح العالم، إلى صفوة الكرم سيدنا علي المرتضى، إلى سيدنا الحسن البصري، إلى سيدنا حبيب العجمي، إلى سيدنا داود الطائي، إلى سيدنا معروف الكرخي (شيخ السلسلة الأولى)، وعنده تجتمع السلسلتان رضوان الله عليهم أجمعين .

الثالثة: وهي السلسلة المتصلة بالشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أمير كلال قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ علي الرامتني قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ محمود الإنجير فغنوي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ عارف الريوكري قدس سره، وهو

عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الخالق الغجدواني قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي يعقوب يوسف الهمداني قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره، وهو عن العارف بالله تعالى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهو عن جده العارف بالله تعالى قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عليه السلام، وهو عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي عليه السلام، وهو عن سيدنا أبي بكر الأكبر عليه السلام، وهو عن النبي صلى الله عليه وآله وهو عن جبريل عليه السلام، وهو عن الله عز وجل.

واعلم أن ألقاب السلسلة تختلف باختلاف القرون، فمن حضرة الصديق عليه السلام إلى الشيخ طيفور بن عيسى أبي يزيد البسطامي تسمى (صديقية) ومنه إلى الخواجه كان الشيخ عبد الخالق الغجدواني تسمى (طيفورية) ومنه إلى حضرة الشيخ بهاء الدين محمد الأوسي البخاري قدس سره تسمى (خواجكانية) ومنه إلى حضرة الشيخ عبد الله الأحرار تسمى (نقشبندية) أي منسوبة إلى (نقش بند)، ومعناه ربط النقش، لأن الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي كان يذكر الله بالقلب وظهر لفظ الجلالة إلى ظاهر قلبه، فلذا سميت نقشبندية.

القرنُ التاسع

الشيخ عبد الكريم الجيلي* (767هـ - 832هـ)

هو قطب الدين عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، نسبة إلى قرية جيل التابعة لبلاد إقليم طبرستان، وقال بطرس البستاني في (دائرة المعارف): "جيلان أو كيلان تقع في الجزء الشمالي الغربي من بلاد فارس (615/6).

وهو سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني لذلك يضاف إلى اسمه لقب القادري، وهو من متابعي الطريقة القادرية.

وكان الجيلي متضلعا بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة إلا أنه اشتهر بالكتابة في علم الحقيقة أي العلم المتعلق بالركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: الإسلام، والثاني: الإيمان، والثالث: الإحسان.

تلمذ الشيخ الجيلي على شيخه الشيخ إسماعيل الجبرتي.

وكانت ولادته سنة 767هـ، وتوفي سنة 832هـ/1428م.

* للتوسع في ترجمته يرجع للمصادر التالية: بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، النسخة العربية 247/7. الجيلي: المناظر الإلهية، 11- - 41. البغدادي: هدية العارفين، 1/610. الزركلي: الأعلام، 4/175. كحالة: معجم المؤلفين، 5/8313، محمد عيسى صالحية: المعجم الشامل التراث المطبوع، 2/114.

مؤلفاته:

ترك الشيخ عبد الكريم الجيلي عدداً من المؤلفات الهامة كلها في علم الحقائق الإلهية. وهذه المؤلفات لم ينشر منها إلا القليل فضلاً عن أن هناك عدداً منها لم يعرف عنه شيء سوى ما ذكره الجيلي نفسه في بعض مؤلفاته. وهذه المؤلفات هي التالية:

- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، وهو من أهم كتبه وأشهرها، وهو مطبوع عدة طبعات.
- الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو مطبوع.
- المناظر الإلهية وهو مطبوع.
- الإسفار عن نتائج الأسفار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار وهو مطبوع.
- شرح مشكلات الفتوحات المكية.
- الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية وهو مطبوع.
- شرح أسرار الخلوة لابن عربي وهو مطبوع.
- القصيدة العينية، وهو مطبوع.
- قصيدة الدرة الوحيدة في اللجة السعيدة.
- حقيقة اليقين وزلفة التمكين.
- قطب العجائب وفلك الغرائب.
- المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية.
- الخضم الزاخر والكنز الفاخر في تفسير القرآن.
- جنة المعارف وغاية المريد والعارف بالفارسية.

- المرقوم في سر التوحيد المحمود والمعلوم.
- حقيقة الحقائق التي هي من وجه للحق ومن وجه للخلائق.
- مراتب الوجود، وهو مطبوع.
- الغايات في معرفة معاني الآيات والأحاديث المتشابهات، وهو تعريف بالذات الإلهية.
- بداية مبحث في معرفة الله.
- الناموس الأعظم والقاموس الأقدم، وهذا الكتاب عبارة عن أربعين جزءاً وهو متناثر في المكتبات وغير كامل حتى الآن.
- سر النور المتمكن.
- زلفة التمكين.
- لوامع البرق الموهن.
- السفر القريب نتيجة السفر الغريب.
- رسالة أربعين في أحوال الصوفية، طبع أدنبرغ.
- لسان القدر بكتاب نسيم السحر، وهو مطبوع.
- عقيدة الأكابر المقتبسة من أحزاب وصلوات، وهو مطبوع.
- روضة الواعظين.
- قاب قوسين وملتقى الناموسين.
- كشف الغايات شرح كتاب التجليات، وهو مطبوع.
- منازل المنازل في معنى التقربات بالفوائد النوافل.
- عيون الحقائق في كل ما يحصل من علم الطرائق.
- نسيم السحر سبب الأسباب والكنز لمن أيقن واستجاب، وهو مطبوع.

سيدي محمد بن عمر الهواري*

هو الشيخ الولي الصالح العارف بالله القطب أبو عبد الله سيدي محمد بن عمر الهواري، كان كثير السياحة شرقاً وغرباً وبراً وبحراً، أخذ بفاس عن موسى العبدوسي والقباب، وببجاية عن شيخه أحمد بن إدريس وعبد الرحمن الوغليسي وكان يثني على أهل بجاية كثيراً، لمحبتهم الغرباء والفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم على الحلال. سافر من فاس إلى المشرق للحج.

فدخل مصر فلقي من بها وأخذ عنهم كالقرافي وغيره وجاور مدة بالحرم الشريف بين مكة والمدينة، ثم سافر للقدس لرؤية بيت المقدس والصلاة بها، وجال في بلاد الشام، وكان في جامع بني أمية يأوي في سياحته لغيضة ملتفة فتأوي إليه السباع والوحوش العادية. ثم استقر بوهران مثابراً على العلم والعمل والصدق في الأحوال وانتفع بمن اجتمع به.

ولما قرب أجله كان أكثر كلامه في مجالسه في التبشير بسعة رحمة الله وعفوه، قال بعضهم: كان مقطوعاً بولايته. وأخذ عنه إبراهيم التازي قال أبو عبد الله بن الأزرق: وقفت لبعض العصريين أن الشيخ الولي الصالح الشهير أبا عبد الله الهواري نزيل وهران لما ألف (السهو) الذي عمل عليه (التنبيه) أخذه الفقيه أبو زيد عبد الرحمن المغراوي المقلashi فوزن فيه أشياء، وأعرب فيه أشياء، فأتى به الشيخ وقال له: يا سيدي إني أصلحت سهوك، فقال له الشيخ: هذا السهو يقال له سهو المقلashi، وأما سهوي فهو سهو للفقراء إنما ينظرون فيه إلى المعنى، ومن أين العربية والوزن لمحمد الهواري، بل سهوي يبقى على ما هو عليه، انتهى. قال ابن الأزرق وفي مراعاة هذا المعنى على الجملة أنشد غير واحد:

وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى وما ضر ذا التقوى لسان معجم

* انظر ترجمته في تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الغول: 174.

- وطبقات الشاذلية الكبرى للطعني: 200.

- والبستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان للإمام أبي عبد الله ابن مريم الشريف المديوني: 228.

ولم يزل عبد الرحمن يرتعش حتى مات من أجل اعتراضه على الشيخ .
وأما سيدي محمد الهواري نفعا الله به فقد بلغت كراماته التواتر المعنوي ،
واشتهرت بين العام والخاص اشتهاً عظيماً . وقد أجمع على تعظيمه وتسليم
التقديم له في الولاية كل من عاصره من بلاد المغرب من الأولياء ؛ وقد سافر الشيخ
سيدي الحسن بن مخلوف لزيارته من تلمسان حافياً راجلاً من باب البلد إلى أن
بلغه تأدباً معه ، وإنما يعرف الأولياء أمثالهم ومن ذاق شيئاً من فتوحاتهم ، ومن
كراماته ما أخبر به الشيخ الولي العلامة العلم سيدي سليمان بن عيسى بحذاء داره
بقلعة هواره ، قال كتبت للشيخ سيدي محمد الهواري كتاباً فيه نحو السبعين سطراً
أشكو إليه فيه بأمور وأسأله عن أمور ، فلما ذهب رسولي بالكتاب بدا لي وقلت لعل
الرسول لا يضبط جواب الشيخ ، فتبعت الرسول . فسبقني إلى الشيخ وأعطاه
الكتاب وقال له هذا كتاب سيدي سليمان بن عيسى الذي بهواره ، فقال له الشيخ :
أنت سقت الكتاب أم صاحب الكتاب ؟ فتعجب ولم يفهم كلام الشيخ ، فدخلت
عليه بالفور فوجدته يقول للرجل : أنت سقت الكتاب أم صاحبه ؟ والرجل يراجع
ويقول له يا سيدي هذا كتاب سيدي سليمان . فلما سلمت على الشيخ رأي الرجل
وتعجب من مقالة الشيخ ومن كونه تركني بهواره فسكت حينئذ الرجل ، وبقي
الكتاب مطروحاً بين يدي الشيخ ولم يرفعه ولم يفك عنوانه ولم يسألني عما فيه . ثم
شرع الشيخ في جواب ما في الكتاب سطرّاً سطرّاً على الترتيب ، حتى أتى على
آخره وعلى جميع ما فيه من أوله إلى آخره ثم على كل ما يحدث به الخاطر ، ولم
أحتج إلى أن أتكلم بكلمة . فرجعت وقد قضيت العجب بما رأيته ، وحمّلني ذلك
على أن جعلت في مدحه وما رأيته له من الخوارق قصيدة تزيد على ستين بيتاً أو
قال تزيد على سبعين بيتاً . وقد ذكر لنا ذلك الوقت أبياتاً منها ، وقد طلبناها منه
فبحث عنها فلم يجدها في الوقت ، وواعدنا بها ولده بعد موته فلم يقض له ببيعها
حتى مات .

وحدثنا الشيخ الولي العلامة آية الله تعالى في الكرم والرحمة للمساكين سيدي
عبد الحميد العصنوني ، نفعا الله به ، بمنزله من ونشريس ، وكان من أكابر أصحاب
الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف رحمه الله تعالى . قال زرت الشيخ سيدي محمد

الهوري، نفعا الله به، بمدينة وهران فسلمت عليه وجلست، فسأله شخص عن مسألة في علم؟ فقال له الشيخ إنما يجيب عن هذه المسألة ابن مرزوق الذي ليس عنده ولد. قال: فتعجبت من قول الشيخ ليس عنده ولد. وأنا أعرف أن الشيخ سيدي محمد بن مرزوق عنده ولدان، فجئت إلى تلمسان فقدمت على الشيخ سيدي الحسن وسلمت عليه وأردت أن أخبره بما قال الشيخ، فقال لي: لا تذكر شيئاً حتى تذكره للشيخ سيدي محمد بن مرزوق، فطلعت وكان وقت حر وقائلة، فجئت إلى مدرسة منشار الجلد، فقلت: لا يمكن أن أذهب إلى الشيخ في هذا الوقت، لكن أدخل أتبرد في هذه المدرسة إلى وقت صلاة الظهر وألقى الشيخ إن شاء الله تعالى. فبينما أنا كذلك إذ الشيخ سيدي محمد بن مرزوق قد جاذبني من ورائي، ورفعني إلى جهة مجاز أئمة الجامع، ثم قال: لي اذكر ما سمعت من الشيخ سيدي محمد الهواري، فتعجبت من مكاشفة سيدي محمد بن مرزوق بما وقع، وذلك أول قدومي ولم أذكر لأحد فذكرت للشيخ سيدي محمد بن مرزوق ما قاله الشيخ سيدي محمد الهواري، قال الحمد لله الذي أراحني منهما؛ يعني من ولديه. وفهم من قول الشيخ أنه كوشف بعدم بقائهما وأنهما يموتان عن قريب فكان الأمر كذلك.

قال الشيخ السنوسي وأخبرني أخي سيدي علي التالوتي أن السلطان أبا فارس لما توجه إلى هذه المدينة في خلافة السلطان أحمد خاف منه السلطان أحمد كثيراً وهبط إلى الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف، وقال له: يا سيدي إن هذا الإنسان توجه إلينا، كما علمت؛ فأستشيرك على ثلاثة أمور هل أذهب إليه وألقاه في الطريق؟ أو أصبر حتى يقدم إلينا؟ أو أذهب إلى هنين فأركب منها البحر إلى الأندلس؟ فقال له الشيخ: لا أدري ما أقول لك، ولكن هنا من يشفيك في هذا الأمر؛ وذلك أن هنا الشيخ بختي خديم الشيخ سيدي محمد الهواري تبعته إلى الشيخ وتبعته معه كتابك تريح فيه أمرك. قال: فبعث الشيخ سيدي الحسن خديم الشيخ سيدي محمد الهواري فحضر والسلطان جالس وقال له السلطان: أحب أن تأتيني بجواب الشيخ ناجزاً فالتزم له بذلك، وكتب له السلطان بعد أن طلع من عند الشيخ وطبع بطابعه على مكتوبه ودفع الكتاب إلى الشيخ سيدي بختي خديم الشيخ سيدي محمد الهواري قال سيدي بختي: فلما دخلت على الشيخ بكتاب السلطان،

قال لي قبل أن يرى الكتاب، وقبل أن أذكر له السلطان ولا أخبره بشيء: يا بختي لا حاجة لنا بصحبة السلطان وما الذي ساقنا إليه. فقلت له: يا سيدي إن هذا الأمر وقع بين يدي الشيخ سيدي الحسن فلم أجد بداً من فعله، فلما سمع بذكر الشيخ سيدي الحسن في القضية انشرح صدره حينئذ بعض انشراح، ثم قال لي: خذ من صاحبك البشارة، وقل له: إن السلطان أبا فارس لا تراه ولا يراك أبداً. قال فجاءنا سيدي بختي على الفور ووقف على الشيخ سيدي الحسن أولاً فأراد أن يخبره بما قاله الشيخ سيدي محمد الهواري فمنعه، وقال له: اكتم السر فإنه أمانة حتى يجيء صاحبها. فبعث الشيخ سيدي الحسن إلى السلطان أحمد فهبط بعد صلاة العصر والتقى مع سيدي بختي خديم الشيخ سيدي محمد الهواري، فأعلمه بما قال الشيخ سيدي محمد الهواري، ففرح فرحاً عظيماً وأعطى للشيخ سيدي بختي عشرين ديناراً على تبليغ البشارة وتسببه فيها. ومن حقه أن يعطيه مئة دينار أو أكثر لعظيم ما دفع الله تعالى عنه. ثم كان من قضاء الله وقدره أن السلطان لما بلغ إلى جبل ونشريس وطوع أهله بالقهر رجع على الفور إلى تونس في شر حال ومات في يوم عيد بلا تقدم مرض والفقهاء ينتظرون خروجه لصلاة العيد. ووقع الأمر على ما قال سيدي محمد الهواري رحمه الله تعالى ﷺ ونفعنا به آمين.

وأخبرني أيضاً أخي سيدي علي أن عثمان بن موسى المسعودي العامري، وكان طاغياً جداً لا يبالي بأخذ الأموال وذبح الرجال من غير سبب. أخذ مالاً كثيراً لبعض من ينتمي إلى الشيخ سيدي محمد الهواري، فبعث الشيخ لسيدي الحسن بن مخلوف بعض خدامه، وقال له: إن الشيخ يقول لك أنا لا أعرف هذا الإنسان وأنت تعرفه فاكتب له أن يرد ما أخذ لصاحبنا. فكتب الشيخ سيدي الحسن لأخيه سليمان بن موسى ووكد عليه وقال له: اذهب بنفسك للهيبل أخيك وقل له ما وجدت ممن تتعدى عليه إلا من ينتسب للشيخ سيدي محمد الهواري وسترى عاقبة أمرك إن لم ترد ما أخذت له في الحال، أو كلاماً قريباً من هذا. وقد كان سيدي محمد الهواري كتب كتاباً للص عثمان بن موسى يأمره برد ما أخذ لذلك الإنسان الذي ينتمي إليه. فزاد عتواً وأخذ خديم الشيخ الذي ساق إليه الكتاب وكبله، فحكى بعضهم عن الشيخ سيدي إبراهيم التازي أنه قال كان الشيخ جالساً

في معتاد جلوسه، فجاء الخبر أن خديمه الذي بعث معه الكتاب كبله عثمان بن موسى فغضب الشيخ غضباً شديداً حتى اسود وجهه، وقام على الفور ودخل خلوته ساعة، وسمعتة يقول: مفرطخ، كأنه يبين لمأمور بإهلاكه وصفة إهلاكه. فاتفق أنه كان بذلك اليوم عرس بموضع عثمان بن موسى فدفع فرسه وأجراها في ملعب، فاشتهر عند الحاضرين من الرجال والنساء أنهم رأوا شخصاً أبيض أخذه من فرسه وضرب به الأرض فوجدوا والعياذ بالله رأسه داخلاً في جوفه، فقال سيدي علي أخي لأمي دخل علينا الشيخ سيدي الحسن في غدوة ذلك اليوم الذي يلي هلاكه ونحن ننتظره في المسجد للقراءة فتبسم غاية التبسم، فلما جلس قال لنا: إن اللص قد قضى الله الحاجة فيه أمس، وقد أهلكه الله هلاكاً غريباً فاحشاً قد عجل عليه الشيخ، يعني أنه اشتد غضبه فدعا عليه قبل أن يصل إليه كتاب الشيخ سيدي الحسن مع أخيه الشيخ سليمان، ويحاول في قضاء الحاجة منه برفق. وبنفس ما أهلك الله اللص أطلقت النساء خديم الشيخ سيدي محمد الهواري وردوا المال على من انتمى إلى الشيخ؛ إذ تيقنوا أنه لم يهلكه الله إلا بسبب الشيخ، وكانت أمه تصيح عليه قبل أن يهلكه الله وتحذره من إغصاب الشيخ والهلاك بسببه، فلم يلتفت إلى كلامها ولا إلى غيرها ممن يحذره من الشيخ؛ لما سبق عليه من الشقاء والعياذ بالله من إذاية أوليائه والتعرض لأصفيائه.

وأخبرني الشيخ الصابر على خدمة الفقه وملازمة العبادة إلى أن توفي سيدي أحمد بن عمر التالوتي الأنصاري قال لي: كنت في ابتداء أمري أقرأ عند العرب وأركب معهم وأسير معهم حيث ساروا. فدخلنا مرة وهران، فذهب المشايخ أصحابي إلى الشيخ سيدي محمد الهواري فذهبت تابعاً لهم من غير غرض لي لعظم ما كنت فيه من الغباوة. فلما خرجوا من عند الشيخ تقدمت وسلمت عليه، فسألني عن حرفتي، فذكرت له معاشره العرب وصحبتهم لهم، فقال لي: فارقهم تربح ربحاً عظيماً. ثم أخذ ينظر إلى السماء وينظر إلي ويقول لي: ما أعظم الخير الذي يصل إليك إن فارقتهم. ثم يعيد النظر إلى السماء وينظر إلي ويعيد مقالته مراراً عديدة، فخرجت من عنده ولم أعزم على مفارقتهم. ففرق الله بيني وبينهم من غير اختيار مني لمرض أصابني. واتفق أن أصحابي خالفوا على السلطان وخرجوا إلى الصحراء وتولى أعداؤهم، فلم يمكنني من أجل خوفي منهم أن أقيم ببلد تالوت.

فاضطرنني القضاء إلى دخول تلمسان من غير حب فيها ولا قصد إليها . ثم صرت أخرج إلى الجبل الذي أعلى تلمسان وأطلب الكنوز مدة ، وظننت أن الخير الذي وعدني به الشيخ سيدي محمد الهواري عند مفارقة العرب هو الخير الدنيوي بجهلي . واستغرق قلبي في محبة الدنيا فلم أقدر خيراً سواها . ثم أخذ الله سبحانه وتعالى بيدي فصرت أهبط إلى الشيخ سيدي الحسن بن مخلوف نفعا الله به ، فكان ذلك سبب الفتح في حب الخير الأخروي وفي حب العلم النافع وخدمته إلى الممات . فختمت عليه رسالة الشيخ ابن أبي زيد مراراً كثيرة بقراءته المحققة التي لا يُرى - والله أعلم - مثلها . ثم عرفت الشيخ سيدي محمد بن مرزوق قال وبعد أن عرفت هذا الخير الأخروي واتضح لي خسة الدنيا وشهوتها اتضح لي مراد الشيخ سيدي محمد الهواري نفعا الله به آمين .

وأخبرني أيضاً أخي سيدي علي التالوتي أنه أتى يوماً رجل من مدينة وهران واستأذن على الشيخ سيدي الحسن فأذن له ودخلت معه ، فأخرج وثيقة مشهوداً فيها فناولنيها وقرأتها على الشيخ ، ومضمونها أن الشهود الموضوعة أسماؤهم عقب تاريخه يشهدون على الشيخ الولي الصالح القطب . وذكروا صفات كثيرة للشيخ سيدي محمد الهواري أنه ضمن فلان بن فلان يعنون ذلك الرجل في سلامة ذاته دون ماله . وتحت ذا خط الشيخ سيدي محمد الهواري بيده أنه موافق على ما في الوثيقة . فلما خرج ذلك الرجل بقيت أنا وحدي عند الشيخ وصرت أتعجب وأستغرب وقوع ذلك ، فقال لي الشيخ سيدي الحسن : إنّ سيدي محمد الهواري من الكوامل ، يعني أنه لا يستغرب وقوع هذا منه لأنه أهل له بخلاف غيره ممن لم يصل إلى رتبته نفعا الله به وبأمثاله آمين .

وأخبرني الشيخ الصالح الحاج الأبرك سيدي منصور بن عمر الديلمي رحمته الله قال : دخلت وهران فزرت الشيخ سيدي محمد الهواري ، فلما سألتني عن حالي وعرف أن لي زاوية وأن الناس يتعلقون بي طلباً للأمان على أنفسهم وأموالهم ، قال لي الشيخ : لا ينبغي أن يتخذ زاوية ولا يتعرض لتأمين الناس إلا من كان محفوظاً لا يقدر أحد أن يتعدى عليه وعلى حرمه ، وأدنى الأمور أن يكون الوجود عنده في طرف ثوبه يعني الظالمين والمتعدين على من يتعلق به ، وإلا كان غاراً بالناس ونحو هذا من الكلام فلما انصرف الشيخ صعدت إلى الشيخ سيدي إبراهيم التازي لأزوره

في زاويته، فلما سلمت عليه وقد كان سمع من غرفته ما قال لي الشيخ من شأن الوجع، فقال لي: قد أمكنتك فرصة من الشيخ فلم تغتنمها، فقلت له ما هذه الفرصة التي فرطت فيها؟ فقال: كان حقك حين قال لك الشيخ أدنى ما يكون عند من يتعلق به الناس الوجع يكون في طرف ثوبه لكل من يتعرض لهتك حرمة أن تقول له حينئذ: منك يا سيدي أطلب هذا الأمر وعليك أعتمد فيه. فقلت له يا سيدي غباوتي منعتني الفطنة لذلك، فقال لي الشيخ سيدي إبراهيم: حيث فاتك هذا الغرض فأنا إن شاء الله أمكنك منه، قال سيدي منصور ثم لشدة غباوتي وعظم بلادتي سافرت ولم أطلب من الشيخ سيدي إبراهيم التازي نفعا الله به ذلك. وقد ظفر من الشيخ بذخائر من الحكم الربانية ووصل بسببه إلى الرسوخ في مقامات غريبة عرفانية. ولا شك أن من شاهده يفهم من لسان حاله تمكينه في رتبة الولاية ورسوخه في مقام أهل التصرف والمعرفة. ولقد شاهدت عجائب؛ وذلك أنه لما أردنا السفر من عنده إلى تلمسان مع فقراء سيدي يحيى بن عبد العزيز وأصحابه وكان ذلك في أواخر كانون الأول/دجنبر أو أوائل كانون الثاني/يناير وظهرت أيام طيبة فأردنا أن نغتنم فيها السفر إلى تلمسان خوفاً من حدوث الأمطار ونحوها مما يعطل عن السفر في تلك الأيام الطيبة اغتناماً لها. فاستأذنه سيدي يحيى ومن معه في السفر، فلم يأذن لهم ونحن تبع له. وكرر عليه بعد ذلك مراراً فلم يأذن لنا في السفر. وصرنا جميعاً ننتظر إذن الشيخ بنفسه من غير استئذان فاتفق أننا أصبحنا يوماً ثقل فيه السحاب وأظلم الجو فيه وكثر فيه المطر وليس محلاً للسفر أصلاً ولا تتوهم فيه. فإذا بالشيخ بعث وراءنا مع الفقراء أن نودعه للسفر فودعنا وقلوبنا فيها أمر عظيم من الخروج في ذلك الهول، فسمعنا وأطعنا مكرهين، فخرجنا والمطر يصب علينا فلم نجاوز قريباً من باب البلد إلا والمطر قد ارتفع وإذا السحاب قد انقشع وظهرت الشمس أحسن ظهور ولا ريح معها ولا برد، فجئنا نتقلب في نعم الله تعالى وبتنا في الخلاء تلك الليلة فلم يمسننا برد كأنه ربيع أو صيف. ولقينا جماعة من الخيل قاصدين لقطع الطريق وتعرضوا لنا فجزناهم ولم نلتفت إليهم، فغل الله تعالى أيديهم وبقوا باهتين ينظرون إلينا حتى غبنا عنهم، فلما وصلنا إلى تلمسان تغيمت السماء وكثر المطر والثلج ودام ذلك مدة طويلة. فتعجبنا من مكاشفة الشيخ سيدي إبراهيم التازي ﷺ وأفاض علينا بركاته آمين.

الشيخ آق شمس الدين محمد* (792هـ - 863هـ)

الشيخ محمد بن حمزة الشهير بآق شمس الدين بن العارف بالله تعالى الشهاب السهروردي رحمته الله، عالم عارف، نسبه رفيع الأركان.

ولد عام 792 ونشأ بدمشق ثم أتى مع والده وهو طفل إلى بلاد الروم، واشتغل بالعلوم، حتى صار مدرساً بها.

وكان يميل إلى التصوف، فأخذ عن الشيخ بيرم وكان في أول أمره ينكر عليه، لكونه يدور في الأسواق، ويسأل الناس، ثم ترك التدريس وتوجه للشيخ زين الدين الخوافي، فلما وصل إلى حلب، رأى أن في عنقه سلسلة، طرفها بيد الحاج بيرم بمدينة أنقرة، فتوجه إليه، فوجده مع مريديه يحصدون الزرع، فلم يلتفت إليه الشيخ بيرم، فلما فرغوا، أحضر لهم الطعام، ووزعه على الفقراء، فلم يلتفت الشيخ بيرم إلى صاحب الترجمة، ولم يدعه إلى الطعام، فقعد آق مع الكلاب، وأكل معهم، فناداه بيرم: يا كوسخ⁽¹⁾، ادن مني، فقد أخذت قلبي، فأخذ عنه، واشتغل حتى حصل طريق الصوفية، ونال من المقامات العلية، والكمالات السنية، وله مناقب وكرامات، منها: أنه كان طبيباً للأبدان، كما كان طبيباً للأرواح، وله في الطب الظاهر تصانيف، وكانت العشب تناديه، وتقول له: أنا شفاء من المرض الفلاني.

ومنها: أنه أخبر أن سليمان جلبي بن الوزير خليل، لما كان قاضياً بالعسكر، في زمن مراد خان، وقد مرض بمدينة⁽²⁾ أدرنة، وزاره والده، فدعا الوزير الشيخ

* انظر محمد الفاتح لعلي محمد الصلابي، أعلام المسلمين (9) السلطان محمد الفاتح للدكتور عبد السلام فهمي، الشقائق النعمانية: 138، البدر الطالع: 166/2، جامع كرامات الأولياء: 164/1.

(1) الكوسخ: ويضم، معرب كوسه: الأنت الذي لا يشعر على عارضيه. متن اللغة (كسوخ)، اليقطين. هي نوع من القرع

(2) الشقائق: 139.

لولده ليطبه، فدخل عليه، فوجد أطباء السلطان حوله يحضرون الأدوية للعلاج، فقال الشيخ للأطباء: أي مرض هذا؟

فقالوا: المرض الفلاني، قال: عالجه بدواء السرسام⁽¹⁾، فأنكروا عليه، فعالجه هو به، فبرئ حالاً.

ومنها: أن محمداً باشاه (محمد الفاتح) توجه إلى فتح القسطنطينية⁽²⁾، وهو معه فأخبره أنها تفتح في وقت كذا، فكان كما قال. وكانت دعوته تخرق الطباق، ثم تفرق، وتملاً بركاتها، الآفاق، فقال السلطان: ما فرحت بهذا الفتح وإنما فرحت بوجود هذا الرجل في زماني، ثم جاء السلطان إلى خيمته، والشيخ مضطجع لم يقم له، فقال السلطان محمد للشيخ: جئتك لحاجة، لأن أدخل الخلوة عندك أياماً، قال: لا، فأبرم عليه مراراً، وهو يقول: لا، فغضب السلطان وقال: يجيء إليك واحد من الأتراك، تدخله الخلوة بكلمة واحدة، قال: إنك إذا دخلتها، تجد لذة تسقط السلطنة عن قلبك، فتختل أمورها، فيمقت الله علينا⁽³⁾، ثم عرض عليه مالا كثيراً، فلم يقبل، فقال لبعض أصحابه لما خرج: إن الشيخ ما قام لي، وأظهر التأسف، وقال ابن ولي الدين: شاهد فيكم الغرور بسبب هذا الفتح، الذي لم يتيسر للسلطين قبلكم، والشيخ مرب، فأراد دفع الغرور عنكم.

ففي ثاني يوم دعا الشيخ في ثلث الليل الأخير، فخاف جماعته عليه، فلما دخل، بادر إليه الأمراء يقبلون يده، وجاء السلطان، فعانقه وضمه شديداً،

(1) السرسام الحار أو الحقيقي قرانيطس باليوناني: وهو ورم في أحد حجابي الدماغ أو فيهما، وعلامته حمى دائمة مع ثقل الرأس، وحمرة العين والوجه، وعظم النبض، والسرسام البارد (الليثرغس) وعلامته حمى لينة وصداخ خفيف وبزاق وبياض في اللسان وكسل عن الجواب واختلاط عقل ونسيان. انظر قاموس الأطباء: 1/ 217 و220.

(2) في الأصل أحمد باشاه، وفي الشقائق: أن السلطان محمداً خان لما أراد فتح القسطنطينية دعا الشيخ للجهاد، ودعا الشيخ آق بيق وأرسل إليها المرحوم أحمد باشا ابن ولي الدين للتوجه إلى فتح قسطنطينية.

(3) الشقائق النعمانية: 140.

حتى ارتعد. وكاد يسقط، فقال السلطان: كان في قلبي شيء منه، فلما ضممني انقلب حباً. ثم سأله السلطان أن يعين له قبر أبي أيوب الأنصاري - وكان بقرب القسطنطينية- وقال: أنا أشاهد في ذلك الموضع نوراً، فلعله قبره، فأتاه، فتوجه زماناً، ثم قال: التقيت مع روحه، وهنأني، وقال: شكر الله سعيكم، خلصتموني من ظلمة الكفر، فأخبر السلطان، وجاء به للموضع، فقال: إني مصدقك، لكن ألتمس منك علامة أراها بعيني، ويطمئن بها قلبي، فتوجه الشيخ ساعة، ثم قال: احفروا هذا الموضع من جانب رأس القبر قدر ذراعين، يظهر رخام عليه خط عبراني، تفسيره، فإذا هو كما قاله الشيخ، فتحير السلطان ودهش، حتى كاد يسقط، لولا أنهم حملوه، ثم بنى عليه قبة وجامعاً، وسأل الشيخ في الإقامة به، فأبى.

وعاد إلى وطنه، فلما ركب البحر، قال لأولاده: لما جاوزت امتلاً قلبي نوراً لمفارقتي لما بالقسطنطينية من ظلمة الكفر.

ثم سار، فلقيه رجل من الروم وتحتة فرس نفيس، فسار قليلاً ثم رجع، وقال للشيخ: وهبتك الفرس، فسأله ولده عن ذلك، فقال: وقعت الفرس في نفسي، ولو كان لرجل كريم عبد، وهو في طاعته، ومال إلى شيء، أعطاه إياه، فألهم الله ذلك الرجل أن يعطيني الفرس، لما مالت إليها نفسي.

وله رسائل كثيرة في التصوف، والطب.

وكان له ولد طفل مجذوب اسمه نور الهدى، فدخل على الشيخ أمير أطلس لا لحية له، فضحك له الولد، وقال: هذا امرأة، فغضب عليه الشيخ، فقال الأمير للمجذوب: ادع لي لتبت لحيتي، فأخذ من بصاقه ومسح به وجه الأمير، فنبئت لحيته حالاً، فأخبر السلطان، فوقف على ذلك الولد أوقافاً، هي بيد أولاده إلى الآن.

مات رحمه الله عام 863هـ الموافق لـ 1459م.

إبراهيم بن محمد التازي*

هو إبراهيم بن محمد بن علي اللتي التازي نزيل وهران. الإمام العالم العلامة الناظم البليغ الورع الزاهد الولي الصالح العارف القطب. صاحب الكرامات والأحوال البديعة، والقصائد الرائقة الأنيقة.

قال أبو عبد الله بن سعد في (النجم الثاقب): كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزاهدين وعباده الصالحين، إماماً في علوم القرآن، مقدماً في علم اللسان، حافظاً للحديث، بصيراً بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين وإماماً من أئمة المسلمين، وقفت على كثير من تقايده في الفقه والأصول وعلم الحديث بخطه الرائق، وهو من أهل الحفظ العظيم معروفٌ بجودة النظر والفهم الثاقب، جامعٌ لمحاسن العلماء ممتع بآداب الأولياء فلا نظير له في كمال العقل ومتانة الحلم والتمكن في المعارف وبلوغ الدرجة العليا في حسن الخلق وجميل العشرة والمعرفة بأقدار الناس والقيام بحقوقهم وحسبك من جلالته وسعاده أن المثل ضرب بعقله وحلمه، واشتهر في الآفاق ذكر فضله وعلمه حتى الآن. وإذا بالغ أحد في وصف رجل قال: كأنه سيدي إبراهيم التازي. وإذا امتلأ أحدهم غيظاً قال: لو كنت في منزلة سيدي إبراهيم التازي، ما صبرت لهذا لما كان يتحملة من إذاية الخلق، والصبر على المكاره، واصطناع المعروف للناس، والمداراة فهو أحد من أظهرهم الله لهداية خلقه، وأقامه داعياً لبسط كراماته، مجللاً برداء المحبة والمهابة مع ما له من القبول في قلوب الخاصة والعامة، فدعاهم إلى الله ببصيرة وأرشدهم لعبوديته بعقائد التوحيد ووظائف الأذكار.

كان أحسن الناس صوتاً وأنداهم قراءة، آية في فصاحة اللسان والتجويد، ذكر أنه أيام مجاورته كان إذا قرأ البخاري أو غيره انحشر الناس إليه لحسن قراءته وجودته، وصلى الأشفاع هناك في رمضان بالناس لحسن تلاوته وطلاوة حلاوته وأصله من بني لنت قبيلة من بربر تازا، وشهر بالتازي لولادته بها.

* انظر كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الغول: ص 11.

- النجم الثاقب للشيخ ابن سعد.

وقرأ بها القرآن على العالم الصالح الولي العارف أبي زكرياء يحيى الوازعي .
 وكان هذا الشيخ يعتني به على صغر سنه ، ويقول لأقرانه : هذا سيد كم وصالحكم ،
 وما زال على حاله الحسنة ، ونشأته الصالحة وهديه القويم إلى أن رحل للشرق ،
 وعلماءه على ساق ، وعرفت صديقيته هناك ، واشتهر ذكره وكان رفيقه في وجهته
 للبلاد المشرقية نظيره في العلم والدين الولي الصالح الزاهد الناصح أحمد المجري
 اهـ . كلام ابن سعد ملخصاً .

قال محمد الحفناوي في كتابه (تعريف الخلف برجال السلف) : ولما حج لبس
 الخرقة من شرف الدين الداعي ، ولبسها من الشيخ صالح بن محمد الزواوي بسنده
 إلى أبي مدين ، وأخذ عنه حديث المشابكة ، وتبرك بالشيخ الولي الصالح أبي عبد الله
 محمد بن عمر الهواري ، وتلمذ له فنال بركته ، وكان عالماً زاهداً متصرفاً له كرامات
 ومكاشفات كثيرة وقصائد في مدح النبي ﷺ ، أخذ عنه جماعة من الأئمة كالحافظ
 التنسي والإمام السنوسي وأخيه سيدي علي التالوتي ، والإمام أحمد زروق وغيرهم .

قال القاصادي في (فهرسته) : أقمت بوهران مع الشيخ المبارك سيدي إبراهيم
 التازي خليفة الهواري في وقته ، وكان له اعتناء بكلام شيخه ، ومن حكمه : " العالم
 لا تعاده والجاهل لا تصافيه ، والأحمق لا تؤاخره اهـ " .

قال ابن سعد : وأخذ بمكة عن علامة علمائها ، وكبير محدثيها ، قاضي القضاة
 المالكية سيدي الشريف تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي ، قرأ عليه كثيراً
 من الحديث والرقائق ، وأجازه ، وبالمدينة على جماعة كإمام الأئمة أبي الفتح ابن
 أبي بكر القرشي وغيره وكان كلامه في طريق التصوف ، ومقام العرفان لا يقوم
 بمعناه إلا من تمكنت معرفته ، وقويت عارضته ، وذاق من طعم الحب ما توافرت به
 مادته ، وأخذ بتونس عن شيخ الإسلام الحافظ العلامة عبد العزيز العبدوسي .
 وبتلمسان عن علامة وقته خاتمة العلماء محمد بن مرزوق وأجازه معاً . وزار
 بوهران الشيخ جنيد أقرانه وحكيم زمانه الهواري ومن شعره رحمته :

أما آن ارعواؤك عن شنار كفى بالشيب زجراً عن عوار
 أبعد الأربعين تروم هزلاً وهل بعد العشية من عرار
 فخل حظوظ نفسك وآله عنها وعن ذكر المنازل والديار

وعد عن الرباب وعن سعاد
فما الدنيا وزخرفها بشيء
وليس بعاقل من يصطفئها
فتب واخلع عذارك في هوى من
جمال الله أكمل كل حسن
وحب الله أشرف كل أنس
وذكر الله مرهم كل جرح
ولا موجود إلا الله حقاً
وله من قصيدة:

يا صاح من رُزق التقى وقلى الدنا
فاصرف هوى دنياك واصرم حبلها
وودادها رأس الخطايا كلها
لا تغترر بغرورها فمتاعها
لعب ولهو، زينة وتفاجر
خداعة غدارة نكارة
اليوم عندك جاهها وحطامها
فاقبل نصيحة مخلص واعمل بها
يدخلك جنات النعيم بفضله
وله أيضاً من قصيدة أخرى:

وغنم مريد في انقياد لكامل
هو السر والإكسير والكيميا لمن
له خبرة بالوقت والعلم والحال
أراد وصولاً أو بغى نيل آمال

وله أيضاً من قصيدة أخرى :

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي
محبة رب العالمين وذكره
وأفضل أعمال الفتى ذكر ربه
وما من حسام للمريدين غيره
وكم بددوا شملاً لذي جرأة وكم
وكم دافع الله الكريم بذكرهم
وأفضل ذكر دعوة الحي فلتكن
فكثرة ذكر الشيء آية حبه
ومنجاي في الدارين من كل فتنة
على كل أحياني بقلبي ولهجتني
فكن ذاكرًا يذكرك باري البرية
وكم حسموا ظهراً لزار وباهت
أبادوا عدواً مسهماً بمضرة
عن الخلق من مكروهة ومبيرة
بها لهجاً في كل وقت وحالة
وحسب الفتى تشريفه بالمحبة

وله أيضاً من قصيدة أخرى رحمه الله :

وخيرة الخلق من من أجله خلقوا
من خصه بلواء الحمد حامده
ويوم حشر الوري للفضل يرشده
وكثرة الحمد من أوصاف أمته في
صلى الحميد على المحمود أحمد ما
الله عبد شكور حامد وعلى
محمد خير محمود ومن حمدا
وبالمقام القيامي الذي حمدا
إلى محامد لم يرشد لها أحدا
اليسر والعسر في الكتب العلا وجدا
بالحمد أفصح حماد وما سجدا
قرباه والصحب أعلا الأمة الحمدا

وله أيضاً قدس الله روحه من قصيدة أخرى :

روحي وراحة روحي ثم ربحاني
وما مني وأماني من سعيير لظي
ومدح أحمد أحمى العالمين حمى
وجنتي من سرور الإنس والجان
ذكر المهيمن في سر وإعلان
وذو المقام الذي ما قامه ثاني

إلى أن قال:

هذا السراج هو المنجي لمعتصم هذا المعاذ وملجأ الخائف الجاني
يا رحمة الله إنني خائف وجل يا نعمة الله إنني مفلس عاني
إلى غيرها من قصائده الكثيرة.

أحمد بن عروس الشاذلي* (753هـ - 868هـ)

وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الدايم الشهير بابن
عروس بن عبد القادر التميمي الهواري، مؤسس الطريقة العروسية الشاذلية،
والمتوفى عام 868هـ.

أخذ الطريقة عن سيدي فتح الله العجمي، عن ياقوت العرش عن سيدي
أبي العباس المرسي عن القطب أبي الحسن الشاذلي، وقد أنطقه الله بكثير من
الأسرار، وأظهر على يديه خرق العوائد، وأجرى الحق على لسانه الفوائد
والأحكام، واتبعه أكابر علماء تونس واعترفوا بفضله وعلمه.

وكان السلطان الحفصي عثمان يذهب لزيارته، ويأتي الناس لزيارته من كل
أقطار الأرض، وقد كتب لطلبة العلم في زمانه 300 كتاب، ومن كلامه: "أنا لكل
جبار عنيد نقمة، أنا لكل شيطان مريد فتنة، أنا لكل من عثر جواده وفرسه من
أصحابي وأولادي، وعترتي وأحابي إلى يوم القيامة".

ومكث في درجة القطبية 40 عاماً، وفي درجة الغوثية 30 عاماً، وكان أهل
إفريقية يستسقون به فيسقون ويستغيثون به فيغاثون.

وقد عاش سيدي أحمد بن عروس مئة وخمسة عشر عاماً، ومات بمدينة تونس
وقبره مشهور بها.

* طبقات الشاذلية الكبرى للطعيمي ص 113.

الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي*

ذكر الشيخ محمد المهدي الفاسي في كتابه (ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع) مانصه: هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن سعيد بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويعرف بالجزولي، لكونه في عداد جزولة، وهي قبيلة البربر بسوس الأقصى، ويقال جزولة وقزولة بالجم وبالقاف المعقودة. وقد وصفه أحد العلماء فقال: كان عليه السلام من العلماء العاملين والأئمة المهتدين، وممن جمع بين شرف الطين⁽¹⁾ والدين وشرف العلم والعمل، والأحوال الربانية الشريفة، والمقامات العالية المنيفة، والهمة العلية السماوية والأخلاق الزكية الرحمانية، والطريقة السنية والعلم اللدني والسر الرباني والتصرف النافذ التام، والخوارق العظام، والكرامات الجسام، وكان قطباً جامعاً، وغوثاً نافعاً مانعاً، ووارثاً رحمانياً، وإماماً ربانياً، أقامه الله في وقته رحمة بالعباد، وبركة ونوراً في البلاد جعله موقع نظره من خلقه وخزانه سره، ومظهر نفوذ تصرفه، ومنبع مدده، وكان فياض المدد والإمداد، كثير النفع للعباد، وكان عنده الكيمياء الخاصة الخالصة، التي تقلب الأعيان وتحيل نحاس النفوس إبريزاً في أقرب زمان، فتقلب ظلامها نوراً، وحزنها سروراً، وتميط خبث شهواتها، وتطلق كثافتها، وترفع الهمم، وتجمع الهمم، فانتفع به خلق كثيرون، وتخرج على يده مشايخ مشهورون، وحييت به البلاد والعباد، وجدد الطريقة بالمغرب بعد دُروس آثارها، وخبو أنوارها، وانتشر بها الفقر، واللهج بذكر الله، والصلاة على النبي عليه السلام في سائر بلاد المغرب.

* انظر في متع الأسماع في الجزولي والتباع ومالها من الأتباع لمحمد المهدي الفاسي المتوفى سنة 1109هـ تحقيق وتعليق عبد الحي العمري، عبد الكريم مراد 1994. ص 16.
(1) يقصد بشرف الطين، ارتفاع النسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

وصار أتباعه في سائر نواحيه، ولقد ذكر بعضهم أنه اجتمع من المريدين بين يديه اثنا عشر ألفاً وست مئة وخمسة وستون، كلهم ممن نال منه خيراً جزيلاً على قدر مراتبهم وقربهم منه، وسيأتي كلامه.

هؤلاء أصحابه الذين أخذوا عنه، ثم تفرقوا في البلاد، فأخذ الناس عنهم، وانتشرت أتباعهم، واشتبكت فرووعهم، وامتدت إلى هلم جراً، وحصل بهم نفع كثير عظيم ما لا يوصف ولا يحاط به، وقد كان كثير من أصحابه أيضاً تصحبه الآلاف من المريدين وترد عليه الآلاف من الزوار والوافدين رحمهم الله ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

أقواله رحمهم الله:

قال رحمهم الله: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أنا زين المرسلين، وأنت زين الأولياء، وسيأتي أنه قيل له: فضلتك على أهل عصرك، وقيل له يا عبدي، من تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري، وقال رحمهم الله: معشر الإخوان ليس هنا معكم إلا جسمي، وأما أنا فقد مشيت إليه، وصرت معه، معشر الإخوان تهت ووصلت وصولاً لم يصله أحد قط، وقال رحمهم الله: أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رحمهم الله، ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأنوارهم بين الستة والأربعة، ومنهم من يميل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم من يكون بين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقال رحمهم الله: قيل لي يا عبدي من أراد أن ينظر في وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فلينظر في وجهك.

وقال رحمهم الله: لا تقولوا - رحمكم الله - إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء، بل آخذه من الملك الحق، من غير أرض ولا سماء.

وقال رحمهم الله: معشر المريدين، انظروا إلى مولاكم وهو معي، ليس لي نظر إلا فيه، كماله قد عم صدري، وعم حياتي، وعمني طول حياتي، كماله قد أفناني عما سواه، وقال رحمهم الله: معشر المريدين، فرحوني بتعظيم ربي وإجلاله، أنا معه،

وأنتم لم تشتغلوا بشيء، غبت في أنوار كماله، ومشاهدة جلاله وجماله، ألا لعنة الله على من عبر عن مقام غير مقامه .

وقال: يا من كان ينظر إلي في الأرض، فانظر إليه في السماء، وفي العرش، وفوق ذلك، أما علمتم أن الأقطاب تحتاج إليهم جميع المكونات، هم في مقام النبوة يفشون السر، أياً من كان سعيداً، فعليك بالمشي إليهم ولو كانوا من بغداد، المشي إليهم نور ورحمة، وسر في القلوب.

وقال ﷺ: ليس العناية من تعنى بالأموال والأولاد، وإنما العناية من تعنى برب الأرباب، وليس العزيز من تعزز بالمال والأولاد، وإنما العزيز من تعزز بالله وصفته، ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحب الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب، وأنا شريف في النسب، جدي رسول الله ﷺ، وأنا أقرب إليه من كل ما خلق الله، وعنايتي في الأزل مصبوغة بالذهب والفضة، يا من أراد الذهب والفضة، فعليك باتباعنا، ومن تبعنا يسكن في أعلى عليين في دار الدنيا والآخرة، ودولتنا كانت الأمم الماضية تدعو أن يلحقوا بها، ولكن لا يلحق بها إلا من سبقت له السعادة، دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله، القاتلين أعداء الله، ملوك الأرض كلها في يدي وتحت قدمي، معشر المسلمين، أما علمتم أن المصطفى ﷺ قريب مني، وحكمه في يدي، فمن تبعني فهو متبع له، ومن لم يتبعني فليس بمتبع له، سمعته ﷺ يقول: أنت المهدي، من أراد أن يسعد فليأت إليك، معشر المسلمين: كونوا من أمة المصطفى ﷺ، ولا تكونوا من أعدائه بالتكذيب والنكران، والغش والخيانة، معشر المسلمين خلق الله لكم من يهديكم في آخر الزمان فاحمدوه، معشر المسلمين، لا ييغضنا على دين الله عز وجل إلا من ليس له دنيا ولا آخرة، ولا يحسدنا على طاعة الله عز وجل إلا من ليس له حظ عند الله عز وجل .

وقال ﷺ: قيل لي: يا عبدي خصصتك بعنايتي في الأزل، فلا أحد يصل إلى عنايتك، يا عبدي سيادتك على أهل المشرق والمغرب الماضين والباقيين، يا عبدي وصلتك إلى مقام لا يصل إليه أحد من الواصلين .

قال ﷺ: قيل لي يا عبدي تاهت العقول فيما أعطيتك، وما بقي لك عندي أكثر وأعظم، من قبل أقدامك بالحب والشوق أتيته يوم القيامة بالعفو والصفح،

يا عبدي تنافست الأولياء فيما أعطيتهم، ولا يبلغ أحد ما أعطيتك من كرامتي،
يا عبدي لو كانت الملائكة كتاباً، والأشجار أقلاماً، والبحار مداداً، لا يكتبون من
أحوالك السنية إلا مقدار ما يكتب الولد الصغير في اللوح من الأسطار، يا عبدي
لا يبلغ أحد مقامك من أوليائي، سبق ذلك في علم الغيب عندي، وعزتي وجلالي
لأعطيتك يوم القيامة حكماً على أوليائي.

وقال سيدي علي بن محمد صالح الأندلسي رحمته الله في تأليف له: فلو تكلمنا
بطرف من كرامات شيخنا سيدي محمد بن محمد بن سليمان الجزولي تداركنا الله
برضاه، لحارت الأذهان والعقول الذكية في معانيها انتهى.

وقوله شيخنا يعني شيخ طريقتهم، وإلا فهو إنما أخذ عنه بواسطة الشيخ
التابع رحمته الله.

ما كان عليه في أول أمره:

وكان الشيخ رحمته الله في أول أمره يطلب العلم، فكان بفاس بمدرسة الصفارين،
بيته بها مشهور معروف لهذا العهد وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا السوداني⁽¹⁾
في كفاية المحتاج، أنه كان يحفظ فرعي ابن الحاجب وقال غيره إنه كان يحفظ
المدونة ووصفه أبو العباس بابا المذكور في نيل الابتهاج بالعلم والولاية ثم قال:
وألف في التصوف، قال أبو العباس في كفاية المحتاج: خرج من بلاده لقتال كان
بها، فدخل فاس، وبها قيد دلائل الخيرات، وبها لقيه الشيخ أحمد زروق اهـ.

ويحتمل أنه في هذه السفارة كان يطلب العلم بفاس، ويحتمل أنها سفرة ثانية،
ويذكر أنه لما كان بالمدرسة المذكورة، وكان له بيت يخلو فيه بنفسه لا يدخله معه
أحد غيره، فبلغ ذلك والده ببلده، فظن، أو قيل له: لا يشده ويمنع من دخوله

(1) هو أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري السوداني ولد 963هـ وتوفي 1036هـ، أصله من
صنهاجة، من بيت علم وصلاح، وكان مؤرخاً عالماً بالحديث والفقه. اعتقل سنة 1002هـ
ونفي إلى مراكش وأطلق سراحه بعد سنتين، وعاد إلى بلده سنة 1014هـ، وكان شديداً في
الحق لا يراعي أحداً بلغت تصانيفه 21 منها: نيل الابتهاج بتطريز الديباج مطبوع، وكفاية
المحتاج.

إلا لكونه له به مال فقدم عليه، ثم طلب منه أن يدخله ذلك البيت، فأجابه إلى ذلك، وأدخله إياه، فرأى حيطانه كلها مكتوباً فيها: الموت، الموت، الموت فعلم ما هو فيه ولده، ورجع على نفسه باللوم، يقول: انظر أين هذا؟ وأين نحن؟ ثم تركه، وانصرف إلى بلده.

جمع كتابه دلائل الخيرات:

وذكر أنه جمع كتابه دلائل الخيرات من كتب خزانة جامع القرويين بفاس، وقصد رحمته فيه كما قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد العربي بن سيدي يوسف الفاسي⁽¹⁾: جمع المروي من ألفاظ الصلاة والسلام على النبي ﷺ، كما رويت عنه ﷺ، أو عن غيره، من فضلاء أمته، والافتداء بهم، والتبرك بأتباعهم، وذلك كله لحسن نيته ﷺ، ويذكر أن سبب جمعه له أنه شاهد من امرأة بفاس أمراً عظيماً من خرق العادة، فسألها بم بلغت هذا؟ فقالت: بالصلاة على النبي ﷺ، فعكف على الصلاة على النبي ﷺ، وجمع كتابه المذكور، ولا شك أنه كان كثير الصلاة على النبي ﷺ، وذلك مبنى طريقه وطريق أتباعه، خصوصاً كتاب شيخهم دلائل الخيرات، فقد كانوا مواظبين عليه، ومعتنين به، ومستصحبين له.

جمع الشيخ الجزولي بين المحبة الدينية والطينية:

قال الشيخ الإمام أبو عبد الله القصار⁽²⁾ رحمه الله، كان سيدنا محمد بن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له ﷺ، فقد قيل له: فضلتك على أهل

(1) هو محمد العربي بن يوسف الفاسي، ولد سنة 988 وتوفي 1052هـ، دفن في تطوان ونقل جثته إلى فاس بعد عامين. وله تأليف عديدة؛ منها مرآة المحاسن وعقد الدرر في نظم نخبة الفكر، وله عليه شرح، ومنظومة في الذكاة ومنظومتان في ألقاب الحديث.

(2) أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي شهر القصار الأندلسي الأصل، الفاسي المنشأ، شيخ الفتوى العلامة النظار، ولد سنة 936 وتوفي سنة 1012. عزم الشيخ بن المنصور أن ينكل به لقوله في الشيخ وفي أخيه أبي فارس: إن أولاد الإمام لا يتقدمون في الأمر على أولاد الحرائر. انظر تفصيل ذلك في الاستقصا: 6/6.

عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد، وسادتنا الشاذلية رحمته الله مخصوصون بزيادة محبة فيه رحمته الله، لأن طريقهم مبنية على كثرة الصلاة على النبي رحمته الله، فاجتمعت فيهما المحبتان: الدينية والطينية، فتضاعفت فيهما المحبة، فاستمد أصحابه من مادة قوية جداً، قال سيدنا أبو العباس المرسى ⁽¹⁾ رحمته الله: لو حجب عني رسول الله رحمته الله طرفة عين، ما عدت نفسي من المسلمين.

وكان سيدنا ابن وفا يراه في اليقظة انتهى. والشيخ شريف أيضاً كما تقدم، وكذا شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار شريف أيضاً، على ما عند الشيخ القصار وتلميذه الشيخ أبي العباس أحمد بن سيدي يوسف الفاسي ⁽²⁾، وكذا ذكره صاحب دوحه الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ووجد أيضاً بخط الشيخ أبي عبد الله العربي في غير مرآة المحاسن، وكذا شيخ سيدي عبد السلام بن مشيش أيضاً شريف، وهو سيدي عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات، لسكناه، بحارة الزياتين، فمن كان من هذه الطائفة الجزولية كان في سلسلته خمسة مشايخ شرفاء أولهم: شيخه سيدي محمد بن سليمان، وثانيهم شيخه سيدي محمد بن عبد الله أمغار، وثالثهم شيخ الطريقة سيدي أبو الحسن الشاذلي، ورابعهم شيخه القطب أبو محمد مولاي عبد السلام، وخامسهم شيخه سيدي عبد الرحمن المدني، فإن كان من أصحاب سيدي عبد الله بن حسين أو سيدي عبد الرحمن بن ريسون مثلاً، كان في طريقه ستة شرفاء رضي الله عنهم أجمعين، وقوله فضلتك على أهل عصرك، وجدته بخط الشيخ القصار أيضاً هكذا.

تفضيل الشيخ الجزولي بكثرة الصلاة على الرسول رحمته الله:

وقال رحمته الله: قيل لي يا عبيد فضلتك على أهل عصرك، ووجد بخط الشيخ القصار أيضاً هكذا، وقال رحمته الله قيل لي يا عبيد فضلتك على جميع خلقي، بكثرة

(1) هو أبو العباس أحمد بن عمر المرسى الأنصاري، الإمام العارف بالله أخذ عن الإمام أبي الحسن الشاذلي، ولازمه في الظعن والإقامة وانتفع بصحبته وورث سره، وكان له مجلس عظيم في الحقائق والمعارف توفي بالإسكندرية سنة 683هـ.

(2) هي من تأليف محمد بن علي السريفي الشفشاوني، المعروف بابن عسكر ولد 936هـ وتوفي سنة 986هـ، تولى القضاء أكثر من 10 سنين، وكان من أبرز شخصيات البلاط السعدي.

صلاتك على نبيي، يا عبدي من تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري انتهى. ثم وجدته فيما قيد عن الشيخ رحمته الله من الكلام، بلفظ يا عبدي فضلتك على جميع خلقي، بكثرة صلاتك على نبيي، يا عبدي من أطاعك من الأولياء فقد أطاعني، ومن عصاك من الأولياء فقد عصاني، ومن تكبر عليك من أولياء الزمان سلبته من نوري، وقوله على جميع خلقي، يعني الذين في عصره، وذكر صاحب تحفة الإخوان ومواهب الامتنان بلفظ قد فضلتك على أوليائي بكثرة صلاتك على حبيبي محمد رحمته الله، ويحتمل أن يكون معنى فضلتك خصصتك، وأثرتك بكثرة الصلاة على النبي رحمته الله، والتفضيل واقع بنفس الإكثار من الصلاة، والله أعلم.

وقال الشيخ القصار فيما وجدته بخطه أيضاً:

قال سيدي محمد بن سليمان الجزولي رحمته الله: عليكم بذكر الله العظيم، والصلاة على رسول الله رحمته الله، وزيارة أولياء الله، ثم وجدته فيما قيد من الكلام عن الشيخ رحمته الله بزيادة: فبذكر الله تطمئن القلوب، وزيارة أولياء الله تعرف الطريق إلى الله، وقال الشيخ القصار أيضاً رحمه الله: كان سيدي عبد العزيز التابع شيخ الجماعة يلقي لآله إلا الله، محمد رسول الله رحمته الله، وهو ذكر سيدي رضوان. وقال أيضاً كان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله رحمته الله، حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه يزغرت، حين ظهر هلال ربيع النبوي، على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام انتهى. وثبت أن رائحة المسك توجد من قبر الشيخ صاحب الترجمة رحمته الله، من كثرة صلاته على النبي رحمته الله، وعرف الشيخ أبو عبد الله العربي الفاسي رحمه الله في مرآة المحاسن ببعضهم، فقال: كان مواظباً على قراءة دلائل الخيرات، لشيخ المشايخ أبي عبد الله الجزولي، أخذ ذلك عن مشايخه أتباع الشيخ الجزولي رحم الله جميعهم، ورضي عنهم، وذكروا أن وارث حاله الشيخ سيدي عبد العزيز التابع، قدم عليه لزيارته مع بعض الفقراء، ومع أحدهم دلائل الخيرات، فقال الشيخ: رائحة دلائل الخيرات عندكم يا فقراء، فقال ذلك الفقير الذي هو عنده: نعم هو يا سيدي عندي، فناوله إياه، فحركه الشيخ في يده، ثم قال: إنه سقط منه كيت وكيت، فقابلوه فوجدوه كما قال. قال في المرأة: وفيه مع كرامة صدق الفراسة، مزيد خصوصية دلائل الخيرات. انتهى.

إقبال الناس على دليل الخيرات:

وكتابه المذكور قد نفع الله به العباد، وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، وأكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها، دون غيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ، على كثرتها، وسبقيتها، ويجدون له بركة ونوراً، وقال في تحفة الإخوان: وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره، ونمو فخره انتهى. وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر، ومنه لائح، وشدة شغفه بالنبي ﷺ وتهالكه في حبه منه واضح.

المقارنة بين دليل الخيرات وكتاب تنبيه الأنام:

ويحكى أن بعض الناس كان عنده دلائل الخيرات وتنبيه الأنام، فكان إذا وضعهما جعل دلائل الخيرات أسفل، وتنبيه الأنام فوقه، فإذا خرج ورجع إلى مسكنه وجد دلائل الخيرات فوق تنبيه الأنام، وقع له ذلك غير ما مرة ولم يكن يدخل موضعه غيره.

وسمعت سيدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشيخ الإمام العارف بالله واحد وقته سيدي أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الأندلسي رحمه الله، يقول ما معناه: إن دلائل الخيرات يفيد النور، وتنبيه الأنام يفيد العلم.

دليل الخيرات مجرب لقضاء الحوائج:

ووجدت بخط الشيخ أبي عبد الله العربي رحمه الله على ظهر نسخة من دلائل الخيرات ما نصه: ذكر لي بعض الفقهاء الحفاظ أن مما جرب لقضاء الحوائج، وتفريج الكرب قراءة دلائل الخيرات أربعين مرة، ويجتهد القارئ أن يكمل هذا العدد قبل تمام أربعين يوماً، فإن الحاجة تقضى كائنة ما كانت، ببركة الصلاة على النبي ﷺ. انتهى.

رجوعه من فاس:

ثم إن الشيخ رحمه الله بعدما كان بفاس، رجع منها إلى الساحل فلقى فيما ذكره الشيخ أبو العباس بابا في كفاية المحتاج أوحده وقته، الشيخ أبا عبد الله أمغار

الصغير، فأخذ عنه، وهو نزيل رباط تيطنططر، قرية بساحل بلد أزمو⁽¹⁾ وتعرف الآن بتيط، وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية، وقد ذكر التادلي في التشوف⁽²⁾ منهم جماعة، وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف لم نزل نسمع أنه لقيه ببلاد دكالة⁽³⁾ وأنه أخذ عنه، وكثيراً ما يذكره باسم الشيخ في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب، انتهى.

دخوله للخلوة:

قال في كفاية المحتاج: ثم دخل الخلوة للعبادة نحو أربعة عشر عاماً، ثم خرج للانتفاع به، وله كرامات انتهى، وقال بعضهم: كان بأسفي وكان بها كثير الأوراد، مراقبا لله تعالى في جميع أحواله، واقفاً عند حدوده، عاملاً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، إلى أن اشتهر بالصيام، فظهرت منه الكرامات مثل المكاشفة، وغيرها، وتاب على يده هناك خلق كثير، وانتشر ذكره في الآفاق، وأخذ في تربية المريدين.

رحيله إلى أفوغال:

ثم إنه انتقل من هناك بعد ظهور ما مَنَّ الله به عليه من البركات وتتابع الخيرات، إلى الموضع المسمى بأفوغال⁽⁴⁾ من بلاد مطرازة فأقام به على حالته من

(1) أزمو مدينة صغيرة على شاطئ المحيط إحدى دوائر إقليم الجديدة بالمغرب على ضفة وادي الربيع تعتبر مركزاً مهماً للقبائل الحوزية وشتوكة ويرجع تاريخها إلى العصور القديمة، تبعد عن الجديدة بـ 17 كيلو متراً انظر كتاب المغرب ص 42.

(2) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات العلامة صاحب أبا العباس السبتي من مؤلفاته: التشوف إلى رجال التصوف حققه محمد التوفيق وطبع عام 1948م، وكتاب نهاية المقامات في دراية المقامات وهو شرح لمقامات الحريري توفي ابن الزيات عام 617هـ.

(3) دكالة اسم يطلق على مجموعة القبائل القاطنة بالناحية التي تفصل الشاوية عن عبدة، وتقسم جغرافياً إلى الولجة، والساحل والسهول انظر المغرب تأليف الصديق بن العربي ص 88.

(4) أفوغال زاوية تاريخية وسط الشياظمة بناحية الصويرة بها عدة أضرحة وبها دفن سيدي محمد بن سليمان الجزولي أولاً.

تربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى، فاستنارت لهم بيركته الأنوار، وظهرت لهم معالم الأسرار، ولقد ورد عليه من طالبي القرب إلى الله تعالى وابتغاء ثوابه خلق كثير، حتى اجتمع من المريدين بين يديه - رحمة الله عليه - اثنا عشر ألفاً وست مئة وخمسة وستون، كلهم ممن نال منه خيراً جزيلاً، على قدر مراتبهم وقربهم منه انتهى.

وقال الشيخ القصار: أخرج صاحب أسفي الشيخ الجزولي فدعا عليهم، فسئل منه العفو فقال: أربعين سنة، فأخذها النصارى بعدها، قال الشيخ أبو عبد الله العربي في مرآة المحاسن: وكان خروج النصارى منها ورجوعها إلى المسلمين سنة ثمان وأربعين وتسع مئة.

وفاته:

توفي رحمة الله عليه ونفعنا به بأفوغال، وهو ساجد في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح يوم الأربعاء من ذي القعدة الحرام، من عام تسعة وستين وثمان مئة، ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك انتهى. وقال الشيخ أبو العباس أحمد بابا في نيل الابتهاج: قال صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب: مات مسموماً في الركعة الأولى من صلاة الصبح، السادس عشر من ربيع الأول عام سبعين وثمان مئة انتهى.

وقال الشيخ زروق: إنه مات مسموماً في صلاة الصبح، إما في السجدة الثانية من الركعة الأولى وإما في السجدة الأولى من الركعة الثانية عام سبعين وثمان مئة.

ظهور عمرو المغيطي:

كان افتتاح أمره أن قام منتصراً للشيخ في الذين سموه، إذ سمه بعض الفقهاء، ولم يزل بهم حتى قاتلهم، ثم صار يدعو الناس إلى إقامة الصلاة ويقاثلهم عليها، فنصره الله عليهم، ثم عاد يطلب المنكرين عليه وعلى أصحابه وشيخه ويسميهم جاحدين، ويسمي أصحابه المريدين بضم الميم، وما أحقهم بالفتح، ثم ذكر بعض ما كان عليه هو وأصحابه من الجهل والفساد، والخروج على الحق.

مقتل المغيطي:

أراح الله المسلمين منه قرب سنة تسعين وثمانين مئة ثم قال : وكان الذي قتله امرأته وربيبته انتهى الغرض منه ، وعلى قول الصغير السهلي ، وقال الصغير : قال في المرأة : وقد عرف بسيدي الصغير ، وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ أبي العباس زروق كتبه إليه ، تضمن التعظيم والمواصلة انتهى .

استنصار المغيطي بتابوت الشيخ الجزولي:

ويذكر أن عمراً المذكور ، جعل الشيخ رحمته الله في تابوت ، وصار يقاتل به ، فكان ينصر به حيثما توجه ، إلى أن توفي ، فدفنوا الشيخ رحمته الله ، وأن ذلك كان الحامل على نقل من نقله إلى مراكش ، خافوا أن يثور أحد هنالك أيضاً ، فيخرجه من قبره ويقاتلهم به ، فدفنوه عندهم ، ليأمنوا ما يتخوفون من ذلك رحمته الله ونفعنا به آمين .

ثم أخبرني بعض الطلبة من أهل سوس ممن يعرف بلاد الشيخ رحمته الله أن الذي عند أهل تلك البلاد ، أن الشيخ رحمته الله كان يسكن بتانكرت ، مدشر هنالك ببلاد الساحل ، على واد يعرف بوادي تانكرت ، قال : وداره وآثاره به قائمة معروفة إلى الآن ، معظمة محترمة تقصد وتزار ويتبرك بها .

نقل جثمان الشيخ إلى مراكش:

قال أبو العباس أحمد بابا في كفاية المحتاج : ولما نقل جسده بعد سبع وسبعين سنة ، وجدوه لم يتغير منه شيء ، وقال في مرآة المحاسن ، ولما ولي الشرفاء ملك مراكش ، نقلوا الشيخ أبا عبد الله الجزولي إلى مراكش ، ودفنوه بها ، فقبره الآن بها بعد اثنتين وستين سنة من موته ، وكانت ولايتهم سنة ثلاثين وتسع مئة ، والسلطان آنذاك منهم وهو أبو العباس أحمد المعروف ⁽¹⁾ بالأعرج

(1) هو أبو العباس أحمد الأعرج بن عبد الله القائم السعدي ، ولد سنة 891هـ وبويع سنة 918هـ ، وقد حارب البرتغال ، وطردهم من بعض الشواطئ وهو الذي نقل الشيخ

وهو أولهم، وهو الذي نقله، ثم انتزع الملك منه أخوه أبو الأملاك محمد الشيخ⁽¹⁾.

الشيخ الجزولي لم يتغير بعد موته:

وذكروا أنهم لما أخرجوا الشيخ من قبره بسوس، وجدوه بحاله حين توفي لم تعد عليه الأرض، ولم يغير طول الزمان شيئاً من أحواله، وأثر الحلق من شعر لحيته ورأسه ظاهر، كحاله يوم موته ﷺ ونفعنا بركاته... انتهى. وذكر هذا أيضاً غيره، من كونه لم تعد عليه الأرض، وكونه كان قريب عهد بالحلق، وهو حقيق بذلك ﷺ، فقد جمع بين الصديقية العظمى والشهادة، لأنه مات مسموماً كما تقدم. وذكروا أنه لما أخرجوه من قبره، وضع الأمير أو غيره بأمره أصبعه على وجهه حاصراً بها، فحصر الدم عما تحتها، فلما رفع أصبعه رجع الدم، كما يقع ذلك في الحي ﷺ ونفعنا به، ودفن برياض العروس، داخل مدينة مراکش، وبني عليه بيت، وقبره عليه جلالة عظيمة، ومهابة كبيرة، وسطوة ظاهرة، والناس يزدهمون عليه، ويكثرون من قراءة دلائل الخيرات عنده، ويقصدونه في حوائجهم فتقضى بإذن الله عز وجل، ﷺ ونفعنا بركاته.

= الجزولي ﷺ من مدفنه بأفوغال إلى مراکش، بعد أن استنصر عمرو السيف بجثته في الحروب مدة 20 سنة، وكان ذلك في حدود 930هـ، وفي سنة 951هـ قبض عليه أخوه الشيخ ومدة توليه 23 سنة.

(1) محمد الشيخ هو أبو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ، وهو ابن الأمير أبي عبد الله القائم، ولد سنة 896هـ، ولما اجتمعت عليه الكلمة فتح حصن فونتي وآسفي وآزموور وبني حصن أكادير وحارب الوطاسيين بفاس والترك بتلمسان، وفي سنة 964هـ قتل بشاقور في تارودانت من طرف الأتراك ومحمد الشيخ هو الذي تسبب في قتل عبد الواحد الونشريسي بباب الشماعين من القرويين بفاس عام 955هـ. راجع تفصيل ذلك في الاستقصا: 5/ 23-22.

النسب الروحي للإمام الجزولي*

الإمام أبو الحسن الشاذلي



الشيخ أبو عبد الله المغربي

الشيخ أبو العباس أحمد القرافي

الشيخ عنوس البدوي

الشيخ أبو الفضل الهندي

الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الرجراجي

الشيخ أبو عثمان سعيد الهرتاني



الشيخ أبو عبد الله أمغار



(الإمام محمد بن عبد الرحمن الجزولي)



الشيخ عبد العزيز التباع

الشيخ عبد الله الغزواني

* المرجع : مرآة المحاسن لأخبار الشيخ أبي المحاسن ، لمحمد العربي الفاسي .

الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي*

(786هـ - 875هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري⁽¹⁾ نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ.

ولد الشيخ الثعالبي سنة 786هـ/1385م⁽²⁾، بناحية وادي يسر على نحو ستة وثمانين كيلو متر بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، موطن آبائه وأجداده الثعالبة، أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل، فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ علومه عن والده من شيوخ المنطقة.

رحل الشيخ الثعالبي كعادة طلبة العلم نحو طلب العلم والاستزادة منه وقصد أولاً بجاية "حاضرة العلم والعلماء والزهاد والأولياء"، فنزل بها سنة 802هـ/1399م، ولازم حضور مجالس أئمتها وفقهائها الكبار، فأخذ عنهم علماً جماً، وكان قاعدته عندما انتقل إلى تونس ثم إلى المشرق.

مشائخه:

- 1 - الإمام أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي.
- قال الشيخ الثعالبي: "وقد سمعت من شيخنا أبي الحسن علي بن عثمان المانجلاتي سيد علماء بجاية في وقته" وقد نص على أنه كان أستاذه

* انظر: التعريف بالشيخ عبد الرحمن الثعالبي للأستاذ نذير حمادو.
- معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض: ص90، تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي: 272/1، معجم المفسرين لعادل نويهض: 276/1.

- (1) انظر تاريخ الجزائر العام: 272/2، جمرة ابن حزم: 39. تاريخ ابن خلدون: 6/59-64.
- (2) جعل الزركلي تاريخ ولادة الشيخ الثعالبي في الأعلام: 2/131، سنة 736هـ. أما ما ذكره صاحب شجرة النور الزكية والشيخ الجيلاني، والأستاذ عادل نويهض من أن تاريخ ولادته 786هـ/1385م.

- الأساسي، قال: "وكانت عمدي في قراءتي بها -بجاية- على سيدي علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله".
- 2 - الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت736هـ) من بني وغلّيس، جنوب بجاية بأعلى وادي الصومام.
- 3 - الشيخ أبو الربيع سليمان بن الحسن.
- 4 - الشيخ أبو الحسن علي اليلياتي.
- 5 - الشيخ علي بن موسى.
- 6 - الشيخ أبو العباس أحمد النقاوسي.
- 7 - الشيخ أبو القاسم المشدالي.
- وبعد تلقيه العلوم على أيدي هؤلاء الأكابر من علماء بجاية انتقل إلى تونس.

المحطة الثانية في رحلته العلمية:

انتقل الشيخ الثعالبي بعدها إلى تونس سنة 809هـ/1406م فلقى بها أكابر العلماء فأخذ عنهم، وانتفع بهم.

شيوخه في تونس:

- 1 - الشيخ أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني (ت815هـ).
- 2 - الشيخ أبو عبيد الله محمد بن خلف الوشثاني الأبي تلميذ ابن عرفة (ت827هـ).
- 3 - الشيخ أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني تلميذ ابن عرفة (ت814هـ).
- 4 - الشيخ أبو يوسف يعقوب بن أبي القاسم الزعبي (ت833هـ).

المحطة الثالثة في رحلته العلمية:

انتقل بعدها الشيخ الثعالبي إلى المشرق حيث نزل بمصر سنة 817هـ/1414م،

أو بسنة قبلها، وتجول في ديارها حيث مكث بمدينة إسنا بصعيد مصر نحو سنة، ينهل المعارف من علمائها وشيوخها.

شيوخه بمصر:

1 - ولي الدين العراقي (ت 826هـ) صاحب (الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع)، أخذ عنه الشيخ العلوم الشرعية المختلفة وخاصة علوم الحديث.

2 - أبو عبيد الله محمد بن علي البلالي قال الشيخ الثعالبي: "وهذا الشيخ البلالي لقيته ورويت عنه كتابه هذا أي: مختصر الأحياء".

3 - أبو عبد الله البساطي.

4 - الحافظ أبو محمد الدمياني.

وانتقل الشيخ الثعالبي في مركب على النيل للرحلة في طلب العلم والحديث فهو بهذا من العلماء الرحالة في سبيل العلم ولقاء العلماء والأخذ عنهم وخاصة الرحلة لطلب الحديث النبوي الشريف، لذلك نجد الشيخ ابن زكريا محمد بن سعيد بن أحمد مفتي المالكية، يصفه بقوله "رحالة زمانه لرواية الحديث".

المحطة الرابعة في رحلته العلمية:

ثم ارتحل من مصر إلى مدينة بورصة التركية، فعرف الأتراك قدر الشيخ، فأقاموا له زاوية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الشيخ كان محفوفاً ببركة القبول من المولى سبحانه تعالى.

المحطة الخامسة والأخيرة مكة المكرمة:

بعد تركيا يمم أرض الحجاز، فأدى مناسك الحج، والتقى مع العلماء فأخذ عنهم، ثم قفل راجعاً إلى موطنه الأصلي، فمر بمصر ثم تونس 819هـ/1416م، فوافى بها شيخه العلامة أبا عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني (ت 842هـ).

وكان متجهاً إلى الحج فلازمه وأخذ عنه وأجازه في تدريس العلوم الشرعية بإجازات ثلاث وحته على التأليف⁽¹⁾.

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه العلامة ابن مرزوق الحفيد في إجازاته الثلاث له وحلاه، وقال: "سيدي وبركتي الشيخ الإمام الفقيه المصنف الحاج العالم المشارك الخير الدين الأكمل أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي...". بتاريخ 820هـ/ 1417م وفي أخرى: "سيدي الشيخ الأجل الفقيه الأنبل المشارك الأحفل المحدث الراوية الرحالة الأفضل الحاج الصالح المبارك الأكمل" وجاء في إجازة الشيخ أبي زرعة العراقي له قوله: "الشيخ الصالح الأفضل الكامل المحرر المحصل الحال أبو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي...". وحلاه الشيخ العلامة الإمام سيدي عيسى بن سلامة البسكري في كتابه (لوامع الأسرار في منافع القرآن والأخبار) بالشيخ الصالح العارف أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي، ثم قال: "وهو من أكابر العلماء وله تأليف جمة"⁽²⁾.

وحلاه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن محمد مخلوف بقوله: "أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري الإمام علم الأعلام الفقيه المفسر المحدث الراوية العمدة الفهامة الهمام الصالح الفاضل العارف بالله الواصل. أثنى عليه جماعة بالعلم والصلاح والدين المتين"⁽³⁾.

عودته إلى وطنه الجزائر:

عاد شيخنا الثعالبي إلى أرض وطنه الجزائر عظيماً في علمه وصلاحه، وقدوة حسنة للمسلمين في اجتهاده لهداية الناس والانقطاع للعبادة والتأليف، فكتب الله له القبول والبركة في علمه فتخرج على يده أئمة أعلام منهم:

(1) تاريخ الجزائر العام: 272/2.

(2) تاريخ الجزائر العام: 272/2-273.

(3) شجرة النور الزكية: ص 224.

- 1 - حجة علماء الكلام الإمام العالم العلامة سيدي محمد بن يوسف السنوسي .
- 2 - والإمام أبو الحسن علي التالوتي، أخو الشيخ السنوسي لأمه .
- 3 - والشيخ العلامة أحمد زروق .
- 4 - والشيخ الإمام محمد المغيلي التلمساني .
- 5 - والشيخ سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي .
- 6 - والشيخ ابن مرزوق الكفيف . . .
وغيرهم من الأئمة الأعلام .

تأليفه:

عكف الشيخ سيدي عبد الرحمن على التدوين والتأليف، وهمه من ذلك خدمة الشريعة الإسلامية المطهرة، وله في ذلك اليد الطولى، فلقد ترك ما يربو على التسعين مؤلفاً بين رسائل، وشروح وحواشٍ وتأليف، وكتب مستقلة في الوعظ، والرقائق، والتذكير، والتفسير، والفقه والحديث، واللغة، والتراجم، التاريخ . . . إلخ .

منها:

- 1- الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أربعة أجزاء مذكلاً بمعجم لغوي لشرح غريبه .
- 2- روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه: قال التنبكتي: "وهو قدر المدونة فيه لباب نحو ستين من أمهات الدواوين المعتمدة، وهو خزانة لمن حصله" .
- 3- جامع الهمم في أخبار الأمم .
- 4- جامع الأمهات في أحكام العبادات .

- 5- الإرشاد في مصالح العباد.
- 6- إرشاد السالك، جزء صغير.
- 7- جامع الخيرات.
- 8- الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة.
- 9- رياض الصالحين.
- 10- الأنوار في آيات النبي المختار.
- 11- الدر الفائق في الأذكار.
- 12- روضة الأنوار ونزهة الأخيار.
- 13- العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة.
- 14- النصائح.
- 15- التقاط الدرر.
- 16- كتاب الأربعين حديثاً في الوعظ والرفائق.
- 17- نور الأنوار ومصابيح الظلام.
- 18- جامع الفوائد.
- 19- تحفة الإخوان في إعراب بعض أي من القرآن، ومنهم من سماه (تحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن).
- 20- شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي.
- 21- شرح على مختصر خليل بن إسحاق.
- 22- الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز.
- 23- الدرر اللوامع في قراءة نافع "وهو شرح لمنظومة ابن بري في قراءة نافع".
- 24- غنية الواجد وبغية الطالب: هو فهرست جمع فيه أسانيده ومشيوخه.

وأعظم كتبه باعترافه:

روضة الأنوار ونزهة الأخيار، والجواهر الحسان في تفسير القرآن حيث قال: "من حصل كتابي هذا أي: روضة الأنوار ونزهة الأخيار، مع كتابي الجواهر الحسان في تفسير القرآن، فقد حصل خزانة من العلم عظيمة، لا يقدر قدرها"⁽¹⁾.

وقد رزق شيخنا الثعالبي السعد في تصانيفه، فشرقت وغربت واعتني بدرسها وتدريسها، وانتفع الناس بها.

قال الشيخ أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الجليل السنجاسي تلميذ الشيخ الثعالبي: "وإن عادة الله في أهل العلم المصنفين، أن تظهر تصانيفهم بعد وفاتهم على حسب الميراث، وإن في شيخنا هذا وتأليفه لسراً بديعاً وأمراً رفيعاً، ولقد ظهرت تأليفه في حياته، وسارت بها الركبان في الآفاق مع وجوده، وما ذاك إلا لسر أودعه الله فيه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، مع صدق نيته، وقصد النفع لعباد الله، وأمة رسوله ﷺ"⁽²⁾.

وفاة الشيخ الثعالبي قدس الله روحه:

لم يزل شيخنا الثعالبي رحمه الله عاكفاً على العلم معلماً مؤلفاً، وعلى طاعة الله متجرداً عن شهوات الدنيا وملذاتها ومغرياتها، إلى أن وافاه أجله ضحوة يوم الجمعة المبارك 23 رمضان المعظم سنة 875هـ/منتصف شهر مارس 1471م، ودفن بـ (جبانة الطلبة) حيث ضريحه الشهير فيه إلى اليوم بالجزائر العاصمة قدس الله روحه.

ورحيل الشيخ ترك أثراً عميقاً في قلوب العامة والخاصة، وحزناً عظيماً في نفوس طلبته ومحبيه، وقد رثاه تلميذه الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي بقصيدة مطلعها:

(1) انظر شجرة النور الزكية: 264/1، تاريخ الجزائر العام: 274/2.

(2) انظر تاريخ الجزائر العام: 275/2.

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي وحق لها من مثل ذلك تجزع
ألم بنا ما لا نطبق دفاعه وليس لأمر قدر الله مرجع
وهكذا انتهت حياة رجل عظيم كانت حافلة بالنشاط في خدمة الشريعة
الإسلامية، لتبدأ حياة من نوع آخر، حياة أثاره العلمية التي خلفها في مختلف
الفنون والعلوم تنتظر خدمة العلم الأوفياء كي يحققوها التحقيق العلمي وينشروها،
حتى ينتفع بها أهل العلم وطلبته.

سيدنا إبراهيم المتبولي*

هو الإمام إبراهيم بن علي بن عمر المتبولي الأنصاري الأحمدي الشاذلي
صنف في حقه الشعراني كتاب (الأخلاق المتبولية).

وهو شيخ الخواص، والخواص شيخ الشعراني.

وكان رحمته الله يقول: وعزة ربي ما رأيت في الأولياء أكبر فتوة من سيدي أحمد
البدوي، وقد آخى بيني وبينه سيدنا رسول الله ﷺ.

ومن كراماته أنه كان يرى النبي ﷺ في المنام فيخبر بذلك أمه فتقول: يا ولدي
إنما الرجل من يجتمع به في اليقظة، فلما صار يجتمع به في اليقظة ويشاوره على
أموره قالت له: الآن قد شرعت في مقام الرجولة.

قال الإمام الشعراني في (الأجوبة المرضية): أخبرني سيدي علي الخوامي
رحمه الله تعالى أن الكعبة طافت بالشيخ إبراهيم المتبولي حجراً حجراً ثم رجع كل
حجر إلى مكانه اهـ.

وكان إذا دخل بستاناً نادته أشجاره وحشيشه وأخبرته بما فيها من المنافع والمضار.

ورماه رجل بفاحشة فقال: سود الله وجهه فصار له خد أسود وآخر أبيض.

توفي عام نيف وثمانين وثمانمائة.

* طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 31.

السلطان محمد الفاتح* (833هـ - 886هـ)

هو السلطان محمد الفاتح ابن السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد الأول (الجلبي) ابن السلطان بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ابن أورخان ابن السلطان عثمان مؤسس الدولة العثمانية .

ويعد السلطان محمد الفاتح من أعظم سلاطين آل عثمان ووصل إلى درجة كان يعتبر فيها محوراً لسياسة الدولة في عهده، وصاحب الكلمة الأولى في الشؤون الدولية . وشملت علاقاته السياسية والحرية أوروبا وآسيا وإفريقيا، ويعد بحق موطد السيادة العثمانية في أوروبا، ومبدد الأحلاف الصليبية . وهو أول سلطان عثماني اشتهر عند الأوربيين وكثر حديثهم عنه، بل وأول حاكم إسلامي أطلق عليه أهل أوروبا لقب (السيد العظيم Grand Seigneur) وكان مجرد سماع اسمه يثير الرعب والهلع في قلوب أعدائه، ولا أدل على ذلك من احتفال أوروبا بموته، فقد أقامت البابوية في روما الحفلات والمهرجانات الصاخبة ابتهاجاً بذلك، وظلت الرهبة والرعب من هذا السلطان تخيم على أعدائه في أوروبا حقبة طويلة من الزمن، كما ظلت ذكره تلقي الرعب والفرع في قلوب أهلها إلى عشرات من السنين بعد وفاته .

ولد السلطان محمد الفاتح في 26 من رجب سنة 833 هجرية (20 نيسان/ أبريل 1429م) وقضى أيام طفولته الأولى (بأدرنة) بجوار والده وتحت رعايته، وقد اهتم والده بتنشئته وتربيته جسمياً وعقلياً ودينياً، فمرنه على ركوب الخيل والرمي بالقوس والضرب بالسيف . وفي نفس الوقت أقام عليه علماء من خيرة أساتذة عصره مثل الشيخ آق شمس الدين محمد بن حمزة (ت 863هـ) الذي كان المرشد الروحي له في فتح القسطنطينية عام (857هـ - 1453م)، والملا أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت 893هـ) الذي قام بمهمة تدريسه وتدريس ابنه بايزيد من بعده .

* انظر محمد الفاتح لعلي محمد الصلابي، أعلام المسلمين (9) والسلطان محمد الفاتح للدكتور عبد السلام فهمي .

وذكر السيوطي أن الشيخ الكوراني كان أول معلم لمحمد الفاتح وقال : وكان عالماً فقيهاً، شهد له علماء عصره بالتفوق والإتقان، وفاق أقرانه في المعقول والمنقول، ومهر في النحو والمعاني والبيان، وبرع في الفقه، واشتهر بالفضيلة... ثم أضاف أيضاً : وكان الفاتح يسميه (أبا حنيفة زمانه). وتشير الروايات التاريخية إلى أن الملا الكوراني استطاع أن يحجب الأمير محمد في العلم، وأن يقبل بالفتى الأمير على التعليم بفهم وجد ونشاط، وما مضى غير قليل من الوقت حتى ختم القرآن الكريم. وكعادة الأتراك أقام والده السلطان احتفالاً بهذه المناسبة، وغمر مؤدبه ومعلمه الشيخ الكوراني بالعطايا والأموال الوفيرة.

وإذا كان محمد الفاتح قد وجد له أبا من أعظم سلاطين آل عثمان، فقد كانت أمه أيضاً أميرة نصرانية كريمة.

وكانت تقص عليه في طفولته وصباه حكايتها وأساطير شعبها بخيال أوربي نصراني، فورث عنها بعض المزايا الكريمة وأفاد منها الفلسفة الإغريقية، كما ورث عن أبيه الجد والشجاعة وشدة البأس والصبر على المكاره وعدم اليأس.

وأخذ عنه المعرفة بأمور الحرب والإتقان في وضع الخطط الحربية وحصار المدن وقيادات العمليات العسكرية وتشرب روح الدين الإسلامي، ودرس تاريخ الإسلام المجيد من عهد الرسول ﷺ حتى عصره، بما يحويه من بطولات وسجايا، فامتزجت فيه أحسن صفات الشرق الإسلامي والعرب في ذلك الوقت. ومنذ صغره كان والده السلطان مراد الثاني يستصحبه معه بين حين وآخر إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهد الحرب والطعان ومناظر الجنود في تحركاتهم واستعداداتهم ونزالهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عملياً، حتى إذا ما ولي السلطنة وخاض غمار المعارك خاضها عن دراية وخبرة.

وممن تتلمذ له محمد الفاتح أيضاً الشيخ ابن التمجيد، وكان إلى جانب صلاحه وتقواه شاعراً حسن النظم بالعربية والفارسية، ومنهم أيضاً الشيخ خير الدين والشيخ سراج الدين الحلبي.

وإلى جانب هؤلاء الشيوخ والفقهاء أحضر السلطان مراد إلى ابنه محمد معلمين آخرين في الرياضيات والجغرافية والفلك والتاريخ واللغات المختلفة. وقد حذق

الفتى محمد من اللغات -فضلاً عن لغته التركية-: العربية، والفارسية، واللاتينية، والإغريقية والسلافية، وبعضاً من الإيطالية.

وكان بجانب إلمامه بهذه اللغات واسع الاطلاع على آدابها ويتذوق الجميل منها .

وكان مما قصد إليه السلطان الفاتح من تعلم اللغات الأجنبية كاللاتينية والإغريقية -مثلاً- أن يتمكن من الاتصال المباشر بشعوبه العديدة ذات الألسنة المختلفة، يخاطبها بلغتها، ليقف على أحوالها بنفسه، ويتحرى عدالة عماله .

نشأ السلطان الفاتح في دراسة التاريخ، مغرمًا بقراءة سير العظماء والأبطال، فقرأ بامعان حياة القياصرة: أوغسطس، وقسطنطين الأكبر، وتيودوسيوس الأكبر، وأعجب بشخصية الإسكندر المقدوني أيما إعجاب، فقد لمح فيه صورة من نفسه، رأى فيها قوة النفس، وصحة العزم، وسرعة التنفيذ بعد إحكام الخطة وعدم التردد .

ولم يكن شغف الفاتح بالقراءة ونهمه بالمزيد من الاطلاع يقفان عند حد، فكان يقرأ كل ما يرى فيه فائدة ومنتعة لعقله وفكره أو يكسبه تجارب في الحياة، فقرأ فيما قرأ كتاباً في سيرة تيمورلنك التتري، وهو الذي هزم جده بايزيد الأول وعرض الدولة العثمانية للفناء، وأخذ معه جد الفاتح " بايزيد " في قفص حديدي إلى عاصمته في أواسط آسيا، ولم ير غضاضة في ذلك حتى يعرف عن خطئه شيئاً يستفيد منه .

وقد دأب محمد الفاتح منذ أن كان أميراً على (مغنيسيا) في حياة والده على مراسلة العلماء والمثقفين من الأمراء في فارس والهند والتركستان ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية .

وبقي الفاتح على هذه السنة الحسنة حتى بعد توليه السلطنة، وكان يرسل إلى (خواجه جهان) -أحد كبار كتاب الهند ومتصوفها- ألف دوقية كل عام، وكذلك إلى الملا عبد الرحمن الجامي الذي يعتبر من أعظم علماء وشعراء إيران في ذلك العصر .

ومن علماء مصر كان يراسل الشيخ محمد بن سليمان المحيوي أستاذ السيوطي العالم المصري المعروف، ذكر ذلك صراحة السيوطي في كتابه (بغية الوعاة في

طبقات اللغويين والنحاة). وأشار إلى ذلك بقوله "وكان الفاتح يكتابه ويرسل إليه الهدايا السنية".

فلا عجب إذن من توافد العلماء والأدباء والشعراء والفنانين من كل صوب على عاصمة ملكه.

عاش السلطان محمد الفاتح في جو ساد فيه العالم توتر وخشونة وقسوة، وفي وقت اشتد فيه الحماس الديني والتعصب بين آسيا وأوربا، بل بين الإسلام والنصرانية، فلقد عاش الصراع بينهما مدة طويلة، زادت فيها الأحقاد، وهبطت إلى أعماق النفوس، فغدت روح البغض وحب التشفي والانتقام، حيث كان المسلمون يتحمسون للجهاد والتوسع والفتح، ويزدادون زهواً وفخراً بما ينضم إليهم من أجناس أخرى تاركين عقائدهم وملوكهم ليدخلوا في زمرة المسلمين، وينبغي أن ننظر كيف كان أعداء السلطان الفاتح يعاملون الأسرى الأتراك الذين يقعون في أيديهم، وما يلحقونه بهم من ألوان التعذيب والتنكيل والتمثيل.

وسردت قصص وروايات في ثنايا سطورها وأحداثها ما فعل (هونيات) المجري (فارس الأفاق) كما يسميه الصليبيون، وما فعله البنادقة وإمبراطور القسطنطينية وغيرهم من أمراء أوربا من فظاعة وإجرام بعيد كل البعد عن العاطفة الإنسانية والشرف والأمانة العسكرية.

كان السلطان محمد الفاتح قمحي اللون، متوسط الطول متين العضلات، كثير الثقة بنفسه، ذا بصر ثاقب وذكاء حاد ومقدرة على تحمل المشاق، يحسن ركوب الخيل واستعمال السلاح، كان يؤدي الصلاة في المسجد الجامع، يريد بذلك التقرب من الله سبحانه، وأن يوفق للعمل المفيد لشعبه وللإسلام.

كان محباً للتفوق، ميالاً للسيطرة طموحاً، سريعاً في فهم المواقف، يحسن معالجة الأمور، كبير اليقظة بعيد النظر.

وكان محباً للعلماء ورجال الأدب ولا تخلو مائدته من بعضهم، ويجد متعة في مناقشتهم وسماع نتائجهم، واتخذ من ندمائه الأدباء والشعراء والفلاسفة ورجال الفكر، ومن لم يستطع الوصول إلى بلاطه كان يرأسله ويقدم إليه الهدايا والأموال

في المناسبات. كان عدواً للترف، عاداته غير معقدة، ومائدته بسيطة كل البساطة ولم يكن ممتازاً في الناحيتين الثقافية والعسكرية فحسب، بل كانت كفايته الإنتاجية والقانونية عظيمة للغاية، فقد أنشأ دولة عظيمة، وبنى ملكاً كبيراً ساعده على القضاء على دولة كانت في يوم من الأيام لا تقهر.

فهو الذي وطد دعائم الملك العثماني بحق، وأكسب العثمانيين النصر الخارجي، وقنن القوانين، وعمل على استقرار الحياة الداخلية، وأشاع الأمن والطمأنينة في البلاد.

وإذا كنا قد تحدثنا عن بعض الشيء من أعمال السلطان محمد الفاتح في شبابه وبداية حياته، وإلى أن أتم فتح القسطنطينية، فإن هذا الفتح العظيم لم يكن بمثابة النهاية لأعماله الجليلة، بل كان بداية لها ومنطلقاً لإرساء قواعد دولته وتحطيم أعدائه.

فقد كان سلطاناً مسلماً عظيماً، تؤكد جميع أعماله وفتوحاته أنها كانت في سبيل نشر الإسلام والسمو بمركزه.

وقد عدّ نفسه مبعوثاً برسالة هدفها ضم العالم إلى دار الإسلام والقضاء على دار الحرب، وتحطيم معاقل الشرك والضلال، وحماية المسلمين من المغيرين المغامرين، وساعده على ذلك قيادته لشعب واع وجيش متماسك، درب على تحمل كل المشاق تدريباً جيداً أعطاه ميزة السبق على أعدائه المنقسمين على أنفسهم.

وكان دوي المدافع التركية يسمع على الفرات والدانوب وشاطئ ألبانيا وسواحل إيطاليا في آن واحد، حتى كان له آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومعظم شبه جزيرة البلقان، وأصبح البحر الأسود بحيرة عثمانية بعد استيلائه عليها وضمها إلى الدولة العثمانية. وكان الأتراك قد وضعوا أقدامهم على جانبي بحر الإديراتيك بعد استيلائهم على الجزائر الأيونية وميناء أوترانتو الإيطالي وهددوا سلامة إيطاليا والبابوية وأوروبا بأسرها.

وكان أعظم أعماله شأناً وقدرراً القضاء على الدولة البيزنطية وفتح مدينة القسطنطينية عام (857هـ-1453م)، بعد أن رأى بعيني رأسه تحديات الإمبراطور

قسطنطين لوالده، وطيشه واعتدائه المتكررة إلى درجة أنه كان بحق شوكة في حلق الدولة العثمانية لا بد من إزالتها.

توفي رحمته الله في الخامس من ربيع الأول سنة 886هـ الموافق 3 أيار/مايو 1481م.

الإمام أحمد بن إسماعيل الكوراني*

هو الإمام العامل الكامل الفاضل، شمس الملة والدين، زين الفقراء والمساكين، الفقيه الحنفي، صوفي كبير وعالم خبير، عريق في الرئاسة مبجل عند أرباب الدولة والسياسة.

نشأ بكوران⁽¹⁾ ثم ارتحل إلى القاهرة، وأخذ عن علمائها علوم الشرع الثلاثة والأصول، وأجازه ابن حجر، ودرس هو بالقاهرة، وظهرت له الفضيلة التامة بين الخاصة والعامة، ثم توجه إلى بلاد الروم، وولي بها عدة مدارس، وصار مؤدب أولاد السلطان محمد خان. وعرضت عليه الوزارة فأبى، ووجه إليه قضاء العسكر فباشره بشهامة، ثم انفصل عنه بقضاء بورسا، ونظر الأوقاف بها. صحب (الشيخ آق شمس الدين) وذكر السيوطي أنه أشرف على تعليم السلطان محمد الفاتح. وكان يسمى بعالم الدين عند العثمانيين). وكان قوالاً بالحق، لا يخاطب الوزير والسلطان إلا باسمه، ويسلم على السلطان ولا ينحني له، ويصافحه ولا يقبل يده.

وقيل له: الشيخ ابن وفاء يزور المولى خسرف ولا يزورك، فقال: أصاب، فإن خسرف عالم عامل فتجب زيارته، وأنا وإن كنت عالماً لكني خالطت الناس.

* انظر طبقات الصوفية للمناوي 4/ 200 (143)، الضوء اللامع: 1/ 241 و2/ 252، الشقائق النعمانية: 51، هدية العارفين: 1/ 135. أنظر محمد الفاتح لعلي محمد الصلابي، أعلام المسلمين (9) السلطان محمد الفاتح للدكتور عبد السلام فهمي.
(1) كوران: من قرى أسفرايين من نواحي نيسابور. معجم البلدان.

وكانت له مناقب كثيرة، ووقائع شهيرة، منها: أنه يوم وفاته لم يكن مريضاً فاضطجع على سريريه واستدعى الوزراء، فأتوه، فقال لهم: سلموا على بايزيد (يعني السلطان بايزيد ابن محمد الفاتح) وأوصيه أن يحضر الصلاة علي، ويقضي ديني من بيت المال قبل دفني، وأوصيكم إذا وضعتوني عند القبر فاسحبوني برجلي إلى شفيره، ثم مات وقت العصر، وصلى عليه السلطان، وقضى عنه ديونه، وكانت ثمانين ألفاً ومئة ألف بلا شهود، ولما وضعوه عنده لم يجسر أحد أن يسحبه من رجليه، فوضعوه على حصير وجذبوها إلى القبر، ثم أنزلوه، وملئت المدينة من الضجيج والبكاء والتأسف عليه من الكبير والصغير.

مات سنة ثلاث وتسعين وثمان مئة بقسطنطينية ودفن بها، وقبره ظاهر يزار إلى الآن.

القرنُ العاشر

الشيخ سيدي جلال الدين السيوطي*

ولد جلال الدين السيوطي سنة 849هـ بمدينة القاهرة وأبوه هو الإمام العلامة (أبو بكر محمد الخضير) الأسيوطي مولداً ونشأة، إلى أن تولى بها القضاء، قبل قدومه إلى القاهرة...

وبعد ولادة جلال الدين حملة والده إلى الشيخ (محمد المجذوب) وكان من كبار أولياء عصره ويسكن بجوار المشهد النفيسي، فباركه.

اشتغل رحمته الله بالعلم وأجيز بتدريس العربية في سنة 866هـ، وقد ألف في تلك السنة، أول مؤلفاته (شرح الاستعاذة والبسملة)، فلما اطلع عليها شيخ الإسلام (سراج الدين البلقيني) كتب عليه تقریظاً وضم (جلال الدين) إلى مجلسه، فلازمه دراسة الفقه حتى مات، فلازم ولده بعده، فأجازه بالتدريس والإفتاء...

ولم يكتف الشيخ (جلال الدين) بما حصل عليه من علوم وثقافات من (مصر) بل ارتحل إلى كثير من البلاد والأقطار، طلباً في للمزيد، فسافر إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (غرب السودان). ويقول رحمته الله: "لما حججت شربت ماء زمزم لأمر منها: أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ (سراج الدين البلقيني) وفي الحديث إلى رتبة (الحافظ ابن حجر). والحمد لله قد رزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم وأهل

* المرجع: نيل الخيرات الملموسة بزيارة آل البيت والصالحين بمصر المحروسة. لسعيد أبي الأسعاد.

الفلسفة". ويضيف رحمته فيقول: "والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عن دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخي فيه أوسع نظراً وأطول باعاً، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاث مئة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه...".

وقد تدارس العلماء كتب (جلال الدين) فعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب.

أما عن حياة (السيوطي) الخاصة فكان على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين، عفيفاً كريماً، غني النفس، متباعداً عن ذي الجاه والسلطان، لا يقف باب أمير أو وزير، قانعاً برزقه لا يطمع في ما سواه...

وله رحمته كتاب في الدفاع عن (ابن العربي) سماه: (تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي) ومما انفرد به من المؤلفات كتاب (المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة) وكتاب (تزيين الأرائك في إرسال نبينا إلى الملائك) وكتاب (أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب).

توفي رحمته سنة 911هـ وكان شيخه في التصوف: (الشيخ محمد المغربي الشاذلي).

الشيخ سيدي محمد الحنفي



الشيخ سيدي أبو العباس السرسى



الشيخ سيدي محمد المغربي الشاذلي



الشيخ سيدي جلال الدين السيوطي

أحمد بن يوسف الملياني*

هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءة السبعية المحقق الحجة؛ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسباً وداراً، الملياني.

كان رحمه الله من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، أحد أوتاد المغرب وأركان هذا الشأن، جمع الله له بين علم الحقيقة والشرعة، وانتهت إليه رئاسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره، واجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين من تلامذته، واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً، وأوقع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق، وقصده الزوار من كل حذب، وتتابعت كراماته عليهم، وظهرت أنواره لديهم، وكان متواضعاً ورعاً زاهداً يحبب الخلق في الطاعة ويحرضهم على الذكر، ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، حتى تاب على يديه خلق كبير، وهداهم الله تعالى بسببه.

وهو من تلاميذ الشيخ سيدي أحمد زروق. ولما حج شيخ شيخه المذكور وهو الشيخ الأوحـد العلامة الصالح أبو عبد الله الزيتوني نزل بموضع قريب من قلـعته، فأتى إليه فقبل الزيتوني رجله، وقال له: قد أعطاك الله من قاف إلى قاف، فقال له الملياني: هذا قليل بل أعطاني أكثر، وحكي أن بعض أصحابه قال له: إن سيدي عبد الرحمن الثعالبي قال: من رأى من رأيي لا تأكله النار إلى سبعة، فقال الملياني: كذلك من رأى من رأيي لا تأكله النار إلى عشرة، وحلق له مرة حلاق رأسه، فقال له: لولا خفت عليك من الناس لقلت: جميع من يجلس في حجر ك لا تعدو عليه النار، وقال ﷺ: دعوت الله في ثلاث فأعطانيها في ليلة واحدة، طلبته أن يرزقني العلم بلا مشقة فأعطاني علم الظاهر والباطن، وطلبته أن يبلغني مبلغ الرجال فبلغني فوقهم، وطلبته أن يريني المصطفى ﷺ في

* انظر كتاب سلوة الأنفاس. وتعريف الخلف برجال السلف لمحمد الحفناوي: 103.

النوم فرأيته في اليقظة، وفتح الله علي في علوم ببركته لم يطلع عليها غيري يعني من أهل عصره.

وعنه أيضاً قال علمني رسول الله ﷺ سبعين باباً من العلم، لم يعلم ذلك لأحد غيري أي في عصره، وقال أيضاً: جميع من أكل معي أو شرب أو جالسيني أو نظر في لا أسلم فيه غداً يوم القيامة، ومن كلامه ﷺ: والله وثم والله من عرفني حتى يندم، ومن لم يعرفني حتى يندم، وقال أيضاً: إنما ألمح بعض أصحابي لمحة فيبلغ بها مقام الأولياء.

وكلامه ﷺ وأخباره ومناقبه كثيرة جداً وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي النسب في تأليف له جمعه فيه بالخصوص سماه (بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار).

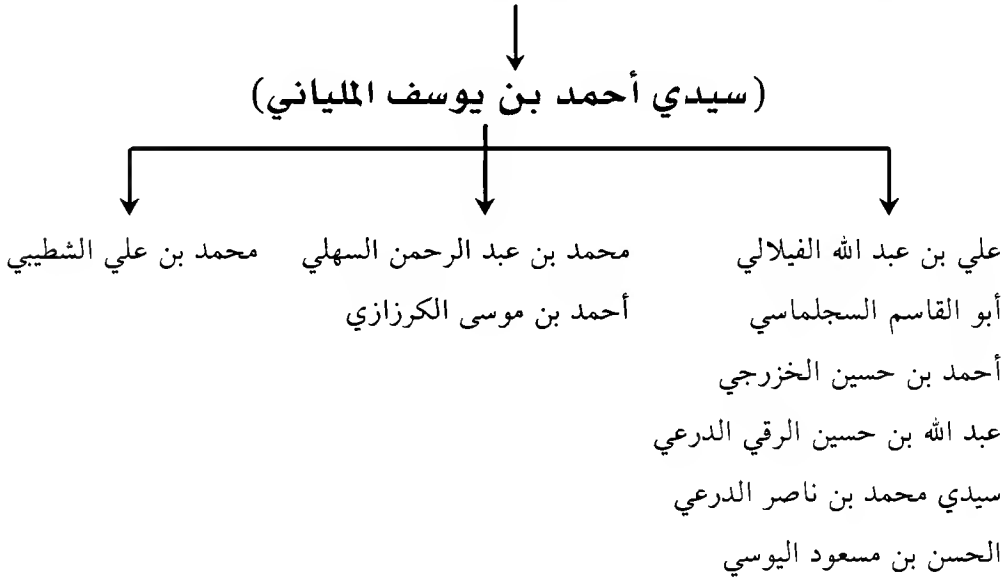
ومن أصحابه أبو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني بالتصغير الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل.

وسيدي أحمد بن يوسف توفي سنة 927هـ فيكون سيدي عمر الشريف من أهل القرن العاشر، وفي (نشر المثنائي) سيدي عمر من صالحى فاس، وروضته بها في ربوة عدوة فاس الأندلس متصلة بروضة سيدي غالب يفصل بينهما المحجة.

وقال في (المرآة) ما نصه: والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني من كبار المشايخ، أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية، وكان كثير التلقين، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبي: أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى النساء، فقال له: قد دعونا الخلق إلى الله، فأبوا فقتلنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر، قال الشيخ الخروبي: فوجدته أوسع مني دائرة.

(نسبه في الطريق)*

الإمام سيدي أحمد المعروف زروق (بنسبه المعروف)



سيدي علي الخواص**

وهو سيدنا علي الخواص البرلسي شيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني .
كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وبرغم ذلك كان أسطورة عصره في علوم الولاية
واعتمد عليه الشعراني كلية في كتبه وفي النقل عنه والاستشهاد به .
تلمذ الخواص على الشيخ إبراهيم المتبولي وصحبه وبه تخرج .
وكان في ابتداء أمره يبيع الجميز عند الشيخ إبراهيم المتبولي بالبركة ، ثم أذن له أن
يفتح دكان زيات فمكث أربعين سنة . ثم تركه وصار يضر الخوص إلى أن مات . فهو
الخواص نسبة إلى الخوص ، وهو ورق النخل الذي كان يضره ويبيعه طلباً للرزق .

* شجرة النور الزكية في طبقات المالكية : 453 / 1 .

** طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي : 179 .

وكان يسمى بين الأولياء النسابة لكونه أمياً ويعرف نسب بني آدم، وكان معه تصرف ثلاثة أرباع مصر والربع مع محسن المجذوب، وكان إذا نزل بالناس بلاء لا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى ينكشف.

ومن كلامه:

الكمل لا تصريف لهم بحال، بخلاف أرباب الأحوال.

توفي عام 939 هجرية، ودفن بزاوية الشيخ بركات خارج باب الفتوح من القاهرة.

شهاب الدين السبكي*

هو شهاب الدين السبكي الأحمدي الصوفي رحمته الله أحد أصحاب العارف بالله الشيخ الشناوي رحمته الله، فعنه أخذ وهو الذي أذن له في تربية المريدين.

قال العارف بالله الشعراني رحمته الله: صحبتته أربعين سنة، فما أظن أن كاتب الشمال كتب عليه خطيئة.

وكان لا يذكر أحداً بسوء، ولا يأكل إلا من كسب يده.

مات رحمته الله سنة 958 هـ، ودفن بجوار الجعبري رحمته الله بتربة الفقراء.

القطب الشعراني**

(898هـ - 973هـ)

هو أبو المواهب شرف الدين سيدنا ومولانا عبد الوهاب بن سيدنا أحمد بن سيدنا شهاب الدين علي الشعراني الأنصاري الشافعي، المحمدي ذاتاً وصفات، المجاهد الغازي، عين أعيان أهل الدوائر العلية الإمام العامل، والهمام الكامل، إنسان عين ذوي الفضائل، وعين إنسان الواصلين، من ذوي الفضائل، العابد، الزاهد، الفقيه،

* انظر طبقات الصوفية للمناوي: 4/ 345 (313) ..

** انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لأبي علي الكوهن الفاسي: 130. الأعلام: 4/ 180-181، وخطط مبارك: 14/ 109، والتاج: مادة شعر، وآداب اللغة: 3/ 335،

المحدث، الصوفي، المربي المسلك، قطب دائرة فلك المتقين، وقدوة الأولياء والعارفين، وفريضة الأتقياء والواصلين، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين، المنتظم بسلسلة "علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل" (1)، مرشد الخلائق إلى سواء السبيل، المختص بشرائف عواطف الملك التواب، المفيض عليه من كمال الأسرار والمعارف من لدن العليم الوهاب، قطب الأنجاء والأبدال والأقطاب، أستاذ أهل الإرشاد والتسليك الشريف حساً ومعنى، حسباً ونسباً بالتحقيق، طاهر النسبتين، المتمتع بمشاهدة جمال الحضرتين، تاج الدين، وغوث المسلمين، وأستاذ المتصرفين، وملاذ أهل التمكين، صاحب المدد الأكبر، والفضل الذي لا يحصر.

كان ﷺ من أصحاب الدوائر الكبرى المتمكنين في الولاية من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172/7]، وكان باطنه وظاهره محمدياً.

تربى ﷺ يتماً بكفالة جده سيدي شهاب الدين ﷺ، فقد ولد ونشأ ﷺ ولياً من أولياء الله تعالى، ولما ترعرع، وصار في ريعان (2) شبابه، ظهرت فيه علامات النجابة (3)، ومخايل الولاية، فاجتهد في طلب العلوم، وحفظ القرآن، وبعض المتون، وحاز العلوم والفنون، تستر بالفقه حتى كمل رشد، وطار ذكره، فاشتغل بالطريق فلاحت عليه شارات أهل التحقيق، وصار ركناً من أركان الطريق يعتمد عليه، وقد جعله الله رحمة للعباد، لما اجتمع بسيد العباد، وجاهد جهاد الأبطال حتى عد من فحول الرجال.

ومكث سنين طوالاً لا يضطجع على الأرض ليلاً ولا نهاراً، بل اتخذ له حبلاً في سقف خلوته، فجعله في عنقه ليلاً حتى لا يسقط، وكان يطوي الأيام المتوالية،

= والفهرس التمهيدي: 393 و421، ومجلة الكتاب: 344/2، والخزانة التيمورية: 3/164، والكتبخانة: 2/61 و65 و88 و103 و154، طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: 166. مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني لسيد محمد بن عبد الرحمن المليجي الشعراني.

(1) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء: 83/2)، والشوكاني في (الفوائد المجموعة: 786)، والسيوطي الحلبي في (الدُرَرُ المنتشرة في الأحاديث المشتهرة: 113).

(2) ريعان كل شيء: أوله وأفضله، ومنه ريعان الشباب.

(3) النجابة: النباهة والكرم والسخاء، وظهور الفضل على المثل.

ويديم الصوم، ويفطر على أوقية⁽¹⁾ من الخبز، ويجمع الخرق من الكومان، فيتخذها مرقعة فيستتر بها، وكانت عمامته من شراميط الكومان، وقصاصة الجلود.

واستمر على ذلك حتى قويت روحانيته، فصار يطير من صحن جامع الغمري إلى سطوحه، ورأى في مجلسه الجنة والنار، والصراط والحشر، والحوض، وكشف عنه الحجاب، فشاهد الأمور العجاب، ورأى ما خلف جبل قاف، وتكلم بسائر اللغات، واستأنست به الوحوش، وتكلم بما يبهر العقول، وشهدت بفضله الأئمة الأعلام، ودانت له رقاب الأنام، وخدمته الإنس والجان، والوحوش من جميع الآكام⁽²⁾، واطلع على عجائب مخلوقات الله، وبلغ به الورع والزهد منتهاه حتى إذا مشى رحمه الله في الأسواق، تندلق⁽³⁾ عليه الناس أي اندلاق، واعتقدته جميع الخلائق، حتى اليهود والنصارى، وأسلم على يديه الكثير منهم، وتاب على يديه من العصاة ما لا يحصر عدده، وصاروا من فقرائه، لما أمدَّهم بمدده، وكان يسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً من خارج أبواب مصر.

خدم المشايخ والأولياء، فخدمته أهل الأرض والسماء، وسعوا له حبوا على وجوهم، وأذعنت له الأمراء رغم أنوفهم وكانت تأتي إليهم الشفاعات، فيقبلونها صاغرين، ويجبرون أصحابها ويردونهم سالمين.

وكان عليه السلام مجاب الدعوة، عظيم السمعة، لين الجانب، بساماً متواضعاً متقشفاً⁽⁴⁾.

وكان يلبس في بدايته الملابس الغالية، ويجالس العلماء ويلطفهم، وكان مواظباً على السنة المحمدية، مراعيّاً للمذاهب الأربعة لا يفرق بينهم، وقد أطلعه الله سبحانه وتعالى على مقاماتهم، وكان يقول: جزاهم الله عنا خيراً.

وكان عليه السلام موزعاً أوقاته على العبادة، ما بين تأليف وتصنيف، وذكر وتذكير، وصلاة على البشير النذير، وتربية بالدلال والكمال.

(1) الأوقية: (ج) الأواقي. وفي الجزائر وزنها بالغرام 31,25 غ. وهو نتيجة قسمة 500 غرام على 16 جزءاً.

(2) الآكام: (ج) الأكمة: الراية أو التل (ج) أكم وأكمت.

(3) اندلق الشيء: اندفع من مكانه.

(4) تقشف الرجل: ترك الترفع والتنعيم.

وكان عليه السلام متخلقاً بأخلاق أهل الله، مؤثراً على نفسه، كريماً، يعطي عطايا الملوك، وينفق على الفقراء وذوي الحاجات، وكان يجتمع عنده بالزاوية نحو مئة من الفقراء، فكان يقوم بهم نفقة وكسوة.

وكان عظيم الهيبة، وافر الحرمة، يأتي إلى بابه أكابر الأمراء، فتارة يجتمعون به، وتارة لا يجتمعون.

وكان عليه السلام ذا همة عالية، فكان يأتيه الكتاب الكبير الحجم، فيطالعه ويراجعه، ويضع عليه تقريراته في ليلة واحدة، وأرسل له ناصر الدين اللقاني (مدونة الإمام مالك)⁽¹⁾ مع النقيب، ليراجع فيها مسألة أشكلت عليه، فلما أتى بها النقيب، وصل إليه في الزاوية مساءً، فأعطاهها له، وأراد الانصراف، فقال له: حتى تأخذها في الصباح، وبت عندنا هذه الليلة، فبات النقيب، وأخذ (المدونة) سيدي عبد الوهاب، ودخل خلوته، وبعد مضي زمن يسير، خرج من الخلوة، وردها إليه، فأصبح الرجل، ومضى إلى سيدي ناصر الدين، و(المدونة) معه، ففتحها سيدي ناصر الدين اللقاني، فوجد عليها تقاريرات وتوصليحات، فتعجب غاية العجب، فسأل نقيبته عن ذلك، فقال: لا أعلم غير أن سيدي عبد الوهاب لما أخذها مني، ودخل خلوته، ردها إلي بعد عشرين درجة، فلم أفتحها، وأحضرتها إليك كما هي، ولقد رأيته يا سيدي والله ما ترك ورداً من أوراده، ولا تهجداته.

وكانت الأمراء، وأرباب الجاه يحبونه محبةً شديدة، ويعتقدونه لصلاحه وورعه، وكان السلطان الغوري رحمه الله يحبه محبة شديدة، ويعتقده اعتقاداً جازماً، وأهدى له مرة سجادة وشاشاً عرضه سبعة أذرع، وطوله ثلاثون ذراعاً، أهداه له سلطان الهند في قشرة الجوزة، فأعطى عليه السلام الشاش لأخيه سيدي مولانا عبد القادر وأبقى السجادة ولم يستعملها مدة حياته، ولم يردها على السلطان أدباً منه، وكان هذا ديدنه، مشربه الأدب مع ولادة الأمور، ومن دونهم، يراعي حرمة

(1) كتاب (المدونة) في مذهب الإمام مالك وأخذها عن ابن القاسم، وكان أول من شرع في تصنيف (المدونة) أسد بن الفرات الفقيه المالكي بعد رجوعه من العراق، وأصلها أسئلة سأل عنها ابن القاسم فأجابها عنها، وجاء بها أسد إلى القيروان وكتبها عنه سحنون، وكانت تسمى الأسدية ثم رحل بها سحنون إلى ابن القاسم فعرضها عليه وأصلح فيها مسائل (للتوسع انظر وفيات الأعيان: 3/ 181 ترجمة سحنون).

الفقير والغني، والكبير والصغير، وهذه قطرة من بحر شمائله. وكيف لنا أن نقوم بحصر مناقبه؟! فهو إمام المحققين على الإطلاق، ومربي المريدين بأقوى قواعد التمكين، وفتاح أقفال غوامض معنويات إشارات المحققين، ومعبر رموز محلات مشكلات العارفين، واسطة عقد السالكين، وريحانة وجود الواصلين، الذي أقامته القدرة الإلهية، وربته العناية الربانية، واللطائف الرحمانية، فسلك الطريقة، متبعاً للكتاب العزيز والسنة المحمدية، وتفقه حتى وصل إلى الغاية، في مذهب السادة الشافعية، وفتح الله عليه بالافتتاحات الربانية.

ولم يزل معظماً في صدور الصدور، مبعجلاً في عيون الأعيان، حتى نقله الله تعالى إلى دار كرامته، عام ثلاثة وسبعين وتسع مئة، ودفن بزاويته بين الصورين، وحضر جنازته جمع حافل من العلماء والفقهاء والأمراء والفقراء، وكان يوماً مشهوداً في مصر، وصلي عليه بالأزهر الشريف، وقرئ نسبه الشريف على الدكة⁽¹⁾.

وحملوه على الأعناق إلى حيث مدفنه، وحضر جنازته الأولياء الأحياء والأموات، ورجال الدوائر من الإنس والجن من سكان البراري والوديان وما وراء البحار، حتى لم تر قط جنازة بمصر مثل جنازته، وعكفت الطيور تحوم حول نعشه، وبكت عليه الجمادات، وتقطعت القلوب أسفاً عليه.

وخلف رحمه الله ذكراً باقياً وثناءً عطراً زكياً، وبعد وفاته تناثرت الخيرات على زاويته من كل فج عميق، فأوقفوا العقارات والأطيان، وشيدوا له مسجداً جامعاً يليق بمقامه، وضريحاً خاصاً له، وبعالىه قبة معقودة ومقصورة، ورتبوا له المرتبات. وصار مسجده يعد من أعظم مساجد مصر، وضريحه من أجل الأضرحة التي يستجاب عندها الدعاء، ومدده فائض بين العباد يقصده ذوو الحاجات والمتعسرين، فيقفون بين يديه، ويتوسلون إلى الله بكشف الكرب، وما زاره أحد إلا ورد مجبور الخاطر.

وهو رحمته الله نصير الضعفاء حياً وميتاً، تزدحم الناس عليه، وينذرون له النذور والشموع، وما من أحد حلّ ساحته إلا وأفاض عليه من مدده، رحمه الله، وتقصده أهالي مصر قاطبة، من كل ملّة، ويؤمنون عنده خيراً كثيراً، اللهم أمدنا بمدده الفياض، واحشرنا تحت لوائه، وأدم علينا بركاته. آمين.

(1) الدكة: بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه. أو المصطبة يقعد عليها (ج) دكاك.

النسب الروحي للإمام الشيخ عبد الوهاب الشعراني*



* المرجع: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. للشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني.

** تربي سيدي عبد الوهاب الشعراني على يد سيدي علي الخواص. أما الشيخ محمود الشناوي فهو الذي أذن لسيدي عبد الوهاب الشعراني في التربية والسلوك ليكون دالاً على الله.

الشيخ سيدي أحمد بن موسى* (897هـ - 993هـ)

هو الشيخ الناصح والعلامة الصالح أحمد بن موسى بن خليفة بن محمد بن عبد الله بن خليفة بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش بن علي بن حرمة بن سلام بن عيسى بن مزوار بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء وعلي ابن عم الرسول ﷺ.

ولد سيدي أحمد بن موسى رحمه الله بفاس أواخر القرن التاسع الهجري، أي سنة 863هـ أو سنة 897هـ على اختلاف الروايات. استوطن أبوه موسى بفاس، وتزوج امرأة من بني عمه اسمها عائشة بنت سيدي عبد الله العلمي، وأنجبت له الشيخ سيدي أحمد، فنشأ نشأة صالحة في ظل علماء ربانيين، فارتوى من بحار علومهم، وصاحب المشايخ الكبار حتى أصبح آية من آيات الله.

كانت بداية تعلمه بفاس، حين قدمه أبوه موسى إلى الإمام المقرئ الشيخ سيدي محمد بن أبي جمعة الصوماتي، ثم المكناسي، ثم الفاسي المعروف بالهبطي صاحب (وقف القرآن) المعمول به عند سكان المغرب العربي.

وعنه حفظ القرآن حفظاً متقناً، وأجازه فيه. وكان الهبطي مشهوراً في علوم القرآن، وفي قواعد الإقراء وعلوم التجويد وتحقيق الرسم والضبط، وإليه المرجع فيها.

ثم وجهه أبوه رحمه الله لطلب العلوم الأخرى، وأخذها عن عدة مشايخ كانوا أجلاء عصرهم وفضلاء أوقاتهم.

ومن أشيائه:

الإمام محمد بن أحمد بن علي بن غازي المكناسي، ثم الفاسي شيخ

* سيدي أحمد بن موسى الكرزازي حياته وشعره. شهادة الماجستير... عبد الحكيم طول.
الدرر النفيسة في ذكر مناقب سيدي أحمد بن موسى لمولاي التهامي غيتاوي.

الجماعة المتوفى بفاس عام 917هـ. ومن أشياخه أيضاً الإمام أبو العباس أحمد بن قاسي الغساني الشهير بالقدومي إمام العربية وشيخ الإقراء بحاضرة فاس المتوفى عام 992هـ، وعنه أخذ علوم التفسير والحديث وأصول الفقه وفروعه، وقواعد العربية، وتخرج على يديه. ومن مشايخه الإمام أبو القاسم محمد إبراهيم الغساني الفاسي المعروف بالوزير، وكان مرجع المحدثين وإمام الأئمة العاملين توفي بفاس عام 970هـ.

ويقال: إن من أشياخه أيضاً سيدي عبد القادر الفاسي الفهري، رحمه الله وابن أبي زيد عبد الرحمن الفاسي.

ومن أشياخه بحاضرة فاس الإمام أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجوري الفاسي المتوفى سنة 955هـ.

وفي أحضان هؤلاء المشايخ تغذى بلبان علومهم ونهل من مناهل عرفانهم وبرع في الفقه والنحو والأصول وقواعد العربية والحديث والتفسير، حتى صار له المقام المعلوم والمكان المرسوم في مراكز المنطوق والمفهوم.

وببركة ذكائه الحاد وعقله الواسع، نال السيادة بين أقرانه، فتحلت به المجالس وافتخرت به المدارس، وصار مرجع الفتوى بفاس بعد وفاة شيخه ابن غازي. ومما يحكى عنه أنه كان يستظهر أزيد من مئة مصنف في مختلف فنون العلم، ولا سيما في علوم القوم.

سياحته وتصوفه:

ليس من السهل أن يتكلم المرء في حقيقة هؤلاء المشايخ الكبار، لأنهم كانوا عظماء في مجال لا يدرك إلا ممن أوتوا علم اللطائف والتصوف بذاته لطافة، ودائرة معانيه أوسع من دائرة الألفاظ. غير أننا نقول: إنه لما تضلع - رحمه الله - في العلوم جميعها، اشتاقت روحه إلى أذواق القوم عليه السلام فقال بلسان حاله ومقاله:

أهل المحبة قالوا لي إذا حباك الله بها

مقامها عالٍ غالي وأهل الكتب حاروا فيها⁽¹⁾
وأهل المحبة هم الصوفية، فدلوه لما علموا منه صدق الطلب على الشيخ
المربي الذي يفتح له الباب بعد أن أنشد بلسان حاله ومقاله:

يا أهل المحبة جيت ليكم عافي ونسأل عن داي ندور دواه
قالوا عليك بالسالك الرباني هو يبلغك مقام من تهواه⁽²⁾

فاتصل بالشيخ المربي الكبير صاحب سجلماسة سيدي محمد بن عبد الرحمن
السهلي رحمه الله ورضي عنه وكان صاحب الذات العالية قد خرقت له العادات،
فتلقن الاسم الأعظم على يديه. وكان سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي
تلميذاً لسيدي أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الذي كان من أكابر الخلفاء.
وأخذ سيدي أحمد بن يوسف عن سيدي أحمد زروق رحمه الله صاحب
القواعد⁽³⁾.

ومن مشائخه أيضاً الشيخ سيدي أحمد العروسي، رحمه الله، نزيل الساقية
الحمراء، وقد أرسله إليه شيخه سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي رحمه الله
ففرح به ولبث عنده برسم الصحبة سنين، ونال منه المقصود.

تدريسه:

لما عاد سيدي أحمد بن موسى من الساقية الحمراء إلى فاس، انتصب بها
للتدريس، ثم انتقل إلى (تازة) ودرس بها سنين عديدة، فذاع صيته وكثر طلبته،
وصار مأوى للقاصدين، وملتجأ للطالبين، وقدوة للعارفين، ولا زال صيته
ذائعاً.

(1) ديوان سيدي أحمد بن موسى.

(2) ديوان سيدي أحمد بن موسى،

(3) القواعد في التصوف (تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول) لصاحبه
أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المشهور بزروق (ت 899هـ) وله زاوية
بتكرين - طرابلس - (ليبيا).

وفقراؤه موجودون بالمغرب الأقصى (بفاس ومكناس وتازة وتطوان وطنجة والنّاظور ووجدة وبوعرفة وتندراة وقلميم وفقيق، وغيرها) وله هناك زوايا وأوقاف للضعفاء والمساكين والغرباء والأيتام والأرامل رحمه الله .

انتقاله إلى وادي (الساورة):

نزل سيدي أحمد بن موسى بقرية أولاد موسى ب(الساورة) وألان الله له قلوب أهلها مع خشونة طباعهم وقساوتها، فأقبلوا عليه بالهدايا وافترضوا على أنفسهم مؤونة طلبته، لما شهدوا منه حصول البركة وظهور الكرامات، فتكفلوا بمؤونة الطلبة، وهو ﷺ تكفل بتربيتهم وبتطهير نفوسهم من رعونتها .

فاندفع إليه الناس اندفاعاً عظيماً، وأتته القوافل من التلاميذ من تلمسان ووهران وغيرها من المدن والقرى والأرياف الجزائرية المتعددة . ولم تكد توجد مدينة إلا وله فيها أتباع، وانكب عليه أهل (توات) لما شاع خبره، وكان يتجول مع جمع من الفقراء، فزار أهل (قرارة).

وقصد زيارة سيدي موسى والمسعود وكان من الأكابر رحمه الله من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلالي رحمه الله . وكان قد أخبره به شيخه سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، وقال له : " إذا لزمته وخدمته ستنال منه خيراً كثيراً، ويتسلسل السر في ذريتك " .

إذن صار سيدي موسى والمسعود شيخه في الوصول . وسيدي أحمد العروسي شيخه في التربية . وسيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي شيخه في التلقين .

تأسيس الزاوية بكرزاز:

أسس سيدي أحمد بن موسى رحمه الله الزاوية الكرزازية في عام 953هـ وقيل في عام 969هـ، وقد تصدر بها للتدريس والوعظ والإرشاد والتربية، وأعانه في ذلك بعض تلامذته الكبار . ومقرها بالبلد المعروف اليوم بالزاوية الكبيرة، وبها روضته الشريفة وقبور المشايخ من نسله، ومنها انتشر صيته وذاع خبره .

قال صاحب كتاب (الاعتزاز)⁽¹⁾: عاش سيدي أحمد بن موسى حياة كلها غبطة، في غاشية من رحمة ربه. أنفاسه قدسية وصفاته ربانية وأحواله مرضية محمدية.

وصحب أرباب القلوب فكسي منهم حلة الإيمان. وصارت نفسه مطمئنة وروحه طاهرة، وقلبه محشواً بحب الله ورسوله.

زهد في الدنيا ولم ينشغل بها ولم يدخر منها إلا ما يقري به ضعفاً أو يزود به مسافراً أو يفدي به غريماً أو يطعم به فقيراً أو أرملة أو يتيماً أو مريداً. وما عرف الراحة. ولم يضيع ساعة من عمره، فلا تراه إلا تالياً للقرآن أو ذاكراً لله أو راکعاً ساجداً أو مدرساً أو مفيداً أو مستفيداً أو مرشداً.

فكان شغله تربية النفوس، وكان شديد الحرص على السنة والتمسك بالكتاب. لا يخاف في الله لومة لائم، وكان صواماً قواماً متحرياً للحلال، ذا سمت حسن. وكان من أكابر الدعاة إلى الله، يذب عن حوزة الإسلام وينفي عنه البدع والضلالات وشكوك المبطلين وتأويل الجاهلين. وكان يعالج كل ذي حال بما يوافق حاله. وكثيراً ما كان يقول:

الشقي ما يجينا واللي جانا يسعد بنا
حنا ما ندوروا عليه هو اللي يدور علينا⁽²⁾
وبذلك كان قساة القلوب من الأعراب أكثر تجمعاً على مائدته لما أنسوه منه من شفقة ورحمة وحسن معاملة.

ومما قيل فيه: "كان الوجد والذوق والجذب طبعاً له وسجية، دون أن يترك تغليف جذبه بسلوكه رحمه الله. وكان كثيراً ما يتحدث بنعمة الله عليه فيقول:

من جال حضرتنا يبرا يمشي بقلب مستامن
يجي نحاس يرجع نقرا المصطفى هو الضامن⁽³⁾

(1) - الشيخ سيدي أحمد بن جعفر الكتاني الفاسي - (الاعتزاز بمناقب شرفاء آل كرزاز).

(2) ديوان سيدي أحمد بن موسى.

(3) ديوان سيدي أحمد بن موسى.

وكان ركناً من أركان الأمة، مهتماً بشؤونها وبتربية ناشئتها على الصراط المستقيم، ومنقطعاً للتبتل وكثرة المجاهدة والنظر إلى المعالي، وتاركاً سفاسف الأمور. وكان كثير الصبر على أهل الإذابة وهو سجية فيه لا يؤاخذ أحداً، متحملاً ما لا يقدر عليه أحد.

وكان من أهل الهمة والبركة، لا يكاد يخطر شيء بقلبه إلا حدث بإذن الله. وكان كثير الذكر والأوراد، لا يفارق مجلسه حتى تشرق الشمس ويصلي ركعتي الإشراف. وكان يقوم كل ليلته فيذكر ربه. وكان ملهماً يتكلم عن القلوب ويكشف أصحابها، وكثيراً ما يقول: إن الله تعالى أطلعنا على بواطن أموركم وخفي أسراركم من حيث لا تعلمون، والله در رابعة حين تقول:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يرى للناظرين
وكان رحمه الله عارفاً بطريق تزكية النفس والوصول بها إلى درجة الإحسان، وطيباً ربانياً يطبب النفوس والقلوب ويخلصها من هواها.

ومما رويناه مشافهة عن الشيخ الأعظم سيدي محمد بلقايد رحمه الله قوله: "كان سيدي أحمد بن موسى من رجال التربية والكمال، ولا يزال كلامه يشهد عليه، وإنه من أهل الذات العلية. فلقد فنى في الذات حتى صار عين الصفات".
وكان سيدي محمد الهبري - رحمه الله - لا يكاد يتكلم في وعظ إلا استشهد بكلامه.

وكان أحسن ما يحب من الفقراء أشعار السماع عندهم التي تنسب في أغليتها إلى سيدي أحمد بن موسى أو إلى سيدي ابن الفارض أ وسيدي الششتري. وكان سيدي أحمد بن موسى يصدق فيه قول القائل:

فلا تلتفت في السر غيراً فكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجذ السير واستنجد العونا
ومهما تر كل المراتب تنجلي عليك فحد عنها فعن مثلها حدنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا ثمرة تجنى

وكذلك ما قاله سيدي أبو مدين الغوث التلمساني في قصيدته وهو يتكلم على الشوق والأنس بالمحبيب:

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقاء تراقصت الأشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى إذا ذكر الأوطان حن إلى المغنى
يفرج بالتغريد ما بفؤاده فتض طرب الأعضاء في الحس والمعنى
ويرقص في الأقفاص شوقاً إلى اللقاء فتهتز أرباب العقول إذا غنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى تهزرها الأشواق للعالم الأسنى

وفاته:

لم يزل رحمه الله مشتغلاً بزأويته وبمريديه وأهل محبته، يدعو إلى الله مخلصاً في نصيحته ودالاً على ربه، حتى وافاه الأجل المحتوم.

فأحضر تلامذته من قريب ومن بعيد فنعى إليهم نفسه بالإشارة ففهم من فهم.

وكلف بغسله وتجهيزه تلميذه المخلص سيدي محمد بن إبراهيم البوداوي المؤذن في بودا بتوات.

وكانت وفاته ليلة 27 من ربيع الأول قبل انصداع الفجر عام 1013هـ رحمه الله، وقيل سنة 993هـ.

أهم تلاميذه وخلفائه:

لما انتقل الشيخ إلى رحمة الله خلف السر عند تلميذه الأمين الشيخ سيدي محمد المعروف بـ(ابن جراد) الساوري. وسارت الزاوية تحت رعايته وتسييره إلى أن وافاه الأجل المحتوم بها عام 1040هـ. ومنه أخذها الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي أحمد بن موسى، ولا زالت تحت تصرفه وولايته إلى حدود 1045هـ حيث توفي.

ومنه أخذها الشيخ سيدي عبد الرحمن بوفلج المدعو بـ(الكرزازي) وهو أول من دعي بهذا الاسم، وكان أحب الألقاب إليه. وهو الذي نقل الزاوية من مقرها الأول المعروف اليوم بالزاوية الكبيرة إلى قرية كرزاز التي هي بها اليوم.

ومن التلاميذ الأعيان لسيدي أحمد بن موسى رحمه الله: سيدي محمد بن محمد بن جراد الساوري، وسيدي بن عومر البوداوي، والسيد محمد بن إبراهيم البوداوي. والسيد محمد بن عبد الله السباعي، والسيد أحمد بن محمد الحداد، والسيد عبد الله بن عيسى الذهبي.

وممن أخذ عنه بواسطة واحدة: السيد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الحمزاوي القصباوي، والسيد محمد بن علي بن مرزوق الرحماني الشهير بالعيشي التلمساني، والسيد محمد الصالح بن عبد الرحمن الميموني، والسيد محمد بن سعيد البوداوي، والسيد يحيى بالحاج النهاري، والسيد عبد الله بن عمر القصراري، والسيد محمد الشريف التواتي والسيد محمد البكري والسيد عبد العزيز المهداوي وغيرهم من الأولياء الكبار.

وكان أعظمهم سيدي محمد بن علي المدعو أبو حسون، وكان أحيا الطريق وذاق مقامات الفناء، حتى لا تكاد تتبين كلامه من كلام سيدي أحمد بن موسى رحمه الله، ورحم الله الجميع.

آثاره:

ورد في كتاب (الاعتزاز) ذكر مجموعة من المؤلفات لسيدي أحمد بن موسى نذكر منها ما يلي:

- علم التوحيد ومعرفة التوحيد
- البرهان في أحكام الفرقان
- إنارة الطريق ومسالك أهل التحقيق
- ورسالة تسمى (الموساوية في قواعد اللغة العربية) غير أنه لا أثر لهذه الكتب في كرزاز ونواحيها.

الرموز:

وهي مجموعة من الأشعار التي تركها سيدي أحمد بن موسى، وقد ضمنها مواعظه ودروسه التي كان يلقيها في جلساته الوعظية الإرشادية، حيث أحاط فيها بأمور الدنيا والآخرة، فكانت كلها أحكاماً وحكماء في المعاملات وفي السلوك والمقامات والأذواق والأشواق والمحبة وذكر شيم الصالحين وفضلهم ومحبتهم، وتمجيد الذكر والذاكرين.

ولم تنظم هذه الرموز في شكل قصائد كاملة متكاملة، بل نطق بها أبياتاً أو مقطوعات ملحونة في جلساته للوعظ والإرشاد، ليسهل حفظها على العامة والفقراء والمريدين الذين كانوا في غالبيتهم أميين، ومن ثم يسهل تكرارها لاستيعاب كنوزها.

وجمع هذه الرموز تلامذته ومريدوه في شكل قصائد أسموها (بحوراً)، وأعطيت لها صيغ، ووضع لها إيقاع نغمي تستسيغه الأذن، ليقبل على ترديدها المريدون فيما يسمى بـ(السماع)، ولا تزال تذكر في الجموع إلى يومنا هذا.

وإن المتطلع في هذه الرموز يدرك أنها مقتبسة من مشكاة النبوة، ومن القرآن الكريم، حتى قيل إن سيدي أحمد بن موسى جعل لكل آية "رمزة" تخدمها. وكان كلامه واسعاً وعميقاً يدل على مقامه الكبير وأحواله النورانية.

ومن الأمثلة الدالة على محتويات رموزه قوله:

الذكر يا زاهد الذكر والذكر هو الجبيرة
من ماله نور في الذكر هذاك خاطي لمريرة⁽¹⁾
وكذا قوله:

أهل الهوى مروا غرقوا وأهل المحبة فازوا لو
خرقوا السموات السبع رفعوا الحجاب ودخلوا لو

(1) لمريرة: المسلك أو الطريق الصغير المعلم، والمراد بذلك طريق القوم المعهود في السير والسلوك.

وهكذا يستمر سيدي أحمد بن موسى يضمن رموزه قضايا فكرية عقيدية صوفية حتى يسهل حفظها وتسميعها والعمل بموجبها . إلا أن عدم تقييدها أضاع الكثير منها وعرض البعض منها للتغيير والتحريف ، وصدق من قال : (آفة العلم عدم التقييد) ، وهو الحال الذي صارت إليه رموز سيدي أحمد بن موسى لكونها لم تقيد كِتَابَةً ، ووصلت إلينا مروية عن طريق المشافهة . مما جعلها تتعرض للخلط ، وللإضافة والنقص ، ولعدم الترتيب والتسلسل ، بل تداخلت مع كلام تلامذته الرواة .

صفحة بيضاء

رقم 320

القرنُ الحادي عشر

سيدي محمد بن ناصر الدرعي*
(... - 1085هـ)

هو الإمام الكبير القدوة الشهير القطب الغوث سيدي محمد بن محمد بن ناصر الدرعي الأغلاني.

كان رأس العلم والعمل والولاية في عصره وبرع في شتى العلوم والمعارف مثل الفقه والتفسير والحديث والتصوف والحقائق، كان يستظهر التسهيل في النحو للإمام ابن مالك.

قال الشيخ عبد الله أعياش في (فهرسته): وجل استفادته في العلوم الظاهرة عن شيخه سيدي علي بن يوسف الدرعي، وأجاز له سيدي محمد بن سعيد المراكشي. وأما في طريق القوم فعن سيدي عبد الله بن الحسين الدرعي عن سيدي أحمد الخزرجي عن سيدي أبي القاسم السجلماسي عن سيدي علي بن عبد الله الفيلاي⁽¹⁾.

وأخذ عنه أئمة أعلام كالشيخ الحسن اليوسي.

من أراد المزيد والتوسع في ترجمة سيدي ابن ناصر فليراجع فهرس الإمام اليوسي ومحاضراته وكتاب (نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني) للسيد محمد الطيب القادري.

توفي ﷺ عام 1085هـ ودفن بدرعا وبها ضريحه مشهور يزار.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للطعمني: ص 201. وكذلك في: التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر لمحمد بن الطيب القادري.

(1) انظر ترجمة سيدي أحمد بن يوسف الملياني.

سيدي عبد الله الشريف الوزاني*

(... - 1089هـ)

هو القطب الهمام قبة الصلاح القدوة الطاهر والشريف الزكي الزاهد أبو محمد مولاي عبد الله الشريف بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن عمر بن أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن سيدي يملح بن سيدي مشيش والد القطب مولاي عبد السلام. فهو من الشرفاء العلميين يتصل نسبه بعم مولانا عبد السلام سيدي يملح. ولد رحمته الله بجبل العلم بتازروت من قبيلة بني عروس على نحو من عشرة كيلومتر من ضريح مولاي عبد السلام لجهة الجنوب، وهناك نشأ ثم استوطن مدينة وزان من قبيلة مصمودة، وكان في حال طفولته يتردد لزيارة خالة له بجبل العلم كانت زوجة للولي الصالح العارف سيدي الحسن بن ريسون، فكان ينوه بأمره ويخبر خالته بعلي قدره ومكانته ويقول لها سيكون من أمره كذا وكذا.

ولما شب جعل يبحث عن يأخذ بيده فكان كلما سمع بشيخ يشار إليه بالصلاح قصده. فكانوا يدلونه على العارف الكامل والولي الواصل سيدي علي بن أحمد الصرصري، فلم يزل جاداً في طلبه إلى أن اجتمع به فلقنه الورد الجزولي الشاذلي، ثم قبضه عنده في جبل صرصر وجعله في بستان يشتغل فيه ويقوم بما يصلحه من نقضه وسقيه وتعبيد سواقيه، وبقي على ذلك مدة، ثم أرسله إلى تطوان بقصد طلب العلم فدخلها وأخذ عن كبار علمائها ونبغائها في وقته، ثم رحل لفاس فواصل دراسته وأتم قراءته، وكان أيام قراءته كثير الخلوة والعزلة عن الناس، منقبضاً عنهم بعيداً عن مجامعهم.

ولما توفي شيخه وذلك سنة 1027هـ نزل قرية شكر من قبيلة مصمودة، واعتزل الناس ودخل الخلوة، وبقي فيها يعبد الله تعالى نحواً من أربعة عشر شهراً لا يلقى أحداً غير رجل من أصحابه يقال له سيدي عبد الكبير اعلاوات، فإنه كان يأتيه بما يحتاجه، وكان يقول هذا صاحب ما دخلت على سيدي عبد الله في أيام خلوته

ليلاً أو نهاراً إلا وجدته قائماً على قدميه يقول: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، ولا يفتر عن ذلك إلا إذا كان متلبساً بالصلاة، وكان ورده منها عشرات الألوف ولم يخرج من الخلوة حتى أذن له رسول الله ﷺ في الخروج للدعوة والإرشاد خمساً وثلاثين مرة، فلما خرج أقبل عليه الناس والتف حوله جموع لا يحصون، حتى إنه أطعم مرة ليلة واحدة أربعة عشر ألفاً من الزوار. ثم انتقل لوزان وسكن دار مولاي بوسلهام إلى انتقاله. وكان ﷺ منقطع النظر في الزهد والورع والإعراض عن الحياة والإقبال على الله تعالى.

وكان يعيش في وقت كانت الفتن فيه كنزول المطر من السماء حروب طاحنة متوالية بين السعديين والعلويين وبين المسلمين والإسبانيين والإنجليز وثار متلصصين هدفهم الإفساد في الأرض ونهب الأموال، يضاف إلى ذلك ما كانوا يصابون به من نكبات الحياة كضيق في المعيشة وارتفاع في الأسعار وجذب وقحط وزلازل وهزات.

في هذا العصر كان يعيش مولاي عبد الله الشريف وكان يعيش معه فيه العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة 1036هـ، والعارف سيدي رحال الكوش المتوفى سنة 1050هـ، والعارف العلامة سيدي العربي بن سيدي يوسف الفاسي صاحب (مرآة المحاسن) المتوفى سنة 1052هـ، والشيخ العلامة ميارة الفاسي المتوفى سنة 1082هـ، والعارف بالله سيدي قاسم الخصاصي المتوفى سنة 1073هـ، والعارف بالله سيدي محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة 1075هـ، والعارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091هـ، والعلامة الصوفي أبو سالم العياشي كالإمام أبي الحسن اليوسي المتوفى سنة 1002هـ وأمثالهم.

من كراماته:

اجتماعه يقظة بسيد الخلق ﷺ. وعن العارف سيدي قاسم بن رحمون عن العارف الحاج الخياط عن خادم الشيخ سيدي عبد الكريم قال: كان اليوم الذي فتح الله عليه فيه دخلت عليه فوجدته مستلقياً، وكان ذلك بغلس، فقلت له: يا سيدي أمثالك يتكئ في هذا الوقت.

فقال له: يا عبد الكريم لا علي الآن قمت أو اتكأت، الآن فتح علي دخل علي رسول الله ﷺ فقال لي: يا عبد الله امدد يدك ورجلك واقبل من جاءك، فمن قبلهما فهو آمن من النار. وقال فاعتذرت له بأني ضعيف لا أقدر على ملاقة الناس فأعاد علي امدد يدك ورجلك... إلخ.

ومنها: أنه لما بعثه شيخه إلى تطوان لطلب العلم، مر بموضع من قبيلة بني يوسف فسمع التراب والحجر والنبات والشجر يناديه بلسان فصيح الله ينصر مولانا عبد الله الشريف، فظن أن ذلك شيطان، فلما رجع إلى شيخه كاشفه بذلك، وقال له: لا تخف مما سمعت والخير - إن شاء الله - أمام.

ومنها: ما ذكره في تحفة الإخوان عن سيدي قاسم بن رحمون قال: كنت أعرف رجلاً من أصحاب سيدي محمد بن ناصر يعني الدرعي أخذ عنه ولازمه إلى أن مات... وظهر له أنه حصل على شيء، وأنه استغنى عن معرفة الأشياخ فتولته الشياطين وصحبه الجان وجعلوا يطلعونه على العجائب ويطوفون به على قبائلهم.

ففتن بذلك وانشغل عن ورده وعبادته، ولما تحقق من ذلك جعل يرقى على الآكام ورؤوس الجبال وينادي بأعلى صوته: الغياث الغياث يا أولياء الله الغياث الغياث، تشفعت لكم برسول الله ﷺ ويذكر كل من يعرف من الأولياء ويكثر من النداء على شيخه.

فبينما هو ينادي في بعض الأيام إذ أقبلت عليه كتيبة من الخيل فلما دنت منه جاءه عدوه من الجن كان يعرفه فأخذه وفر به وجعلت الكتيبة تجري خلفه ولهم صباح فجعلوا يتأخرون زمراً زمراً حتى لم يبق إلا أربعة رجال؛ اثنان على فرسين أحدهما أدهم والآخر أشهب، واثنان طائران، قال: فخاض في البحر فخاضوا خلفه فخرج إلى البر فتبعوه، فلما تحقق الهلاك رمى الرجل وفر أمامهم فلحقوه وقتلوه وجاؤوا بالرجل، فقال لهم نشدتكم الله أخبروني من أنتم الذين تفضل الله علي بكم.

فقال له صاحب الفرس الأشهب أنا عبد السلام بن مشيش، وقال صاحب الأدهم أنا أبو يعزى، وقال أحد الطيارين أنا محمد بن سليمان الجزولي، أو قال

أبو سلهام، قال سيدي قاسم: والغالب على ظني أنه قال أبو سلهام، وقال الرابع: أنا عبد الله بن إبراهيم يعني صاحب الترجمة، وفي هذه الكرامة ما يدل على تصرف بعض أكابر الأولياء بأرواحهم بعد موتهم، وقد حصل ذلك للكثير من أفرادهم ونص المحققون من الصوفية والعارفين على ذلك، وقالوا: إن الولي إذا مات انقطع تصرفه في هذا العالم إلا بعض الأكابر، فإن الله تعالى يوالي لهم التصرف في الكون ولو بعد موتهم، ولا مانع يمنع من ذلك ما دام الأمر أمر الله.

توفي مولاي عبد الله الشريف رحمته الله سنة 1089هـ بمدينة وازان وبها دفن بجوار المسجد الأعظم وهو يعد رئيس دائرة الأقطاب والشرفاء الوزانيين رحمته الله وقطبها.

وبوازان جماعة من أكابرهم: القطب مولاي محمد بن مولاي عبد الله وارث سر أبيه المتوفى سنة 1120هـ، والقطب مولاي التهامي بن مولاي محمد المتوفى سنة 1127هـ.

والقطب مولاي الطيب بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله المتوفى سنة 1181هـ. فهؤلاء السادات كلهم مقبورون بوازان رحمته الله والحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.

صفحة بيضاء

رقم 326

القرنُ الثاني عشر

الحسن بن مسعود اليوسي* (1040هـ - 1102هـ)

هو الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمرو بن يحيى بن يوسف، وهذا هو أبو قبيلة بن داوود بن يدراسن بن يلتن. ولد ﷺ سنة 1040هـ.

وأما اليوسي فأصله اليوسفي كما مر من أن يوسف هو أبو قبيلة بن داوود، وهم يسقطون الفاء في لغتهم...

وأورد في كتابه المحاضرات كنيته فقال: "والكنية أبو علي وأبو المواهب وأبو السعود وأبو محمد، أما أبو علي وهي كنية الحسن المشهورة فكناني بها شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، وأما البواقي فكناني بها فضلاء من الإخوان في رسائلهم..."

وذكر اليوسي أولية أمره في فهرسه فقال: "كنت في صغري نفوراً عن التعليم، فكنت أتنبك المكتب وأكمن في طريق الصبية حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأني قد قرأت معهم، وسبب ذلك أنني كنت شديد الحياء في صغري حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي لأنه ألقي في وهمي أن من دخل المكتب كيف يتأتى له أن يخرج في قضاء حاجة الإنسان وكيف يمكنه أن يذكر

* التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المئة الثانية والحادية عشر، للقادري، الأدب المغربي لابن تاويت وعفيفي، ص 311 وما بعدها، الطبعة الأولى، بيروت،

ذلك ويشاور عليه المؤدب، فلم يمكنني إلا الهروب، فمكثت على ذلك مدة، ثم توفيت والدتي فتكرت لي الأرض وأهلها.

فما الناس كالناس الذين عهدتهم ولا الدار كالدار التي كنت تعرف

وكان ذلك سبب الفتح، فألقى الله في قلبي قبول التعليم فدخلت أتعلم، ولم ألبث إلا قليلاً حتى جعلت أطلب والدي أن يقربني إلى الأمصار طلباً للقراءة، فقربني للاحية القبلة فختمت القرآن العظيم، ثم رجعت لبلادنا فذهبت لزيارة الولي الصالح سيدي أبي يعزى، وقد وقع في سمعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده، فحضر في قلبي ثلاث حوائج: العلم والمال والحج، وذلك مبلغ عقلي في صغري، فحصل ذلك والحمد لله، وكان معلمي للقرآن هو أبو إسحاق بن يوسف الحداد اليوسي، واستفدت منه فوائد، وكان عنده مجموع فيه المورد العذب وبحر الدموع للإمام ابن الجوزي، فكنت آخذه أنظر فيه حكايات الصالحين كأويس القرني، وإبراهيم بن أدهم، وإبراهيم الخواص وغيرهم، فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حلاوتها في قلبي فكان بدءاً لما أنعم الله به علي من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها، ثم شرعت في طلب العلم إلى أن فتح علي بما فيه فتح، وكانت قراءتي كلها أو جلها فتحاً ربانياً، ورزقت - والله الحمد - قريحة وقادة وفطنة ذكية فكنت بأدنى سماع وأدنى أخذ ينفعني الله، فقد أسمع بعض الكتاب ويفتح الله علي في جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه، ورب كتاب لم أسمعه أصلاً غير أن سماع البعض في كل فن صار بدءاً للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ، ولا تستوحش مما ذكرناه من قلة سماع الكتب والفنون ظناً منك أن الربح يكون أبداً على قدر رأس المال، كلا؛ فقد يبلغ الدرهم ألف مثقال، وما ذلك على الله بعزيز، انتهى من الفهرسة باختصار وزيادة ونقص.

نقلًا بالنص الحرفي التام عن (صفوة من انتشر) للأفراني.

أما رحلاته في طلب العلم ولقاء الأشياخ فيقول عنها الكتاني في فهرس الفهارس ما نصه:

"جال المترجم له في بلاد المغرب حاضره وباده لأجل طلب العلم وخصوصاً بالصحراء وبلاد البربر وسوس وبلاد الساحل، وأخذ عن أعلام".

ثم يقول عنه بعد رواية عن المسناوي تلميذه: "لم يكن له اعتناء بالرواية، وإنما كان الغالب عليه الدراية".

وتصوف اليوسي على يد الشيخ أبي عبد الله بن ناصر، أخذ عنه العهد، وصار يلقن طريقته للمريدين، وفي هذا الشأن يقول الأفراني في (الصفوة): "وأما علم الباطن فعمدته فيه هو الإمام أبو عبد الله بن ناصر، هو طبيب علته ومبرد غلته، قال في الفهرس: هذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد والورد، وإليه تنتسب، وكل من ذكره سواه فإنه على طريق انتفاع ما انتهى".

واليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية القائمة بمراكش والواقعة بحي روض العروس قريباً من ضريح الشيخ أبي عمرو القسطلبي وضريح الشيخ الجزولي أخبر بذلك العباس بن إبراهيم في أعلامه فقال: "والمترجم له سيدي الحسن اليوسي هو الذي أنشأ الزاوية الناصرية برياض العروس بمراكش على ما حدثني به سيدي الأمين الناصري".

نعتة الشيخ محمد المرابط الدلائي في إجازته له فقال: "... الصدر الرئيس، فارس الإملاء والتدريس، شيخ الجماعة بالديار البكرية، والحضرة الدلائية، ذو التدقيق المعهود أبو الحسن بن مسعود، صاحب النباهة الشامخة، والنوهة الباذخة، والجلالة العليا، والهمة التي نيطت بالثريا، المتمسك من الرواية بأسبابها، ومن النزاهة بأهدابها، من ألفت إليه المعارف زمامها، وجمعت له السيادة ما وراءها من المجد وأمامها...".

(فهرسة اليوسي) مخطوطة الخزانة العامة وقال عنه أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي فيما أجاز به: "... الفقيه العلامة، المحقق الفهامة، الصدر الأوحده، والعلم المفرد، رئيس الإقراء، والمُتَهَيِّئ للمناصب العلمية الشماء، الباذل في إيصال النفع لطالبيه غاية المجهود، أبو علي الحسن بن مسعود...".

وقال عنه الأفراني في (الصفوة): "وكان أبو علي رحمه الله تضلع في العلوم العقلية وبرز فيها على أبناء وقته حتى قال: إنه بلغ درجة الشيخ سعد الدين

التفتازاني والسيد الجرجاني وأضرابهما بحيث يقبل من كلام العلماء ويرد، وسأله يوماً سائل بدرسه عن مسألة فقال له: اسمع ما لم تسمعه من إنسان، ولا تجده محرراً في ديوان، ولا مسطراً ببنان، وإنما هو من مواهب الرحمن".

نقلًا عن صفوة من انتشر للأفراني.

ثم زاد يقول: "وكان شاعراً مفلحاً، النظم عنده أسهل من التنفس حتى كان يقول لو شئت ألا أتكلم إلا بالشعر لفعلت"، صفوة من انتشر.

وذكره ابن زاكور في (نشر أزهار البستان) قال بشأنه: "... حبر الأخبار، وجهينة الأخبار، وزين القرى والأمصار، العديم النظير في سائر الأقطار، من أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسي، وأعراني من ملابس بوسي، وأحفني بمطارف المسرات عن حنادس عبوسي، مولاي أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي...".

وقال عنه ابن الطيب القادري في (نشر المثنائي): "الإمام الكبير، المحقق الشهير، كان عالماً ماهراً في المعقول والمنقول، وأقبل عليه الناس إقبالاً عظيماً، فكان حيثما قرأ أطبق عليه الناس، وكان آية في الأدب والنقل والإدراك، وحفظ كلام الأدباء، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائد عن ظهر قلب".

ثم قال عنه "وكان له أصحاب وأتباع وإقبال من الناس، ولا يكون مجلسه إلا غاصاً بالأعيان، وكان محققاً للدراية والرواية، له عارضة كبيرة في النقل والتحقيق وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو ستة أشهر...".

وأطراه الكتاني في (فهرس الفهارس) فقال: "... عالم المغرب ونادته وصاعقته فيه سعة الملكة وفصاحة القلم واللسان مع الزعامة والإقدام والصدع بما يترأى له وكثرة التصنيف على طريق بعد العهد بمثله وهو الكلام المرسل الخالي من النقل إلا ما لا بد منه...".

ونوه الحجوي بمشاركته ورياسته في (الفكر السامي) فقال: "... فقيه،

أصولي، لغوي، أخباري، أديب، شاعر، نظار، مشارك، ماهر في الفنون، انتهت إليه الرياسة الكبرى في العلم في وقته، وله شهرة ذائعة في المغرب والمشرق . . . " .

ارتفعت مكانة اليوسي عند الناس وعلا مقامه بين أهل العلم، حتى ادعي له أنه مجدد المئة الحادية عشرة، وفي هذا الشأن يقول الأفراني في (الصفوة): " . . . وبالجمله فهو آخر العلماء بل خاتمة الفحول من الرجال، حتى كان بعض أشياخنا يقول: هو المجدد على رأس هذه المئة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه " .

وفي (سلوة الأنفاس) للكتاني: " . . . وقد عد من المجددين على رأس القرن الحادي عشر . . . " وجاء في أعلام العباس بن إبراهيم رواية عن (إفادة التنبيه، فيمن ادعى الاجتهاد أو ادعى فيه) ما نصه: " ومنهم عالم المغرب ونادرة الدنيا في وقته الحسن بن مسعود اليوسي رحمته الله، سمعت من يقول من وعاء التاريخ ببلدنا: لو كان له مذهب لاتبع " .

وفاته:

"ومما يعد من مناقبه أن قوماً ذهبوا لزيارته فبينما هم في الطريق رأى رجل منهم في نومه أن الشمس قد غربت، فقصها على أصحابه، فقالوا له: لعل الشيخ قبض الليلة، فلما بلغوه وجدوه قد توفي تلك الليلة " .

صفوة من انتشر: " توفي رحمته الله عقب قفوله من الحج يوم الاثنين عام اثنين ومئة وألف ودفن بموضع يعرف بتميزت بقرب قرية صفرو على نصف مرحلة من فاس، ونقل من مدفنه بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن رحمته الله على ما حكى، ومثل هذا معلوم لغير واحد من أولياء الله "، (نشر المثالي). وقال الكتاني في (السلوة) عن قبره: " . . . وهو في قبة رفيعة أنيقة عليه دربوز يزار به . . . " .

الإمام سيدي أحمد بن محمد اليمني*

(1040هـ - 1114هـ)

هو الشيخ الفقيه والنور اللامع أبو العباس سيدي أحمد ابن الولي الجليل أبي عبد الله سيدي محمد ابن الشيخ الولي الكبير، العارف الشهير أبي العلاء إدريس الشريف الحسني القادري اليمني المالكي.

قومه - رحمه الله - من إقليم اليمن، أصله هو: من قرية معلق (بفتحات وتشديد اللام) وهي: قرية بين أريجي وسنر وهما: مدينتان بالصحراء على طرف النيل، بين صعيد مصر وأرض الحبشة، ولجده بأرضه مزارعة كبيرة شهيرة. ولأبيه وأخيه ولاية.

وكانت ولادته هو في حدود الأربعين وألف، وقرأ بقرية معلق وبما والاها من البلاد، وكان لأهله ملك وإمارة في بلادهم، فلما فتح عليه رفض بها أهله ومالهم من الوجاهة، وساح في الدنيا كما وقع لإبراهيم بن أدهم.

وكان خروجه من بلاده -حسبما أخبر هو- سنة خمس وسبعين وألف بقصد الحج، وطلب العلم، والأخذ من مشايخ الصوفية فطاف في البلاد، وجال في الأقطار، وحج بيت الله الحرام، ودخل بلاد السودان، وأطال فيها التردد، ثم مر على بلاد الصحراء إلى أن وصل بلاد سجلماسة فأقام بها مدة مكرماً.

ثم انصرف إلى فاس فدخلها -على ما في (المقصد) وغيره- في الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع وسبعين وألف. وفي (التقاط الدرر) بخط مؤلفه أنه: "كان دخوله لها: يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الثانية عام أربعة وثمانين وألف" هـ. وسيأتي أنه: أدرك بفاس الشيخ سيدي قاسم الخصاصي ورآه، لأن وفاة سيدي قاسم كما تقدم، كانت في رمضان سنة ثلاثة وثمانين وألف. . والله أعلم.

* انظر في نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني تأليف محمد بن الطيب القادري: 3/ 121. سلوة الأنفاس: (2/ 377). صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر: ص 361، التقاط الدرر: ص 281.

وبات تلك الليلة بجامع القرويين، ومن الغد نزل بعلية مسجد السراج، المعروف بمسجد الأبارين، من عدوة فاس القرويين، وهي: العلية التي يشرف منها على الصحن. أنزله بها القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي من غير أن يطلب ذلك منه. وبقي - رحمه الله - بها نحو الستين، وهو على هيئة الزي البدوي في اللباس ثم تحول عنه.

ولم يزل على أهبة عظيمة في العبادة، وتشمير كبير فيها، والناس يقصدونه في بعض المهمات ويتعاهدونه بالزيارة إلى أن تمكنت المعرفة بينه وبين الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فوجه بنت الصالح البركة أبي مروان عبد المالك بن محمد الغمري، ونقله إلى المخفية، وأسكنه بها بدار بين داره وزاويته، فظهر حينئذ أمره، وشاع بين الناس ذكره وتزاحموا على زيارته، وتعلمذ له من تتلمذ، وصار له أصحاب وعرفه الولاة ورؤساء الدولة المخزنية، وتقربوا إليه بالهدايا والمواصلات واستحرموا داره.

وكان رحمته الله قد لقي عدداً كثيراً من المشايخ العظام بالمشرق والمغرب وبلاد السودان، وانتفع بهم نفعاً تاماً ظاهراً لا يخفى. فمنهم: الشيخ أبو العباس أحمد المدعو: بالصادق ابن الشيخ أبي محمد أويس بن عبد القادر التاركي (بالقاف المعقودة) اللمتوني نسباً، المالكي مذهباً، السهروردي طريقة. الذي كان قاطناً بمدينة أدكز من طرف بلاد السودان، والشيخ أبو النجدة فارس السناسن (بالنون بعد السين الأولى والثانية) الحنفي المذهب. والسناسن: اسم طعام لهم كان هذا الشيخ يطعمه الواردين عليه ولا يطعمهم غيره فأضيف إليه. وهو القائل: "إن طرق الصوفية الموجودة في هذا الزمان محصورة في أربع لا خامس لها، كالمذاهب الأربعة وهي: الغزالية، والقادرية، والرفاعية، والشاذلية". ومنه تعلم صاحب الترجمة اسم الله الأعظم.

والشيخ العالم العارف المتمكن: سيدي دفع الله ابن الشيخ سيدي محمد الغزالي الهوازني النسب، المالكي المذهب وهو عمدته، وعلى يده فتح له، وإليه ينسب وهو: من مدينة أريج، وأخذه عن والده الشيخ محمد عن عمه الشيخ عبد الله عن الشيخ

حبيب الله العجمي بالسند المتصل إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، فطريقته قادرية.

والشيخ العالم العارف، المجدوب الشهير، صاحب وقته، وأعجوبة دهره، أبو محمد سيدي عبد الله بن عبد الجليل بن عمر البرناوي الحميري. القاطن ببرنو من بلاد السودان، وكثيراً ما كان صاحب الترجمة يذكره ويحدث عن جلالة قدره وعظم أمره، وخرج لزيارته من فاس بعد صلاة العشاء من ليلة الاثنين سابع أو ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين وألف، فوجده قد مات، ثم رحل لفاس أواسط ربيع الأول سنة أربع وتسعين وألف.

وكان قد أدرك بها الشيخ سيدي قاسماً الخصاصي، ورآه إلا أنه لا يحفظ أنه أخذ عنه. بل مقتضى عموم قوله فيما نقل عنه: "لا منة لأحد من صالحى المغرب علي إلا الشيخ ابن عباد رحمته الله فإنه قضى لي حاجة". فإنه لم يأخذ عنه ولا عن غيره من أهل المغرب.

وكانت له رحمته الله مؤاخاة عظيمة في الله مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي. ويقال: إن سيدي أحمد هذا أخذ عنه، لأنه كان يعظمه غاية التعظيم، ويجلس بين يديه كجلوس المتعلم بين يدي المعلم، خاضعاً متأدباً، ويوده المودة العظيمة ويؤثره على نفسه، ولا يواكله، ولا يرفع الصوت بحضرته. قال في (التقاط الدرر): "ولم نسمع بعد الصحابة والتابعين من تحابا في الله مثلها هـ".

وكان رحمته الله على ما منحه الله من العلوم اللدنية والإشارات الوهية يتعاطى قراءة العلوم، ويعتني بدقائق الفهوم، وكانت له دراية حسنة في علم الفقه، يخالط خليلاً وتوضيحه و(المدونة) ودرس العلم بالمخفية، وأخذ عنه بها الفقيه العالم سيدي إدريس بن علال القادري الحسني، وشقيقه سيدي محمد، والفقيه العالم المؤرخ سيدي محمد العربي بن الطيب القادري، وشقيقه العلامة المشارك المؤلف لعدة كتب سيدي عبد السلام بن الطيب القادري، قرأ عليه جميعهم مختصر خليل من أول النكاح إلى الإجارة.

وكان من المتجردين عن الأسباب، والواقفين بالباب، ممن أوتي في التوكل قوة، وصار فيه علماً وقدوة، وقد صرح مراراً بأن أمرين كليهما لا يهمله أبداً، وهما: هم الرزق وخوف الخلق.

وكان ﷺ من أجله الزمان، وأكابر الأعيان، عارفاً كاملاً، متمكناً واصلًا، ذاكرًا عابداً، متنسكاً زاهداً، له الكرامات الكثيرة، والأفاعيل الكبيرة، والتصريف العام، والكشف القوي التام، وكراماته أشهر من أن تذكر وأوضح من أن تشهر.

منها: أنه كان إذا تنكر لأحد ظهرت عليه أمارات الخسران مكانه. وإذا أضر به أحد أهلكه الله لحينه، وكان يقول: "إني إذا آذاني أحد ففاضت عيناى، أهلكه الله لا محالة". ولما سمع بهذا الكلام سيدي أحمد بن عبد الله قال: "وأنا إذا آذاني أحد وضحكت، أخذه الله".

وقد شهد له الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله المذكور ﷺ بالخصوصية الكاملة، والبصيرة التامة، وكان العالم الصوفي سيدي المهدي الفاسي إذا كتب اسمه، يعبر عنه بالعارف الكامل الراسخ. وأخبر هو عن نفسه بما يؤذن بعظيم المعرفة وحال الجذب. وزهده وورعه، وكمال اتباعه للسنة المحمدية، وكرم أخلاقه أدل دليل على ذلك. وقد ذكر أن بعض أكابر أولياء طرابلس أثنى عليه وشهد له بالخصوصية الكبرى، وذكر مقامه الخاص به، وقال: "إن مقامه عيسوي، حكيم يضع الأشياء مواضعها" ثم قال فيه وفي سيدي أحمد بن عبد الله: "إنه ليس في المغرب مثلهما". وفي رسائل العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي وصفه بقطب الدائرة، وفي فهرسة تلميذه أبي العباس بن عجيبة وصفه بالقطب الجامع، وكذا وصفه صاحب (جواهر المعاني) بالقطبانية.

بل أشار هو يوماً لبعض أصحابه إلى أنه: كشف له عن جميع ما يقع في الوجود. قال أبو العباس الولائي: "وهذا حال القطب المحمدي" وذكر غيرهما في (الإلماع) و(المقصد) أنه كان يلقي الخضر عليه السلام، ويعرف اسم الله الأعظم. قال في (المقصد): "وهو قادري الطريقة، كما صرح به مراراً، شريف النسب، أصيل الحسب، له سلف في الخصوصية إلا أنه لا يشيع نسبه، بل لا يذكره، وصرح لبعض الأصحاب أنه ترك ذلك لله. قال: وقد وصفه بالشرف والولاية والعرفان الشيخ الولي الكبير، المجذوب الشهير، أبو حفص عمر بن الشيخ عبد الله البرناوي ثم ذكر في (المقصد) ما نصه من كتاب أرسله إليه، ثم قال: "بيته بيت ولاية وصلاح، ويذكر أنه: من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به".

وممن صرح بأنه شريف النسب: العلامة الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي الفاسي في (الإلماع)، والعلامة الدراكة أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب القادري في غير ما كتاب من كتبه. قال في (الزهر الباسم): "ووصف ولد شيخه إياه بالشرف معتبر لأنه أعرف به، وتصريح الشيخ اليميني أنه: ترك نسبه لله هو: عين الانتساب.

وممن صرح بذلك أيضاً: الشيخ العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن يعقوب الولسالي في (مباحث الأنوار) ونصه: "أصله عليه السلام من اليمين ومن شرفاء الينبوع وقومه صحح غير واحد أنهم من ذرية ولي الله الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني هـ.

وقال بعضهم: صحح غير واحد من الأئمة العظام أن قومه من أعيان الأشراف باليمين من نسل الإمام موسى الجون بن عبد الله الكامل من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني من ولده داوود هـ.

ولما ذكره العارف بالله مولاي العربي الدرقاوي في رسائله، قال فيها ما نصه: "وهو شريف قادري" والله أعلم.

وقد ترجمه صاحب (الصفوة) فقال ما نصه: "ومنهم: الشيخ الصالح الخاشع العارف بالله أبو العباس أحمد بن محمد اليميني، ولد رحمه الله باليمين، ولقي عدة من المشايخ، ثم تجول في الآفاق لزيارة الأولياء فلقي ببلاد (برنو) من السودان الشيخ الإمام العالم الرباني أبا محمد عبد الله البرناوي فتتلمذ له، وانتفع بصحبته. ثم إنه قصد المغرب فاستقر بفاس وجاور بمسجد الأبارين منها، ولم يزل على أهبة وتشمير في العبادة، والناس يتعاهدونه بالزيارة، إلى أن استحكم وده مع الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي، وصحت الأخوة في الله بينهما فنقله إلى زاويته بالمخفية، وزوجه، وأجرى عليه ما يقوم به من سائر ضرورياته، فشاع صيت صاحب الترجمة وتزاحم الناس على زيارته وكثر غاشيته.

وكان أبو العباس يجله كثيراً بحيث يبقى بين يديه كالمتعلم بين يدي معلمه، ولا يواكله، ولا يرفع الصوت بحضرته، وخاض الناس في ذلك، فمن قائل إنه تتلمذ له وصار له شيخاً. ومن قائل: إنه عقد معه عقدة الأخوة في الله فكان معه على قدم أهل المحبة في الله. ومع هذا فإن صاحب الترجمة لما توفي وحمل فوق

النعش، قال أبو العباس: والله ما قمنا بحقه، ولا عرفنا حق ما كان عليه! أو كلاماً هذا معناه.

وكان صاحب الترجمة من أهل الرسوخ في المعرفة، ومن أهل الأحوال الربانية. نفع الله به خلقاً كثيراً، وظهرت له كرامات.

توفي رحمه الله في شعبان عام أربعة عشر ومئة وألف. ودفن خارج باب الفتوح، وقبره شهير هنالك.

ومن خط الفقيه العالم، البركة الثقة، أبي العلاء مولانا إدريس بن علال القادري بواسطة ما نصه: "الحمد لله، توفي شيخنا وسيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا: الشيخ الإمام، العالم الهمام، العارف بالله، والذال على الله، والناصح لعباد الله، الشيخ الكبير والولي الشهير والجامع بين شرف النسبتين، أبو العباس سيدي أحمد اليميني. قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس مهل رجب عام ثلاثة عشر ومئة وألف، ودفن رحمته الله صبيحته، فحضر جنازته خلق كبير لا يحصى عددهم من أهل فاس رجالاً ونساء وشباناً وقواداً، فلما أرادوا الصلاة على جنازته، افتتن الناس. فلما رأى ذلك حاكم البلد بعث خدامه لتفرقتهم عنه، وصلوا عليه، وكسروا نعشه ومزقوا حصيرته، ودفن بمطرح الأجلة، في الموضع المعروف بالجنان، خارج باب الفتوح، رحمته الله ونفعنا به آمين" هـ.

وبنيت عليه رحمته الله قبة حسنة تؤنق في بنائها. بناها عليه سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، وهي مشهورة معروفة، وقبره بها مزار معظم إلى الآن وحتى الآن. نفعنا الله به. وممن ترجم له: أبو العباس الولالي في (مباحث الأنوار) أورده فيمن لقي من الأخيار، وكذا صاحب (المقصد) و(الإلماع)، و(النشر)، و(التقاط الدرر)، و(الزهر الباسم)... وغيرهم. ولم يذكره في (الروض) لتأخر وفاته عنه، وإن كان معاصراً له. وأشار إليه الشيخ المدرع في منظومته فقال:

ومعدن الأسرار والعرفان شمس المعالي أحمد اليماني
كان إماماً فاضلاً نبيهاً معظماً مبجلاً وجيهاً
محيي الطريقة إمام قومها مجدداً لما عفا من رسمها

سيدي عبد العزيز الدباغ* (1095هـ - 1131هـ)

هو سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ بن أحمد بن محمد بن محمد بن مولاي أحمد بن عبد الرحمن بن قاسم بن محمد بن أحمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن هارون بن فنون بن علوش بن منديل بن عبد الرحمن بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن مولاي إدريس الأزهر بن مولاي إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن سيدنا ومولانا علي رضي الله عنهم أجمعين، الغوث الحافل، الصوفي الباهر، نجم العرفان الزاهر، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، والهمم العرشية، منشىء معالم الطريقة بعد خفاء آثارها، ومبدي معالم الحقائق بعد خبو أنوارها، الشريف الحسيب، الوجيه النسيب، ذو النسبتين الطاهرتين الجسمية والروحية، والسلالتين الطيبتين الشاهدية والغيبية، والولايتين الكريمتين الملكية والملكوتية، المحمدي العلوي الحسني، قطب السالكين، وحامل لواء العارفين، ولد قدس الله سره بفاس، وكان قبل ولادته أوصى لأبويه سيدي ومولاي العربي الفشتالي بأمانة، وقال لهما: سيزيد عندكما عبد العزيز، فأعطوه هذه الأمانة، وكانت هذه الأمانة هي شاشية وسباط، فحفظوهما حتى حملت به أمه الشريفة، فلما حملت به، ووضعت، تربى في حجرها، حتى بلغ سن الرشد، وصام من ذلك العام، وألهم الله سبحانه وتعالى أمه، فأعطته الأمانة التي أوصى بها مولاي العربي، وقال قدس الله سره: فأخذتها، وجعلت الشاشية على رأسي، والسباط في رجلي، فحصلت لي سخانة عظيمة حتى دمعت عينا، وعرفت ما أشار به سيدي العربي، وفهمت إشارته والحمد لله رب العالمين، ووقع لي

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن: ص 139. الأعلام: 28/4، ونشر المثنائي: 118/2، وطبقات الشاذلية: 147، ومخطوطات الرباط: 217/2، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي: ص 157.

الفتح منذ لبستها، وألقى الله في قلبي التشوف⁽¹⁾ إلى العبودية الخالصة، فجعلت أبحث عنها غاية البحث، فما سمعت بأحد يشيخه الناس إلا ذهبت إليه وشيخته، حتى تمّ الفتح على يد سيدنا الخضر عليه السلام، ولقنني الورد عند السدرة المحررة بضريح الولي الصالح سيدي علي بن حزم، وقطعت ما أمرني به في ثلاثة أيام، واجتمعت بسيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام بعد ذلك، وصرت أراه يقظة لا مناماً، وكنت قبل ذلك أأزم سيدي عبد الله البرناوي قدس الله سره، فقال بعد الفتح: يا عبدالعزيز، كنت أخاف عليك قبل اليوم، واليوم حيث جمعك الله مع رحمته تعالى وسيد الوجود ﷺ أمن قلبي، واطمأنّ خاطري، فأستودعك الله عزّ وجلّ، فذهب إلى بلاده وتركني.

قال قدس الله سره: ومن جملة من لقيته من المشايخ، سيدي محمد اللهواج وبلاده بقرب تطوان، وسيدي عبد الله البرناوي، وسيدي منصور، وسيدي عمر قيم الروضة، وكل هؤلاء ورثت أسرارهم، والحمد لله.

وقد اجتمع قدس الله سره اجتماعاً آخر مع جماعة من الأولياء منهم: سيدي أحمد بن عبد الله، وكان من أهل الدائرة، ورجال الديوان، وبسبب صحبته له أطلعه الله تعالى على أسرار القرآن، حتى حلّ مشكلاته، وفكّ طلاسم آياته، ونطق بالمغيبات وشاهد أسرار الملكوت، وجالت روحه في ميدان الجبروت، وظهرت له كرامات، ونطق بسائر اللغات، ودانت له ملوك الأرض ونزلت بساحته الأولياء، واستمدوا منه بسائر الإمدادات.

ومن كراماته قدس الله سره:

تأثير كلامه في القلوب، فقد جاءه فقيه من الفقهاء ذات يوم، وقال له: يا سيدي، ادع الله لي بقطع الوسواس من قلبي.

فقال قدس الله سره: الوسواس لا يكون إلا مع الجهل بالطريق، فمن قصد مدينة، وهو جاهل بطريقها، فإن الخواطر تختلف عليه، ويقول له خاطره: الطريق

(1) تشوّف فلان إلى الشيء: تطلّع إليه ونظر وطمح بصره إليه.

هكذا، فيتبعه، ثم يقول له آخر: بل الطريق من هاهنا، فيبقى حيران، ولا يدري من أين يذهب، والعارف بالطريق يسير، وقلبه سالم من ذلك، وطريق الدنيا والآخرة هو الله تعالى، فمن عرف هذا ربح خيري الدنيا والآخرة، وأحياه الله حياة طيبة، ومن جهل هذا كان على الضد، قال الفقيه: فلما سمعت هذا الكلام رحماني الله به، فصار الخاطر إذا توجه لقضاء حاجة من غيره تعالى جذبه جاذب من غيره، وردّه إلى الله عزّ وجل.

وكراماته قدس الله سره لا تنحصر، فهو البحر الزاخر، والسر الباهر، والكنز المطلسم، والغوث المفرد والعلم.

وقد أطل في كراماته تلميذه في (الإبريز) فراجعته تفز بعناية الملك العزيز. وكان قدس الله سره يقول لتلميذه سيدي ابن المبارك: يا ابن المبارك، لو عاش إبراهيم الدسوقي من زمانه إلى الآن ما أدرك ما أدرك صاحبك عبد العزيز من الصباح إلى الآن.

الأولياء عليهم السلام وإن علت مراتبهم فهم فوق ما ندركه، ولا سيما علمهم هذا لا يحاط بالفكر، ولا يقتضي للعقل تصوره، وإنما علمهم هذا وراء العقل، إذ قد تقرر عند علماء هذا الفن أن العقل وراءه أطوار، وهذه الأطوار تنطوي تحتها علوم وأسرار، هي علوم الخواص.

فيجب علينا إذن التسليم، فقد قالوا: التسليم ولاية، ونعني به الولاية الصغرى، وكقول القائل:

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

ومثل هذه المقالة لا تحط قدرًا من العارف سيدي إبراهيم الدسوقي، فإن مثال هؤلاء علومهم علينا مبهم، ولا يمكننا فهمها، وأيضاً لما يتكلمون به في بعض الأوقات بلسان الحال، وما من ولي إلا وله شطحات ومشاهدات، انظر كتب ساداتنا الصوفية تجدها مشحونة بهذه الأقوال، نفعنا الله بهم، ورزقنا التسليم لأقوالهم وأفعالهم. آمين.

وكانت وفاة مولانا عبد العزيز الدباغ قدس الله سره سنة إحدى وثلاثين ومئة وألف⁽¹⁾، عن ستة وثلاثين عاماً.

وكان قدس الله سره أُمياً، لا يقرأ ولا يكتب، ومن أراد الوقوف على شريف حاله، وخصائص سره، وعلو مقامه، فليطالع (الإبريز) فقد جمع فيه تلميذه المشار مناقبه وفضائله، والحق ما هي إلا قطرة من بحر شمائله.

وضريح مولانا سيدي عبد العزيز بحضرة فاس من أعظم الأضرحة وأجلّها، ومقامه بالمغرب كمقام أكبر ضريح بمصر، تشد إليه الرحال من أقصى البلاد، وتتزاحم عليه العباد، ويرجون عنده خيراً كثيراً، وضريحه تلوح عليه الأنوار، ويراعي زائريه، ويمدهم بالنفحات، اللهم احشرونا في حزبه، وأمتنا على حبه وحب أتباعه. آمين.

الإمام عبد الغني النابلسي*

(1050هـ - 1143هـ)

هو الإمام عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد بن جماعة المقدسي النابلسي، الدمشقي⁽²⁾، العارف بالله، الحنفي مذهباً، الصوفي النقشبندي القادري طريقة⁽³⁾ العالم، الأديب، الصوفي، النائر، الشاعر، المشارك في جميع أنواع العلوم⁽⁴⁾ رحمته الله.

(1) في الأعلام 28/4: وفاته 1132هـ.

* للمزيد: سلك الدرر للمراي، جامع كرامات الأولياء للنبهاني، وعجائب الآثار للجبرتي.

(2) كما ذكره هو نفسه في المخطوط من كتابه: (رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام).

(3) أي: سلك الطريقة النقشبندية، والطريقة القادرية (التي أسسها سيدي عبد القادر الجيلاني رحمته الله). انظر هدية العارفين للبغدادي: 591/2، وكذا بعض المصادر الأخرى.

(4) كما ذكر عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين 5/271.

مولده ونشأته:

ولد ونشأ في دمشق في الخامس من شهر ذي الحجة سنة 1050هـ خمسين وألف من هجرة النبي ﷺ.

رحل إلى بغداد، وفلسطين، ولبنان، ومصر، والحجاز. ثم استقر في نهاية المطاف بدمشق حتى الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة 1143هـ وهو تاريخ وفاته⁽¹⁾.

تعليمه:

جاهد الشيخ عبد الغني النابلسي، وتنقل بين المشايخ ودرس الفقه والأصول والحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة وعلومها.

فأول ما كان يواظب عليه دروس والده في التفسير، التي كان يلقيها بالمدرسة السليمية، وكذلك أثناء إلقاء والده دروس (شرحه على شرح الدرر) بالجامع الأموي بدمشق ودخل في عموم إجازته.

كما حضر دروس النجم الغزي ودخل أيضاً في عموم إجازته أي: كل مؤلفاته وقراءاته، وقرأ أيضاً وأخذ على الشيخ محمد بن أحمد الأسطواني والشيخ إبراهيم بن منصور الفتال والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي، والسيد محمد بن كمال الدين الحسيني الحسيني، نقيب الأشراف بدمشق وكذلك الشيخ حسين بن إسكندر الرومي شارح التنوير، والشيخ كمال الدين الحلبي والشيخ محمد بن بركات الكوفي الحمصي، ثم الدمشقي. كما أجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي.

(1) يبدأ هنا صاحب كتاب (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) للسيد/ محمد خليل المرادي - بالحديث عنه وعن أخلاقه ويصف شخصيته، ثم ينتقل إلى كراماته التي اشتهرت وذاعت، منذ ميلاده، وأسباب تسميته، وحمل أمه به، وكيف عرفت أنه ولد وليس بنتاً. وتبع ذلك حتى الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة 1143هـ وهو تاريخ وفاته. انظر: المرادي: سلك الدرر 2/ 30-38.

وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الجيلاني، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي.

وفي بداية تعليمه:

- 1- قرأ الفقه وأصوله على الشيخ أحمد القلعي الحنفي.
 - 2- وقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع على الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق.
 - 3- وقرأ الحديث ومصطلحه على الشيخ عبد الباقي الحنبلي.
 - 4- وقرأ التفسير والنحو أيضاً، على يد الشيخ محمد المحاسني.
- وبعد أن أتم الله له ذلك وبلغ عشرين عاماً. بدأ في إلقاء الدروس وتصنيف الكتب، وأدمن الاطلاع على كتب السادة الصوفية، وعشق أحوالهم والجلوس في مجالس الذكر معهم فنظم بديعية جميلة في مدح المصطفى ﷺ فاستبعد بعض المنكرين أن تكون من نظمه. فاقترح عليه أن يشرحها فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد ضخمة.
- ثم نظم بديعية أخرى.
- ثم شرع في إلقاء الدروس في أكبر المساجد (الجامع الأموي بدمشق)⁽¹⁾ وواصل إلقاء الدروس بشكل طبيعي، وظل يتحف الحضور والمتقربين إليه بآرائه وأقواله وعلومه ومعارفه وقدرته الفائقة على الإقناع وجذب المستمع إليه، فأدركوا أن الله هياً له القبول.

شخصيته:

قارئ واسع الاطلاع ومؤلف دؤوب على متابعة تصنيف الكتب، كتب في عدد كبير من العلوم والفنون والمعارف المختلفة.

(1) انظر: سلك الدرر. الصفحات السابقة. مخطوط (الورد الأنسي والوارد القدسي).

عانى كثيراً في بداية أمره، ثم التزم بيته ما يقرب من سبع سنين حتى حار الناس في أمره، فلم يخرج إليهم لكنه لما خرج إليهم فاجأهم بغزارة علمه وبيانه وفصاحته، واشتهر بالورع والتقوى ومحبة الصالحين، وبدأت عليه أنوار وعلامات صلاح جعلتهم يدركون تحولاً قوياً في حياته بعد أن اعتزل الناس فهموا فيه حباً، واقترب منه طلبة العلم فأكرمهم وأجلهم وبذل الجاه والشفاعات الحسنة لولاة الأمور فتقبل ولا ترد من أجلهم.

وسمع الناس بكرمه وسخائه فامتألت الأماكن والمجالس بقراءة كتبه وعلومه ومعارفه الجديدة حتى عرف بينهم بأنه الولي الكبير العارف المجاهد.

وفي نهاية عمره رحمه الله رأى من العز ورفعة القدر مالا يوصف، ومتعه الله بقوة عقله وبدنه، فكان يصلي النافلة ويقرأ الخط الدقيق، ويكتب المؤلفات إلى أن مات رحمته الله.

وفاته:

مرض رحمته الله في 16 من شهر شعبان سنة 1143هـ وتوفي يوم الأحد في 24 من شعبان ودفن بدمشق يوم 25 منه سنة 1143هـ بالقبة التي أنشأها في أواخر عام 1126هـ.

* الإمام مصطفى البكري

هو الإمام المجدد مصطفى البكري شيخ الطريقة الخلوتية، ولد بدمشق في ذي القعدة 1099هـ، مات والده وله من العمر ستة أشهر، فكفله ابن عمه أحمد ورعاه في داره قرب بیمارستان النوري.

طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السليمي، والشيخ أبي المواهب الحنبلي، قرأ عليه شرح صحيح البخاري لابن حجر، والشيخ محمد الدكدجي قرأ

* انظر أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية تأليف عبد الباقي مفتاح.

عليه متن الاستعارات وشروحه، والشيخ إلياس الكوراني والشيخ محمد الحبال والشيخ عثمان الشمعة والشيخ عبد الرحيم الطوقي والشيخ إسماعيل العجلوني والشيخ عبد الرحيم الكابلي.

وأخذ المسلسل بالأولية عن الشيخ محمد البديري الدمياطي.

ولازم الأستاذ عبد الغني النابلسي وقرأ عليه التدبيرات الإلهية وفصوص الحكم ومواضع من الفتوحات المكية، كلها للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي. وقرأ عليه شيئاً من الفقه. وكان الأستاذ يقول عنه: السيد مصطفى درة جلونها فظهر نورها وبدت محاسنها.

وأخذ أيضاً الإجازة من جمال الدين محمد بن سعيد الحفني المشهور بابن عقلة، وقد سلك الطريقة الخلوتية، وهو لا يزال شاباً صغيراً عند الشيخ عبد اللطيف الحلبي الخلوتي، فلما بلغ من العمر نحو العشرين سنة أذن له بالخلافة في الطريقة إذناً عاماً، وبعد وفاة شيخه بايعه طلاب الشيخ وغيرهم على مشيخة الطريقة.

وأخذ عنه خلق كثيرون، أجلهم الشيخ محمد بن سالم الحفني.

ونزل في بيت السيد ياسين القادري الكيلاني شيخ الطريقة القادرية بحماة، فأخذ عنه الطريقة القادرية.

وصحبه الشيخ محمد المكتبي من حلب، فبقي عنده مدة أدخله فيها الخلوة وأجاز له بالبيعة وأقامه خليفة.

وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ مراد المرادي النقشبندي لقنه الذكر ودعا له.

وسافر إلى بلاد كثيرة منها القسطنطينية وبلاد الروم والعراق وحلب والموصل وبلاد الشام ولبنان وبغداد والقدس ومصر والحجاز، وفي كل هذه البلاد انتشرت عنه الطريق وعم الإرشاد وزار من فيها من الأولياء أحياء وأمواتاً، وأقام في القدس مدة طويلة، ولم يترك التأليف سافراً وحضراً.

(البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية) للإمام محمد الكوثري، قال المرادي: وقد أفرد ترجمته بكتاب ولده شيخنا أبو الفتوح محمد

كمال الدين البكري أسماءه (التلخيصات البكرية في ترجمة خلاصة البكرية) بث فيه بعض مزاياه الجميلة وما كان عليه من الأحوال الجليلة. وله من الخلفاء الذين توفي وهو عنهم راض ما ينيف على عشرين خليفة من أهل الأسرار والأنوار.

وقال المفتي الفاضل الشيخ حسن بن علي المكي ثم المصري في كتابه الذي ألفه في مناقب شيخه الحفني أعظم خلفاء سيدي مصطفى البكري وعنوانه: (منتهى العبارات في ما للأستاذ الحفني من الكرامات) أخبرني أستاذي الحفني عن شيخه السيد مصطفى البكري، أنه جمع مناقب نفسه في مؤلف بلغ نحو أربعين كراساً.

توفي في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام 1162هـ ودفن بالقراة الكبرى خارج القاهرة، وقبره ثم مشهور.

ومن أعظم كراماته:

كثرة مؤلفاته نظماً ونشراً مع اشتغاله بالطريق والأسفار في الأقطار وأنواع العبادات والاجتماعات مع الناس. قال الشيخ حسن شمة: وتأليفه تقارب المثنيين وأحزابه وأوراده أكثر من ستين.

ومن مؤلفاته:

- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد.
- والفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العجم والعرب. وهذان التأليفان من أعجب العجائب لمن كشف له النقاب.
- والوصية الجنية للسالكين في طريق الخلوتية.
- والنصيحة الجنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية.
- والحواشي السنية على الوصية الحلبية.
- وبلوغ المرام في خلوتية الشام.
- ونظم القلادة في معرفة كيفية إجلال المريد على السجادة.

- وله في الحقيقة مقامات، وبلغه المريد ومنتهى موقف السعيد نظاماً.
- وألفية في التصوف، وكل ذلك في آداب الطريقة العلية.

القطب سيدي محمد السمان*

هو العارف سيدي أبو عبد الله بن عبد الكريم السمان المدني الخلوتي الشاذلي.

كان قدس الله سره من الأولياء الراسخين في الحقائق، انتهت إليه تربية المريدين، فخرج من تحت يد شيخه الإمام مصطفى البكري، وعلماء لا يحصون. ولد قدس الله سره بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، سنة ثلاثين ومئة وألف، فأشرق في الوجود نور هدايته.

نشأ قدس الله سره ميالاً إلى الطاعة، وحضور الجمعة والجماعة، وملازماً الصوم ومشتغلاً بمطالعة كتب السادات، حتى أشرقت عليه الأنوار وامتلاً من العلوم والأسرار، وحضر مشايخ العلماء، وتلقى علم الحقيقة عن والده.

حضر إلى مصر لتلقي العلوم، فتغذى بمعارف الفنون، وعقد حلقات الذكر بالمشهد الحسيني، وحضرت مجالسه أفاضل العلماء، فاشتهر أمره وظهر، وعم ذكره وانتشر، وتم له الكمال، ورسم في ديوان الرجال، وأشرقت شموسه في سائر الأكوان، وانتفعت بعلومه وأسراره عموم أهل الإسلام، من أقصى البلاد إلى خراسان. وله قدس الله سره مصنفات عديدة.

كان قدس الله سره صاحب بسط وجمال، ونور وعرفان وكمال، وكلامه قدس الله سره مشهود.

توفي قدس الله سره بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، سنة تسع وثمانين ومئة وألف، ودفن بالبقيع.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن ص 137. الأعلام 6/ 216، ومخطوطات الظاهرية التاريخ 2/ 236 وانظر البلدية: تصوف 50.

وكان قدس الله سره إذا غلب عليه الجمال تكلم بلسان الحال، فمن ذلك قوله:

قم نحو حاني سحيراً إن ترم مددي واشرب مريدي بكأسي خمرة الصمد
واسكر وهم في الورى تيهاً فما أحد إلا ولي شاهد بالفضل والرشد⁽¹⁾
أنا الإمام أنا القطب الشهير أنا غوث الأنام أنا السمان ذو المدد
أنا محمد المعمور فاسع إذا ما شئت لي وصلة من حضرة الأمد
الوقت وقتي وما في الكون أجمعه في قبضتي وهو من جندي ومن حشدي
ومن قوله في عينيه:

شربت كؤوس العشق صرفاً وفضلتي بها هام من أسقيته فهو خالع
ظهرت وشمسي في البرية ساطع وكلي لأسرار الوجود مطالع
أنا كنت مكنوزاً لسر علمته وعن فهمه إدراك غيري قاطع
ويوم (ألست) الكل جاؤوا لدعوتي وهاموا بحبي والدموع هوامع⁽²⁾
ومن قوله قدس الله سره في كتابه (التفحات الإلهية)⁽³⁾: صفة أهل الطريق هي
التخلق بأخلاق أولئك الفريق.

وكان يقول ﷺ: الفقراء هم الملوك، فينبغي للمريد إذا صحبهم أن يعانق
الأدب معهم.

وكلامه قدس الله سره مقبول، وله نفس عال في علم الحقائق، اللهم انفعنا
بهم، وسامحنا، واغفر لنا ذنوبنا. آمين.

(1) الورى: الخلق. التيه: الصلف والكبر.

(2) دمع هموع: سيال.

(3) انظر إيضاح المكنون 664.

القرن الثالث عشر

سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري*

هو سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن الذي يرتفع نسبه إلى سيدنا الحسن بن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ. هو الغوث الأكبر والمربي الأشهر، جامع الناس على كلمتي الشهادة وداعيهم إلى مقام الإحسان في العبادة، مؤسس الطريقة الرحمانية الخلوتية في الجزائر، ولد قدس الله سره وخلد في ألسنة الصدق ذكره ما بين سنتي 1126هـ و1133هـ في وطن بني إسماعيل "بجبال جرجرة في منطقة القبائل شرقي الجزائر العاصمة". وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيراً، وتزوج في القاهرة. وبعد زمن طويل ذهب إليه أخوه الأكبر سيدي محمد، ومن غرائب الاتفاق أن أول رجل صادفه في أزقة القاهرة وسأله عن أخيه كان هو المسؤول عنه، ولطول الغيبة لم يعرفه، فقال له: ادخل الجامع واسأل عنه الإمام فإنه من خواصه وكن في الصف الثاني، وبعد الصلاة تقدم واطلب منه ما تريد. ثم إن سيدي محمد أخبر شيخه الآتي بقدم أخيه وسأله عنه فقال له الشيخ: سننظر أمره، ولما صلى وسلم وانصرف الناس أشار إليه فدنا منه وتبرك به، وقال له: هذا أخوك، فقام سيدي محمد وقبل يد أخيه، وسأله عن أهله وأحوالهم. وعند الانصراف قال له الشيخ: أقم عند أخيك ضيفاً، وعليّ مؤونتك مادمت هنا. وبعد مدة أمر سيدي محمد بالرجوع إلى وطنه لبث العلم وتربية الخلق، ودعا له دعوات ظهرت فيه أسرارها وسطعت عليه أنوارها، فكان هو الشيخ الإمام والأستاذ

* انظر ترجمته من كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) للعلامة الشيخ أبي القاسم الحفناوي بن الشيخ محمد بن بلقاسم بن الصغير الديسي،

الهمام واسطة عقد العارفين وكمل المتصوفين، الجامع بين الشريعة وطريقتهما والولاية وحقيقتها ببركة شيخه علامة الزمان وفريد العصر والأوان، صاحب التصانيف المنيفة والتقارير الشريفة، سيدي محمد بن سالم الحفناوي المصري المتوفي يوم السبت 17 ربيع الأول سنة 1181هـ رحمته الله ونفعنا ببركته. وكان وجهه إلى السودان لنشر الأوراد ونفع العباد، "وقد نجحت دعوته في السودان نجاحاً كبيراً، ثم أمره شيخه بالرجوع إلى مصر، فرجع وألبسه الخرقة وصرفه إلى وطنه كما تقدم. ولما استقر به جدد غرس الإيمان والإحسان في القلوب وبدد غياهب النفوس بذكر علام الغيوب.

وكان الشيخ أذن له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به، فأخذ عنه الجم الغفير وسلك على يده الكثير، وذلك سنة 1183هـ، فاشتهر أمره وأشرق نوره وفاضت مواهبه اللدنية بعلوم الدين ومعارف القوم، وصار كثر الرواد وبغية الرواد يطهر البواطن بالتهذيب الخلوتي، ويطيب النفوس بالشريعة السمحاء، ولا يخاطب الناس إلا بما يفقهون مراعاة للحال والمقام، فانتفع بإرشاده الخواص فضلاً عن العوام، وسارت بذكره الركبان في سائر الأوطان، وانجذب إليه أهل التل والصحراء، وطلبه عمال المدن الكبرى بالأخص صاحب الجزائر، فدخلها واحتفل به علماؤها وكانوا قد امتلأت أسماعهم من أخباره وأدهشهم ما بلغهم من أسرارهم، ولما اجتمعوا حوله وفي نفوسهم مسائل يريدون بها اختباره سكتوا طويلاً، وكل منهم يشير بخائنة عينه إلى صاحبه أن الق سؤالك والشيخ مطرق مشغل بسبحته ولم يتجاسر منهم أحد عليه، ورفع رأسه قائلاً: يا أيها السادة ما لي أراكم صامتين، وهل الجامع إلا للذكر أو لطلب العلم فهلموا إليه، اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، وما عداهما فلهو ولغو.

فأجابه أحدهم بأدب واحتشام: يا سيدي إنما أردنا التبرك بكم، واقتباس بعض الحقائق منكم، وكان صاحب الجزائر رئيس هذه الحلقة في المسجد الأعظم من أهل الدين المتين والاعتقاد المكين، فنطق الشيخ رحمته الله ونفعنا به وحدثهم بما كانت تحوم حوله أرواحهم وتطرف به عقولهم، ولكن لا تناله إلا بالمشافهة من أضرابه الذين تعلقوا بمن عنده مفاتيح الغيب، وتخلقوا بأخلاق رسوله المحبوب صلى الله عليه وسلم.

وكان الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه يأتي في كلامه بجواب كل مسألة أضمرها له ، ويلتفت إلى صاحبها منهم مبتسماً إشارة إلى أن ضميره عند القوم من قبيل الظاهر ، وأن كاتم سره عنهم كأنه مجاهر ، وإذ ذاك بادروا إلى الأخذ عنه وفي مقدمتهم كبيرهم ، فلقنهم ونصبوا الحضرة بذكر كلمة الشهادة بعددها المعلوم في الورد الخلوتي . ودعاه الباشا لمنزله وبقي عنده أياماً لقن فيها أهله وبنته وأقاربه ، وعند انصرافه أتاه بحصة من الدنانير فأظهر له البرهان على أنه في غنى عن الدنيا ، ولما أكثر من محاولته على قبولها قال : لا إله إلا الله مرة ، فسقط من السقف عدد من الذهب ، وثانية فسقط عدد آخر ، فاستسمحه الباشا واعتذر فقبل عذره وانصرف إلى محله .

واشتهر أمره في القطر الجزائري ، وأتاه رجال كثيرون ، قدم منهم من قدم وانتشر ورده بين الناس ، ولم يزل يعمر قلوبهم بالله إلى أن لقي الله تعالى في آيت إسماعيل فأقبر بها ، ونقله أهل الجزائر ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة ، ففطن أهله لنقله وعزموا على رده وآل الأمر إلى النزاع ، وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضاً ، فسمي من يومئذ بأبي قبرين ، الأول في جرجرة ، والثاني في الجزائر ، وكلاهما مزار متبرك به .

وفي كل سنة تقصده الركبان من العروش عند الحصاد وعند الحرث ، وحوله روضة كبرى لأهل الجزائر ، محاطة بسور محكم له بابان ، وفي القبة ثريات وبسط ، وبداخلها خلوته بابها عند تابوته ، وبئر طيبة الماء جداً وفيها قيم وإمام .

توفي قدس الله سره ورحمه الله سنة 1208 هـ (93-1794م) ولم يترك ولداً من صلبه وإنما أولاده مشائخ طريقته الرحمانية الأزهرية الخلوتية ، وكلهم - أباً عن جد - أقطاب كبار ، أكرمهم الله تعالى بما يدل على علو مراتبهم عنده ، وهم كثيرون في بر الجزائر وتونس والسودان وغيرها ، منهم سيدي علي بن عيسى وتلامذته ، وتلامذتهم الكبار كسيدي محمد أمزيان بن الحداد ، ومحمد بن أبي القاسم البوجليلي ، والشيخ علي ، وغيرهم نحو الأربعة والعشرين ولياً ، ومنهم سيدي عبد الرحمن باش تارزي شيخ سيدي محمد بن عزوز جد الشيخ المكي بن الشيخ سيدي مصطفى بن عزوز ، وتلامذته القطب سيدي علي بن عمر وسيدي عبد الحفيظ ، وسيدي مبارك بن قويدر ، والشيخ المختار ، وسيدي الصادق ،

وتلامذة سيدي علي بن عمر مثل: سيدي خليفة أستاذ سيدي علي بن الحملوي، وسيدي مصطفى بن عزوز، وتلميذه سيدي علي بن عثمان، وتلميذ الشيخ المختار سيدي الشريف بن الأحرش، والقطب شيخنا سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الهاملي، وتلامذته سيدي المكي بن عزوز، وتلميذ الشيخ الصادق سيدي الحاج السعيد بن باش تارزي، وأخيرهم الشيخ الحاج المختار، وغيرهم من المشائخ الرحمانيين معروفون في الأقطار عند أهلها نفعنا الله ببركات الجميع.

وللشيخ رحمته الله رسائل كثيرة في تعليم الخلق وإرشادهم إلى طريق الخير اعتنى بجمعها أكابر رجال طريقته، ولم تطبع ولو طبعت لكانت مجلداً كبير الحجم.

سيدي محمد البوزيدي*

(...هـ - 1229هـ)

هو الشيخ العارف المربي سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الشريف الحسني السلماي الغماري.

ولد بقبيلة بني سلمان الغمارية وبها نشأ وشب، ولما قرأ القرآن الكريم وأتقنه وجوده انقطع لعبادة الله تعالى والسياسة سنين طوالاً، واستقر مدة بشاطئ بحر سيدي قاسم بن مولانا إدريس بضواحي طنجة يعبد الله تعالى ولا تزال خلوته وأثر بنائها بتلك الناحية حتى يومنا هذا، وبها جاء بعض الصالحين وبقي معه مدة، ثم قال له يوماً إن حاجتك بفاس عند مولاي العربي الدرقاوي فشد الرحلة إليه فاتصل به وأخذ عنه الطريقة وسلم نفسه إليه ولازم خدمته، وبقي تحت تربيته نحو ستة عشر عاماً ما بين فاس وبني زروال قائماً بمجاهدة نفسه ورياضتها والدأب على الاستقامة الكاملة والسلوك التام إلى أن فتح الله عليه الفتح الأكبر، ثم أذن له شيخه في الإرشاد والتربية والرجوع إلى قبيلة بني سلمان، فلبى أمره وانصرف فنزل بقرية بوسلامة فتصدى للدعوة إلى الله تعالى وتلقين الأوراد للواردين والأخذ بأيديهم، فانتفع به وتاب على يده خلق كثير.

* انظر في ترجمته المطرب بمشاهير المغرب للتليدي ص 216.

ولترك أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة تلميذه يملئ علينا حالته في ذلك، فقد قال في شرح رائية شيخه المذكور: ثم أرسله يعمر زاويته بعمارة فحييت به العباد واشتهر ذكره في أقصى البلاد، فأظهر الطريق بعد خمود أنوارها وأشرفت شمس المعارف بعد كسوف أسرارها. قال: له سياحات في بدايته وكرامات كثيرة تركناها خوف التطويل. اهـ.

إن البوزيدي كان بحق آية من آيات الله الكونية، وخاصة في آداب العبودية وطريق السلوك والكلام في المعارف والحقائق، ومن أراد معرفة هذا الرجل العظيم فليرجع إلى رائيته وتائيته وكتابه (أدب المريد) الذي قال فيه ابن عجيبة: لم يؤلف مثله في الإسلام. فإنك برجوعك إليها والنظر فيها تدرك نفسية البوزيدي وتقف على رسوخ قدمه في الطريق، مع أنه كان كما حدث عن نفسه بقوله: ما جلست قط مجلس علم، فما هو (كما قال تلميذه ابن عجيبة) إلا علم لدني، وكفانا شهادة له ما كان يصفه به شيخه العارف مولاي العربي الدرقاوي، فقد كان يشهد له بالخصوصية الكاملة ويصفه بأوصاف عالية ويسمه بأوسمة راقية.

قال سيدي أحمد بن عجيبة في شرح التائية وفي فهرسته، وقد سمعت منه (يعني مولاي العربي) مراراً يقول: هو خليفتي حياً وميتاً، وقال أيضاً: إن شمسهُ تقدمت على شمسنا. قال ابن عجيبة: وحدثني (يعني البوزيدي) قال: كنت ذات يوم في بيتي فأتاني الشيخ (يعني مولاي العربي) وقال لي: هذه ثلاثة أيام وأنا أريد أن نأتيك لنقول لك كلاماً ما أذن لي أن أقوله لك والقدرة تمنعني، واليوم أذن لي في ذلك فاستقبل القبلة، وقال: والله الذي لا إله إلا هو لا يدخل ذراعك أبو العباس المرسي ولا الشيخ زروق ولا أضرابهما... إلخ.

وكتب مولاي العربي رسالة في شأنه إلى بعض إخوانه الفاسيين وغيرهم ينوه بذكره ويحض على تعظيمه ومعرفة قدره، وهذا نصها:

إلى كافة إخواننا أهل التجريد الظاهر أهل فاس وغيرهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد، فإياكم ثم إياكم من قلب الحقائق، والله ما هي خدمة محمد بن أحمد البوزيدي الغماري لنا إلا لله، والله ما هو عمله إلا لله، ولو كان لغير الله حتى يعيى منها، والله ما خدمنا الله عشر العشر من خدمته، والله ما هو

إلا سيدنا كلنا صغيرنا وكبيرنا أحبينا أم كرهنا، والله لا يتكلم فيه بسوء إلا فاسق أو منافق ومخدوع أو حاسد أو راض عن نفسه أو من فيه دعوة نافذة، اللهم ارزقنا ما أعطيته من النية الحسنة والمحبة والصدق، وبارك في عمره وارزقنا وإياه الأدب حتى نلقاك يا رب يا رب يا رب... إلخ.

وكتب رسالة أخرى في شأنه أيضاً، ونصها:

إلى كافة من بفاس من إخواننا المتعلقين بنا، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد أجزنا محمد بن أحمد البوزيدي الشريف فاحترموه وعظموه ووقروه وزوروه واسمعوا له، إذ هو خليفتنا في حياتنا وبعد مماتنا رغماً على أنفسنا، والله ما علمت أحداً من فقراء الوقت يعرف طريق القوم مثله، وأنتم وأنا في أثره لأن شمس سعادته وصلت إلى وسط السماء وشمسنا وراءه، فقد أحبيناه لا بأنفسنا بل بربنا أن يقدم إلى بلده يذكر عباد الله كسيدي الشاذلي والله يبارك فيه وفيكم... إلخ.

وكتب إليه رسالة جاء فيها: اعلم يا أخي أن الله قد أعطاك عطاء كبيراً حيث فقهك في طريق أوليائه وجعلك من ورثة أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين فاشكره... والله يا سيدي محمد بن أحمد ما علمت حاجة بقيت لك عندي ولا عند غيري، ولنا عندك حوائج بارك الله فيك وفي حوائجك إلى يوم القيامة، واعلم يا سيدي أن الله علمك علماً لدنياً... إلخ.

نقلت هذه الرسائل من شرح ابن عجيبة لتائية شيخه، فهذه نبذة من شهادة مولاي العربي في سيدي البوزيدي وهي شهادة عادلة صادقة صدرت من قبل إمام كبير من أئمة القوم وقطب أهل عصره بدون نزاع.

وقال ابن عجيبة أيضاً ولقد شهد له بالفردانية -يعني مولاي العربي- فقال: مقام سيدي محمد بوزيدي مقام الأفراد، قال والفرد أكمل من القطب في العلم بالله كما لابن عربي الحاتمي، قال: هكذا سمعت من شيخه في بني زروال. اهـ.

ووصفه ابن عجيبة في شرح المباحث بالعارف الواصل المحقق الكامل، وفي شرح التائية: الإمام العارف الرباني قدوة السالكين ومنار الواصلين.

ومن كلامه:

كيف يعطى العيان لمن همته متفرقة على الأكوان، كيف تتجلى الأسرار لمن سكن قلبه عالم الأغيار، فيض العلوم بحسب صفاء القلوب. ليس الصوفي من يترجم بكلام الحقائق ويتكبر على الخلائق، إنما الصوفي من فني عن نفسه وصار أرضاً لأهل عالم جنسه. الصوفي من شهد الحق في كل شيء وصار عبداً لسيده في كل شيء. العارف إذا استغرقه الشهود صار وحده في الوجود. افتقار العارف في الظواهر والبواطن إلى مولاه وافتقار الجاهل كذلك إلى هواه.

ومنها: أن طريق القوم والتصوف لا يدرك بالترفع والتكبر والتعزز، وإنما ينال بالتذلل وحط الرأس واحتقار النفس وقتلها بالمجاهدات والرياضات.

ومن وصاياه: لا ينبغي للإنسان أن يقنع بعلم الظاهر بدون أن يسلك طريق التصوف ويطلب مراتب أهل التحقيق، بل ينبغي الاقتصار منه على الضروري، ثم ينقطع إلى التبحر في علم الحقائق وإلا بقي طول حياته مريضاً عليلاً.

وللشيخ رائية وتائية كلاهما في آداب الطريق ووصايا نافعة.

توفي رحمته الله فاتح عام تسعة وعشرين ومئتين وألف بقبيلة بني زيات الغمارية بتجيساس قريباً من ساحل البحر الأبيض، وقد وهم من قال توفي ودفن ببني سلمان، وكان ذلك في حياة شيخه مولاي العربي وتأسف عليه، لكنه استخلف بدله شيخاً آخر كبيراً عالماً متضلماً، ذلك هو سيدي محمد الحراق.

سيدي أحمد بن عجيبة الحسني*

(1160هـ - 1224هـ)

هو سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الشريف الحسني العلامة الإمام الصوفي العارف المفسر، صاحب الصيت والشهرة في المشارق والمغرب،

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن ص 152. البواقيت الثمينة، وطبقات الشاذلية الكبرى لمحبي الدين الطعمي ولد في 1160-1161 ص 40، واسمه أحمد بن

ذو التأليف الكثيرة والمآثر العديدة، من الشخصيات البارزة المشهورة في العالم الإسلامي، وخاصة بين الأوساط الصوفية. وقد كان يعيش أيام خلافة مولاي محمد بن عبد الله وولديه المولى اليزيد والمولى سليمان العلويين.

ولد بقرية أعجيش من قبيلة حوز تطوان، وذلك سنة 1160هـ أو 1161هـ، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم، وعندما جوده وأتقنه وحفظ عدة متون علمية التحق لطلب العلم بالقصر الكبير بعد أن كان قرأ بعض المبادئ أيام قراءته للقرآن العظيم، وبقي بالقصر مدة سنتين، ثم رحل لتطوان فتابع دراسته على كبار علمائها كالعلامة أحمد الرشتي والشيخ عبدالكريم بن قريش والفقير محمد بن علي الورزازي والعلامة محمد بن الحسن الجنوبي العمراني وغيرهم.

واجتهد وكشف عن ساق الجذ وأنقطع للدراسة انقطاعاً كلياً حتى حصل ما لم يحصل غيره من العلوم والفنون من نحو وصرف وبيان ومنطق وكلام وفقه وتفسير وحديث وتصوف وأصول وغيرهما. ثم رحل لفاس عاصمة المغرب في العلوم الإسلامية فتابع دراسته العليا بها وتبرك برجالها وصلحائها، فحضر إلى الشيخ التاودي بن سودة والشيخ محمد بنيس والشيخ الطيب بن كيران وغيرهم. ثم رجع قافلاً لتطوان فانقطع للعبادة ولزم الخلوة والعزلة، وعمر أوقاته بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ حتى كان ربما ختم القرآن الكريم في الشهر أربعة عشر مرة ويصلي الضحى بنحو من خمسة عشر حزباً من القرآن الكريم.

وكان إذا أكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ظهرت له قصور وزخارف وأنوار فيعرض عنها، وكان في هذه الفترة قد قرأ عدة روايات كقالون والبصري والمكي وغيرها.

وكان لا يحفظ لوح القراءة حتى يطالع التفسير ليقف على معاني كتاب الله تعالى، وكان تارة يتعبد بضريح سيدي أبي عبد الله الفخار، ومرة بضريح سيدي طلحة الدريج.

= محمد بن المهدي، ابن عجيبة، تراجم السادة الشاذلية ومناقبهم. المطرب بمشاهير أولياء المغرب ص 220.

وكان قد عزم على بيع كتبه وطلوعه للتعبد بضريح القطب ابن مشيش فرأى سيدي طلحة في منامه فشاوره في ذلك فأمره بالرجوع لقراءة العلم، فرجع لفاس للمرة الثانية ولكنه مع ذلك لم ينشرح صدره لطلب العلم لاستغراق قلبه في الله، ثم رجع لتطوان فتصدى للتدريس ونفع الطلبة وإفادة الواردين، فمكث على ذلك مدة من خمس أو ست عشرة سنة وهو على حالته من العبادة والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والاستقامة الكاملة، وقد انتفع به في هذه البرهة من الزمان خلق كثير، حتى كان جل علماء تطوان من تلامذته وحصلت له في هذه الفترة عدة تأييدات وكرامات، وهو بعد لم يدخل في أي طريق من طرق القوم حياهم الله تعالى.

ثم رحل لفاس لزيارة من بها من أشياخه وصلحائها، فمر في طريقه عند رجوعه على بني زروال فزار القطب مولاي العربي الدرقاوي وتلميذه العارف سيدي محمد البوزيدي رحمته الله، فبمجرد ما لقي البوزيدي وهو أول من لقيه قال له: جعلك الله كالجنيد يتبعك أربع عشرة مئة مرقعة، فطلب منه الدعاء، فقال له: والله ليكون لك أمر عظيم، والله ليكون لك شأن عظيم، ثم قال له: والله لتكون جامعاً بين الحقيقة والشرعية.

أما مولاي العربي فقال له عندما لقيه: جعلك الله كالجيلاني، فقال له البوزيدي: قد قلت له كالجنيد. فقال: يجمع بينهما إن شاء الله تعالى. ثم لما قدم لبلاده انقلبت أحواله ووجد في نفسه قوة عظيمة وحالة لم يكن يحس بها من قبل، ثم صار شيخه البوزيدي يرسل إليه أن اقدم إلينا فإن حاجتك عندنا، ويقسم للناس على ذلك، لكنه لم يقدر له القدوم عليه حتى قدم البوزيدي لتطوان، فلقنه الورد وسلم له سيدي أحمد نفسه، وقال له: افعل بي ما شئت ومرني بما شئت. فبارك عليه وقال لأصحابه: إن أصحاب سيدي أحمد أصغرهم مثل الجنيد، وسيدي أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضا والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم، وعد له عدة مقامات، فقال له سيدي أحمد: وهذا هو التصوف، فقال له سيدي البوزيدي: هذا تصوف أهل الظاهر، وبقي تصوف أهل الباطن ستعرفه إن شاء الله تعالى.

ولذلك فإن سيدي أحمد بن عجيبة رحمته الله مع ما كان عليه من صلاح ظاهر بالتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل واتصافه بأوصاف عالية وأخلاق سامية، فقد

كانت فيه بقايا من علل نفسانية، وعلى الأخص فيما يتعلق بالرئاسة العلمية والجاه بين الأوساط التطوانية.

فأمره شيخه برياضة نفسه ومجاهدتها من جديد وتخريب الظاهر وإسقاط المنزلّة بين الأقران والمعارف، وإذلال النفس وتهذيبها وقتلها والقضاء على ما بقي من بقايا أوصافها ليتسنى له التأهل لمعرفة الله عز وجل والدخول لحضرته.

فأمره أولاً بلبس المرقعة والزهد في الدنيا وإخراج كل ما فضل عن قوت يوم أو يومين لأهله والتصدق به على مستحقّيه، فخرج عن ماله وباع كل ما كان يملكه حتى خزانة كتبه باعها وأنفقها على شيخه، وأمره بخدمة الفقراء وإطعامهم من عنده مع غسل ثيابهم ثم أمره بكنس السوق وحمل الأبال على أكتافه ورميها خارج المدينة، وأمره بلبس جراب في عنقه وربما علق في عنقه سبع جرابات، وكان أيام الحفلات والمواسم العامة والاجتماعات يأخذ قربة ماء ويدور بها على الناس فيسقيهم ويطلب منهم أجرّة ذلك تظاهراً منه لهم بالرغبة في الدنيا، ثم يدفع ما يجمعه لصاحب القربة أو غيره، وأمره بالسؤال فكان يجلس بأبواب المساجد مع الفقراء والعميان والنسوان ويمد يده للناس مع الإلحاح ومعارفه وتلامذته يغطون وجوههم وينفرون حياء منه، وأمره بركوب الحمار والتجول عليه في الأسواق والشوارع، فكان يقصد ويتعمد المرور على خصوم الفقراء وأهل الانتقاد، ومن يعظمه من أقاربه وتلامذته ليستخرج منهم ما يقتل به نفسه، ولما طال هذا الأمر عليه استأذن شيخه في العزلة والصمت فأمره بلزوم السوق يوماً بيوم فكان يظل به طول نهاره مرة قاعداً وتارة نائماً.

وهكذا بقي في هذه المجاهدات والرياضات حتى قتل نفسه وهذّبها وأصبحت طوع يده ذليلة خاضعة لأوامره ليست لها سطوة ولا عظمة ولا نخوة بعد أن كانت تصول وتجول وتعظم وترفع وتقدر وتحترم، ولقد كان قبل ذلك لا يمر بطريق إلا تساقط الناس عليه للتبرك به وتقيل يده لأنهم كانوا يظنون به الولاية العظمى والصلاح التام غير أن هذه الرئاسة والعظمة لا تليق بالعبودية، ولذلك توجه شيخه الطبيب البوزيدي لتحطيمها وقلع جذورها من قلبه وباطنه، فإن ذلك صنم خفي يعبدّه كل العظماء من علماء وغيرهم. أعاذنا الله وأجارنا من ذلك.

وبعد أن فتح الله تعالى عليه الفتح الأكبر وطرق باب الحقيقة، كما أخبر عن نفسه، خرج بأمر من شيخه للسياسة لإرشاد الناس وتذكيرهم وتلقينهم الأوراد، فتجول في كثير من قبائل المغرب حتى بلغ الرباط وسلا، ودخل معه في الطريق من كل قبيلة ما لا يحصون كثرة، ولكن الحسدة وخصوم الصوفية لم يزالوا ولا يزالون يقاومون السائرين إلى الله تعالى ويعاكسونهم ويؤذونهم في كل زمان ومكان، فبمجرد ما ظهرت الطريق بإرشادات سيدي أحمد بن عجيبة وانتشرت قام أعداء القوم فوشوا بهم للحكومة الحالية في وقتهم ورموهم بفظائع وأكاذيب فسجن حبيبا ابن عجيبة وأخوه سيدي المهدي وكل الفقراء بمدينة تطوان ومكثوا بالسجن مدة كانت أيامهم بها أعياداً، وانقلب السجن زاوية ودخل السجناء كلهم في الطريق وتابوا إلى الله على يد سيدنا ابن عجيبة رحمته الله ثم أفرج عنهم بعد أن أرغمتهم السلطة بالرجوع عن الطريق، وأقاموا عليهم شهادة لذلك ثم أخرجوهم من زاويتهم بتطوان وأقفلوها، فكان هذا الحادث من الأسباب التي تركت سيدنا ابن عجيبة يغادر مدينة تطوان التي قضى فيها زماناً غير قليل في الدراسة والتدريس، ومن ثم في عبادته ومجاهداته.

فها هو الآن يتركها ويهاجر للبادية فيذهب أولاً لبني سعيد فيبني بها داراً ويسكنها برهة من الزمان، ثم يذهب لأنجرة فيبني داراً أخرى بالزميج، ولكنه وقف أمامه في هذه الأخيرة سكان قرية الزميج حجر عثرة فمنعوه كذلك من السكنى، بل أحرقوا داره ونهبوا كل ما فيها من أمتعة وفراش، وقلعوا ما كان قد غرسه من أشجار.

ولكن هذا الامتحان الذي كثيراً ما يصاب به الأكابر من أهل الفضل لم يؤثر في عزم مولانا ابن عجيبة، بل سكت تحت مجاري الأقدار وصبر واحتسب.

ولم يمض غير أيام قلائل حتى بدل الله تعالى عامل طنجة الذي كان في صف خصومه، ووضع آخر بدله فانقلب الجلال جمالاً وأفرج عنه وعن أصحابه، فعمر داره بالزميج واتخذها مقراً لبعض أزواجه وبنيه، كما كان له مثلها ببني سعيد. ولا يزال بكل من القبيلتين أولاده رحمته الله.

وكان قد اجتمع له أواخر عمره أربع نسوة وكان له من الأولاد نحو تسعة.

مؤلفاته:

ولسيدنا ابن عجيبة مؤلفات وآثار كثيرة لا تخلو من فوائد رائعة وتحقيقات فائقة، فله شرح على الهمزية والبردة، وشرح الوظيفة الزروقية والحزب الكبير للشاذلي، وشرح أسماء الله الحسنى، وشرح المنفرجة، وشرح تائية الجعيدي، وتأليف في الأذكار النبوية، وتأليف في القراءات، وطبقات الأعيان، وشرح حصن الحصين، وشرح الحكم العطائية، وشرح المباحث الأصلية، وشرح الصلاة المشيشية، وشرح تائية شيخه وراثته، وشرح الفاتحة، والبحر المديد في التفسير بالإشارة مع عبارات أهل الظاهر، وشرح نونية الششتري وحقائق التصوف، وشرح الأجرمية بالإشارة، وله قصائد وتوشیحات ضمنها فهرسته.

وعلى كل حال فهو من محاسن علماء الصوفية وأئمتهم.

بعض مناقبه وكراماته:

لهذا البحر العظيم مناقب جمة وكرامات هامة، فأعظمها الاستقامة، فقد أخبر عن نفسه أنه نشأ في عفة ورعاية وحفظ، وأنه حفظ من جميع المعاصي الكبار، وأنه لم يترك يوماً ما الصلاة في وقتها منذ عقل، وأنه نشأ وشب في عبادة الله تعالى، ولم يصبه ما يصيب الشباب، بل كان وهو لا يزال يطلب العلم يتعهد ويحيي الليل بالقرآن في الصلاة مع الانقباض عن الناس والعزلة والوحدة، وقد أخبر عن نفسه فقال: وقد التقيت مع الخضر عليه السلام في مقصورة جامع الجعيدي، أخذتني غيبة فرأيت رجلاً ضخماً كبير اللحية فقرب مني حتى مس شعر لحيتي وجهي، وتكلمت معه كلاماً غاب عني اليوم.

قال: وقد كنا في بعض الأسفار ننزل بالإذن من الله ونسافر بالإذن صريحاً.

قال: وكل من فهم عن الله وحصل له التوحيد الخاص نال هذا المقام... إلخ.

وأخبر عن نفسه أنه ذهب مرة لزيارة أمه على طريق الجبل فدخل وقت الصلاة ولم يجد ماء فقال في نفسه: كانت الأولياء ترى الكرامات كنبع الماء وغيره، اللهم ارزقني ماء أتوضأ به.

قال: فسمعت صوت الماء فوق الطريق فعدلت فإذا ماء ينزل فتوضأت وصليت وانصرفت، ولما رجعت وبلغت لذلك الموضع لم أجِد للماء أثراً.

وقال: إنه شاهد كرامات كثيرة أيام مجاهداته، لكنه لم يتذكرها لطول عهده بها، وقد ذكر جملة منها مع مرآء نبوية وغيرها في فهرسته، ومنها لخصنا ترجمته مع شيء قليل من غيرها، ولمترجمنا كلام هام في عدة موضوعات من علم التصوف تجده عنده في كتبه في التصوف ولا سيما شرح الحكم والمباحث⁽¹⁾ الأصلية، ففيها فوائد ومعارف وحقائق.

توفي ﷺ يوم الأربعاء سابع شوال سنة 1224هـ، رحم الله الجميع ورضي عن سيدنا أحمد بن عجيبة وشيخه وشيخ شيخه ونفعنا بمحبتهم وحشرنا معهم في زمرة الحبيب المصطفى ﷺ⁽²⁾.

سيدي أحمد التيجاني*

(1150هـ - 1233هـ)

هو سيدنا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني القطب الرباني، قطب دائرة التصريف، قدس الله سره.

ولد⁽³⁾ بعين ماضي بنواحي مدينة الأغواط بالجزائر، ونشأ بها، وورد مدينة فاس، وتلقى العلم عن مشائخها، وسلك الطريق، ووصل إلى درجة الاجتهاد، فأخذ عن المشايخ، وساح في طلب الشيخ سياحات طويلة، حتى وصل تلمسان،

(1) وكذا شرح تائية شيخه البوزيدي وشرح نونية الششتري، وشرح منظومة الرفاعي: "يا من تعاظم... إلخ".

(2) انظر: - فهرسة ابن عجيبة.

- فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني.

- شرح تائية شيخه سيدي البوزيدي [كتبه سيدي ابن عجيبة].

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن ص 154. الأعلام 1/ 245 وفيه أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني.

(3) في الأعلام 1/ 245: ولد عام 1150هـ، تراجم السادة الشاذلية ومناقبهم.

فالمدينة، والتقى بالقطب سيدي محمد السمان، وأجازه بأحزاب الشاذلي، وورد مكة والتقى فيها الشيخ الهندي، وورث سره وقصد مصر لمقابلة سيدي محمود الكردي بإشارة وقعت له، وأخذ عنه، ودعا له، وعاد إلى المغرب، ونشر طريقته هناك، ونسبت إلى ذاته، واجتمع بالمصطفى ﷺ وأخذ عنه مباشرة، واتسعت دائرته، وزاد مدده، وطار ذكره، ويكفينا في مناقبه ما هو مسطر في كتب تلامذته.

وله رسائل مباركة وأحزاب وصلوات وحقائق وأنفاس صادقة وخوارق وأحوال.

وكان قدس الله سره يقول: كل الطرائق تدخل تحت دائرة الشاذلي، ما عدا طريقتي، فإنها مستقلة، وهذا من تمام اجتهاده ﷺ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه مقام الشاذلي، وصرفه في الكون بأمره، وأقامه رحمة لعباده، وقوله هذا من باب التحدث بالنعمة.

وقد ثبت أيضاً كما في (جواهر المعاني) أنه قال لتلميذه سيدي أحمد بن حرازم بحضرة الرجال: يا ابن حرازم، أمرت أن أقول الآن: قدمي هذه رقة كل ولي لله، وكل ولي لله من خلق آدم إلى يوم القيامة.

وكانت وفاة سيدي أحمد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف هجرية، بحاضرة فاس، ودفن في مسجده بحومة البلدة، ومقامه بالمغرب كعبة القاصدين، اللهم انفعنا وإخواننا ببركاته، وأمدنا بمدده. آمين.

النسب الروحي للشيخ سيدي أحمد التجاني* :

سيدنا محمد رسول الله ﷺ

سيدنا علي كرم الله وجهه

سيدنا الحسن البصري

سيدي حبيب العجمي

سيدي داود الطائي

سيدي معروف الكرخي
 الشيخ سري السقطي
 الشيخ الجنيد
 ممشاذ الدينوري
 محمد البكري
 وجيه الدين القاضي
 عمر البكري
 أبو نجيب السهروردي
 قطب الدين الأبهري
 ركن الدين محمد النجاشي
 شهاب الدين محمد الشيرازي
 جمال الدين التبريزي
 إبراهيم الزاهد الكيلاني
 سيدي محمد الخلوتي
 سيدي عمر الخلوتي
 محمد امبرام الخلوتي
 الحاج عز الدين
 صدر الدين الجيلاني
 يحيى الفاكوي
 محمد بن بهاء الدين الشيرازي
 الشيخ حلبي سلطان الأقدس الشهير جمال الخلوتي
 الشيخ خير الدين التوقادتي
 شعبان القسطموني
 محيي الدين القسطموني
 الشيخ عمر الفؤادي

الشيخ إسماعيل الجرمي
 علي أفندي قارا باشا
 الشيخ مصطفى أفندي
 عبد اللطيف الخلوتي الحلبي
 مصطفى بن كمال الدين الصديقي
 الشيخ الحفناوي
 الشيخ محمود الكردي
 (سيدنا أحمد التيجاني)

سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني* (...هـ - 1242هـ)

هو سيدي محمد (ظافر) بن محمد حسن بن حمزة ظافر الطرابلسي المغربي المدني.

من فقهاء المالكية، ولد في مسرارة بطرابلس الغرب وسكن المدينة فنسب إليها، واستقر شيخاً لزواية الشاذلية بالآستانة، وتوفي بها ودفن في زاويته.

وكان وثيق الاتصال بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني يلقنه الذكر ويعد من حملة عرشه. وكان له الفضل في نشر الطريقة الدرقاوية بالمشرق إضافة إلى تلميذه ووارث سره سيدي محمد الفاسي.

له كتب منها (الأنوار القدسية) و(الرحلة الظافرية) و(أقرب الوسائل في شرح منتخبات الرسائل للدرقاوي) و(النور الساطع والبرهان القاطع).

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 209. والأعلام 7/ 76 وهو فيه "محمد (ظافر) بن محمد حسن بن حمزة ظافر"، وفهرس المؤلفين 264 و 265 وشجرة النور 411، وهدية العارفين 2/ 399، ومعجم المطبوعات 1255 والأعلام الشرقية 125/3.

أخذ الطريقة عن أستاذه وموصله بالسلسلة النورانية مولانا العربي الدرقاوي رحمته الله.
ومن أشهر الذين أخذوا عنه (سيدي محمد الفاسي ونور الدين علي الشيرطي).

سيدي أحمد بن إدريس* (1172هـ - 1253هـ)

هو القطب الرباني، ذو النسبتين الطاهرتين، والسلالتين النيرتين، والعارف النوراني، مولانا أحمد بن إدريس الحسني الفاسي الشاذلي المحمدي.

ولد⁽¹⁾ رحمته الله بميسور، بلدة على ساحل البحر من أعمال فاس المحروسة، واشتغل بالعلم من أول عمره مدة سنتين، حتى تحصل على قسم عظيم من العلوم الظاهرية، وبرع فيها، وأذن له بالتدريس من مشائخه، وصار يحضر دروسه أفاضل مشائخ العصر، ثم طلب طريق التصوف، فأخذه عن أهله ذوقاً وإشراقاً، وأول من أخذ عنه سيدي عبد الوهاب التازي رحمته الله ولازمه حتى توفي، وأخذ بعده عن سيدي أبي القاسم الوزيري بإذن خاص، وكان سيدي أبو القاسم هذا من أكابر العارفين، وله نفس عال في علم الحقائق، وكان يقال: إنه من الأفراد، وعلى مزاره قبة مبنية في فاس، وضريحه مشهور، ولازمه حتى توفي، وبعد وفاته لم يؤذن له بصحبة أحد من الأسياف إلا بمعانقة القرآن، فاشتغل به، ولازمه إلى أن بدا له سره، وحل طلاسمه ورموزه، وأذن له بعد ذلك في مقابلة الأسياف، والتجوال في البلدان.

فأخذ عن شاذلي وقته مولانا العربي الدرقاوي رحمته الله، وعن قطب أهل المغرب سيدي أحمد التجاني قدس الله سره، ثم ارتحل من فاس إلى مكة، وأخذ عن صلحائها، ومكث بها أربع عشرة سنة، نشر بها أعلام طريقته، وسافر إلى المدينة، والتقى هناك بالشيخ حمزة ظافر المدني رحمته الله، فأعجب به، وأخذ كل منهما عن صاحبه، وكثرت له الأتباع والمريدون من الأعيان.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن 150 وطبقات الشاذلية لمحيي الدين الطعمي ص 37. والأعلام 95/1، وقلب جزيرة العرب 353 و356، وملوك العرب 252/1.
(1) في الأعلام 95/1: ولادته سنة 1172هـ.

ومن جملة من أخذ عنه عالم مكة بأسرها الشيخ محمد عابد السندي رحمته الله، ومن أهل المدينة شيخ علماء وقته، الشهير بالمناقب الماثورة، المتفق على جلاله قدره، من هو لكل العلوم حاوٍ، سيدنا الشيخ أحمد الصاوي المتوفى سنة إحدى وأربعين ومئتين وألف.

ثم أتاه الإذن بالسفر إلى بلاد اليمن، فسافر إليها، ونزل في دار قطب اليمن سيدي السيد عبد الرحمن الأهدل قدس سره، واستوطن صيباً⁽¹⁾، وانتشرت طريقته في بقاع الأرض.

وكراماته تجل عن الحصر، لا تحويها الأوراق، فهو بحر تلاطمت أمواجه فعنه حدث ولا حرج، ولا يخفى على من يطالع أحزابه وكلامه في طريق الخصوصية عظم قدره ومكانته.

وله مؤلفات نفيسة، تشهد بفضله، منها: (العقد النفيس)⁽²⁾، و(رسالة القواعد) وأحزابه وصلواته رحمته الله.

توفي رحمه الله ليلة السبت واحد وعشرين رجب سنة ثلاث وخمسين ومئتين وألف بصيبا، ومقامه يزار، تقصده بلاد الإسلام قاطبة من كل ناحية، وتشد إليه الرحال من سائر الآفاق. وله ذرية صالحة، نفعنا الله بهم، وحققنا بالتبعية لهم. آمين.

سيدي محمد الحرّاق* (1186هـ - 1261هـ)

هو شريف النسبتين وحجة الإسلام والقطب الرباني أبو عبد الله سيدنا ومولانا محمد بن محمد الحرّاق الشاذلي الدرقاوي بن عبد الواحد بن يحيى بن عمر بن

(1) صيبا: من قرى عشر من ناحية اليمن. (معجم البلدان 3/392).

(2) انظر إيضاح المكنون 4/111.

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن ص 155. والأعلام 7/73، وسلوة الأنفاس 1/342، وفهرس المخطوطات العربية في الرباط: الأول من القسم الثاني، الرقم =

الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسن بن مالك بن عبد الكريم بن حمدون بن موسى (أخو عبد السلام بن مشيش) بن أبي بكر بن علي بن حرملة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

كان ﷺ إماماً جليل القدر، متضلّعاً في علم الظاهر، انتهت إليه فيه الرياسة، مشاركاً في فنونه من تفسير، وحديث، وفقه، وفتوى، ومعقول، أما الأدب والشعر فقد كاد ينفرد به في عصره، وله ديوان تكلم فيه في أسرار الطريقة وإشارات رائعة.

وقد نال ﷺ الحظّ الأوفر من علم الظاهر، وأكمل الله عليه نعمه من علم الباطن، ليكون قدوة للبشر، فحرّر الطريقة، وسهّلها، وسلك فيها أوضح المسالك وأقربها، وأتى بأعجب العجائب من علم الإشارة بألطف بيان، وأوجز عبارة، وأسس طريقته على أربع قواعد: ذكر، ومذاكرة، وعلم، ومحبة.

وفضائله لا تحصى، ومحاسنه لا تستقصى، وكفاه فخراً أنّه تلميذ للقطب الكبير العارف مولانا الدرقاوي ﷺ.

وله كلام غريب في علوم القوم وإشاراتهم، فهو في زمانه رئيس العلماء الأعيان، وفريد أهل العصر والأوان، شهرته تغني عن وصفه، أجمعت الأمة على ولايته، وشهدوا بفضلته ومكانته.

كان رحمه الله يربي المريدين، ويوصلهم إلى حقائق التمكين في حياة أستاذه وبعده، أخذ عنه جم غفير من قبائل المشرق والمغرب، واشتهر نفعه وطار صيته، مكث في طريق القوم شيخاً مريباً نحو ثلاثين سنة.

توفي ﷺ سنة إحدى وستين ومئتين وألف. وله من العمر خمس وسبعون سنة، ودفن بزاويته المشهورة بثمر تطوان حفظه الله بباب المقابر، مقامه ظاهر يزار، تقصده الزوار من الأماكن البعيدة، والدعاء بساحته مجاب.

= 1253، وطبقات الشاذلية 165، ومختصر تاريخ تطوان 305 وفيه أن ترجمته في الأصل "تاريخ تطوان" بلغت 100 صفحة، ودليل مؤرخي المغرب 1/ 234.

وله ﷺ رسائل وحكم، وتقاييد على بعض آيات قرآنية، وديوانه المشهور،
وتأنيته التي سارت بذكرها الركبان، وشرحها غير واحد.

ومن كلامه ﷺ في توشيح له من الرمل مجزوء العجز:

زال عن قلبي نوله الفنا وصفاً أمـري
إذ غدا لي كل ربع وطننا وانتفى نـكري
كل ماء قد حوته شربتي فأننا ريان
لست يوماً أحتمي من خمرتي وأنا نـشوان
من رأيي ثابتاً في حيرتي ظنني وسنان⁽¹⁾
إلى أن قال متخلصاً ﷺ:

فأنا في البين والعين أرى واحداً في اثنين
ظاهراً مني ما قد بطنا فاعرفوا قدري
من رأيي يجتني زهر الجنا مدّة المـمر
ومن قوله في التائية عند ذكر خمريته:

أباح لي الخمار منه تفضلاً جناها فصار الشرب ديني وملتي
فإن شئتُها صرفاً شربت وإن أشأ نشرت جميع الكائنات بنظرتي
وإن شئت أطوي الكون طياً وإن أشأ مزجت لأنّ الكلّ في طي قبضتي
شربت صفاءً في صفاء ومن يرد من القوم شرباً لم يجد غير فضلني
ومن قوله في فضائل الذكر:

إذا شئت أن تلقى السعادة والمنى وتبلغ ما عنه الرجال تولت
فظهر بماء الذكر قلبك جاهداً بصدق اللجا واغسله من كل علة

(1) الوسنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه.

وله رحمته غير ذلك، ومن وقف على تأليفه النفيسة، وطالع كلامه علم مكانته وتحققه من ربه، وصفاء باطنه، اللهم حققنا وأحببنا بالسلوك على صراطهم القويم، وانفعنا بمحبتهم يا رب العالمين.

سيدي أحمد بن عبد المؤمن الغماري*

(1200هـ - 1262هـ)

هو سيدي أحمد بن محمد آل عبد المؤمن الغماري التجكاني المنصوري الشريف الإدريسي الحسني. القطب الفرد الجامع والنجم اللامع (جد أبي الإمام أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد بن محمد الغماري صاحب كتاب البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى الإمام علي كرم الله وجهه). ولد رحمته على رأس عام 1200هـ.

وطلب العلم ببلده على يد رجل غريب من الأولياء وبسبب غريب، وهو أنه استصعب عليه طلب العلم بفاس، فتوجه إلى الله، وتقرب إليه بتلاوة القرآن، حيث ختم أربعين ختمة في ضريح سيدي أحمد الفيلاي رحمته، ودعا الله أن ييسر له من يأخذ عنه العلم. فالتقى رجلاً في اليوم الموالي أخبره أنه أتى إليه خصيصاً كي يعلمه⁽¹⁾.

ثم قصد الحجاز، ولما وقف بعرفة إذ حاذاه رجل وقال له: أتدري من قبل الله حجته في هذا الموقف؟

قال: لا.

قال: قبل حجتي وحجتك. وبسببنا قبل حجة الجميع. ثم قال له: والقطب الذي تطلبه تركته في بلدك، وهو مولاي العربي الدرقاوي!

فقال: فحصل لي من الفرح ما لا يعلمه إلا الله!

* انظر طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 39، وُلِدَ رحمته في أوائل القرن الثالث عشر الهجري.

(1) انظر المطرب بمشاهير أولياء المغرب للتليدي ص 235.

ثم أخذ الطريقة الناصرية على الشيخ محمد حمديس، ثم أخذ الطريقة الخلوتية على يد العارف أحمد الصاوي خليفة سيدي أحمد الدردير، ولما رجع توجه إلى سيدي العربي الدرقاوي، وأخذ عنه الطريق. وأذن له في التربية والسلوك.

وكان رحمته الله ذا جد واجتهاد في العبادة، وكان ورده من القرآن ختمه كل ليلة. توفي عام 1262 ودفن بتجكان.

سيدي عبد الواحد الدباغ* (1190هـ - 1271هـ)

هو القطب أبو المواهب مولانا عبد الواحد الدباغ القصار الشريف الحسني الإدريسي.

كان رحمه الله جبلاً راسخاً، وطوداً شامخاً، عارفاً، مربياً، كاملاً، وفاضلاً محققاً واصلاً، دالاً على الله بسائر أقواله، مشيراً إلى التعلق به في جميع أحواله. وقد ترجم له الشيخ فتح الله البناني الشاذلي في كتابه (إتحاف أهل العناية الربانية).

لما قدم إلى فاس من بني زروال مولانا العربي الدرقاوي رحمته الله جدد عليه سيدي عبد الواحد الورد، وسلب له الإرادة، فلزم صحبته وخدمته، وتولى مولاي العربي تربيته هو بنفسه إلى أن أدركه القطبانية، وفاض بحره، وانتصب لتربية المريدين، فكانت له تلامذة وأتباع وأصحاب وأشباع، ظهرت عليهم بركته، وشملتهم عنايته ونفحته.

توفي رحمه الله طلوع فجر يوم السبت سابع عشر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومئتين وألف، ودفن بالرميلة.

* انظر تراجم السادة الشاذلية ومنابهم للكوهن الفاسي ص 158. وطبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 164.

سيدي أبو بكر البناني*

هو سيدنا ومولانا سيدي أبو بكر بن سيدي محمد البناني الرباطي الشاذلي رحمته الله.
والذي يطالع مؤلفاته، خصوصاً رسائله المباركة المسماة بـ(مدارج السلوك إلى
ملك الملوك)، يعرف عظيم قدره، وعلو مقامه، وقد اشتهرت هذه الرسائل اشتهار
الشمس المضيئة في رابعة النهار.

ومناقب سيدي أبي بكر البناني قدس الله سره لا تحصى، وفوائده لا تستقصى،
ويكفي ما ذكر في ترجمته من مناقبه ومزاياه في (طبقات سيدي فتح الله رحمته الله) فمن
أراد الوقوف على نقطة من بحار فضله فعليه بـ(الطبقات). وكتاب (إتحاف أهل
العناية الربانية).

توفي سيدي أبو بكر البناني قدس الله سره، ضحوة يوم الأربعاء السابع عشر
من جمادى الثانية سنة أربع وثمانين ومئتين وألف، وكانت له جنازة عظيمة،
حضرها خلق كثير، ودفن بزاويته بحومة السوقية من بلده رباط الفتح حفظها الله،
وضريحه بها يزار.

سيدي محمد الفاسي** (...هـ - 1289هـ)

هو سيدي الشريف النسب محمد الفاسي الشاذلي المكي. وهو شيخ الأمير
عبد القادر الجزائري وقد ذكره في كتابه (المواقف).

* انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى للكوهن ص 159. وطبقات الشاذلية الكبرى
لمحيي الدين الطعمي ص 34، وفي مذكرات تيمور باشا، ملخصة عن الأصل المحفوظ بدار
الكتب المصرية رقم 3019 تصوف، ضمن مجموعة بها بعض مؤلفات صاحب الترجمة.
والانبساط 28-31 والاغتباط بتراجم أعلام الرباط.

** انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 213، تراجم السادة
الشاذلية ومناقبهم.

قال النبهاني في (جامع كرامات الأولياء): قد أخذت الطريق الشاذلية عن شيخنا محمد الفاسي المذكور في مصر عام 1284هـ حينما كنت مجاوراً في الجامع الأزهر.

وأما أحوال الشيخ سيدي محمد الفاسي فإنه رحمته الله كان متشرعاً متحققاً بالعلوم والمعارف الإلهية، ومتخلقاً بجميع الأخلاق والصفات المحمدية، أعطاه الله الكشف، وألبسه من حلل المهابة، وتوَجَّ بتاج الكرامة، وأسبغ عليه نعمه، أعطاه القطبانية، فسبق أهل العرفان والولاية في زمانه، جمع بين الحقيقة والشرعية، وأعطى كل ذي حق حقه، اتسع كشفه إلى أن سمع تسبيح الملائكة والجبال والحجر والمدر⁽¹⁾، فزاده الله شرفاً، ورفع في العالم الأسنى شأنه، اغترف من العلوم الشرعية ما يعجز عنه المقال، وأما علوم أهل الطريقة والحقيقة، فحدث عنها ولا تبال.

قرأ القرآن في بدايته بالمغرب الأقصى، واشتغل بقراءة العلم على مذهب إمام دار الهجرة سيدنا مالك بن أنس رحمته الله، فكان من جملة أشياخه الشيخ العلامة، والبحر الفهامة، عمدة المحققين القاضي سيدي العباس أبو سودة بن مرة الفاسي المالكي، قرأ عليه (خليل)⁽²⁾ في الفقه، وشارحه الخرخشي، وعبد الباقي، والشيخ العلامة المحدث الهمام، واسطة عقد العلماء الأعلام، وشيخ الحديث والتدريس سيدي عبد السلام البرعي، قرأ عليه التفسير، والحديث، والمصطلح، وغيرها من السنة، تخرج على يده فكان يتعجب من حفظه ونقله، واطلاعه وكشفه.

وأما كتب السير كالكلاعي والواقدي و(الترغيب والترهيب) وغيرها من كتب الحديث، فتخرج بها، وقرأها على الهمام سيدي العربي الزرهوني المالكي المغربي

(1) المدر: التراب المجتمع في شكل كومة.

(2) الشيخ خليل (توفي 776هـ = 1374م). خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي. فقيه مالكي، من أهل مصر. كان يلبس زي الجند تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك. له "المختصر" في الفقه، يعرف بمختصر خليل وقد شرحه كثيرون، وترجم إلى الفرنسية، "التوضيح" شرح به مختصر ابن الحاجب، و"المناسك" و"مخدرات الفهوم" في ما يتعلق بالتراجم والعلوم و"مناقب المنوفي".

الفاسي . وأما علم النحو، وبعض علوم الأدب والمعقول، فقرأها وتخرج بها على الأديب الأوحّد سيدي عبد السلام بن موسى الأندلسي، وقرأ (الرسالة) للقشيري، وغيرها من كتب التصوف على العالم الفريد سيدي التهامي بن حمادي . فهؤلاء أشياخه رحمهم الله، فكانوا يتعجبون من شدة اطلاعه، وسرعة حفظه، واقتلاعه، لكونه محفوظاً بالعبادة الأزلية، ثم اشتغل رحمهم الله بعبادة الله تعالى حتى كان ممن قيل فيهم :

رجال على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا اسمه وعقابه
فكان في هذه المدة مشغولاً آناء الليل وأطراف النهار بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى كان يختم (دلائل الخيرات) في كل يوم إحدى وعشرين مرة، غير ما يعقبها من تلاوة القرآن والذكر والصلاة.

وكان رحمهم الله كثير الزيارة للأولياء الأحياء منهم والأموات، عفيفاً عن محارم الله تعالى، غاضباً بصره عن ما لا يرضي الله تعالى، ثم بشره بالولاية رجل من أولياء الله تعالى يقال له الشريف سيدي أحمد الغيران، كان من أهل التعريف والأحوال، كان لا يقدر أحد أن يكلمه، وكان رحمهم الله إذا لقي الأستاذ، وهو في تلك الحالة صحاحاً وعانقه، ويقول له : مرحباً بسيدي ابن عطاء الله، هكذا كان دأبه كلما لقيه إلى أن جمعه الله تعالى على شيخه قطب الدائرة والمدد الأستاذ الأعظم سيدي الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني قدس سره، فاقتبس من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، ومكث يقتبس من هذه الأنوار التي تفيض على روحه من حضرة الوهاب، ونشر الطريقة في بلد الله الأمين، وقد انتفع به أهل المشرق والمغرب.

وكراماته لا تحصى منها:

أنه في ابتداء أمره رحمهم الله حين تجرد لله ورسوله، وترك الدنيا وراء ظهره، ونفر من أبناء جنسه، وصار تائهاً في حب الله تعالى، وكان يحتطب لإخوانه، ويخدمهم ويقوم بما يرضيهم، وكان كثير السياحات مع إخوانه مع خرق العادات، وقد أتاه مرة أربعة من اللصوص، يريدون أخذ ما عنده، فأشار إليهم بيده، فأعمى الله أبصارهم عنه، وصاروا يقولون: أين ذهب، وكان الآن معنا؟! وهو معهم يراهم ويسمع صوتهم.

ومنها: أنه حصلت له في بعض سياحته مشقة وتعب، حتى تورمت قدماءه، فخطر بباله ما لا يليق في حق أستاذه، ونوى الذهاب إلى مكة ليفتش على شيخ كامل، فرأى الحق جل وعلا في تلك الليلة رؤية منامية، وأمر الحق تعالى به أن يضرب، فضرب سوطين⁽¹⁾ أدباً، ثم قال: إلهي، تبت إليك. فقال تعالى: أطلقوه، ثم أوقفه بين يديه، وقال له: سلني. فقال: إلهي، سألتك العصمة. فقال: لا أعصمك، وليست إلا للأنبياء. فقال: إلهي، أسالك الحفظ. فقال: لك ذلك، ثم انتبه من نومه ﷺ، ثم ترادفت عليه المعارف الإلهية من حينه، ونظم قصيدته العينية، وهي تنوف عن سبعين بيتاً والتي مطلعها:

شربت شراب السر من خمرة الصفا فسكري بها حقاً وما لي منازع
سقاني ساقبها الحبيب فلم أرَ سواه على الإطلاق في الكون لامع
ولا خطرت لي في سواه معية فمهما رأيت الخلق ما أنا جازع
وأبصرت ما فوق البرية والثرى كذا العرش والكرسي لحكمي طائع
فصرت أنا السَاقِي لمن جاء عاطشاً مغيثاً لمن ناداني في الكل شافع
أنا الشرب والمشروب والقدر الذي يكون لأهل الشرب فيه الودائع
أنا النور والأنوار والسر والخفا أنا الشمس والأقمار من نوري ساطع
فيا أيُّها الملهوف إن كنت ظامئاً فنَادِ بنا يا فاسي آت، أسارع
إلى آخر القصيدة المشهورة.

ومنها: أنه كان في بعض السياحات، فحلَّ بأرض من أعمال طرابلس، فاجتمع عليه أهل تلك الأرض، فصاروا يبكون، ويستصرخون، ويستظلون من واليهم، ويستغيثون بالشيخ من جور هذا الوالي وظلمه، وهجومه على بيوت المسلمين، والشيخ قدس سره يبكي بينهم، ثم قال لهم الأستاذ: بالله الذي لا إله إلا هو، لا يبقى متولياً عليكم أكثر من هذا الشهر، إما أن يعزل، وإما أن يموت، فعزل بعد ثلاثة أيام، وحصل منه بعد ذلك ما كان سبباً لموته، وقطع رأسه.

(1) مثني السوط: ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه.

ومن أسرار الأستاذ قدس سره، ما أخبر به سيدي الأستاذ أحمد الحضراوي قال: كنت مع الأستاذ قدس سره في بعض السياحات، فدخلت ذات ليلة على الشيخ، فرأيت شمس أنوار التجلي عليه ساطعة، إذ برق لي منه بارق القبول والوصول، فقال قدس سره: تعال يا أحمد عندي، واكتب عني واسمع ما أقول: أتاني الساعة من الله ورسوله أن أقول: قدمي هذا على رقبة كل ولي حي، وقد قال العارفون في معنى ذلك قصائد كثيرة، فهو الحائز للخلافة المعنوية كما رأى ذلك، وهو في الروضة الشريفة بين يدي رسول الله ﷺ أخبر عن ذلك بما يبهر العقول، وإن أردت الوقوف على ذلك فانظر إلى مؤلفاته ومناقبه، وكثيراً ما كان يقول: والله، لولا أنني مقيد بقيد الشريعة لأظهرت العجب العجائب.

وكان يقول: أعطاني الله علوماً مثل علوم من سبق من الأولين لا يسع ما أعطاني الحق إلا صدري، فكان قدس سره قطباً ربانياً، وهيكلًا صمدانياً، اجتهد في جمع قلوب عباد الله على الله، حتى صار له من الزوايا العامرة بالمتجربين ما لا يحصى عدده في بلاد الحجاز، والهند والشام، ومصر، وسائر بلاد الإسلام.

خدم ﷺ الأولياء إلى أن خدمته الأقطاب وساح في هذا الشأن نحو تسع وعشرين سنة، وألف في العلوم كتباً كثيرة مشهورة في البلاد الإسلامية. وانظر إلى كتابه (الكنز المطلسم)، ترى ما يسرك من العلوم الربانية، وكتابه (الفتوحات الربانية والإجازة المدنية) وكتاب (مراتب الدين ونهاية العارفين) وناهيك بها من مؤلفات نفيسة.

وقد انتقل إلى رضوان الله تعالى، ودفن في المعلى بمكة المكرمة سنة تسع وثمانين ومئتين وألف.

وورث عنه سر الذات، وسر الروح، نجله السعيد سيدي محمد المكي شمس الدين ولا زالت الإمدادات منهما تزيد إلى يوم الدين.

ولو تتبعنا أحوال الشيخ وكراماته لم تسعها هذه الورقات، وإن أردت الزيادة على ما ذكر فعليك بكتاب (معاهد التحقيق) لمولانا سيدي محمود الوفاي قدس سره، فهو عرض مؤلفات الأستاذ مولانا محمد الفاسي ﷺ. اللهم ارزقنا الانخراط في سلوكهم، والسلوك على نهجهم وطريقهم، بجاه سيدنا ومولانا محمد مدهم ﷺ وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. آمين.

سنده في الطريق:

أخذ عن شيخه القطب الكبير، والعلم الشهير، سيدي محمد حمزة ظافر المدني رحمته الله، وقد ترجمه في (فتوحاته) حيث قال سيدي محمد الفاسي: أخذت الطريقة الشاذلية عن سيدي وأستاذي مربي المريدين بالهمة والحال، وموصلهم إلى مقام التحقيق بالأوصاف في مقامات الإنزال، قطب الدائرة، والمدد الغوث الجامع الفرد الشيخ سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني قدس سره العزيز في سنة 1242هـ بعد موت أستاذه، ورجوعه من المغرب الأقصى، إلى طرابلس الغرب فجمعني الله به، واقتبست من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، فكنت أقتبس من تلك الأنوار التي تفيض على روحه من حضرة الجبار نحواً من ثماني عشرة سنة، فنفعني الله به.

وكان رحمته الله ينبت الأولياء بساحته كما تنبت الأرض البقل إذا صب عليها المطر، وكانت أخلاقه أخلاق الأنبياء، وأحواله أحوال خاصة الخاصة من الأولياء والأصفياء، كان قدس سره قطباً، فمن أنواره تستمد الأقطاب، ومن بحاره تستمد الأنجاب، من نظر إليه أغناه، ومن عرفه لا يريد سواه، له أحوال عجيبة، وأسرار غريبة، اجتهد في علم المعاملات إلى أن بلغ أعلى المقامات، وخدم الأولياء إلى أن خدمته خاصة الخاصة من الأصفياء والأولياء، وساح في هذا الشأن نحو خمس وعشرين سنة في أرض المغرب الأقصى إلى أن وصل إلى ساحل عين حمية، وخدم بنفسه المشايخ والصالحين، وهو يطلب حي ليلي إلى أن وجد أهلها.

سيدي محمد بن أحمد الموسوم (1236هـ-1300هـ/1820م-1883م)

هو الشيخ الرباني والقطب الصمداني سيدي محمد بن أحمد الموسوم من ناحية الوسط الجزائري قرب مدينة مليانة ودفن في مدينة قصر البخاري، من ولاية المدية من وطن الجزائر.

ولد سنة 1236 هجرية الموافق لـ 1820 ميلادية نشأ وترعرع في أسرة مباركة مسلمة حريصة على تربية ابنها أحسن تربية، فأرسله أهله إلى نواحي مدينة معسكر

حيث طلب العلم على يد شيخها العالم الجليل العارف سيدي أبي راس المعسكري رحمته الله. وتقول الرواية التي أخذناها عن حفيده رئيس المجلس العلمي للفتوى لولاية المدية الشيخ الإمام عبد الرحمن برقية، إنه في يوم من الأيام بعد ما كان سيدي الموسوم في عطلة من دراسته في زاوية الشيخ سيدي أبي راس، أعطاه والده بعض الملابس المصنوعة من الصوف كي يحتمي بها من البرد عندما يعود إلى الزاوية، فلما عاد إليها بعد انقضاء العطلة، أعطى كل الملابس المصنوعة من الصوف - والتي كانت نادرة آنذاك - إلى الطلبة ولم يبق شيئاً له، وفور عودة الشيخ لاحظ أن الطلبة يرتدون ملابس جديدة خشنة تقيهم برد المنطقة، سأل أحد الطلبة من أين لهم هذا؟ فأجابه فوراً أن الموسوم هو الذي جاء بها ففرغرت عينا الشيخ بالدموع وأمر بإحضار الشيخ الموسوم، وقال له أنت مأذون في كل ما عندنا من العلوم دون استثناء. وأجلسه على كرسي كان له فنطق الشيخ الموسوم من ذلك الوقت بأفصح العبارات والحكم. وأرسله وأمره بإنشاء زاوية للتعليم بمقر قريته غريب فامثل لذلك. فتهاطلت عليه طلبة العلم وشرع في التدريس والتعليم. وكان يتردد على زيارة الولي الصالح، القطب الناصح دفين مدينة مليانة الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمته الله، وذات يوم إذ كان زائراً غاب وقت الزيارة عن حسه فرأى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف رحمته الله وقد لقنه الأذكار والأوراد، ف وقعت له فتوحات كبيرة في طريق القوم وذاق من معين الأذكار ما زاد من تعطشه. وتقول الرواية إنه كان يقول: الذي أخذته عن سيدي أحمد بن يوسف رحمته الله لم أجده عند الأحياء. وبعد الشرب من عنده ما هبأه لاستقبال ما خلق لأجله. رأى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف مرة أخرى وهو يأمره بصحبة شيخ آخر، فأجابه سيدي الميسوم قائلاً أنت تكفيني يا سيدي فقال له: سيدي أحمد بن يوسف رحمته الله لا بد لك من الخصوصية وهذه لا تؤخذ إلا من عند الشيخ الحي، فاذهب إلى ناحية مدينة (تيارت) واطلب الشيخ عدة بن غلام الله وقل له: إنني أنا الذي أرسلتك. فكان الأمر كذلك فانفتق رتقه على يد شيخه ومربيه ومسلكه الشيخ سيدي بن غلام الله رحمته الله. وصحبه حتى أذن له في التربية والتسليك، وأعطاه بلغة للشيخ مولاي العربي، وأذن له في بناء وتشيد الزوايا للتربية والتسليك وتدريس القرآن والعلم الشريف، فتوافد عليه طالبو السلوك والعلم اللدني. فأخذ بأيديهم، وأصبح

مشهوراً بالتربية والتسليك، ثم أنشأ زاوية أخرى بمدينة قصر البخاري وبقي مربياً ذاكراً مذكراً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى وفاته رحمته الله، حيث خلف مجموعة من الكتب منها شرح للسنوسية وكتب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ووصيته لفقرائه قبل موته. رحمه الله ورضي عنه وألحقنا به صالحين آمين.

وكانت وفاته عشية يوم الجمعة ربيع الأول عام 1300 هـ الموافق ليوم 2 فبراير 1883م وعمره 63 سنة.

الأمير عبد القادر الجزائري* (1222هـ - 1300هـ الموافق 1807م - 1883م)

الأمير المجاهد:

هو الإمام الأوحد، والعلم المفرد، العارف بالله، والتقي الأواه، الأمير السيد عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري.

ولد في شهر رجب 1222هـ (أيلول/سبتمبر 1807م) وتمت مبايعته أميراً للقيام بالجهاد سنة 1248هـ ثم تصدر للجهاد في سبيل الله وتطهير الجزائر من رجس الفرنسيين. فخاض ضدهم معارك عظيمة حقق الله له فيها نصراً عظيماً، كمعركة خنق النطاح ومعركة المقطع وغيرها وشاد دولة قوية على الطراز الحديث أسسها على أركان إسلامية واستمر في الدفاع عن الوطن والإسلام إلى أن تبددت قوته نتيجة ما لحق بالأمير من ضعف وقلة العدد والعدة. مما أجبره إلى الإعلان عن قرار وقف الجهاد ففضى مدة من الزمن في الأسر بفرنسا.

إن قراره لا يعني نهاية المقاومة فما هي إلا بداية فتحت الباب للشعب الجزائري بالتصدي للقوة الاستعمارية والهجمة المسيحية، فقام مشايخ

* المواقف تحقيق السيد عبد الباقي مفتاح.

- من كتاب القصائد للطريقة البلقائدية الهيرية.

- مذكرات الأمير عبد القادر.

الزوايا والعلماء العارفون بثورات وحروب ضد الاستعمار الفرنسي، وكذلك خلفاء الأمير القاطنون بالتراب الجزائري.

واستمر الأمر كذلك إلى قيام الثورة الجزائرية الكبرى ثورة عام 1954م. وبفضل الله وطاعته أولاً ثم بفضلها استطاع الجزائريون استرجاع السيادة الوطنية ونيل الاستقلال عام 1962م.

تصوف الأمير عبد القادر

المرحلة الأولى مرحلة التعلق والتشوق:

نشأ الأمير عبد القادر في زاوية والده الشيخ محيي الدين شيخ الطريقة القادرية المنسوبة إلى إمام التصوف في القرن السادس الهجري الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ).

ورث الشيخ محي الدين والد الأمير إمامة الطريق من أسلافه المشهورين بالصلاح والعلم والولاية والشرف، حيث إن نسبهم يصعد إلى سيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ وامتد شعاع زاويته إلى أصقاع المغرب الإسلامي.

جده مصطفى (ت1212هـ) كان شيخاً للقادرية، وكان أيضاً من ورثة الطريقة الحاتمية أو الأكبرية طريقة الشيخ الأكبر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الطائي. أجازة فيها المحدث الصوفي الشهير السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت1205هـ-1719م).

وهذه الوراثة الأسرية للمشرب الأكبري قد زادت رسوخاً عندما صحب محي الدين وابنه عبد القادر وهو في نحو العشرين من عمره الشيخ المربي الشهير إمام الطريقة النقشبندية محمد خالد النقشبندي (1193-1242هـ) وذلك خلال إقامتهما في دمشق إثر حجتهما عام (1240هـ - 1828م)، وهناك زارا ضريح الشيخ الأكبر لأول مرة.

توجه محيي الدين وابنه عبد القادر إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمتهما، فجددا الإجازة في الطريقة القادرية من الشيخ محمود القادري، ومكثا بها ثلاثة أشهر.

وبوفاة الوالد محي الدين عام (1249هـ - 1833م) انتقلت الخلافة الروحية في الطريقة القادرية والسلوك النقشبندي والمشبك الأكبري إلى الأمير عبد القادر، وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره نحو 27 سنة. ولاشتغاله بتكاليف الإمارة والجهاد، قام أخوه محمد السعيد بشؤون الطريقة.

وفي أحضان أسرته ومنذ صباه بدأ الأمير مطالعته في التصوف، ومنها كتاب (إرشاد المريدين). يقول الأمير: "كنت مغرمًا بمطالعة كتب القوم (يعني الصوفية) ﷺ، منذ الصبا، غير سالك طريقهم. فكنت أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقف منها شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأنني على بينة من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة".

ثم ذكر أنه لما سلك مقاماتهم وذاق مواجيدهم صدرت منه هو أيضاً مثل تلك العبارات الشاطحة في حالات غيبية روحية يغيب فيها الذاكر عن نفسه في إحدى الحضرات العلوية، بحيث تصير تلك الحضرة هي الناطقة على لسانه، ثم استشهد بقول الجيلي: "كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات الكمالية كان كل منهما عين الآخر في ذلك المقام".

زيادة على مطالعته لكتب الصوفية كان للأمير علاقات يومية برجال التصوف من أسرته وفي زاوية والده ومن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم.

ولما تزعم الجهاد وحكم البلاد توسعت دوائر علاقاته بشيوخ مختلف الطرق الصوفية داخل الوطن وخارجه. ووجد الأمير من شيوخ أغلب الطرق الصوفية تأييداً ومآزره لجهاده.

ومن أشهر الشيوخ خارج الجزائر الذين ساندوه إمام الطريقة الحراقية الدرقاوية في المغرب، الشيخ محمد الحراق التطواني (1186هـ - 1261هـ) الذي خاطبه الأمير في إحدى رسائله له بقوله:

"فإننا نعلم أنك وجميع المؤمنين متهللون من أمرنا مع الكفار منتظرون ما يرد عليكم من عندنا من الأخبار... وما أصابنا من خير فببركتكم ودعائكم ورضاكم عنا. ولا تنسوننا من صالح دعائكم".

ومنهم شيخ الطريقة البودشيشية القادرية المغربي المختار بن الحاج محي الدين بن الحاج المختار (ت1914م) الذي تزعم الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي قرب الحدود المغربية الجزائرية، ومنهم في مصر شيخ الأزهر مفتي المالكية وشيخ الطريقة الشاذلية الإمام محمد عlish (ت1882م) وابنه عبد الرحمن (ت1930م). ومما يدل على أصالة وعمق الطابع الصوفي في الأمير، أن الهموم الكبرى للجهاد المتواصل والمشاكل المستعصية في إدارة البلاد لم تلهه عن دوام ذكره لربه وتبته في العبادة. وإشراقاته الروحية كانت أحياناً تفيض فتلوح على ظاهره ويتنبه لها حتى أعداؤه. وخلال إحدى معاركه تسلل ذات ليلة رجل دون أن يراه الحراس إلى خيمة الأمير وهو منهمك في تلاوة القرآن، وعندما سمع صوت الأقدام رفع رأسه فرأى زنجباً طويلاً القائمة واقفاً أمامه وفي يده خنجر، لكن فجأة رمى الرجل الخنجر وخر مرتجياً على قدمي الأمير قائلاً: "لقد جئت لأطعنك، ولكن منظرك قد جردني من سلاحي، فقد رأيت هالة النبي فوق رأسك" ووقف الأمير عبد القادر ببطء دون أن يظهر عليه أي تأثر، ووضع يده على رأس الزنجي وقال: "لقد دخلت خيمتي قاتلاً، وإن الله الذي قد هدأك إلى التوبة، قد حكم على أن تخرج منها بريئاً، فاذهب وتذكر أن عبد الله قد عفا عنك". . . . وحتى عدوه الشرس الألد السفاح الجنرال بيجو شعر بلوائح الولاية التي تشع من الأمير فوصفه في بعض رسائله بأنه في شكله يشبه المسيح. واعترف بمثل ذلك الجاسوس ليون روش، يقول عنه: "يحمل بيده اليمنى دائماً سبحة سوداء، يسبح بها بسرعة، ولا يتوقف عن التسبيح عندما يخاطبه مخاطب. وإن بحث فنان على صورة لعابد من عباد القرون الوسطى يضعها على لوحته، فإنه لن يجد حسب رأيي، نموذجاً أفضل من الأمير، إن مزيجاً من مضاء العزيمة على الجهاد ومن الزهد، يضيء محياه بفتنة رائعة".

ويروي روش أنه كان في ليلة من ليالي الشتاء أثناء الحصار نائماً في خيمة الأمير، وبينما هو نائم عاد الأمير منهوكة من عمليات الحصار، وظن أن روش مستغرق في نوم عميق، فأدى فريضة الصلاة ثم استغرق في التضرع إلى الله والابتهاال، وكانت عيناه متطلعتين إلى السماء وشفتاه مفتوحتين كأنه ما زال يتلو الآيات، وبلغ حالة من الذهول والتشوف إلى الله توحى لمن ينظر إليه بأنه فارق العالم الدنيوي وتسامى إلى العالم العلوي.

فانظر إلى هذا التواضع والإنصاف من أمير في أوج عزته وعمره حينذاك 32 سنة .

المرحلة الثانية :

تألف من مديتين ؛ مدة الاعتقال ثم مدة السنوات الأولى من استقراره في دمشق بعد إقامته في بروسه بتركيا .

فترة الاعتقال :

ما بين 1847م و1852م (1264هـ - 1270هـ) : نكث حكام فرنسا عهدهم بترك الأمير حراً هو ومن معه ليذهبوا إلى المشرق ، فأمضوا تقريباً خمس سنوات في سجن تولون (Toulon) وبو (Pau) وأمبواز (Amboise) ، ومات منهم خلالها نحو خمس وعشرين شخصاً . ولم يستسلم الأمير للقنوط رغم مرارة المحنة ، فجعل من سجنه مدرسة لتعليم أصحابه ، فكانوا يتدارسون كتب الشريعة والتصوف والأدب والتاريخ . ونحو سنة 1850م كتب رسالة (المقراض الحاد) في الدفاع عن الإسلام رداً على انتقادات قسيس مسيحي ، وجعل الأمير من سجنه أيضاً خلوة للذكر والتفكير والتعبد ، فأشرفت عليه مطالع الفتح النوراني وحصلت له وقائع روحانية ومشاهد ومراءٍ لرسول الله ﷺ وللخليل إبراهيم عليه السلام ، وهو ما أوماً إليه في الموقفين 83 و211 من كتابه المواقف . وتحت وطأة خذلان الأصدقاء وخيانة وشماتة الأعداء لم تتزلزل فتوته الصوفية وشهامته الهاشمية . جاءه في سجنه الجنرال دوماس مكلفاً من قبل فرنسا ليتقدم إليه بأسخى العروض مكانة مرموقة في فرنسا : قصر ملكي وحرس شرفي وكل الأبهة والرفاهية الجديرة بأمير في مقابل أن ينسى الوعد الرسمي الذي أعطاه له حكام فرنسا مقابل وضع حد لجهاده . وكان عبد القادر يستمع الاقتراح المغربي في صمت وازدراء ، وعندما ألح عليه في الرد ركز عينيه فيه وأجابه بحدة وتعجب : " . . . عجباً ! إن مواهبك الدبلوماسية التي لا أشك فيها هي مفيدة جداً لفرنسا ، ولكنني أرجوك ألا تبددها معي عبثاً " . ثم أخذ بطرف برنسه بكلتا يديه ومال نحو النافذة ، وقال بصوت حاد : " لو حملت إلي باسم ملكك كل ثروات فرنسا وأمكنك وضعها في طرف برنسي لفضلت أن أرمي بها جميعاً حالاً

في هذا البحر الذي يلطم بأمواجه جدران سجنني على أن أعيد عليكم الوعد الذي أعطني لي من ذلك العهد إلى قبري... " .

هذا الجنرال الفرنسي دوماس المكلف بحراسة الأمير أثناء سجنه في قلعة "لامالق" يكتب إلى أسقف مدينة الجزائر دوبوش الذي كانت بينه وبين الأمير مراسلات، يصف له حالته في السجن فيقول:

"... إنك بالتأكيد لن تندم على زيارتك له، إنك عرفت عبد القادر في أيام عزه، عندما كانت كل الجزائر تقريباً تعترف بحكمه. حسناً، إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه في عزه. إنه ما يزال، كما عرف عنه، يسمو إلى أعلى الدرجات، إنك ستجده معتدلاً بسيطاً جذاباً متواضعاً ثابتاً لا يشكو أبداً، معترفاً لأعدائه حتى أولئك الذين ما زال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيراً، ولا يسمح أن يذكروا بسوء في حضرته".

فترة استقراره:

وهي المرحلة الثانية في المسار الصوفي للأمير تبدأ من خروجه من السجن عام 1270هـ/1852م إلى سنة حجه عام 1279هـ/1863م، فبعدما خرج من السجن وقضى سنتين في بروسه بتركيا حيث ألف كتابه: (ذكرى العاقل وتنبيه الغافل) عام 1271هـ/1855م وقدمه لمجمع الخالدين في باريس، توجه في ربيع الثاني من عام 1272هـ/1855م لدمشق ليستقر بها، وقبل أن ينزل منزله ذهب مباشرة لزيارة مقام الشيخ الأكبر وكأنه هو مضيفه الأول... ثم أنزله حاكم دمشق عزت باشا في المنزل الذي سكنه، وتوفي فيه الشيخ الأكبر قبل ذلك بنحو ستة قرون.

وفي دمشق توسعت دوائر علاقات الأمير بشيوخ التصوف، وقيل إنه أخذ الطريقة المولوية التي أسسها الصوفي الشاعر الشهير جلال الدين الرومي (ت672هـ) دفين قونية بتركيا، أخذها عن الشيخ درويش صبري.

وفي هذه الفترة أتيح له دراسة كتب الشيخ الأكبر التي لم يطلع عليها من قبل، وهي تعد بالمئات. وكلما ازداد عكوفاً عليها ازداد بها شغفاً وازدادت العلاقة الروحية بينه وبين الشيخ عمقاً... فهو مثلاً يقول في الموقف 358 عن كتاب

(التجليات): "لو كتب بماء العيون كان قليلاً في حقه، وهو أحق بقول القائل: هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع مغبوناً. ذكر فيه 97 تجلياً أودع فيه من الحقائق والعلوم الإلهية ما لا يصدر إلا منه ولا أقول لا يصدر إلا من مثله فافهم".

المرحلة الثالثة مرحلة التحقق والفتح الكبير:

من معاناته الوجدانية ومطالعته ومعرفته لكثير من الشيوخ، تيقن الأمير أن التحقق الكامل بالسلوك العرفاني الخالص لا يحصل إلا بما قاله في الموقف الرابع: "إن كل من لم يسلك طريق القوم ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له إخلاص، ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأكثرهم تدقيقاً وبحثاً عن دسائس النفوس وخفايا الغيوب. فهو إذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صح له الإخلاص".

ومعلوم عند رجال التربية الروحية: أن العبد لا يعرف ربه إلا إذا عرف نفسه، وإنها لا تتحقق إلا بالأخذ عن الشيخ المربي الوارث الكامل الحي وذكر الاسم الأعظم المفرد (الله) وقد تطلعت همة الأمير لذلك، إلى أن حصل على مقصوده في مكة المكرمة خلال حجه عام 1279هـ (1863م) وعمره نحو 57 سنة، حيث أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن الشيخ محمد بن مسعود الفاسي (المتوفى بمكة عام 1289هـ)، وهو أخذها بليبيا عام 1242هـ عن الشيخ محمد حسن بن حمزة ظافر المدني (1268هـ) ناشر الطريقة الدرقاوية في ليبيا والشرق الأوسط والحجاز وتركيا حتى سميت باسمه (المدنية) وهو من خلفاء محي الطريقة الشاذلية في القرن الثالث عشر الشيخ العربي الدرقاوي المغربي (1151هـ - 1239هـ).

ومن الأسباب التي جعلت الأمير يسلم زمام سلوكه الروحي للشيخ محمد الفاسي هو تطابق المنهج والمشرّب الدرقاوي الشاذلي في التربية الروحية والأذواق العرفانية مع المنهج والمشرّب الأكبري.

فوجد عنده ما يروي ظمأه العرفاني الحاد، ويلبي ماتصبو إليه همته العالية من التحقق بكمال المعرفة والولاية. وسرعان ما قطع الأمير معارج السلوك بإشراف شيخه في الحرمين الشريفين، حيث قضى عاماً ونصف عام متجرداً للذكر والتوجه

والعبادة في خلوات انقطع فيها لذكر اسم الجلالة (الله). وخلوته الأولى كانت في غار حراء بجبل النور، حيث تلقى رسول الله ﷺ الوحي لأول مرة... كما ذهب الشيخ الأكبر للطائف بعد حجه لزيارة ضريح الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث كتب (حلية الأبدال)، فكذا فعل الأمير إثر خروجه من خلوته الأولى، فذهب إلى الطائف سائحاً معتكفاً مدة ثلاثة شهور... ثم في أواخر رجب من عام 1280هـ أي بعد عام من وصوله للحجاز استقر في المدينة المنورة فشرع في خلوة أخرى دامت شهرين...

يقول ابنه محمد في كتابه (تحفة الزائر) عن هذه الوقائع: "واختار الشيخ محمد الفاسي المجاور في مكة المكرمة أستاذاً له فأخذ عليه الطريق وتلقى شؤونها عنه، ولازم الرياضة والخلوة والاجتهاد، وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة من الوظائف والأوراد إلى أن رقى معارج الأسرار إلى حضائر القدس ذات الأنوار ووقعت له كرامات وخوارق، وأحرز بقوة ساعده أحوالاً سنية وأنفاساً محمدية. ولم يتم له الارتقاء إلا وهو في غار حراء؛ لأنه انقطع فيه أياماً عديدة إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى، ووقع له الفتح النوراني، وانفجرت ينابيع الحكم على لسانه، وفاضت عيون الحقائق بين أرواح جنابه، وانفتح له باب الواردات، فاستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة، فكتب من خلوته إلى حضرة أستاذه يصف بدايته ونهايته، ويشي على الله بما أولاه على يده بقوله:

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر
ثم ذكر بقية القصيدة المؤلفة من 111 بيتاً، وهي تدل على ضرورة صحبة المربي الحي لكل من أراد التربية الروحية الكاملة مهما كان مبلغه من العلم الظاهر. وما تم للأمير ذلك رغم ورعه وزهده وجهاده ومجاهداته ومعارفه ومواجيده، إلا بتحقيقه لهذا الشرط، ولم تطب ثمار صلته بالشيخ الأكبر إلا بصحبته لأستاذه محمد الفاسي الدرقاوي الذي لقنه الاسم الأعظم ورفعته إلى التحقق الكامل بالمعارف الأكبرية.

يقول عنه ابنه محمد إنه دخل المدينة المنورة في 26 رجب 1280هـ ونزل محلاً لصيقاً بجدار المسجد، وهو في الأصل بيت سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وله

خوخة في المسجد وهي التي قال فيها ﷺ: "كلُّ خوخة في المسجد تُسدّ إلا خوخة أبي بكر" فانقطع الأمير في ذلك المحل المبارك مدة شهرين فقيوت بها معارفه، وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية. ومن طالع مواقفه في الحقائق وقف على ما أشرنا إليه (...). واستمر الأمير مواظباً على أداء وظيفة أوراده في الخلوة والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور. وفي الشهر الأخير من إقامته في المدينة المنورة كان يكثر من زيارة أحد قبور الشهداء والصلاة في مسجد قباء.

وما رجع الأمير لمقره في دمشق إلا وهو عارف واصل، وشيخ كامل، مفتوح عليه في المعرفة والتربية الروحية على المنهاج الشاذلي والمشرّب الأكبري زيادة على معرفته العميقة بأساليب التربية في الطرق الأخرى.

وخلال هذه المرحلة الأخيرة، مرحلة التحقّق والتمكين التي تواصلت معارجها وفتوحاتها حتى وفاته وعمره: 78 سنة كعمر أستاذه في عالم الأرواح الشيخ محي الدين انتقلت علاقة الأمير بالشيخ الأكبر من القوة إلى الفعل، وعبر عنها في كتابه (المواقف) وذكر فيه بعض وقائعه ومشاهده الروحية لشيخه الأكبر كما في المواقف 294 و 298 و 346 و 372.

وفي دمشق ظهرت ثمرات سلوكه الصوفي، فالتف حوله جماعة من أهل العلم والصلاح وشيوخ الطريق يقتطفون منها غذاء تربية وعوارف معارف روح وريحان... يقول عنه جواد المرابط:

"وفي دمشق كانت له سيرة هي القدوة لأكرم الناس، وقد كان فيها آية من آيات الله أشرقت عليها من وجوده. وفيها نسي إمارته وجاهه ومجده ونسي كل شيء إلا خالق الأشياء، فكان منه المؤمن العابد والداعية إلى الله. وفيها درس وألف وأقام مجالس العلم وحلقات الذكر وفيها ألف كتاب المواقف. وسمعت من المرحوم عمي السيد يوسف أن سبب الصلة بين الشيخ محمد مبارك الحسني الجزائري الشهير بتقواه وورعه وصلاحه وبين الأمير عبد القادر ما كان يعلمه الشيخ مبارك من زهد حقيقي للأمير. وقد ذكر لي من زهده أنه كان يدخل الخلوة أربعين يوماً وأحياناً يكون قوته في خلوته كسرة من الخبز صغيرة مع قليل من الزيت بقدر ملعقة، ومن عادته أنه كان يقلل من الطعام ومن الدنيا، يأخذ ما يأخذ للضرورة

وبقدر الحاجة . كان يفعل الأمير كل ذلك في حين كان يأكل عشرات الضيوف وعشرات الخدم من مطبخه ، وهو ما كان يتناول إلا لوناً واحداً من الطعام . ثم قال لي المرحوم السيد يوسف : إن الأمير - كما قال الجنيّد عن المتصوفة - إنهم لم يأخذوا التصوف عن القيل والقال ، ولكن من مجاهداتهم نفوسهم وكبحهم شهواتهم وتركهم الدنيا وقطعهم المألوفات والمستحسنات ، فليس الاعتبار عندهم للخرقة ، وإنما الاعتبار للخرقة . لقد كان الأمير عظيماً في عمله ، عظيماً في حروبه ، عظيماً في سلطانه على نفسه ، عظيماً في زهده ، عظيماً في روحه ، وإنما يدرك عظمة تلك الروح من يعلم . كما كان يعلم الأمير أن الثروة والسلطة والجاه لا تهب السعادة ، وأن الزهد في ذلك كله هو السعادة .

وأخبر أن الأمير أوصى بدفنه جوار أستاذه في الصالحية بدمشق . يقول في ذلك ابنه محمد : " ودفن مع أستاذه الشيخ الأكبر . والمرء مع من أحب " ، وفيه تنبيه على أنهما من طبقة واحدة . فلهذا كان يقتفي آثاره ويتعهد معاهده ، وما زال يغترف منها .

حوادث لبنان وسورية:

وقعت حوادث طائفية خطيرة في كل من لبنان وسورية ، حين كان الأمير يعيش في دمشق ، فقام بدور هام ، في سبيل حقن الدماء وإعادة روح المحبة والإخاء بين أفراد الشعب الواحد ، حيث كان يسكن جبل لبنان ، طوائف ثلاث : مسلمون ونصارى ودروز ، تجمعهم علاقة الألفة والتعاون ، إلى أن تغلب إبراهيم باشا حاكم مصر على سورية ، وأدخلها تحت حكمه . أراد إبراهيم باشا أن يثبت أركان سيطرته على سورية ، بأن طلب من الدروز جنداً ، يقومون على خدمة سياسته فأبوا ذلك ، وأشهروا الحرب عليه . فاستعان على حربهم بالنصارى ، وكانوا أكثر عدداً من الدروز ، فألحقوا بهم هزيمة دانوا على إثرها لحكمه . فأخذ منهم بعد ذلك أسلحتهم وقوى بها النصارى ، كسراً لشوكتهم .

وبعد أن خرج إبراهيم باشا من سورية ، وعاد الأمر إلى الدولة العثمانية ، هب الدروز للأخذ بثأرهم من النصارى ، ثم نشبت بين الطرفين معارك عديدة واستمر

الخلاف قائماً بينهم من عام ألف وثمان مئة وأربعين إلى عام ألف وثمان مئة وستين ميلادية، دون تجاوز حدود لبنان.

إلا أن نار الفتنة قد امتدت إلى سورية، فالتهمت ألسنتها الأموال والنفوس، ولا سيما النصارى، فلما اتصل الخبر بالأمير قال: "هذا ما كنا نحاذره ونحذر الناس منه قد وقع، إنا لله وإنا إليه راجعون" ثم ركب إلى محلة النصارى فوجدها في هرج ومرج فجعل ينهي وينصح، فلم تسمع له نصيحة. ولم يستطع الأمير أن يرى الناس يقتتلون من حوله، دون أن يعمل على إيقاف الاقتتال. مهما كلفه ذلك من بذل وعطاء فاتصل بالحكومة المحلية، وطلب منها أن تمد رجاله بالأسلحة، فاستجابت لطلبه وحينئذ قام رجال الأمير بإنقاذ النصارى، واجتمع عنده منهم نحو الخمسة عشر ألف نفس وكان يتعهدهم بنفقتهم إلى أن تمكن من تنجيتهم من الخطر المصدق بهم، ثم أرسلت حكومة السلطنة العثمانية من يتولى إخماد نار الفتنة ومعاقبة المعتدين فأعلنت الأحكام العرفية، وسجن الآلاف من المتهمين، إلى أن استتب الأمن والطمأنينة في البلاد. وقد أشاد كثير من الشعراء والخطباء بشجاعة الأمير إزاء تلك الفتنة وانهالت عليه برقيات التأييد من مختلف زعماء العالم، وقدمت إليه النياشين تقديراً لموقفه الإنساني النبيل.

وفاته:

من أغرب وقائع الزمان، أن يرى الإنسان أصدقاءه وذويه ينعون، وهو ما زال على قيد الحياة، وأن يقرأ بنفسه برقيات التعازي وقصائد التأيين والرثاء، تفد إلى بيته من كل جهة، هذا ما جرى في حياة الأمير، فقد أشاع المرجفون نبأ وفاته، سنة ست وتسعين ومئتين وألف، فبادر رجال الصحافة إلى نشر الخبر وطارت البرقيات والرسائل إلى أسرته من مختلف أنحاء العالم، فاطلع على ما كتب عنه، وسمع ما قيل فيه، ثم قال "إن الموت لا بد منه، عند نهاية الأجل. والحمد لله الذي أراني وأسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي. وهذا نادر الوقوع، وغريب الاتفاق".

ومع بداية عام ثلاث مئة بعد الألف للهجرة، أخذ الأمير يشكو من آلام عديدة في جسمه، فتردد على الأطباء وتناوبوا معالجته، ولكن القدر أقوى من علاجهم،

وأنفذ من اجتهادهم، فما أن يتعاطى العقاقير والأدوية، حتى تحاصره الأمراض، ويدنو أجله شيئاً فشيئاً، وحين كانت ليلة التاسع عشر من رجب عام ثلاث مئة وألف، الرابع والعشرين من (أيار) ماي عام ثلاثة وثمانين وثمان مئة وألف، انتقلت روح الأمير إلى خالقها سبحانه، فهرع الناس إلى قصر (دمر) حيث يرقد جثمانه، وفي نهار اليوم التالي حمل إلى بيته في دمشق ليجهز، وصلى الدمشقيون عليه بالمسجد الأموي، ثم شيعت جنازته إلى حي الصالحية ودفن بجوار الشيخ محيي الدين بن عربي داخل قبة مسجده. ومما كتب على شاهدة ضريحه الأبيات التالية للشاعر عبد المجيد الخاني:

لله أفق صار مشرق دارتي قمريّن هلا من ديار المغرب
 الشيخ محي الدين، ختم الأولياء قمر "الفتوحات" الفريد المشرب
 والفرد عبد القادر الحسني الأمير قمر "المواقف" ذا الولي ابن النبي
 وبعد أن تحقق النصر لثورة المليون ونصف المليون شهيد بادر رجالها إلى
 تجسيد وفائهم نحو الأمير عبد القادر، فنقلوا رفاته من العاصمة السورية إلى
 العاصمة الجزائرية في الرابع من شهر (تموز) جويلية عام ستة وستين وتسع مئة
 وألف ميلادية ونقشوا على ضريحه عبارة أطلقها في وجه فرنسا، حين كان أسيراً
 بين يديها، تقول:

"لو جمعت فرنسا سائر أموالها، ثم خيرتني بين أخذها وأكون عبداً وبين أن
 أكون حراً فقيراً معدماً، لاخترت أن أكون حراً فقيراً".

صفحة بيضاء

رقم 390

القرنُ الرابعُ عشر

سيدي علي الشرطي* (1208هـ - 1316هـ)

هو سيدنا علي نور الدين الشرطي الحسني الشاذلي المغربي .

قال عنه النبھاني في (جامع كرامات الأولياء): الشيخ علي الشرطي الشاذلي أحد كبار مشايخ العصر وقد انتشرت عنه الطريقة الشاذلية، ولا سيما في بلاد الشام، انتشاراً عظيماً، وانتفع به القوم. اهـ.

وقالت ابنته السيدة فاطمة الشرطية في كتابها (مسيرتي في طريق الحق):
القطب الغوث الأكبر والوارث المحمدي صاحب الوقت الشيخ علي نور الدين الشرطي الحسني الشاذلي المغربي، قدس سره، ولد عام 1208هـ في مدينة بنزرت من أعمال تونس الغرب.

أخذ الطريق عن محمد بن حمزة ظافر المدني فلما توفي شيخه ورث عنه القطبانية.

توفي ﷺ عام 1316هـ عن 108 أعوام.

السيد محمد العقاد**

هو سيدنا ومولانا تاج الدين السيد محمد بن أحمد العقاد الحسني الإدريسي الشاذلي الوفاي ﷺ.

* انظر طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي .

** انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 210.

نسبه الشريف: هو الأستاذ السيد محمد العقاد بن أحمد بن أحمد العقاد الكبير بن سيدنا مصطفى العقاد دفين المحلة بن محمد العقاد بن مصطفى بن محمد بن يوسف العقاد بن أحمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محسن العقاد بن حسين بن خليل بن محمد بن عبد الواحد العقاد الكبير بن عبد السلام بن محيي الدين بن محمد بن عيسى بن محمد أبي البركات بن تاج الدين بن علي بن محيي الدين بن محمد شمس الدين بن الإمام عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن مرمه بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي بن سيدنا محمد بن مولاي إدريس الأزهر بن مولاي إدريس الأكبر بن مولانا عبد الله المحض بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين .

ولد بالمحلة الكبرى سنة تسعة وستين ومئتين وألف هجرية، ونشأ بها في حجر والده المرحوم بكرم الله، فحفظ القرآن، وأتم العلوم الظاهرة، ومال إلى علوم الآخرة، فسلک على يد سيدي محمود الوفاي، وهو الذي رباه، فكان رحمته مثال الكرم والاستقامة، والورع والزهد، تبدو على وجهه دلائل الأنوار، وتشرق من جبينه لوامع الأذكار.

نشأ رحمته عفيفاً، طاهر النفس، ورعاً زاهداً، متحققاً بمقامات الإحسان، وارثاً لمكارم جده رحمته، متمسكاً بأداب مشايخه، رحمته، ولما كملت معانيه، وتحققت لدى الطالبين جواهر مبانيه، أجلسه الحق على بساط النور، وكرمه وشرفه على ممر الدهور، ولما حانت وفاة أستاذه، أمره بالإرشاد وخلع عليه خلع القبول والإمداد، فورث السرين: سر أستاذه وسر ذاته الشريفة، وقد بشره أستاذه بحضرة فحول الرجال، بانتشار الطريق على ممر الأيام والليالي، فكان بحمد الله ما أخبر به، وكثرت على يديه الطلاب، وسعت إلى داره الأقطاب، مقتبسين من أنواره الذاتية، ومعارفه الجبروتية، ومواهبه اللدنية، ولسان حالهم ينشد:

يا سادتي إنني أتيت بذلتني والدمع من عيني بدا فوق الخدود
واشتغل رحمته بالتجارة في أيام بدايته، كما هو شأن الكرام، اقتداء بجده عليه أفضل الصلاة والسلام، فكان نعم التاجر الصدوق.

أحواله رحمته الله:

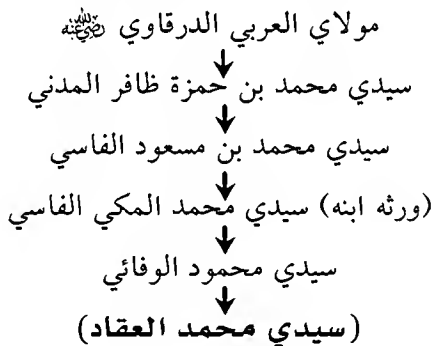
أحوال خاصة الخاصة من الأولياء، كثير الصمت، دائم الفكر والذكر، مستغرقاً في شهود عظمة المالك.

صفته رحمته الله:

مربع القامة، أبيض اللون، أقى الأنف، أدمج العينين، تشرق من جمال وجهه أنوار، يهتدي السائر بها في الظلام، بشوش الوجه، طلق المحيا، جميل الطلعة، دائم الابتسام، يمشي هوناً، تنزل بساحته الأكابر والأصاغر، متواضعاً يتواضع للكبير والصغير، والرفيع والوضيع، يجالس الفقراء، وينتصر للضعفاء، مكرماً للغرباء، مواسياً للفقراء، محسناً للمساكين والبؤساء، باذلاً قصارى جهده في قضاء مصالح المسلمين، سالباً إرادته لرب العالمين.

ذكر شيخه:

مولاي أبي الهدى السيد محمود الوفاي الحسيني الشاذلي⁽¹⁾، من ذرية سيدنا تاج العارفين بن الوفا المتوفى ببغداد في أوائل القرن الخامس، وضريحه بها يزار، قدس الله سره، كان سيدي محمود الوفاي قدس الله سره، عالماً عاملاً، ومربياً كاملاً، زاهداً عارفاً، جمع بين الهمة والمقال، فاقتدت به الرجال، وورث القطبانية الكبرى.

النسب الروحي لسيدي محمد العقاد

(1) انظر ترجمته في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطعمي ص 218.

سيدي قدور بن محمد المستغانمي*

(1259هـ - 1322هـ/1904م)

هو الإمام العارف الدال على الله بالله، الشيخ الأكبر سيدي قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي ميلاداً ونشأة ومرقداً، كان رحمته الله بحراً زاخراً، وفارساً في بر المعارف مغواراً، وكان ممن أشرقت بدايته، وركب مطية العزم والصدق فأشرقت بالله نهايته.

صحب سيدي عدة بن غلام الله رحمته الله، ووقع له من الفتوح ما يقع لأكابر الرجال على يد هذا الشيخ المبارك، وإلى هذا أشار في قصيدة له بقوله رحمته الله:

فعدت من أحوال البداية ناشئاً وسار بي التوفيق عن إذن عدتي
ثم بعد وفاة شيخه رحمته الله توجه إلى خليفته من بعده صاحب الأحوال الرضية،
والهمة المجموعة العلية، فدين قصر البخاري من ولاية المدية، سيدي محمد
الموسوم رحمته الله فيقول سيدي قدور في قصيدته:

وكنت على حال الشباب في أحوالي إلى أن لقيت ذا المعالي الفخيرة
أعني شيخنا الموسوم شمس نهاره به قد صفا سري وعلم الحقيقة
فوقع له من الفتح والخير ما جمعه على ربه جمعاً ليس بعده فرقة، وكان النتائج
أن أصبح سيدي قدور بن سليمان وارث السر من بعده.

له رحمته الله مؤلفات كثيرة منها شرحه على صلاته المسماة (ياقوتة الصفا في حقائق المصطفى).

ومنها كتاب (جلاء الران وتنوير الجنان فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان).

وله ديوان فريد احتوى على جواهر نادرة فيما تكلم عنه القوم وأشاروا له. نذكر منه بعض الأبيات:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل في حالة جمع الجمع والأحادية
 فلا أسامي ولا رسوم شواهد ولا لطيف المعنى لقهر العظمة
 فحالة قبل القبل إن هب ريحها فلا تبقي من غير ولا من غيرية
 فما تم إلا الطمس والبطون الذي من قبل تجلي فتق رتق الكنزية
 توفي ﷺ يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر الله المحرم في سنة 1322هـ
 الموافق 1904م، ودفن في زاويته ﷺ. اللهم ألحقنا به صالحين آمين.

سيدي محمد بن جعفر الكتاني* (1274هـ - 1345هـ)

هو الإمام العلامة المحدث الفقيه الصوفي العارف بالله أبو عبد الله سيدي
 محمد بن جعفر بن إدريس بن الطائع الحسني الإدريسي الكتاني الفاسي، ولد سنة
 أربع وسبعين ومئتين وألف تقريباً، ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن وبعض المتون
 المتداولة.

وقرأ على والده النحو واللغة والفقه والحديث والأصول والتوحيد وغيرها.
 وسمع عليه الصحيح أزيد من عشرين مرة، ولازمه وانتفع به كثيراً، وهو عمدته
 وإليه ينتسب، وأخذ عن جماعة آخرين كأحمد بناني ومحمد التاودي بن سودة
 وعبد الله بن إدريس البكراوي، ورحل إلى الديار الشرقية فأخذ بمصر عن
 عبد الرحمن الشربيني وسليم البشري وأحمد بن محجوب الرفاعي، وبالحجاز عن
 حسين بن محمد الحبشي وحيب الله الهندي وأحمد بن إسماعيل البرزنجي ومحمد
 أمين رضوان وغيرهم، وبالشام عن بدر الدين البياني وجمال الدين القاسمي
 ويوسف بن إسماعيل النبهاني ومحمد أمين البيطار وغيرهم.

وكان ذلك في رحلات متعددة، فإنه حج سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة
 وألف هجرية، ودخل مصر والشام ثم هاجر بأهله إلى المدينة سنة خمس

وعشرين وثلاث مئة وألف هجرية، وأقام بالمدينة إلى سنة ست وثلاثين وثلاث مئة وألف هجرية، حج فيها أربع حجرات، ودرس بالحرم النبوي كتب السنة والسير وغيرها كالموطأ والصحيح والهمزية والبردة، ثم خرج منها مجبراً مُرغماً بسبب الحرب العالمية الأولى، فسكن دمشق من سنة ست وثلاثين وثلاث مئة وألف هجرية إلى أن رجع إلى المغرب سنة خمس وأربعين وثلاث مئة وألف، وقرأ بالشام الصحيحين وسنن النسائي وشمائل الترمذي وجملة من مسند الإمام أحمد، وكان بالحجاز والشام معظماً محترماً معتقداً مقصوداً بالزيارة والتبرك، وحصلت له شهرة كبيرة وإقبال عظيم في كلا القطرين وغيرهما. وكان يحضر دروسه بالجامع الأموي كل علماء دمشق لا يتخلف أحد منهم إلا الشيخ بدر الدين.

وكان رحمته الله إماماً عالماً عارفاً زاهداً ورعاً ناسكاً خاشعاً متواضعاً محباً للعلم وأهله، ولا سيما علم السنة عظيم العناية به، صارفاً جل أوقاته في خدمته مطالعة وكتابة ومذاكرة وتدریساً وتصنيفاً، عاملاً بالسنة في نفسه وأهله وعياله، مقدماً لها في الكثير على أقوال أهل مذهبه مع إعظامه واحترامه لسائر المذاهب واشتغاله بها وجمعه لكتبها واعتنائه بمطالعتها، بحرّاً في التصوف وأخبار العلماء والأولياء والصلحاء يحفظ من كراماتهم وأحوالهم ما يملأ به المجالس ويعمر به الأوقات الطويلة، شديد التواضع حسن الأخلاق لين الجانب مع الكبير والصغير، معظماً للزائرين له مكرماً إياهم، كثير البر بهم، وربما خدمهم بنفسه، سمح الكف عظيم الجود مطعماً للطعام لا يخلو بيته من الضيوف، حسن الظن، كثير الاعتقاد لا يتهم أحداً في دعوى على أية حالة، كان ولوعاً بزيارة الأولياء دائم الطواف على الأحياء منهم والأموات، يشد الرِّحال البعيدة لزيارتهم، تقياً ورعاً شديد الشكيمة في الدين لا يعرف لهواً ولا مزاحاً ولا تساهلاً في أمر الله، تعتريه حدة وغضب إذا رأى ما يخل بالمرءة والدين، منور الوجه ذا سمت حسن ولين في الكلام، يكثر الأنين والتأوه والتفكير. له أذكار كثيرة يذكرها حضراً وسفراً.

طريقته الأصلية شاذلية درقاوية أخذها عن جماعة، منهم: مولاي

عبد الرحمن بن الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي ومحمد بن علي الحبشي وسيدي علي شقور العلمي وغيرهم، وهي عمدته وطريقة أسلافه، ولكنه كان يتبرك بالجميع فأخذ الطريقة الخلوتية والنقشبندية والناصرية والريسونية والوزانية وغيرها، وأخذ طرقاً أخرى خاصة عن رجال أخذوها عن النبي ﷺ من أهل المشرق والمغرب.

وحدث عنه الشيخ أبو العباس مولاي أحمد الصديق رحمه الله تعالى أنه وقع له مرة وهو بالطريق بين مكة والمدينة راكباً على شقدف والسبحة بيده يذكر الله بها أن انفتحت له الطريق من محله إلى فاس حتى رآها، وكأن شيخاً لطيفاً واقف بإزائي يقول: ها هي الطريق سالمة، ليس بها بأس فارجع إلى فاس. فالتفت فأسأ

إذا عن يميني شخص آخر خيل إلي أنه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أريد منك أن نذهب. فسكت، ثم انجلى ما بي في أسرع وقت، والسبحة لا زالت بيدي والذكر في لساني لم ينقطع.

قال وكنت مرة أذكر الله تعالى بضريح مولاي إدريس الأكبر، فرأيت شيخاً لطيفاً وقف بين يدي فقلت له ما الذي قطع فلاناً عن الله؟ وسميت بعض من كان في الوقت ينسب إلى الصلاح ويحدث عن نفسه بأشياء. فقال: كثرة مزاحه مع الناس. وكان سؤالي بلساني الذي أذكر به من غير قطع للذكر الذي كنت مشتغلاً به. وكل هذا في اليقظة لا في النوم.

وله مؤلفات كثيرة في الحديث والتصوف والتاريخ وغيرها، وهو من كبار شيوخ العارف سيدي محمد بن الصديق ونجله الأكبر مولاي أحمد رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم وعنا معهم.

توفي ﷺ بفاس سنة خمس وأربعين وثلاث مئة وألف، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح. ثم بعد دفنه بعشرين شهراً نقل إلى زاوية بنيت خاصة من أجله بداخل فاس، وذلك سنة سبع وأربعين وثلاث مئة وألف. ولما فتح عليه وجد جسمه كما هو لم يتغير منه شيء، وفاحت منه رائحة المسك.

العارف يوسف النبهاني*

هو الإمام الفاضل والهمام الكامل، العالم العامل، محب النبي عليه الصلاة والسلام، الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل النبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان (إجزم) الواقعة في فلسطين من البلاد المقدسة، وولد بها سنة 1265هـ، وقرأ القرآن على والده الشيخ الصالح، الحافظ، المتقن لكتاب الله الشيخ: إسماعيل النبهاني، ثم ذهب إلى مصر لطلب العلم بالأزهر الشريف سنة 1283هـ إلى سنة 1289هـ حيث درس العلوم الشرعية، على أساتذته من الشيوخ المحققين، وجهازة العلماء الراسخين، يقول هو عنهم: لو انفرد كل واحد منهم في إقليم لكان قائد أهله إلى جنة النعيم، وكفاهم عن كل من عداه في جميع العلوم، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم. (قاله العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في ترجمته للنبهاني التي تصدرت كتاب شواهد الحق).

وقال عنه الكتاني: بوصيري العصر، الأديب الشاعر، المفلق الطائر الصيت، المحب الصادق، نادرة العصر، وقال: وهو ممن خدم السيرة المحمدية، والجناب النبوي أرفع الخدمات، وأوقفت حياته على ذلك، فنشر وكتب ما لم يتيسر لغيره في عصرنا هذا، ولا عشر معشاره.

أخذ طرق الصوفية عن مشايخ الوقت، فالإدرسية عن الشيخ إسماعيل النواب، نزيل مكة، والرفاعية عن الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافي، والخلوتية عن الشيخ حسن رضوان الصعيدي، والشاذلية عن الشمس محمد بن مسعود الفاسي، وعلي نورالدين الیشرطي، والنقشبندية عن غياث الدين الإربلي، وإمداد الله الهندي، والقادرية عن حسن بن حلاوة الغزي وغيرهم.

وجال في بلاد الشرق العربي وبلاد الترك، فدخل الآستانة، والموصل، وحلب، وديار بكر وشهرزور، وبغداد، وسامرا، وبيت المقدس، والحجاز ولما نبه

* حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبطار 3/ 1614 ط دار صادر بيروت.

ذكره وعلا صيته، اختير للقضاء في ولايات الشام حتى صار رئيساً لمحكمة الحقوق العليا في بيروت.

وأول ما ظهر من مؤلفاته كتاب: (الشرف المؤيد لآل سيدنا محمد ﷺ) ثم همزته وبها اشتهر، وتناقل الناس ما له من خبر، لبلاغتها وانسجامها، وطلاوتها، ثم عظم ذكره بما صنف ونظم، وطبع ونشر، خصوصاً في الجنب المحمدي الأعظم. (فهرس الفهارس للكتاني 2/ 1107).

وذكر زكي مجاهد في كتابه (أعلام شرقية): أنه في سنة 1910م زار القاهرة، وقرر الخديوي عباس حلمي الثاني له عشرة جنيهاً، راتباً شهرياً، لمناسبة سعة اطلاعه في العلوم الشرعية.

وأثنى عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار ثناء طويلاً منه قوله:

أقول إن هذا الإمام، الشهم الأديب، الهمام قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر، وسعدت مطالع شمائله بأدابه المعجبة البواهر، فهو الألمي المشهور بقوة الإدراك، واللودعي المستوي مقامه على ذروة الأفلاك، وله ذكاء أحد من السيف، إذا تجرد من قرابه، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه، ونثر يزري بالعقد الثمين والدر المنثور، وشعر يدل على كمال الإدراك، وتمام الشعور، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح، وصاحب الرماح الخطية، والأقلام الفصاح، فلعمري لقد أصبح في الفضل وحيداً، ولم تجد عنه النباهة محيصاً ولا محيداً، وناهيك بمحاسن قلدها، ومناقب أثبتها وخلدها، إذا تليت في المجامع اهتزت لها الأعطاف، وتشنت إليها المسامع. ومن جملة آثارها الدالة على علوه وفخاره: تأليفه الشريفة، التي من جملتها: (أفضل الصلوات على سيد السادات)، و(وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ)، و(الشرف المؤيد لآل محمد ﷺ) وقد اطلعت على هذا الكتاب، فوجدته قد ارتدى بالكمال، وتمنطق بالصواب.

قال الشيخ الشنقيطي: أما عبادة الشيخ فقد شاهدت منها بالمدينة المنورة ما لا يتفق إلا لمن خرق الله له العادة، من أوليائه وأصفيائه، وقد مات رحمه الله في بيروت، في أوائل شهر رمضان المعظم، من سنة 1350 هجرية وهو على عادته

من ملازمة أداء الفرائض مع كثرة النوافل، والصلاة على النبي ﷺ وكان نور العبادة، والاتباع للسنة، ظَاهِرَيْنِ على وجهه المستنير، تقبل الله منا ومنه وحشرنا في زمرة شفيع المذنبين، رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مؤلفاته:

قال الشيخ الشنقيطي: أما مصنفاته فهي كثيرة جداً، وجلها، أوكلها، في الحديث ومتعلقاته، كالسيرة النبوية والمديح، وعلم الأسانيد، وتراجم أعيان علماء الأمة، والصلاة على النبي ﷺ، وتدوين المدائح التي مدحه بها، أو مدحه بها غيره من الأقدمين والمتأخرين من سائر أهل المذاهب الأربعة وأكابر المحدثين: ولنذكر ما وقفت عليه من مصنفاته في الحديث وغيره، فأعظمها وأنفعها كتابه المسمى:

- 1- (الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير)، وهو كتاب جمع فيه بين الجامع الصغير وذيله المسمى زيادة الجامع الصغير، وقد اشتمل على أربعة عشر ألف وأربع مئة وخمسين حديثاً. وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات، وما تم طبعه إلا بعد وفاة المؤلف بنحو سنة. وهو كتاب لا تستغني عنه خزانة محدث، إذ لم يوجد من المطبوعات في الحديث، مرتباً على حروف المعجم اليوم، أكثر منه فيما وقفت عليه، والله أعلم، مع التزام تخريج كل حديث وضبطه بالشكل الكامل.
- 2- (منتخب الصحيحين)، مضبوط بالشكل الكامل، وقد اشتمل على عشر وثلاثة آلاف حديث وقد ذيله بتعليقه الذي سماه: (قرة العين على منتخب الصحيحين).
- 3- (وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ).
- 4- (أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ).
- 5- (البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية).
- 6- (النظم البديع في مولد الشفيع ﷺ).
- 7- (الهمزة الألفية (طيبة الغراء) في مدح سيد الأنبياء ﷺ).

- 8- (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ).
- 9- (الأساليب البديعية في فضل الصحابة وإقناع الشيعة).
- 10- (قصيدة سعادة المعاد في موازنة بانة سعاد).
- 11- (مثال نعله الشريف ﷺ).
- 12- (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ).
- 13- (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ).
- 14- (السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ) (وهي المعشرات).
- 15- (خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام).
- 16- (هادي المريد إلى طريق الأسانيد).
- 17- (الفضائل المحمدية).
- 18- (الورد الشافي)، يشتمل على الأدعية والأذكار النبوية.
- 19- (المزدوجة الغراء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى).
- 20- (المجموعة النبهانية في المدائح النبوية وأسماء رجالها).
- 21- (نجوم المهتدين في معجزاته ﷺ والرد على أعدائه إخوان الشياطين).
- 22- (إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى).
- 23- (جامع الثناء على الله).
- 24- (مفرج الكرب ومفرح القلوب).
- 25- (حزب الاستغاثات بسيد السادات ﷺ).
- 26- (أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل ﷺ).
- 27- (الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسماء).
- 28- (البرهان المسدد في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ).

- 29- (دليل التجار إلى أخلاق الأخيار).
- 30- (الرحمة المهداة في فضل الصلاة).
- 31- (حسن الشريعة في مشروعية صلاة الظهر بعد الجمعة).
- 32- (رسالة التحذير من اتخاذ الصور والتصوير).
- 33- (تنبيه الأفكار لحكمة إقبال الدنيا على الكفار).
- 34- (سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله).
- 35- (رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله).
- 36- (سعادة الأنام في اتباع دين الإسلام).
- 37- (مختصر إرشاد الحيارى).
- 38- (الرأية الصغرى في ذم البدعة (الوهابية) ومدح السنة الغراء).
- 39- (جواهر البحار في فضائل النبي ﷺ).
- 40- (تهذيب النفوس في ترتيب الدروس).
- 41- (إتحاف المسلم بما ذكره صاحب الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم).
- 42- (جامع كرامات الأولياء).
- 43- (ديوان المدائح المسمى العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية).
- 44- (الأربعون من أحاديث سيد المرسلين ﷺ).
- 45- (الدلالات الواضحة)، شرح دلائل الخيرات.
- 46- (المبشرات المنامية).
- 47- (صلوات الثناء على سيد الأنبياء ﷺ).
- 48- (القول الحق في مدح سيد الخلق ﷺ).
- 49- (الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية).

- 50- (رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة).
- 51- (الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى).
- 52- (جامع الصلوات على سيد السادات ﷺ).
- 53- (الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ).
- 54- (الأنوار المحمدية (مختصر المواهب اللدنية).
- 55- (صلوات الأخيار على النبي المختار ﷺ).
- 56- (تفسير قرة العين من البيضاوي والجلالين).
- 57- (الأحاديث الأربعون في وجوب طاعة أمير المؤمنين).
- 58- (الأحاديث الأربعون في فضائل سيد المرسلين ﷺ).
- 59- (الأحاديث الأربعون في أمثال أفصح العالمين ﷺ).
- 60- (أربعون حديثاً في فضائل أهل البيت).
- 61- (أربعون حديثاً في فضل أربعين صحابياً).
- 62- (أربعون حديثاً في أربعين صيغة في الصلاة على النبي ﷺ).
- 63- (أربعون حديثاً في فضل أبي بكر).
- 64- (أربعون حديثاً في فضل أبي بكر وعمر).
- 65- (أربعون حديثاً في فضل عثمان).
- 66- (أربعون حديثاً في فضل علي).
- 67- (أربعون حديثاً في فضل عمر).
- 68- (أربعون حديثاً في فضل لا إله إلا الله).
- 69- (الأحاديث الأربعون في فضل الجهاد والمجاهدين).
- 70- (أسباب التأليف من العاجز الضعيف).

- 71- (القصيدة الرائية الكبرى).
- 72- (السهام الصائبة لأصحاب الدعاوي الكاذبة).
- 73- (الصلوات الأربعون للأولياء الأربعين).
- 74- (الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهاية).
- 75- (غزوات الرسول ﷺ).
- 76- (خلاصة البيان في بعض مآثر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني وأجداده آل عثمان).

فإن سيرته من أطيب السير، وأخلاقه محمدية، أدباً، وتواضعاً، وحباً، وصبراً على الأذى، وغضباً لله، وثباتاً على الحق... وحسبك لبيان فضله ما قاله أفضل الخلق ﷺ: "المرء مع من أحب". وهو -أي النبهاي- من فاضت أعماله الكثيرة، شعراً ونثراً، بالحب الصادق لله ولرسوله، ولآل بيت رسوله، وللصالحين من أمة سيدنا محمد ﷺ في كل زمان ومكان. أما أعماله فهي كنوز لا تقدر بثمن أبداً، ما غفلت الأمة عنها -في أيامنا هذه- إلا من غفلتها عن أمر دينها.

الشيخ أحمد بن عليوه*

(1291- 1353هـ الموافق 1874م-1934م)

هو الشيخ العارف بالله صاحب الفتح الرباني والسر الصمداني سيدي الحاج أحمد بن مصطفى بن عليوة رضى الله عنه، نسبة إلى عائلة عريقة في المجد في مدينة مستغانم.

ولد في سنة 1291هـ الموافق لـ 1874م.

أخذ عن الولي الكبير والشيخ الشهير سيدي حمو البوزيدي صاحب المزاراة المشهورة في مستغانم قدس الله سره.

* الزاوية البلقائدية الهبرية - سيدي معروف - وهران الجزائر.

أُذن له في الإرشاد وفي تعمير الزاوية، فتصدر رحمه الله تعالى لذلك بعد وفاة شيخه، وأسس زاويته العظيمة بمستغانم وزوايا عديدة في القطر الجزائري ودخل الناس في طريقه وطار صيته في الآفاق.

أنشأ جريدة أسبوعية (لسان الدين) ثم (البلاغ الجزائري) وألف كتباً عديدة في الفقه والتصوف منها: (المنح القدسية) و(مبادئ التأيد) و(الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية) و(لباب العلم في تفسير سورة النجم).

توفي رحمه الله في عام 1353 الهجري الموافق لـ 1934م.

الإمام أحمد الشريف السنوسي* (1290هـ - 1351هـ الموافق 1873م-1933م)

هو صفى الدين أبو الفضائل أحمد بن محمد الشريف بن الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة بن محمد شائب الذراع بن محمد بن الشيخ يوسف بن الشيخ سيدي عبد الله بن خطاب بن علي بن أبي العسل بن يحيى بن راشد بن مرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأنور صاحب فاس الشريف الحسني الخطابي الشهير بالسنوسي الجغبوبي، نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، العالم الجليل الصالح المحدث الصوفي السني الشهير.

مولده ونشأته:

ولد في جغبوب سنة 1290هـ الموافق 1873م وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1351هـ الموافق 1933م.

* معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي ص105.

ويكفي أن جده هو الإمام المحدث الحافظ الصوفي الراوية المسند المجتهد أبو عبد الله محمد بن علي بن السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية الشهيرة وصاحب زاوية جغبوب العظيمة ومئات الزوايا المشتهرة في داخل مجاهل إفريقيا التي بلغ مريدوها عدة ملايين، وقد كانت طريقة علم وعمل وعمران وفتح ونشر إسلام قائمة بنشر الدين الصحيح والتصوف الخالي من البدع والترهات والعقائد الفاسدة والاعتماد على فضائل الصلوات والأوراد والاشتغال بالحقائق والإشارات، بل المبني على الرجوع بالإسلام إلى حالته الفطرية كما تركه النبي ﷺ وخلفه عليه أصحابه وهداة أمته. وأصل الشيخ محمد بن علي المذكور من قبيلة مجاهر القاطنة قرب مستغانم إحدى ولايات الجزائر، وهناك ولد سنة 1202هـ ثم انتقل إلى فاس لطلب العلم، ثم رحل إلى مكة حاجاً، فلقي هناك الشيخ العارف المحدث أبا العباس أحمد بن إدريس المغربي الميسوري المتوفى عن تسعين سنة عام 1253هـ بصبيبا من اليمن فأخذ عنه وفي زاويته بجبل أبي قبيس فحصل له نفوذ عظيم في الحجاز وما قاربه، فكان ذلك سبباً لخوف الدولة العثمانية على الخلافة الإسلامية منه فلم ير طريقاً للتخلص من القال والقال والتباعد عن الوشاة والمفسدين أحسن من ترك الحجاز. وانتقل إلى القطر الطرابلسي لكونه رآه أكثر استعداداً من غيره لقبول دعوته ونشر طريقته، فوفق إلى نشرها في أكثر بقاع طرابلس وبرقة ومجاهل إفريقيا، وأشهر زواياه زاوية جغبوب العظيمة التي صارت من أعظم مدن العالم وبها توفي قدس الله روحه في تاسع صفر سنة 1276هـ وكان استخلف ولده السيد محمد المهدي فأكمل عمل والده من بث الدعوة وتأسيس الزوايا. وربط الأهالي بها.

حاله:

هذا السيد هو من أعظم رجال الإسلام وأنبل مشائخه الأعلام عالم محدث جليل وصوفي سني شهير. تجمعت فيه أوصاف حميدة ومزايا عديدة؛ فهو ذو جلالة قدر وسراوة حال، ورجاحة عقل، وسماحة خلق وكرم معدن وسرعة فهم وسداد رأي وقوة حافظه وسرعة خاطر، وقلم سيال لا يمل الكتابة، ووقار لا تغض من جانبه الوداعة وورع من غير رياء ولا سمعة ونزاهة وتجرد عن المآرب الشخصية

وعزوف عن الدنيا وانصراف همه كله إلى الذب عن الإسلام مرضاة لله ورسوله وصبر قل أن يوجد في غيره وعزم شديد تلوح سيماه على وجهه، فبينما هو في تقواه من الأبدال إذا هو في شجاعته من الأبطال، كثير العبادة لا ينام من الليل إلا نحو ثلاث ساعات، ويقضي بقية الليل في التلاوة والتهجد تبسط بين يديه السفر الفاخرة اللائقة بالملوك، فأكل الضيوف والحاشية. أما هو فيجتزئ منها بطعام واحد ولا يصيب منه إلا قليلاً، يكثر في مجلسه الطيب وينبسط إلى الحديث، وأكثر أحاديثه في سيرة السلف الصالح، وأحوالهم وما كان عليه آباؤه من الاتباع للسنة والحض على الاقتداء بهم وبيان أن طريقتهم طريقة عملية تعمل بالكتاب والسنة ولا تكتفي بالأذكار والأوراد دون القيام بعزائم الإسلام كما كان عليه الصدر الأول، وإذا تكلم في العلم قال قولاً سديداً، سواء في علم الشرائع، أو التصوف، وبالجملة، فهو مفخرة من مفاخر ذلك الجيل أبقى المولى ذكرهم.

رحلته:

لما توفي عمه السيد محمد المهدي سنة 1320 هـ تولى المشيخة ورئاسة الزوايا على حداثة سنه لما تجمع فيه من الخصال الحميدة، فقام بتتيم أعمال آباءه من نشر الإسلام الصحيح في مجاهل إفريقيا والسودان، وبث طريقتهم التي كانت أينما حلت حل معها العلم والقرآن والعبادة الصحيحة واستتباب الأمن والسكينة حتى تجاوز عدد الزوايا في عصره الثلاث مئة وهي في آن واحد زوايا ومدارس ومراكز تجارية وصناعية وفلاحية.

ولما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب سنة 1328 هـ وتوغلت في برقة تفاوضت مع ابن عمه السيد إدريس بن السيد المهدي وأقنعتة بالاتفاق معها على أن يكون هو أميراً على داخل برقة، ويسلم الحكم لإيطاليا في السواحل، وكان ذلك على غير رضا من الشيخ أحمد السنوسي بل كان ذلك ضده، لكون ابن عمه المذكور كان يبطن الحسد له على ما أتاه الله من الجاه العريض وتقدمه للرئاسة دونه حيث إن السيد المهدي وهو والده سلمه ظناً منه أن ذلك بالوراثة لا بالاستحقاق، ولما علم الشيخ أحمد السنوسي بتمام الاتفاق بينهما، ورأى أن ذلك يكون سبباً في إراقة

الدماء بينه وبين ابن عمه لم يشأ أن يجاذبه الحبل، بل صبر على المر. وانتقل من جغبوب إلى الكفرة، ثم أرسل إلى صديقه أنور باشا، وكان إذ ذاك وزيراً للحربية بالدولة العثمانية طالباً منه إرسال غواصة لنقله إلى الآستانة، ولما وصل إلى الآستانة العلية استقبلته الحكومة والأهالي استقبلاً فائقاً وأعظم السلطان وحيد الدين قدومه، وصادف بداية جلوسه على عرش آل عثمان، وكانت العادة أن الذي يقلد السلطان السيف عند جلوسه في الحفلة المعتادة لذلك في جامع أبي أيوب الأنصاري هو الشلبي شيخ الطريقة المولوية من سلالة مولانا جلال الدين الرومي، قدس سره. فاختار جلالة السلطان محمد وحيد الشيخ أحمد السنوسي لتقليده سيف السلطان في ذلك المحفل المشهود تيمناً به واعترافاً بما له من المنزلة العلية.

ثم انتقل إلى الحرمين الشريفين متردداً بين مكة والمدينة مستظلاً بظلهما، فأين ما حل وأين ما ارتحل، تهرع الناس إليه على اختلاف الطبقات بدون تكلف ولا تصنع ولا انتظار أوامر حكومة بل بشعور عام أوجده ما هو عليه من النزاهة والتجرد عن المآرب الشخصية وعزوفه عن حظوظ الدنيا.

مشيخته:

أخذ عن والده السيد محمد الشريف وعمه السيد محمد المهدي، وخلف عمه يوم 12 ربيع الأول سنة 1320هـ.

وأخذ عن أبي موسى عمران بن بركة اليزليتي وأحمد بن عبد القادر اليزليتي اليريفي وهو عمده الأخير منهم في كل شيء. وقد صرح هو بذاته في كتابه الفيوضات أنه سمع عليه مسلسلات جده المذكورة في فهارسه، ولقنه الذكر وناوله السبحة وألبسه الخرقة وأجازه إجازة عامة، كما لقنه وناوله وصافحه وألبسه عمه الشيخ السيد المهدي، وكلهم يروون عن جده الإمام الحافظ محمد بن علي السنوسي، وله - قدس الله روحه - رواية واسعة عالية؛ فيروي عن شيخه الإمام أبي العباس أحمد بن إدريس المتقدم، وأبي المواهب محمد بن علي بن أبي طالب بن أحمد بن محمد المعروف بابن الشارف المازوني، ومحمد بن عبد الله المستغانمي، وعبد القادر بن عمور المستغانمي، وأحمد الطبولي الطرابلسي،

وأبي الفيض حمدون ابن الحاج، والبدر محمد بن عامر المعداني، ومحمد بن أبي بكر اليازغي الفاسي، وأبي بكر بن زيان الإدريسي الجوطي، وأبي زيد عبد الرحمن بن الحافظ أبي العلاء العراقي، ومحمد بن محمد بن عبد السلام بناني، وأحمد بن المكي السدراتي شارح الموطأ، والحافظ محمد بن عبد السلام الناصري وولده محمد المدني، وعبد الحفيظ العجيمي المكي، وعمر بن عبد الرسول العطار المكي، والمعمر ثعلب الضرير، ومحمد الأمير الصغير وحسن القويسي وحسن العطار والشمس الفضالي والبدر الملي والنور النجاري وفتح الله السميدسي وأحمد الصاوي وغيرهم.

ولنشر إلى أسانيد بعض مشائخه فنقول: أما أبو العباس أحمد بن إدريس فعن الشيخ التاودي ابن سودة وأبي محمد عبد الوهاب التازي الفاسي وهو أخذ عن الشيخ الأشهر أبي فارس عبد العزيز الدباغ وأبي العباس أحمد الصقلي ومحمد بن أبي زيان القندوسي وأبي عبد الله محمد العياشي والشيخ الحفني والشيخ كشك القاسمي والشيخ محمود الكردي والبرناوي والسمان وغيرهم.

وأما روايته عن العجيمي فإنها بالإجازة العامة لأهل العصر، وقد درج على الرواية بها الإمام السنوسي المذكور في فهارسه كما تقدم، وأما أبو المواهب المازوني فعن الملا إبراهيم الكوراني وأبي الأسرار العجيمي، وعن والده علي وهو عن الشيخ مصطفى الرماصي، المعسكري عن الخرخشي والزرقاني، ويروي أبو المواهب المذكور عن جده أبي طالب بن أحمد عن أبي مهدي عيسى الثعالبي والبرهان إبراهيم اللقاني بإجازتهما العامة، وأما محمد بن عبد الله المستغانمي وأحمد الطبولي فعن المازوني المتقدم، زاد الطبولي عن محمد بن سالم الحفني وأبي الحسن الصعيدي والشيخ مرتضى والدردير والدسوقي والأمير الكبير وأبي حفص الحساني الطرابلسي المعروف بالسوداني ومحمد الكانمي الفزاني، ومحمد بن الصادق بن ريسون التطواني وغيرهم.

وأما محمد بن عامر المعداني فيروي عامة عن أبي حفص الفاسي والشيخ التاودي بن سودة وأبي عبد الله محمد بن الحسن بناني، ومحمد بن أبي القاسم السجلماسي التادلي وعبد القادر بن أبي بكر الصديقي مفتي مكة، ووقع في ثبت

الشيخ فالح غير ما مرة أن ابن عامر المذكور يروي عن محمد بن عبد السلام بناني، ولعله سهو لأن المعروف أنه إنما يروي عنه بواسطة ابن الحسن بناني والشيخ التاوذي، وإن صح ما ذكر فهو في غاية العلو، وأما محمد بن محمد بناني، فعن والده محمد بن عبد السلام، فهو عال أيضاً، وأما الحافظ محمد بن عبد السلام الناصري فله رواية واسعة عن كثير من علماء المغرب والمشرق، فمن أهل المغرب أحمد بن الحسن بن علي الجزولي سبط الإمام ابن ناصر ومحمد بن قاسم جسوس والشيخ التاوذي بن سودة وابن الحسن بناني وأبو العباس الشريبي ومحمد بن أبي القاسم السجلماسي والحافظ أبو العلاء إدريس العراقي، وهو عمدته في الحديث.

وقد وقف عبد الحفيظ الفاسي على نسخة منها وجاء فيها: فمنهم الشيخ مرتضى سمع منه كثيراً وأجازه إجازة منظومة، ومنهم: أحمد بن عبيد العطار الشامي ومحمد بن محمد بن عبد الله السجلماسي بالمدينة ومحمد بن أحمد الجوهري وسلمان العجيلي الشهير بالجمال وأحمد الدردير ومحمد بن أحمد البخاري النابلسي الأثري، وسمع منه الأوليّة، ومحمد الأمير الكبير ومحمد بن أحمد البجيرمي والمعمّر إبراهيم بن محمد المصيلحي ومحمد بن عبد ربه العزيزي وسمع منه الأوليّة، وهو سمعها من تاج الدين القلعي وحسن الجداوي وسمع منه الأوليّة، ومحمد بن موسى العروسي كذلك؛ وهو من عبد الله بن سالم، وأحمد بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي وسليمان بن عمر البجيرمي وعبد الرحمن بن جاب الله البناني التونسي وسمع منه، وهو من محمد بن الطيب الشرقي ومحمد بن علي الصبان وسمع منه الأوليّة، وهو من الحفني عن البصري وعبد القادر الأندلسي الأصل التونسي وأبي الحسن الإفريقي التونسي وإبراهيم النمروسي المقرّي، وقد ذكر مشايخ كل واحد في الرحلة المذكورة، وتوسع في رواية الإمام مرتضى بما يعلم بالوقوف عليه في الرحلة المذكورة وكذلك مشايخ محمد ابن أحمد الجوهري هذا وبقية أسانيد الشيخ السنوسي الكبير قدس سره مذكور في فهارسه التي منها المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، ومنها السلسيل المعين في أسانيد الطرق الأربعين، ومنها سوانح الأيد بمرويات أبي زيد، ومنها الفهرس الكبير المسمى بالشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشاركة، ومنها الفهرس

الصغير المسمى بالبدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة، ومنها الكواكب الدرية في أوائل الكتب الأثرية، إلى غير ذلك مما له في هذا الباب.

مؤلفاته:

له مؤلفات، منها: فيوضات نفحات المواهب الرحمانية في الطريقة السنوسية، وهو في مجلد تكلم فيه على الطريقة السنوسية وتراجم رجالها وبيان أسانيد وشيوخه، اشتمل على مقدمة ومقصد وخاتمة، والمقصد فيه سبعة عشر باباً. ومنها: الأنوار القدسية في مقدمة الطريقة السنوسية، تكلم فيه على أركان الطريقة وتعاليمها وتراجم رجالها.

الشيخ البودالي بن عبد القادر الجباري*

هو الشيخ البودالي بن عبد القادر بن سليمان بن عبد الرحمن بن قدور بوجنان بن أحمد بن عبد الجبار الإدريسي الحسني، وأخذ الطريقة عن شيخه سيدي الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الهبري في زاوية تاغيت، ومكث في زاوية شيخه أياماً، ولما تم قصده أمره شيخه بالتربية والإرشاد وبناء زاوية، كما أمره شيخه بالسياحة بين سيدي بلعباس وشرق القطر الجزائري، وأسس زاويته بتخمارت (فرطاسة) بجبل أولاد إبراهيم عين معمر ونشر الطريقة الصبرية المباركة.

ولما توفي شيخه سيدي الحاج محمد الهبري وخلفه ابنه سيدي محمد الهبري، تابع الشيخ البودالي على مراسلة الابن ومساندته. وكانت وفاته يوم الجمعة 22 جمادى الأول 1334هـ الموافق لـ 1916م، ودفن في زاويته بفرطاسة جبل أولاد إبراهيم، وهو يبلغ قرابة الثمانين سنة، وقد هدمت قبة ضريحه أيام الثورة التحريرية ثم رممها وجدد بناءها ولده الشيخ المربي سيدي الحاج بن إبراهيم البودالي.

قال الشيخ البودالي رحمه الله:

* انظر اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية لأحمد الهبري.

عليك بذكر الله واترك كل ما سواه
 جف القلب يبرا داه من كل المساويا
 فطهره بالأذكار واتبع سنة المختار
 مداومة التكرار تدرك المعاليها
 افن عن المحسوسات بغيبتك في الذات
 تشهد المغيبات جهرة لا خفيا
 يظهر لك سر الصفات قائم بالمكونات
 إياك تشرك في الذات واحذر من البلايا
 منزّه عن الحلول عن دائرة العقول
 وزد ما فوق المنقول طريق البرهانها
 إذا أردت يا مريد تدخل حضرة التفريد
 الزم مقام التجريد سراً وعلانيا
 إن كنت من أهل الأسباب فدم على قرع الباب
 تدخل حضرة الأقطاب هم السادة الصوفيا

الشيخ الحاج ابن إبراهيم البودالي (1302هـ-1385هـ الموافق 1885م-1965م)

ولد الشيخ الحاج ابن إبراهيم البودالي بن عبد القادر الجباري الملقب ببوذريع
 بتخمارت سنة 1302هـ الموافق لـ 1885م وقد تتلمذ على يد شيخه سيدي محمد بن
 الحاج محمد الهبري العزاوي بزاوية ضريوة. فأمره بالتربية والإرشاد فكان يسير
 على نهج شيخه.

فبنى مسجداً لإقامة الصلوات يجتمع فيها الفقراء . كما تخرج من عنده كثير من حفظة القرآن، وكان على غاية من الكمال ذا همة رفيعة وأخلاق محمدية، ولما توفي شيخه سيدي محمد بن الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري بقي على ولائه لولده الشيخ سيدي أحمد . وأثناء الثورة التحريرية المظفرة انتقل إلى وهران وبني محلاً للفقراء، ثم عاد إلى زاويته بتخمارت بعد انتهاء الثورة سنة 1382هـ الموافق لـ 1962م .

وقد دام مرضه ما يزيد عن خمسين سنة وترك من ورائه ثلاثة أولاد برة وهم : الشيخ سيدي الحاج محمد، وسيدي الحاج أحمد نور الهدى، وسيدي علي حيدرة، وخلفه في مشيخته سيدي الحاج محمد أكبرهم سناً .

صفحة بيضاء

رقم 414

القرن الخامس عشر

الشيخ محمد متولي الشعراوي*

(1329هـ - 1419هـ الموافق 1911م - 1998م)

هو الإمام الحجة والعالم الجليل الشيخ محمد متولي الشعراوي. ولد ﷺ في 16 نيسان/أبريل عام 1911م لأب صالح سليم البال، وهو حفيد لجده في طريق الله مجال، ولعتره من المشايخ المحفوظين، والأولياء المربين.

أتم الله سبحانه عليه بفضلله وبسببهم حفظ القرآن الكريم، فغرسوه نبتة صالحة في صحن الأزهر الشريف، فصار شيخاً معلماً فقيهاً مخلصاً، يث العلم بالمعاهد الأزهرية بطنطا ثم الإسكندرية ثم الزقازيق.

وعندما أراد الله لهذا العالم العالمية وفقه سبحانه للعمل مدرساً للتفسير والحديث الشريف بكلية الشريعة بمكة المكرمة عام 1951م حيث أتاح ذلك لجموع المسلمين من كل فج عميق الالتقاء به في حجهم لبيت الله الحرام، على منبر الحنفية بالحرم المكي الشريف، يستفتونه فيفتيهم، وينهلون من بحر علم قريب العهد من ربه سبحانه ما يقرب من عشر سنوات، ثم أراد له المولى جلت قدرته العودة إلى المدينة الأحمدية طنطا ليكون وكيلاً لمعهد الأزهر، وبعدها مديراً للدعوة بوزارة الأوقاف، ثم مفتشاً بالأزهر، فمديراً لمكتب شيخ الأزهر الإمام حسن مأمون عام 1964م.

لقد عشق الشعراوي لغته العربية (تخصص تخرجه) ومكنه الله من لغة القرآن

* نيل الخيرات الملموسة بزيارة آل البيت الصالحين بمصر المحروسة لسعيد أبو الأسعاد.

الكريم نطقاً وفهماً وعلماً وفتحاً، فاختره الأزهر رئيساً لبعثة التعريب في الجزائر عام 1966م، وهناك التقى مع رموز الثقافة الفرنسية والفكرية من المستشرقين، إلا أن لقاءه الروحي بالشيخ العارف بالله (محي الطريق سيدي الشيخ محمد بلقايد) في خلوته بـ(تلمسان) فتح له فتحاً ربانياً جديداً، وأسبغ الله عليه نعم أنسه، وشرفه بنزل قدسه، وقدر له الخلوة فعاش في معية الله سبحانه وتعالى، مع قوم بمشاهدة جمال الله وجلاله ينعمون، وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون، فأنشد قائلاً:

طوفت في شرق البلاد وغربها وبحثت جهدي عن إمام رائد
أشفي به ظمأً لغيب حقيقة وأهيم منه في جلال مشاهد
فهداني الوهاب جل جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي
واليوم آخذ نورها عن شيخنا محي الطريق محمد بلقائد
ذقنا مواجيد الحقيقة عنده وبه عرجنا في صفاء مصاعد
ثم رجع بعلم الشريعة والحقيقة إلى مكة المكرمة أستاذاً زائراً بكلية الشريعة
رئيساً لقسم الدراسات العالية بجامعة الملك عبد العزيز.

ثم أراد الله له القبول والظهور، فاستضافه الأستاذ أحمد فراج في برنامجه التلفزيوني (نور على نور) فتحقق له القبول بين المشاهدين، فمن سمعه أحبه، ومن رآه أجله، فالله الذي ألهمه الحكمة وفصل الخطاب، جعله إماماً لذوى الألباب، فزين بعلمه الزمان وأنطق بشكره اللسان. وفي عام 1976م تم اختياره وزيراً للأوقاف بـ(مصر) إلا أن الشيخ أثر الدعوة، ليطوف العالم شرقاً وغرباً، داعياً إلى الله على هدًى وبصيرة، إلى أن انتقل إلى جوار ربه الكريم، فجر الأربعاء 17 حزيران/يونيو سنة 1998م. وصدق الإمام الشافعي رحمته الله حين قال:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

رسالته لشيخه سيدي محمد بلقائد قبل وفاته:

بسم الله والله الحمد

أما بعد، فإنني أحيي شيخنا العارف بالله سيدي محمد بلقائد، وأقول له: إذا صفا الود حمل الفراق البعد، والذي يشاق إلى رؤية أحد هو من غاب عن فكره وأنت والحمد لله لا تغيب عن فكري، وأشهد الله أنك معي في كل لحظة لأن الذي تحابينا فيه هو الله، ومادنا تحابينا فيه فنحن في معيته، ومعيته لا تعرف الأزمان المتعددة ولا الأمكنة المتشعبة. وأسأل الله أن يجمعني بك جمعاً فوق جمع الأشباح حتى تتفانى الأرواح وتصبح مؤهلة إلى ربها خالق الأرواح، نفع الله بك يا شيخي، وزاد جاهك، وزاد مددك حتى يستوعب من الناس ما يتسع له أمرك عند الله، وحتى تصبح مدعواً لإمامة من أحب الله فيك، وتبع الله بخضوعه إلى سلوكك الحسن بالأسوة الحسنة، يوم ندعو كل أناس بإمامهم، وسنكون إن شاء الله من المدعوين لك، يا إمام الطريق في هذا العصر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال سيدي محمد متولي الشعراوي رحمته الله:

نور القلوب وري روح الوارد هبرية تدني الوصول لعباد
تزهو بسلسلة لها ذهبية من شاهد للمصطفى عن شاهد
طوفت في شرق البلاد وغربها وبحث جهدي عن إمام رائد
أشفي به ظمأً لغيب حقيقة وأهيم منه في جلال مشاهد
فهداني الوهاب جل جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي
واليوم آخذ نورها عن شيخنا محيي الطريق محمد بلقائد

ذقنا مواجيد الحقيقة عنده وبه عرجنا في صفاء مصاعد
 عن شيخه الهبري در كنوزه فاغنم لآله وجد وجاهد
 دندن بما لقنته من ورده بصفاء نفس متيم متواجد
 إياك من لفت الفؤاد لغيره واجعل سبيلك واحداً للواحد
 شاهد رسول الله فيه فإنه إرث توورث ماجداً عن ماجد
 فإذا وصلت به لنور المصطفى فالمصطفى لله أهدي قائد
 وهناك تكشف كل سر غامض وتشاهد الملكوت مشهد راشد
 وإذا البصائر أينعت ثمراتها نالت بها الأبصار كل شوارد
 لا تلق بالاً للعذول فإنه لا رأى قط لفاقد في واجد
 لو ذاق كان أحر منك صباية لكنه الحرمان لج بجاحد
 سر في طريقك يا مريد ولا تعر أذنأ لصيحة منكر ومعاند
 لا يستوي عند العقول مجاهد في الله قوام الدجى بالراقد
 الله قل بجوى الهيام وذرهمو يتخبطون بكل زور فاسد
 ثابر أخي على تجارة رابح واترك لحزبهمو تجارة كاسد
 والله قصدك والرسول وسيلة وخطاك خلف محمد بلقائد
 يا رب خذ بيد الهباري كلهم وأعذهمو من كل شر الحاسد
 وأنل شيوخهم مقامات الرضا واختص آلهمو بهدي سائد
 واجعل صلاتك والسلام مباركاً قربي محمدك الحبيب الخالد

الشيخ سيدي محمد بن الكبير*

هو العلامة شيخنا سيدي الحاج محمد بن سيدي محمد عبد الله بالكبير ولد ببلدة الغمارة؛ قرية من قرى بودة الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة أدرار على بعد 25 كلم، في خلال عام 1330 هجرية نحو 1911 ميلادية.

نسبه الشريف:

ولد رحمه الله من أسرة شريفة القدر مشهورة بالكرم والعلم تنحدر من سلالة ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

نشأته:

نشأ في أحضان العائلة العلمية حيث كان أبوه رحمه الله من حملة كتاب الله المشهود لهم بالخير والبركة، وعمه إماماً ومعلماً بمسجد القرية، وخاله سيدي محمد بن المهدي كان فقيهاً وصوفياً من أعيان عصره بقصر (بني لو) ببودة أيضاً، مما مكن شيخنا من حفظ القرآن الكريم والمبادئ الأولية من متن الفقه والنحو والتوحيد في سن مبكر على يد عمه الإمام والطالب محمد التمنيطي المعلم بنفس المسجد. وقد كان لهؤلاء الفضلاء الأثر الكبير في نشأته المتميزة وتربيته الكريمة وإعدادة للصبر والمثابرة في طلب العلم، مما هياه لتحمل الغربة ومفارقة الأهل في سبيل التعلم، فما أن ناهز البلوغ حتى انتقل به والده، رحمه الله تعالى، إلى بلدة تمنيط التي كانت عاصمة العلم آنذاك بإقليم توات، حيث تلقى فيها ما قدر له من العلوم الشرعية والعربية من توحيد وفقه وحديث وتصوف وتفسير وآداب ونحو ولغة وصرف على يد العلامة سيدي أحمد بن ديدي عالم وقته ومصباح زمانه رحمه الله، حيث مكث عنده ثلاث سنوات كانت بأيامها ولياليها ميداناً فسيحاً للعمل المتواصل تقدر حصيلتها بثلاثين سنة، لأن مواهب الإله لا توزن بمقاييس

* من كتاب الضوء المستنير لمولاي التهامي غيتاوي.

ولا تقدر بأزمان، حيث انتهى شيخنا في هذه المدة الوجيزة من دراسة الفقه المالكي بالأهيات، والتوحيد بالأدلة والبراهين، والنحو والصرف واللغة مع السرد وشرح صحيح البخاري.

وفي أثناء هذه المرحلة كانت له اتصالات متعددة بعلماء وقضاة المنطقة مثل سيدي عبد الكريم الفقيه البلبالي (ببني تامر) والشيخ بوعلام (بملوكة) والشيخ القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم البكري بن عم الشيخ سيدي أحمد وغيرهم من علماء الإقليم للمذاكرة معهم والاستفادة منهم والبحث في المشكلات العلمية التي قد لا يتمكن من مراجعة الشيخ فيها، مما وسع معارفه وجعله على دراية واسعة بالنوازل والفتاوي التي وقعت في الإقليم إلى أن صار متمكناً راسخاً طوداً شامخاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة، الحائز في كل مقام أعلى مقام كهف الأنام وملجأ الخاص والعام، حذو مقدمة الأئمة الأفاضل ومحبي سنة المصطفى ﷺ التي يجب العض عليها بالنواجذ آية الرحمن ونادرة الزمان.

جولته للتعليم والتعلم:

بعد هذه المدة استأذن شيخه في الذهاب إلى شيخ الطريقة الكرزازية لأخذ الأوراد عنه، وكان إذ ذاك بتلمسان الشيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرحمن، رحمه الله، وهو شيخ فقيه وصوفي يجمع بين الشريعة والحقيقة، فمكث معه ما شاء الله، وأخذ عنه أوراد الطريقة وراجع معه بعض شراح المختصر وغيره.

وكان له اتصال بعلماء تلمسان. كما كانت له رحلة إلى المغرب الأقصى، حيث زار جامع القرويين بفاس واتصل بعلمائه واستفاد منهم، وبعد أن أخذ أوراد الطريق واشتهر أمره بالمنطقة، طلب منه أن يشتغل بالتعليم القرآني والإرشاد بناحية العريشة ثم بالمشربة. ومكث هناك مدة يحفظ القرآن ويدرس لتلامذته متون الفقه والتوحيد والنحو، وتخرج على يديه هناك طلبة أئمة ومرشدين ومعلمين، لحد الآن يوجد العديد منهم في تلك الناحية. وفي أول الأربعينيات عاد إلى مسقط رأسه بطلب من والده، رحمه الله، بعد أن كبر سنه وأحس بالضعف، بأن يستقر ببودة وبعد ظهور أمره طلب منه جماعة من أعيان تميمون أن ينتقل إليهم ليشغل بالتعليم

والتدريس هناك بالمدرسة التي كان أعدها بعض المحسنين احتساباً لله، ففتح هذه المدرسة بعد الحصول على الإذن من الشيخ سيدي أحمد، واشتغل فيها عدة سنوات وتوافد عليها الطلبة من هنا وهناك، وبفضل السعي الجاد والإخلاص والتفاني تخرج في هذه المدة الوجيزة عدد لا بأس به من هذه المدرسة، حيث حفظوا القرآن الكريم وتزودوا بعلوم شرعية أهلتهم لمناصب دينية عدة.

ثم لأسباب معروفة قد تكون لها علاقة بالاستعمار قرر الشيخ الانتقال من تيميمون والعودة إلى الوطن الأم بودة، حيث شرع إثر وصوله بالتعليم والتدريس بمنزله، وقد تبعه من ساعدهم الحظ من تلامذة مدرسة تيميمون مثل الشيخ الحاج سالم بن إبراهيم الذي فاز بالصحبة.

ثم لم يلبث أن شعر برجوعه بعض المحسنين من أعيان مدينة أدرار، ففكروا في إنشاء مدرسة عوضاً عن مدرسة تيميمون، ودعوا الشيخ إليها ليوالي مسيرته، وقد تم هذا بعد استشارة الشيخ سيدي أحمد مرة أخرى، وانتقل بالفعل ليتولى الخطابة والإمامة والتدريس بالجامع الكبير بأدرار، وتم إنشاء المدرسة بجوار المسجد وذلك سنة 1950م، وما أن تم بناء مسكن لعائلة الشيخ حتى نقلهم من بودة لأدرار ليتولوا بأنفسهم خدمة العلم بتهيئة النظام الداخلي للطلبة بكل لوازمه.

ولقد اشتد غضب المستعمرين على رجال الدين وعلماء الإسلام في هذه المدة، وبالأخص الذين أسسوا مراكز للتعليم الديني والعربي، حيث شعروا أنها مراكز مغذية للثورة، وأنها الأدمغة المفكرة بالنسبة إلى المجاهدين، ولهذا أغلقوا الكثير من هذه المدارس وزجوا بالعديد من علمائها في السجون وطردها البعض للمنفى خارج بلادهم، وقد حاولوا مراراً التدخل في المدرسة والتعرف على ما تقوم به من نشاط وصلتها بالثورة التحريرية.

ولكن عناية الله كانت تحول دون وصولهم لهدفهم الإجرامي وبواسطة بعض المخلصين من المواطنين الذين كانوا محل ثقتهم وعلى صلة وطيدة بهم في الظاهر، صرفهم الله عنها حيث طمأنوهم على أنها لا تدرس إلا القرآن المجرد، ولا دخل لها في السياسة ولا علاقة لها بأي جهة، وأنه لا خطورة عليهم منها، وهكذا صرف الله مكرهم ورد كيدهم في نحورهم، مع ما كان للمدرسة من نشر الوعي الديني والنضال

الوطني والتنديد الصريح بموالة الكفار وما يجب على المسلمين من القيام بواجب الجهاد لتطهير بلاد الإسلام من الكفرة وأذئابهم وعملائهم . وكان للشيخ - رحمه الله - اتصال مباشر سري ببعض قادة جيش التحرير ومناضليهم للتشاور والتعاون المادي والمعنوي في الأمور المهمة المتعلقة بالجهاد وتحرير البلاد، حتى أذن الله بالنصر وسطعت شمس الحرية، فازداد نشاط الشيخ في التعليم واتسعت المدرسة وانتشر صيتها حتى توافد عليها الطلبة من كل ولايات الوطن، وحتى من خارج الوطن كالدول المجاورة مثل ليبيا وتونس ومالي والنيجر وموريتانيا . وقد تجاوز عدد الطلبة في السنوات الأخيرة الألف . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الشيخ سيدي الحاج محمد بن الكبير كان أمة قانتاً لله يعمل صباحه في التدريس ومساءه في تلاوة القرآن وأثناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه .

كان رحمه الله عالماً متضلعا في شتى العلوم يخال لجليسه أو المستمع إليه أنه موسوعة علمية وبحر لا ساحل له، فما ينتهي من مسألة في العلم حتى يغرق في أفكار تغنيك عن طرح مسائل تجول في فكرك وقد تكون تلك الأفكار في ميدان الأدب أحيانا أو في ميدان البلاغة والمنطق .

أخلاقه:

كان في الدنيا زاهداً متجرداً عنها حساً ومعنى متحققاً بعبوديته لله تعالى مخالفاً لهوى نفسه، تاركاً للأخف عليها متابعاً لما يثقل عنها، إذ لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً وأسرع إجابة وفتحاً، كما كان مقبلاً على الحق معرضاً عن الباطل، وكان يقوم بكل ما يقرب من الملك الحق، ولا يفعلها إلا المخلص الذي لا يبالي بنفسه، ولا يراني أبناء جنسه فكان على كثير منها، بل كان على أحوال غريبة ونوافل شاقة على النفوس صعبة، وقد كان له ﷺ من هذه المراتب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، ولم يزل يتقرب إلى الله تعالى بها وبغيرها حتى اجتباه لحضرته وبمنه حباه، فكان آية في المعرفة بالله والعمل والكرم والحلم والصبر والتأني والخشية والهيبة والسكينة والتواضع والحياء والجود والسخاء والزهد والورع والرحمة والتوكل والشفقة والقناعة والاكتفاء بعلم الله والأنس به والاطمئنان بالله والسكون إليه في

جميع الأحوال والعشق والشوق والعزم والنية الصالحة والمحبة والظن الحسن والصدق والهمة العلية وسعة الصدر والأخلاق الكريمة والمحاسن العظيمة والأحوال السنية، والمقامات السامية والمواهب اللدنية، ففوت أنواره وفاضت في الآفاق نيته وأسراره، وسقى الجرم الغفير من بحر كؤوساً وملاً قلوبهم وأرواحهم أقماراً وشموساً، فتوالت بذلك إرادته، ودامت لديهم مناولته، بمدد جسيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. هذه الأخلاق مقتبسة من نور الهدى وشمس المعرفة سيدنا محمد ﷺ.

توفي ﷺ يوم الجمعة 16 جمادى الثاني 1421 هـ.

الشيخ محمد بن علوي المالكي

مولده ونسبه:

هو علامة الحجاز وخادم الشريعة المحمدية نبعة المسجد الحرام ونبته مكة المكرمة فضيلة الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسني ولد تغمدته الله برحمته عام 1943م بمكة المكرمة من أسرة شريفة ذات قدر ومهابة تنحدر من نسل الإمام الفرد سيدي أبي محمد الحسن السبط نجل الإمام الهمام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورث الشيخ محمد المالكي رئاسة حلقة العلم وكرسي الفتوى عن آبائه الكرام؛ فقد كان أحد أجداده عالماً فقيهاً مالكي المذهب والمشرع يتولى الفتوى بالمسجد الحرام على المذهب ذاته في عهد الشريف عون، وذالك هو سر حمل الأسرة الكريمة للقب المالكي وانتسابها إليه، وقد كان والده فضيلة الشيخ علوي المالكي رحمه الله وجدته فضيلة الإمام عباس المالكي من الفقهاء الأعلام المشهورين بمكة المكرمة.

تكوينه ومشائخه:

تخصص الشيخ محمد المالكي في علوم الفقه والحديث وأحكام القضاء على مذهب الإمام مالك. ودرس - رحمه الله - العلم وتلقى تربية إسلامية صوفية علمية

على يد والده الشيخ علوي المالكي أحد أكبر علماء مكة آنذاك وأحد مستشاريها الكبار فنشأ منذ نعومة أظافره وسط حلقة الدروس والمعارف التي كانت تعقد بالمسجد الحرام تحت إشراف والده، كما كان يحضر حلقات لعلماء آخرين كحلقة الشيخ محمد بن المشاط المتوفى عام 1399هـ وحلقة الشيخ محمد بن يحيى بن الشيخ أمان، وحلقة الشيخ محمد العربي التباني، وحلقة الشيخ حسن بن سعيد اليمني المتوفى عام 1391هـ، والشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي المتوفى عام 1410هـ، والشيخ محمد ياسين الفاداني المتوفى عام 1410هـ.

ولما اشتد عوده وبدت فتوته سافر - رحمه الله - إلى باكستان والهند ودرس بدار العلوم بديوباند مدة 5 شهور، فأعجب بنظامها التربوي وتأثر بمنهجية مشائخها، وجال في عدة مدن من الهند كحيدرآباد وبومباي وكراتشي وسهارنפור، واجتمع خلال ذلك بعدد من العلماء الفطاحل وتلقى تكويناً على يد عدد منهم أمثال الشيخ زكرياء السهارنفوري شارح موطأ الإمام مالك والشيخ فخر الدين أحمد المراد أبادي شيخ الحديث بديوباند والشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي وعلامة حيدرآباد الشيخ أبي الوفاء الأفغاني والشيخ يوسف الكاندهلوي مؤلف كتاب حياة الصحابة كما تلقى علم الحديث عن الشيخ محمد يوسف البنوري علامة الحديث بمدينة كراتشي، وتلقى أيضاً عن الشيخ محمد شفيع أكبر مفتي بالديار الباكستانية، وعن الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي والشيخ ظافر أحمد العثماني والشيخ إنعام الحسن والشيخ مصطفى بن أحمد رضا خان البريلوي.

دراسته النظامية:

ولدى عودته من الهند أقام بمكة المكرمة مدة ثم انتقل بعدها إلى المملكة العربية الليبية على عهد الملك إدريس السنوسي، والتحق بجامعة محمد بن علي السنوسي حيث تحصل على شهادة معادلة أهله للالتحاق بمعهد الأزهر فرع ليبيا حيث أنهى به المرحلة الثانوية، وحصل على شهادة تمكنه من الالتحاق بجامعة الأزهر الشريف أو بجامعة محمد بن علي السنوسي بليبيا، وصادف ذلك قيام الثورة بليبيا. وهو الأمر الذي اضطره إلى مغادرة ليبيا نحو القاهرة حيث التحق بالأزهر

الشريف بكلية أصول الدين، وحصل فيها على شهادة ماجستير ثم على شهادة دكتوراه.

وكان خلال إقامته بالقاهرة على اتصال بكثير من العلماء الأجلاء وحاز تزكيتهم له، ومن بينهم فضيلة الشيخ المفتي حسنين محمد مخلوف وفضيلة شيخ الأزهر سيد صالح الجعفري والشيخ محمد الحافظ التجاني الإمام المحدث والشيخ أحمد رضوان الأقصوري وفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود الإمام الأكبر لجامع الأزهر والشيخ محمد زكي إبراهيم.

علاقاته واتصالاته:

لقد كون الشيخ محمد المالكي خلال مراحل حياته الكريمة عدة علاقات حميمة مع كوكبة من العلماء الأجلاء من أسرة باعلوي الحضرية ويذكر رحمه الله من بين مشائخه الروحيين فضيلة الإمام الحبيب أحمد مشهير الحداد والإمام الحبيب عبد القادر السقاف، هذا فضلاً عن تلك العلاقات الطيبة التي كانت تربطه بكثير من العلماء أهل الوعظ والإرشاد المعاصرين من أسرة باعلوي، كالشيخ الحبيب عمر بن حفيظ والشيخ الحبيب علي الجفري والشيخ الحبيب محمد بن عبد الرحمن السقاف، وكلهم يجله ويكن له الاحترام والتقدير ويحرص على أن يتلقى عنه. كما انتقل، رحمه الله، في عدة مناسبات إلى المملكة المغربية، وزار مختلف المكتبات واطلع على بعض المخطوطات وتعرف على عدد من العلماء المغاربة، وتلقى - رحمه الله - الدعوة في كثير من المناسبات من الإمارات العربية المتحدة ليلقي دروساً خلال المواسم الإسلامية والدينية كالمولد النبوي الشريف.

كما كانت له عدة لقاءات مع فضيلة الشيخ المربي سيدي محمد بلقايد، وكان يكن له عظيم الاحترام والمودة ويجله، وكان الشيخ سيدي محمد بلقايد يبادله نفس الشعور ويثني عليه، كما كانت تربطه علاقات ودية حميمة بفضيلة الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد وتمت له به عدة لقاءات كانت تطبعها المحبة والروحانيات؛ إذ كان - رحمه الله - صوفي المشرب يجد ضالته عند ساداتنا المشائخ آل بلقائد، هذا فضلاً عن كونه حسناً مثلهم تربطهم علاقة دموية شريفة.

نشاطه الوظيفي:

تولى - رحمه الله - وظيفة التدريس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة خلال الفترة بين 1390هـ - 1399هـ. ولما انتقل والده إلى رحمة الله بتاريخ 25 صفر 1391هـ اجتمع علماء مكة وأسندوا للشيخ محمد بن علوي المالكي منصب والده وكرسيه بالمسجد الحرام فاضطلع بالمهمة وشغل منصب التدريس بمعدل ثلاث حلقات مسائية يومياً على مدار السنة دون انقطاع إلا لضرورة. وكان يدرس مواد الحديث والأصول والسيرة والشرعية وعلوم الفقه والقضاء فضلاً عن دروس الوعظ والإرشاد.

ولم يكن نشاطه مقتصرًا على المسجد الحرام فحسب، بل تعداه إلى تقديم دروس ومداخلات ومواعظ عبر الإذاعة العامة للمملكة العربية السعودية وإذاعة نداء الإسلام، كما فتح مركز تعليم بمنزله جلب إليه نحو ست مئة طالب من مختلف الدول الإسلامية من جنوب شرق آسيا واليمن وكانت له مشاركات في التظاهرات الثقافية التي كانت تنظمها الرابطة الإسلامية العالمية حيث كان يتولى خطبة افتتاح الدورة، وذلك منذ 1391هـ. علاوة على مشاركته في عدة مؤتمرات إسلامية دولية فتضاعفت رحلاته وتنقلاته عبر مختلف ربوع العالم الإسلامي بصفة رسمية أحياناً وشخصية أحياناً أخرى، وقدم عدة محاضرات خاصة في جنوب شرق آسيا حيث يمكن إحصاء أكثر من ثلاثين مدرسة ومعهداً ومسجداً تولى الشيخ محمد المالكي قيادتها وتوجيهها وشارك في بناء مناهجها البيداغوجية، وساعد الطلاب بها على تحصيل منح دراسية تكلف بها المحسنون من داخل وخارج حكومة المملكة العربية السعودية.

مؤلفاته:

لقد خلف الشيخ محمد بن علوي المالكي كمّاً من المؤلفات يربو عن الأربعين عنواناً أثرى بها المكتبة الإسلامية، وكان للإمام مالك في ذلك الحظ الأوفر حول تمحيصه وتدقيقه وجمعه لأحاديث الموطأ، وبصفة عامة فإن معظم مؤلفاته انصب الاهتمام فيها على علوم الحديث وعلم الأصول والتربية الروحية ومحبة النبي ﷺ وسيرته العطرة، ومن بين تلك المؤلفات:

في الحديث :

- 1- دراسات حول الموطأ .
- 2- فضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به .
- 3- دراسة مقارنة عن روايات موطأ الإمام مالك .
- 4- إمام دار الهجرة مالك بن أنس .
- 5- أسماء الرجال .
- 6- علم الأسانيد .
- 7- عناية الإمام بالسنة .
- 8- كشف الغمة .
- 9- المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف .

في علوم القرآن والفقه والمصطلح :

- 1- القواعد الأساسية في علم مصطلح الحديث .
- 2- القواعد الأساسية في علوم القرآن .
- 3- القواعد الأساسية في علوم الفقه .
- 4- زبدة الإتيان في علوم القرآن .
- 5- حول خصائص القرآن .

في التشريع الإسلامي :

- 1- مفهوم التطوير والتجديد في التشريع الإسلامي .
- 2- ليك اللهم لييك .
- 3- هدايا الأحياء للأموات .
- 4- تحقيق الأمل فيما ينفع الميت من العمل .

- 5- شريعة الله الخالدة.
- 6- المسلمون بين الواقع والتجربة.
- 7- منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق.
- 8- خصائص الأمة المحمدية.
- 9- المستشرقون بين الإنصاف والعصية.
- 10- رسالة الإسلام: كمالها، خلودها، وعالميتها.

في التربية الروحية:

بأسلوب المربي ومنهج الصوفي يصنف الشيخ محمد المالكي في ميدان تصفية الذات وتطهيرها وترقيتها في مدارج الإيمان ومراتب السلوك وله في ذلك:

- 1- أصول التربية الإسلامية.
- 2- أدب الإسلام في نظام الأسرة.
- 3- أبواب الفرج.
- 4- خلاصة شوارق الأنوار.
- 5- الحصون المانعة.

في السيرة ومحبة النبي ﷺ:

أولى الشيخ المالكي عناية خاصة بأمر محبة الحبيب المصطفى ﷺ وضرورة دراسة معالم سيرته العطرة ومنهجه القويم في التربية. ويصرح الشيخ بأن دراسة سيرته ﷺ أمر ضروري وحتمي في تربية المجتمع المسلم وتكوين الناشئة. ويرى الشيخ السيرة النبوية الشريفة أهم مصدر وأعظم مرجع في التربية الروحية وأنها المسلك الروحاني في السير إلى الله. وفي هذا المضممار صنف الشيخ:

- 1- محمد ﷺ الإنسان الكامل.
- 2- تاريخ الحوادث المحمدية.

- 3- الذخائر المحمدية .
- 4- مفاهيم يجب أن تصحح .
- 5- شفاء الفؤاد في زيارة خير العباد .
- 6- وهو بالأفق الأعلى .
- 7- القدوة الحسنة في منهج الدواء ضرورة الرجوع إلى السنة .
- 8- المدح النبوي بين الغلو والإنصاف .
- 9- حول الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف .
- 10- الأنوار البهية من إسراء ومعراج خير البرية .

من خلال تلك المؤلفات التي أوردناها يتبين للدارس أن فضيلة الشيخ محمد بن العلوي المالكي تصدى لخدمة السنة النبوية الشريفة بفكره ولسانه وقلمه وأنه أبلى في ذلك البلاء الحسن وواصل العمل والجهد دون كلل خدمة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، معتدلاً غير متطرف منصفاً غير مجحف تأسيماً بأفراد أسرته الكبرى أسرة آل بيت النبي المصطفى، جزى الله الشيخ عن المسلمين خير الجزاء .

وفاته:

استمر الشيخ محمد المالكي في نشاطه العلمي والفكري إلى أن وافته منيته يوم الجمعة 15 رمضان عام 1425هـ الموافق لـ 29 تشرين الأول/أكتوبر عام 2004م عن عمر يناهز إحدى وستين سنة، أمضى الشيخ معظمها في خدمة الدين وشريعة سيد المرسلين ﷺ، في كل لحظة وحين . وقد حضر جنازته مئات الآلاف من المسلمين، فيهم العشرات من العلماء والفقهاء . وصلت عليه صلاة الجنازة بعد صلاة العشاء مباشرة ثم شيع جثمانه الطيب ليوارى التراب بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة .

الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي

مولده ونشأته:

هو العالم النحرير والأديب الشهير والداعية اللبق والخطيب اللوذع درة الشام وزينة الإسلام الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي علامة العصر وقدوة أهل النثر وعمدة ذوي النثر ولد حفظه الله عام 1920م بقرية جيلكا التابعة لجزيرة بوتان الواقعة داخل الحدود التركية شمالي العراق وهاجر صحبة والده المرحوم ملا عمر رمضان البوطي إلى دمشق وعمره إذ ذاك أربع سنوات.

مشواره الدراسي:

التحق بمعهد التوجيه الإسلامي وبه أنهى دراسته الثانوية الشرعية وابتداءً من عام 1953م التحق الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي بجامعة الأزهر بأرض مصر الطبية، وتابع دراسته بكلية الشريعة إلى أن نال الشهادة العالمية عام 1955م. وكانت يومئذ أعلى درجة يمنحها الجامع الأزهر للمتخرجين فيه. ثم التحق في السنة الموالية بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف، وحصل في السنة نفسها 1956م على دبلوم التربية ليعود بعدها إلى دمشق عام 1960م، ويتم تعيينه معيداً في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وبعد فترة يستفيد من بعثة إلى الأزهر الشريف لتحضير رسالة موضوعها (أصول الشريعة الإسلامية) ليتوج عام 1965م بدرجة دكتور، ثم يعود إلى دمشق ويعين أستاذاً مدرساً بكلية الشريعة جامعة دمشق، ثم عميداً للكلية نفسها ثم رئيساً لقسم العقائد والديانات بجامعة دمشق.

نشاطه الفكري:

إن فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان أشهر من أن يعرف وأظهر من أن يوصف لقد أمضى جل حياته دارساً ومدرساً، وأبلى في سبيل الدعوة وميدانها البلاء

الحسن، فشارك ومازال يفعل في الكثير من المؤتمرات والندوات الدولية خدمة للدين الإسلامي الحنيف ودفاعاً عن شريعته السمحاء بأسلوب مميز يطبعه الإقناع ووضوح الحجة واستقامة المحجة. وهو عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية، وعضو في المجلس الأعلى لأكاديمية أكسفورد. يتحكم في استعمال اللغة الإنجليزية، ويتكلم اللغة التركية بطلاقة.

مؤلفاته:

إن لفضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان قلماً سيالاً وأنامل لا تكل من الكتابة، وقد أثرى حفظه الله المكتبة العربية والإسلامية بعدة مؤلفات، عالج من خلالها قضايا ومواضيع في العلوم الشرعية والعقائدية والإسلامية عامة وعلم الفلسفة وعلم الاجتماع والآداب وفي غيرها من المواضيع ذات الصلة بالدين والروح والفكر، وله أكثر من أربعين عنواناً نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- شرح وتحليل الحكم العطائية للشيخ ابن عطاء الله السكندري قدس الله سره.
- 2- الإسلام والعصر.
- 3- الإسلام والعصر الحديث.
- 4- كبرى اليقينية الكونية.
- 5- أكبر الحقائق اليقينية الكونية.
- 6- شخصيات استوقفتني.
- 7- شخصيات حيرتني.
- 8- منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم.
- 9- حرية الإنسان في ظل عبودية الله.
- 10- الله أم الإنسان؟

- 11- الله أمل الإنسان .
- 12- مع الناس .
- 13- من روائع القرآن .
- 14- تجربة التربية الإسلامية .
- 15- فقه السيرة النبوية .
- 16- قضايا فقهية .
- 17- هذه مشكلتهم وتلك مشكلتنا .
- 18- من الفكر والقلب .
- 19- على الطريق الأوضح إلى الإسلام .
- 20- محاضرات في الفقه .
- 21- المرح .
- 22- المرأة .
- 23- الجهاد في الإسلام .
- 24- الإنسان مسير أم مخير .
- 25- السلفية عهد مبارك وليس منهجاً إسلامياً .
- 26- عائشة أم المؤمنين .
- 27- الدفاع عن الإسلام والتاريخ .
- 28- هذا والدي .

ومن خلال هذه العناوين يتضح لمتتبعي سيرة الشيخ محمد سعيد رمضان أنه رجل فكر وفقه وسيرة، يملك القدرة على الإقناع وسحر البيان وجودة الإلقاء وملكة اللفظ العربي المبين، قد تشبع بالفكر الصوفي والمنهج السني، فإذا نعتة ناعت قال هو عالم رباني وفقهه محمدي ومفكر إسلامي، نلتمس من خلال كتاباته الموضوعية

في الطرح والمنطقية في العلاج؛ فهو في شخصيات حيرتني يتحدث عن بعض الوجوه الشهيرة التي نسجت حولها حكايات خفية وافتراءات شاعت بين الناس ولاكتها الألسن، حتى كأن الإشاعة باتت حقيقة في نظر الناس وتصورهم لكثرة تناولها. ونجده في فقه السيرة النبوية يستعرض بطريقة رائعة وتطورية حياة سيد الوجود ﷺ، ويستخلص بحكمة الدارس الممعن من تلك السيرة العطرة دروساً وعبراً مشحونة بالحكمة جديرة بأن تحفظ وحرية أن يتأسى بها العباد كل العباد. ويتعرض من خلال (هذه مشكلتهم وتلك مشكلتنا) إلى مسائل تقلق الكثير من رجال الفكر الذين يحاولون الإجابة عنها؛ كفكرة عالمية الإسلام وقدرته على تلبية رغبات كل المجتمعات الإنسانية في كل مكان وفي أي زمان، وظاهرة الاستعباد والمساواة بين الرجل والمرأة، ومسألة الحجاب وما إلى ذلك من المسائل، وفي كتاب (الفكر والقلب) يوضح الشيخ محمد سعيد رمضان أن الإسلام إنما يوجه الخطاب إلى العقل والقلب بطريقة تجلي العقل وتدعوه إلى التأمل واستعمال الفكر وتملاً للقلب بالأحاسيس الجميلة والروحانية السنية فيسمو في مدارج الهدى ومنازل الهداية.

يوميات الشيخ:

تطبع يوميات الشيخ محمد سعيد رمضان نشاطات حثيثة في ميدان الوعظ والإرشاد ونشر العلوم والمعارف خدمة للدين وتنويراً للناشئة، يقدم محاضرات ودروساً بشكل شبه يومي في مساجد الجمهورية السورية، يتلقى عنه الآلاف من الشباب ذكوراً وإناثاً، ويحضر محاضراته عامة الناس وخاصتهم على مختلف درجاتهم في العلم ورتبهم في المجتمع. وله - حفظه الله - كتابات في مختلف الصحف والمجلات يعالج من خلالها مواضيع إسلامية مستجدة ويرد من خلالها على كثير من الأسئلة التي ترد عليه بفتاوى مناسبة وتوجيهات قيمة، وله في الخطاب الكتابي كما في الشفوي أسلوب مميز يأخذ بالألباب ويشد القارئ والمستمع حتى لا كلل ولا ملل ينم عن عقيدة راسخة وإيمان عميق يتخلل سويداء القلوب ويسرح بها في ملكوت علام الغيوب. أبقى الله الشيخ لأمة الإسلام ذخراً وأمد في أجله ومتع بصحة وعافية.

علاقاته:

تربط الشيخ علاقات طيبة بالمجتمع الإسلامي عامة والعلماء والمشائخ خاصة، تطبعها المودة والحب والاحترام، فقلما تجد مسلماً في الوطن العربي لا يعرف فضيلة الشيخ ولا يكن له الاحترام، ذلك لما للشيخ من مواقف في الرد على المستشرقين ومن يحاول الإساءة إلى الدين بأسلوب يعتمد على العقل في الإقناع أكثر من اعتماده على النقل. ونظراً لمذهبه السني ومنهجه المحمدي ومشربه الصوفي فقد أحبه أهل هذا المشرب، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ سيدي محمد بلقايد قدس الله سره الذي كان يثني عليه ويحترمه، ويتحدث عنه الشيخ سيدي محمد عبد اللطيف فيصفه بالفضل والورع والعلم ويشهد له بالتمكن.



الباب
الثاني

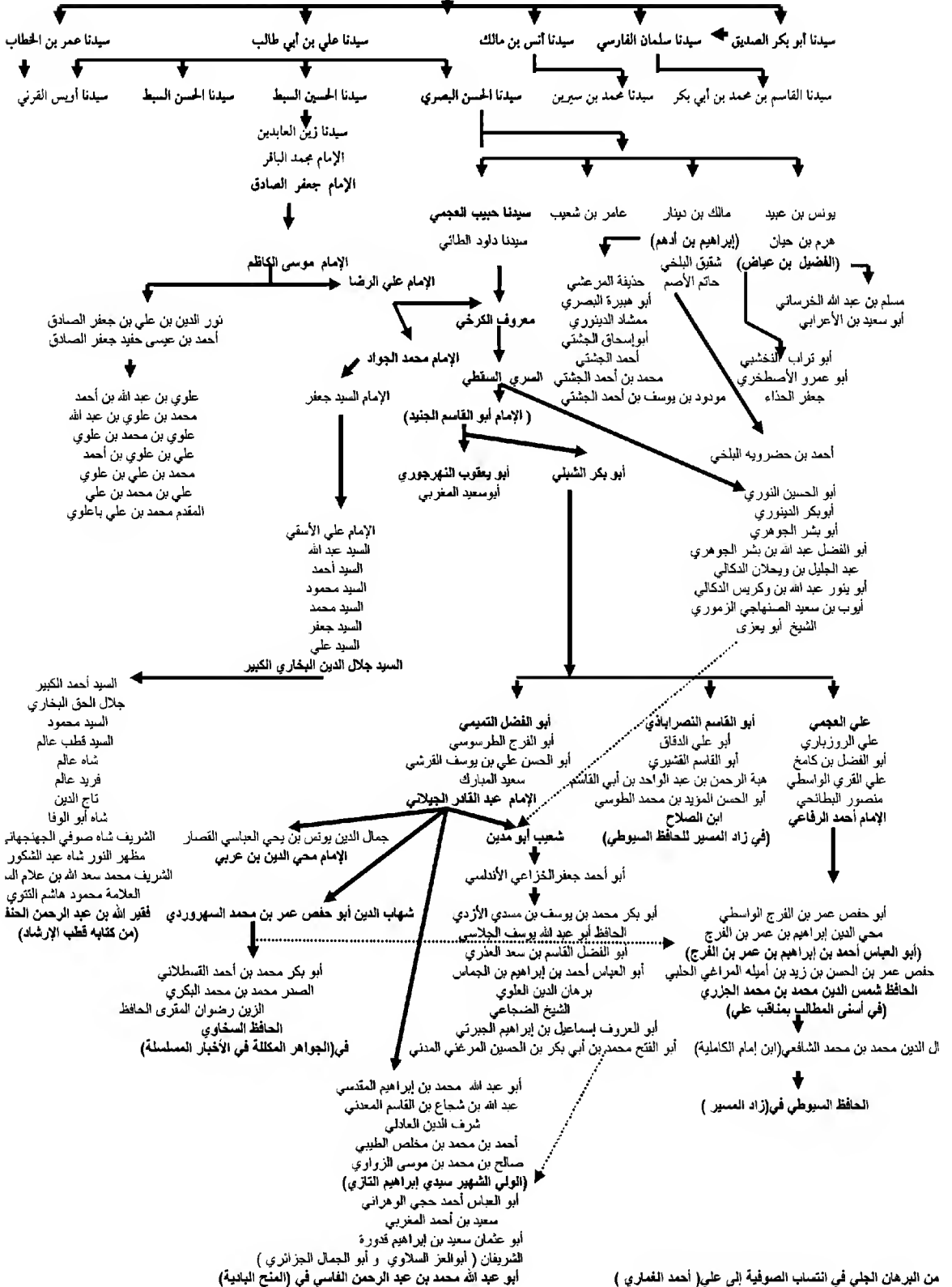
ذكر
بعض سلاسل
الطرق الصوفية

صفحة بيضاء

رقم 436

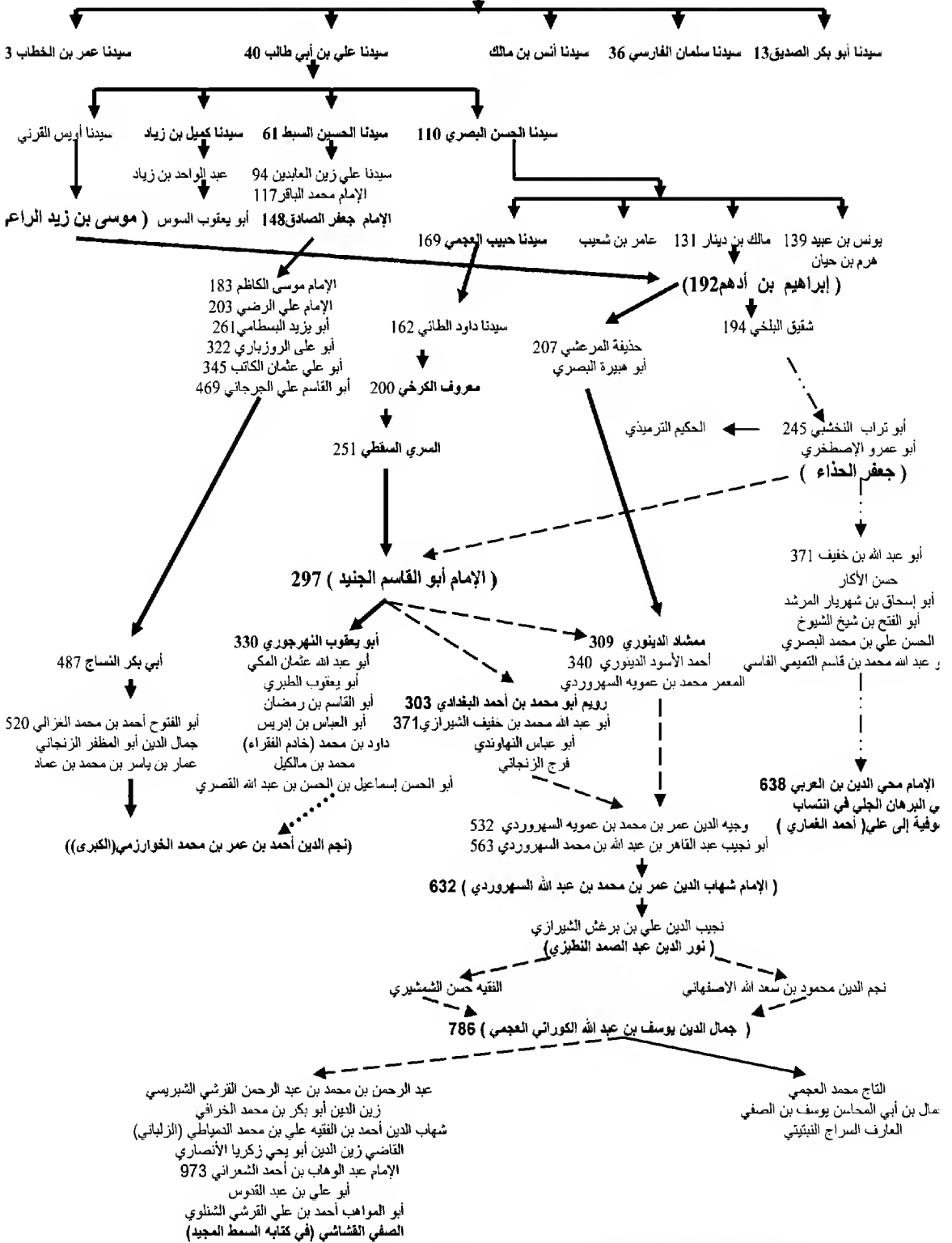
طبقات السلسلة الذهبية (أ)

﴿ سيدنا محمد رسول الله ﷺ ﴾



طبقات السلسلة الذهبية (ب)

﴿ سيدنا محمد رسول الله ﷺ ﴾

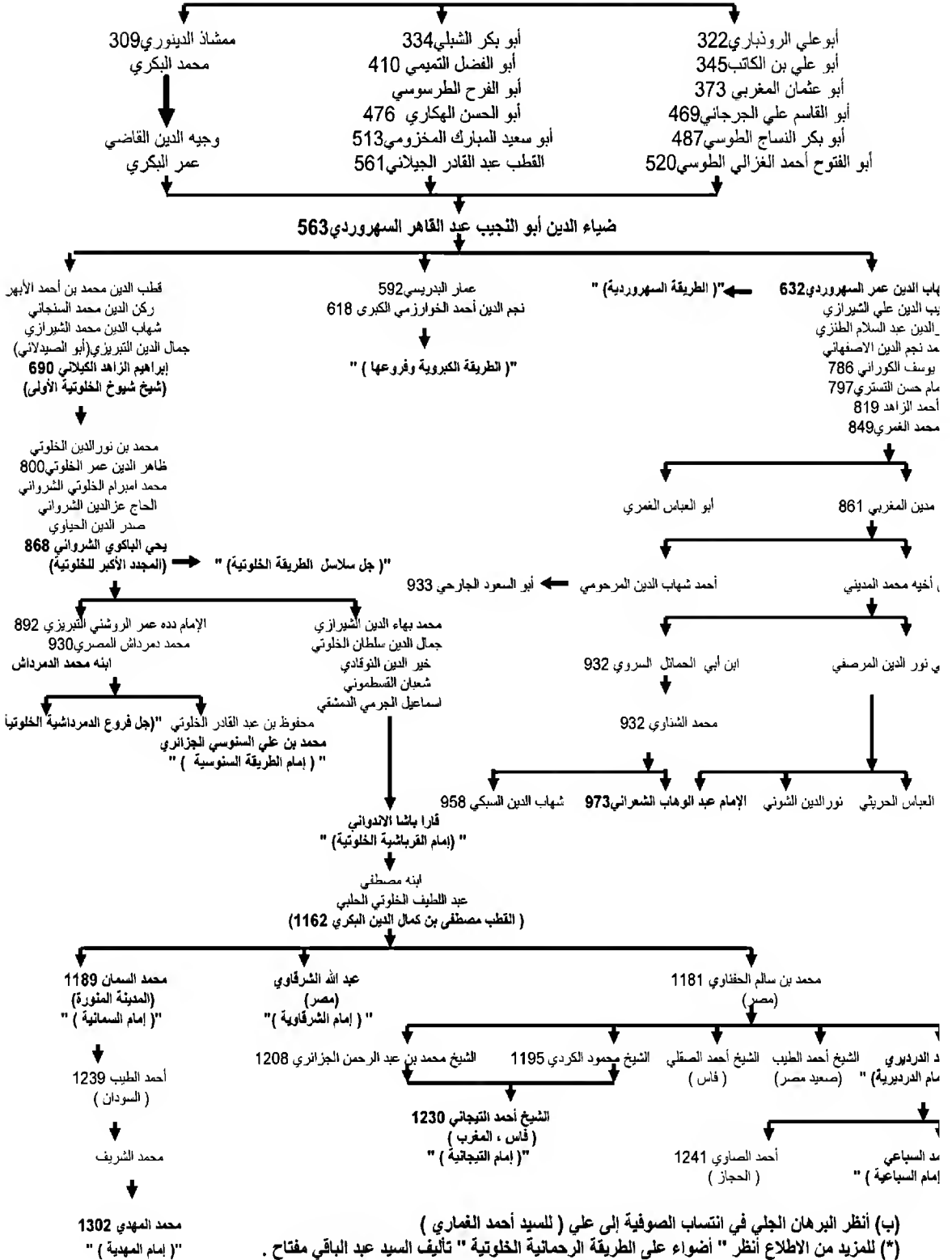


..... ————— نسب الصلي القشاشي في كتابه السمط المعجيد

..... ————— نسب نجم الدين أحمد بن عمر بن محمد الخوارزمي (الكبرى) في البرهان الجلي في انتساب الصوفية إلى علي (أحمد الغماري)

طبقات السلسلة الذهبية (ج) (*)

الإمام أبو القاسم الجنيدي 298 (يسنده الكريم إلى الإمام علي كرم الله وجهه)



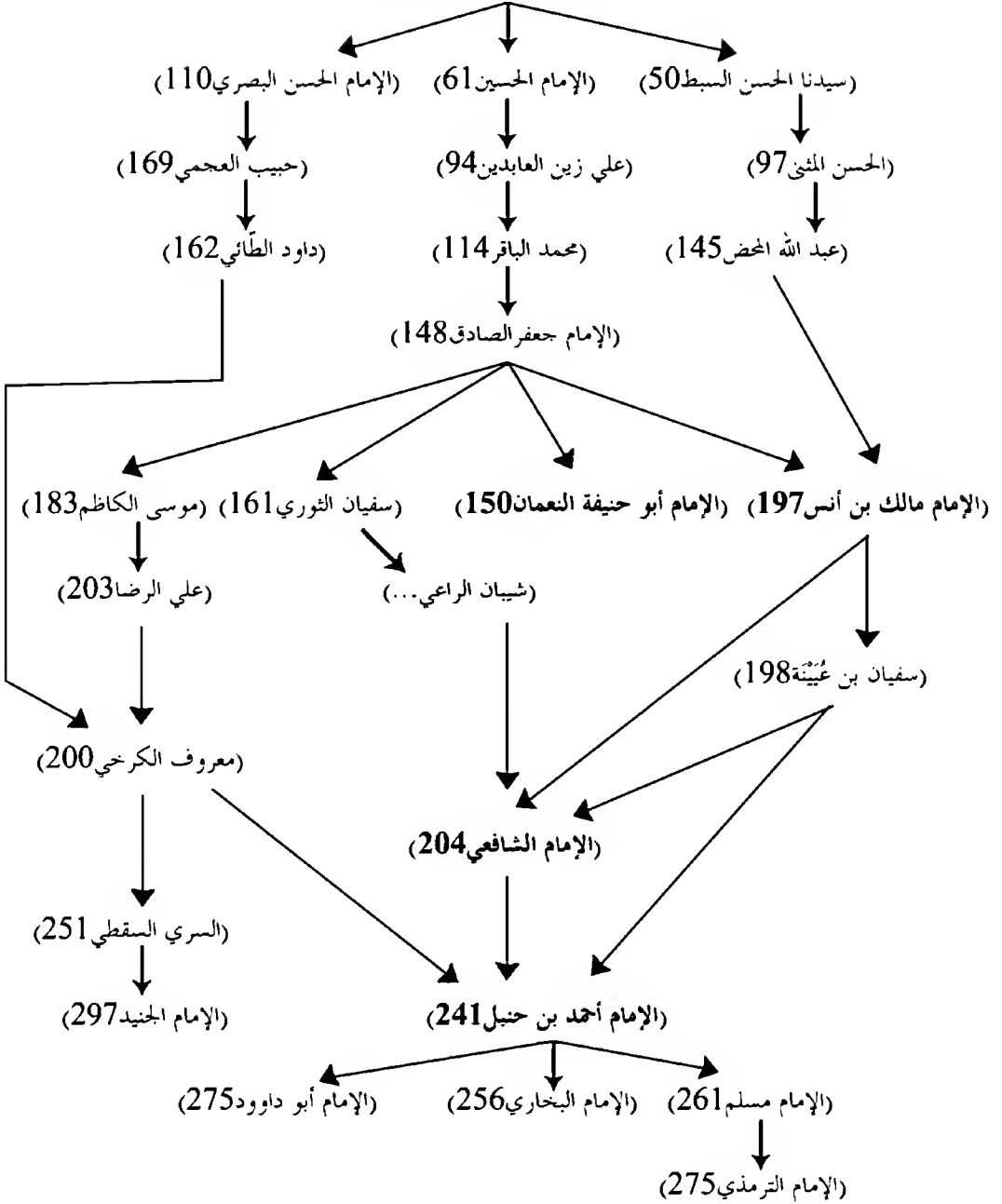
(ب) أنظر البرهان الجلي في انتساب الصوفية إلى علي (للسيد أحمد الغماري)

(*) للمزيد من الاطلاع أنظر "أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية" تأليف السيد عبد الباقي مفتاح.

سند الأئمة الأربعة*

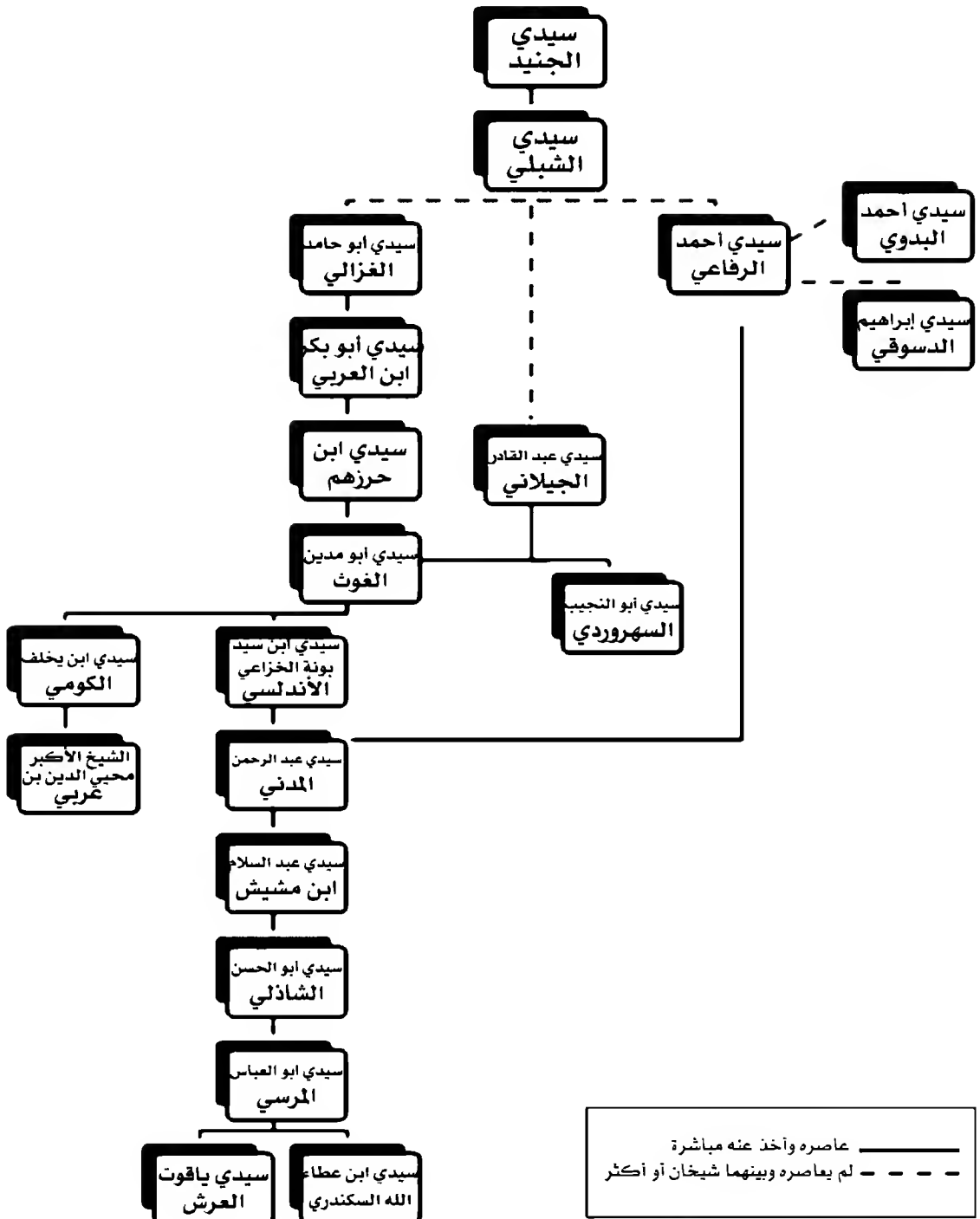
سيدنا محمد رسول الله ﷺ

سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه



* انظر تراجم الأئمة في طبقات الصوفية للمناوي، وصفة الصفوة لابن الجوزي. "ما بين القوسين (...) هو تاريخ الوفاة".

سلسلة الأقطاب





الباب
الثالث

ذكر تراجم
بعض السيدات
الصالحات
من المؤمنات
الذاكرات

صفحة بيضاء

رقم 440

(1)

السيدة زينب*

هي ابنة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وشقيقة سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وزوجة لابن عمها عبد الله بن جعفر الملقب بقطب السخاء لما كان له من مكانة عالية لدى معاصريه من بني هاشم وبني أمية على السواء، كما عرف بالمروءة والكرم والسماحة ونبل الخلق والطباع.

ولدت السيدة زينب عام ستة من الهجرة وقد سماها الرسول ﷺ بهذا الاسم حبا في ابنته زينب التي كانت قد ماتت.

كانت السيدة زينب قد حظيت ببركة النور النبوي، فقد حملها جدها ﷺ وراح يضمها إلى صدره ويدعو لها بعد أن أذن بنفسه في أذنها.

ألقابها:

لقبت السيدة زينب بعدة ألقاب، وقد كان أشهرها في مصر لقب أم هاشم حيث كانت قد تكفلت برعاية وحماية أسيرات بني هاشم أثناء وبعد حادثة كربلاء التي راح شقيقها الإمام الحسين يلقي فيها استشهاده. كما لقبت بأم الشهداء حيث إنها قد شهدت قتل أبيها وشقيقها الإمام الحسن الذي استشهد مسموماً على يد زوجته التي كانت تعمل لحساب يزيد بن معاوية. وشهدت أيضاً بنفسها قطع رأس أخيها الحبيب الإمام الحسين ﷺ واستشهاده بين يديها. كما أنها قد رأت أولادها يتساقطون واحداً بعد الآخر في حادثة كربلاء، ولكنها كانت تبكي في خيمتها خوفاً على أخيها الحسين وتقول: كله يهون إلا الحسين بقية جدي.

* انظر طبقات ابن سعد، مقاتل الطالبين، وفيات الأعيان، أعلام النساء، أعلام النبلاء.

لقت بالصابرة وذلك للأسباب التي ذكرناها سلفاً.

كما لقت بلقب عقيلة بني هاشم حيث كانت السيدة التي تجيب عن التساؤلات التي تشغل بال بني هاشم، كما كان لها مجلس علم تلقي فيه دروس الوعظ والفقه على سيدات بني هاشم وغيرهن من النساء.

كما لقبوها بالمشيرة حينما كان الجميع من سادة قومها وأشرافهم يقصدونها للمشورة واكتساب العلم منها لمواجهة التحديات، حيث إنها كانت تجيد إسداء النصيحة والمشورة دون صخب أو ضجيج، سواء كان ذلك على المستوى العام أو حتى على المستوى الشخصي.

ولقت أيضاً برئيسة الديوان لحكمتها وذكائها وفطنتها وعلمها الواسع الغزير.

علمها:

ينسب للسيدة زينب عليها السلام شرف وضع اللبنة الأولى لعلم إسناده الحديث النبوي الشريف، فقد قيل: إنها قد سمعت أحد الصحابة رضوان الله عليهم، اسمه سعيد بن الأشدق يقول: "قال رسول الله ﷺ الحلال بين والحرام بين" فقالت له: أنت سمعت ذلك من جدي رسول الله ﷺ؟ فأجاب الرجل: لا. بل سمعته من النعمان بن بشير، فقالت للرجل: إذن قل قال النعمان بن بشير قال رسول الله ﷺ.

وهكذا صارت السيدة زينب هي أول من علمت قومها حفظ الإسناد وتحمل مسؤولية ذلك، وعرف عنها أنها كانت عالمة ومتبحرة في علوم القرآن الكريم وتفسيره، حتى إنها قالت في مجلس علمها النسائي: "إن جدي المصطفى ﷺ شرع لنا حقوقاً لأزواجنا وجعل على الرجال حقوقاً مفروضة لنا والقرآن يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228/2].

كما أنها قد روت عن جدها ﷺ الحديث. وكان أشهر ما جاء في روايتها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ "إن صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها. وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي باب شئت".

والسيدة زينب هي أول من وضعت من سيدات بيت النبوة، بل وغيرها من نساء العالمين تعريفاً للحب حين حاورها أبوها الإمام العالم الزاهد سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . فقد سأله ذات يوم قائلة "أتحبنا يا أبتاه؟ فأجابها كرم الله وجهه: وكيف لا أحبكم يا ابنتي وأنتم ثمرة فؤادي؟ فجاء ردها بما يليق بمن ضمها أظهر الخلق وأشرفهم جميعاً ﷺ وقالت لأبيها: "يا أبتاه إن الحب لله تعالى، والشفقة لنا" أرأيت أبلغ من هذا؟

لقد عرف عنها أنها شاعرة ولها من الشعر ما ألهب ظهور بني أمية وأبكى خصومهم وأعداءهم، وظل إلى الآن شاهداً على بلاغتها وفصاحتها التي ورثتها من جدتها وأبيها وأمها فهي التي قالت:

يا أمة السوء لا سقياً بربعكم يا أمة لم تراع أحمد فينا
تسيروننا على الأقتاب عارية وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
تصفقون علينا أكفكم فرحاً كأننا لم نشيد فيكم ديناً
أليس جدي رسول الله وليكم هادي البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف⁽¹⁾ قد أورثتنا حزناً والله يهتك أستار المسيئينا
وقد قالت السيدة زينب هذه الأبيات عقب حادثة كربلاء التي ألمت بها كثيراً وأذرفت الدمع من أجلها أنهاراً وسيولاً.

وهي التي صرخت في أهل العراق الذين خذلوا أخاها الحسين وفروا من حوله في مواجهة بني أمية بعد أن كانوا قد أرسلوا إليه كتباً ورسلاً يدعونه للمجيء، فكان لصرختها تلك أكبر الأثر في كل من يسمعها أو يقرأها:

إذ قالت "تبكون الآن يا أهل العراق؟! أتدرون أي دم سفكتم وأي نساء أبرزتم؟ لا تعجبوا إن أمطرت السماء عليكم دماً".

لا عجب إذن من فصاحتها وبلاغتها فهي حفيذة رسول الله ﷺ.

(1) وقعة الطف هي مكان الوقعة التي سقط فيها الحسين شهيداً في كربلاء.

لقد صاحت السيدة زينب في وجه ابن زياد عدو أهل بيت النبوة بعد أن وصلت في موكب السبايا الذي ضم نساء بني هاشم، وقد قال لها: أرايت ماذا فعل الله بكم يا بني هاشم؟ فردت عليه في شجاعة وبأس قائلة: إنهم قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا من مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينني يا ابن زياد أتظن أن ما حدث بنا هون على الله؟! إنك سوف تلقى في ساحة القيامة ويسألك رسول الله ﷺ ماذا صنعت بعترتي وبذريتي وهم وصاياي إلى أمتي؟! وهنا بكى كل من كان حولهما حتى رجال ابن زياد الطاغية الجبار لعنه الله، وفتت الحزن كبد السيدة زينب ومزق شغاف قلبها عندما رأت رأس الحسين والرمح يلعب به يميناً ويساراً وأنشدت تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالاً هاله خسفه فأبدى كسوفاً
ما توهمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدراً مكتوباً

وبينما كان أهل الكوفة من حولها يتباكون فإذا هي تنتفض من غضبها وتصرخ فيهم: "يا أهل الكوفة تبكون يا أهل القتل والنفاق... إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم، إنكم في العذاب خالدون" (1).

ماذا تقولون إن قال الرسول لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد فرقتكم منهم أسارى ومنهم خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
وحين وصل ركبها الحزين الذي كان ينزف دماً ودموعاً ووقفت أمام يزيد بن
معاوية في الكوفة، وقد تجرأ يزيد وجاوز كل حد في كلامه عن أهل بيت النبي ﷺ
قالت له: "أفظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا
نساق كما تساق الأسارى أن ذلك هون على الله، وأن بك عليه كرامة فشمخت
بأنفك جذلان فرحان، ونسيت قول الحق عز وجل ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُُمِّلِي
لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178/3].

(1) أحفاد النبي ﷺ للأستاذ النبوي سراج ص 220.

واستطردت تقول في شجاعة دون أن يتسلل إليها خوف أو رهبة: " إنك سترد على رسول الله برغمك وعترته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملنا وستعلم من بواكم من رقاب المؤمنين، يوم يكون الحكم لله والخصم محمد رسول الله ﷺ، وجوارحك شاهدة عليك ﴿يَنسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50/18].

وانظر يا يزيد يوم ينادي المنادي ﴿أَنْ لَّعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44/7] صدق الله العظيم".

بعد هذه الكلمات التي أطلقتها السيدة زينب، وهي تضمد جراحها وتلملم أشلاءها. بعد أن تمزقت معنوياً إلى أشلاء وقطع متناثرة. وغلب الصمت على المكان وخيم بأستاره عليه، ويزيد مطرق الرأس في ذهول وعجب لما يسمعه وكأن على رأسه الطير. فقد أحس بالعار وشعر بالخزي من تقريع حفيده رسول الله ﷺ وتأنيبها له أمام جمع غفير دون أن تخشى سلطانه، وهنا ترك لها ساحة المكان، وقد أمر أن تفك الأغلال من يدها ويد كل من معها على أن تذهب معززة مكرمة إلى أي مكان تبتغي الإقامة والعيش فيه، شريطة ألا تكون المدينة المنورة حيث يدرك يزيد أن أهل الحجاز إذا شاهدوا قدوم موكبها على هذا النحو الدامي لعقدوا عزمهم على تحطيم بنيان عرشه وهدم أركان سلطانه. وضرب أمته وأمانه. وخوفه ذاك في محله لأن أهل الحجاز كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ كما كان أهل بيته أحب الناس إلى قلوبهم لأنهم ذريته ونسله الطاهر والبقية الباقية منه. فهم يعرفون مقام الإمام الحسين الرفيع في قلب رسول الله ﷺ كما يعلمون منزلته في الجنة وهو ما كان سيدفعهم للانتقام من يزيد، وإلا لماذا أصر يزيد على أن تختار أي بقعة في الأرض تبتغي البقاء فيها إلا المدينة المنورة إلا إذا كان يعلم أن في هذا خطراً داهماً على عرشه وملكه وسلطانه.

السيدة زينب عليها السلام في مصر:

واختارت السيدة زينب أم هاشم مصر واحة للأمن والأمان والاستقرار، حيث كانت الخلافت آنذاك تعصف بكل البلاد سواء الشام أو الكوفة أو اليمن وغيرها، وبوركت أرض مصر الكنانة بقدوم السيدة زينب حفيده رسول الله ﷺ وابنة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وبنت فاطمة الزهراء.

وبينما كانت في طريقها إلى مصر رنت مسامعها وطافت أمام أعينها مشاهد كربلاء الرهيبة، فذاك أخوها وقرّة عينها، وأولئك أبنائها يتساقطون، وهؤلاء أولاد العم من بني هاشم يذبحون ويمثل بجثثهم، وعلى الموائد تدرج رؤوسهم، وهاهم الأعداء يشربون الخمر فرحاً لقتلهم، وهاهم أهل الكوفة يغدرون كعهدهم، وهاهي تخرج من خيمتها تبكي وتقول: "واثكلاه اليوم أشعر أن جدي رسول الله ﷺ قد مات، اليوم أشعر أن أبي علياً قد مات، اليوم أشعر أن أمي قد ماتت، وامحمداه هذا الحسين بالعراء مزمل بالدماء وذريتك مقتلة وبناتك أسارى تستقي عليها الرياح. يا محمداه صلى عليك الله وملائكة السماء".

وعاشت السيدة النقية الطاهرة أم هاشم في القاهرة، حتى لبت نداء ربها عام 62 هجرية بعد أن صارت معلمة وواعظة ورائدة دروس الوعظ في الفسطاط، وقد شيع جنازتها الآلاف، ولها مقام معلوم بمصر يقصده المريدون والزوار من كل أنحاء مصر والعالم العربي، وقد كتب أحد أحبابها ومريديها أبياتاً زين بها ضريحها.

هذا ضريح شقيقة القمرين بنت الإمام شريفة الأبوين
وسليمة الزهراء بضعة أحمد نور الوجود وسيد الثقلين
نسب كريم للفصيحة زينب شمس الضحى وكريمة الدارين

(2)

السيدة فاطمة النبوية*

(40هـ - 110هـ)

هي السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أخت السيدة الطاهرة النقية الثقية سكينة، وشقيقة علي زين العابدين، وعمتها السيدة الطاهرة زينب.

فهي واحدة من أشهر أحفاد النبي ﷺ وقد سماها أبوها فاطمة على اسم أمه فاطمة الزهراء.

ولدت عام أربعين هجرية بالمدينة المنورة، وهو نفس العام الذي استشهد فيه جدها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

تزوجت من ابن عمها الحسن المثنى بن الإمام الحسن رضي الله عنه وقد كان الحسن المثنى يرغب في الزواج من أي من بنات عمه الحسين رضي الله عنه واختار له الإمام الحسين ابنته فاطمة وقد قال له: إنها الأكثر شبهاً بجدها السيدة فاطمة الزهراء، وأقيم الزواج وعاشت فاطمة مع زوجها حياة حافلة بالعلم والتقوى والورع والكرم؛ حيث كان زوجها يتصف بالجود والسخاء شأنه في ذلك شأن أبيه الإمام الحسن رضي الله عنه.

وقد رزقهم الله ثلاثة ذكور: الأكبر عبد الله المحض.

أما قبر السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين فهو موجود حالياً بالقاهرة بالدرب الأحمر، وهو ضريح داخل مسجد سمي باسمها، وقد قام بتوسيع المسجد المرحوم عباس باشا.

* انظر سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد. طبقات ابن سعد، مقاتل الطالبين، وفيات الأعيان، أعلام النساء، أعلام النبلاء.

علمها:

عرف عنها أنها كانت شديدة الشغف بالعلم والاطلاع على علوم القرآن الكريم وما يتوارد بين الأئمة والفقهاء، حيث إنها تتحلى برجاحة العقل، وفصاحة اللسان، وحفظ الشعر وكتابته أيضاً.

وقيل عنها أيضاً: إنها كانت راوية للحديث، وقد ذكر الإمام أحمد والإمام ابن ماجه أن من بين هذه الأحاديث المروية عنها: "ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن قدم مشهدها فيحدث لها الاسترجاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب" يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون) صدق رسول الله ﷺ.

وقد عاشت نحو 70 عاماً تفرغت في سنوات عديدة منها بعد وفاة زوجها إلى العبادة وانقطعت عن مباحج الدنيا، وانشغلت بإلقاء دروس الفقه للنساء المسلمات. فكان بيتها يمتلئ بالزوار الذين يرغبون في تلقي العلوم بين يديها.

وكانت دائمة الحزن والاعتكاف والانشغال بكتاب الله، حتى إن البعض قد سألها عن سر ذلك فأجابت: إن جدتي فاطمة الزهراء كانت هكذا، وأنا أقتفي آثارها وأتبع خطاها.

ومما لاشك فيه أيضاً أن رؤيتها لرأس أبيها الإمام الحسين وهو مرفوع على أحد الرماح قد ألقت بظلالها الحزينة لديها وتركت في نفسها أكبر الأثر: هذا فضلاً عن رؤيتها لأشقائها أيضاً في حادثة كربلاء الرهيبة.

وقيل: إنها أرادت أن تكافئ النعمان بن بشير الذي تولى قيادة موكب آل بيت النبي بعد كربلاء، وقد كان يتصف بحسن الخلق ويتحلى بأدب جم.. فأرادت إكرامه فأرسلت إليه حليتها الذهبية. إلا أن الرجل كان ورعاً وصالحاً أبى في عزيمة لا تلين أو تضعف أمام الذهب، حتى إنه أوضح لها أنه ابتغى من وراء قيادته للموكب صلة قربي رسول الله ﷺ.

وروي أنها كانت مثل عماتها السيدة زينب؛ شجاعة قوية صلبة، فقد تصدت ليزيد بن معاوية وهو بين حراسه بعد كربلاء وهي في موكب الأسرى حيث قالت له: "يا يزيد أبنات رسول الله أسيرات هكذا؟".

فأجابها وهو يتصبب عرقاً: بل حرائر كرام.

وقيل إنها كانت صوامعة قوامعة مثل أهلها، وكان لديها حبل معقود بخيوط كي تسبح بها الله وتستغفره وتتوب إليه وتذكره وتدعوه أن يحسن ختامها. ولأنها كانت شاعرة، فقد رثت أباهما الحسين بن علي كرم الله وجهه بهذه الأبيات:

نعم الغراب فقلت من تنعاه ويحك يا غراب؟
قال الإمام فقلت من؟ قال الموفق للصواب
قلت الحسين؟ فقال لي بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلاء بين الأسنة والحراب
أبكى الحسين بعبارة ترضي الإله مع الثواب
ثم استقل به الجناح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي بعد الرضا المستجاب
وانتقلت السيدة فاطمة إلى جوار ربها بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء والكرم
والجود وقد بلغت من العمر نحو سبعين عاماً.

(3)

السيدة سكينة بنت الحسين*

هي السيدة سكينة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وقد سميت آمنة على اسم جدتها آمنة بنت وهب ، وسكينة لقبها الذي اشتهرت وعرفت به بين أهلها وقومها جميعاً ، وأمها هي الرباب بنت امرئ القيس بن عدي ولدت عام 47 هجرية ؛ أي بعد مرور سبع سنين من استشهاد جدها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وماتت كعهد أهلها الأطهار في مصر ودفنت بجوار مسجد السيدة نفيسة .

كانت سكينة شخصية تجمع بين الإيمان والعلم ، فهي قد جمعت الإيمان والعلم معاً كجدها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجدها لأمها امرئ القيس أشهر شعراء العرب ، بل كان قد بويع أميراً للشعر الجاهلي .

من هنا . . لم يكن غريباً أن يروي المؤرخون أن السيدة سكينة بنت الحسين كانت شاعرة لها مكانتها ووزنها ، وكانت تجيد النقد لأبيات الشعر التي تلقى على مسامعها إن وجدت فيها ما يدعو إلى كشف عيوبه وأخطائه .

وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني يضم بين دفتيه العديد من المواقف التي تؤكد شخصية السيدة سكينة ناقدةً وأديبةً لها شأن كبير بين فحول الشعر في عصرها .

وقد روي عنها أنها قد رثت أباها الحسين عليه السلام عقب استشهاده في حادثة كربلاء الرهيبة ، وقد قالت والدموع تنهمر من مدامعها :

* انظر طبقات ابن سعد ، مقاتل الطالبيين ، وفيات الأعيان ، أعلام النساء ، أعلام النبلاء ، سيرة آل بيت النبي الأطهار لمجدي السيد .

يا عين فاحتفلي طول الحياة دماً لا تبكي أهلاً ولا ولداً ولا رفقة
 لكن على ابن رسول الله فانسكبي دماً وقيحاً وفي إثريهما العلقه
 ولأن أمها بنت الحسب والنسب بنت امرئ القيس بن الأمير عدي، فقد أبت
 على نفسها أن تتزوج من بعده، وقد قالت لأهلها ما كنت لأتخذ حما بعد
 رسول الله ﷺ وأنشدت حين طلبوا منها أن تتزوج.

والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين⁽¹⁾
 لكنها ماتت بعد كربلاء بعام بعد أن عاشت عامها في بكاء ونحيب.

وقد حكى الرواة أنها كانت متواضعة، وذات ذكاء ولباقة من طراز رفيع
 المستوى، فمثلاً أورد المؤرخون أنها كانت تجلس في عزاء وإذا بفتاة تجلس
 بجوارها وتقول بفخر واعتزاز وقد وجهت حديثها إلى السيدة سكينة: أنا بنت
 عثمان بن عفان. فلزمت حفيدة الرسول ﷺ الصمت برهة من الوقت، وإذا
 بالآذان يرفع وجاء صوت المؤذن يشهد بأن محمداً رسول الله، فالتفتت إلى ابنة
 عثمان بن عفان التي أخذها الغرور، وقالت: أهذا أبي أم أبوك، فسكتت بنت
 سيدنا عثمان واستطردت السيدة سكينة تقول للنساء الجالسات في العزاء أنا
 لا أفخر عليكم أبداً.

رحم الله السيدة سكينة التي صرخت في قتلة أبيها وأهلها: "يا أهل الكوفة، الله
 يعلم أنني أبغضكم، قتلتم جدي علياً، وقتلتم أبي الحسين، وزوجي مصعب بن
 الزبير فبأي وجه تلقوني؟ أيتمموني صغيرة، وأرملتموني كبيرة".

(1) المحبر لأبي جعفر بن حبيب 396.

(4)

السيدة عائشة بنت جعفر الصادق*

هي عائشة بنت جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه . وهي شقيقة الإمام موسى الكاظم ، وأخت المؤتمن زوج السيدة نفيسة .

وقد جاءت إلى مصر وأقامت فيها إلى أن توفاه الله عام خمس وأربعين ومئة للهجرة كانت السيدة عائشة صوامة ، دوامة العبادة ، خاشعة لله . وقد أحبت الناس في مصر فأحبوها والتفوا حولها ، حتى صار لها مسجد في القاهرة من أشهر مساجد مصر : بل ولها ميدان أطلق عليه اسمها نظراً لصيتها وشهرتها ، وهي قريبة من السيدة نفيسة .

وروي عن السيدة عائشة أنها كانت سخية لا ترد سائل مال أو سائل علم ، بل كان عندها الجواب دائماً لكل من دق باب بيتها . تحلت بالتقوى والورع والخوف من الله . وكانت دائماً تناجي ربها وتدعوه في خلوتها واعتكافها .

وقد كانت تردد على من حولها الحديث القدسي الذي كان ساكناً في عقلها وجوارحها (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه ما تحركت بي شفتاه) ، وهو ما دفعها لتنصح مريديها وجلساءها حيث كانت تقول لهم : " ما بال أقوام يقولون : نحن نحسن الظن بالله ولا يعملون ، أما والله لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل ؛ فطلب الجنة بلا عمل . . ذنب من الذنوب يستحق التوبة " .

وروي عنها أنها كانت ذات مرة تناجي ربها باكية وتقول :

" وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيد يدي فأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبني " .

* طبقات الصوفية للمناوي (151) 1 ص 390 ، طبقات الشعراني 66 / 1 .

وهي أيضاً التي كان يرن مسامعها ما كان ينشده جدها الإمام العامل العابد الزاهد الورع التقي الطاهر الإمام علي زين العابدين عليه السلام الذي كان يقرض الشعر ويروي الحكم والمأثورات وقد أنشد قائلاً :

ألا يا رجائي إن تكشف كربتي فما في الوري عبد جنى كجنايتي
أنتيت بأعمال قباح رديئة فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين محبتي؟
لقد أودع الله السيدة عائشة نفساً نقية وقلباً خاشعاً وروحاً صافية.

وظلت في خشوع وتبتل وتضرع إلى الله بين قراءة القرآن وحفظه وبين حفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وبين إكرام الضيوف وإطعام الأيتام والإنفاق على المساكين وأبناء السبيل وهذا من شيم أهلها الكرام.

لذلك فإنها لما ماتت ولبت نداء ربها خرجت جموع المصريين وشيعت جنازتها في مشهد لا مثيل له، وقد بكأها أهل مصر.

وقد نقش على ضريحها (ضريح السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

وقد كتب أحد محبيها ومريديها على باب قبة المسجد.

لعائشة نور مضيء وبهجة وقبتها فيها الدعاء مستجاب

(5)

السيدة رقية بنت الإمام علي الرضا

هي السيدة رقية بنت الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام.

يقع مشهدها بين مشهد السيدة نفيسة والسيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام في حي الخليفة بمدينة القاهرة، ومشهد السيدة رقية في مكان يعرف ببقيع مصر الصغير⁽¹⁾.

وعلى ضريحها بيت من الشعر يقول:

بقعة شرفت بآل النبي وبنت الرضا علي رقية

وعمتها السيدة عائشة الساكنة ضريحها الموجود بالقرب منها، أما السيدة نفيسة فهي زوجة عمها (وقد روي عن كراماتها أنها وهي قادمة إلى مصر من المدينة المنورة اعترضها شخص من خصوم أبيها وأراد قتلها فتوجهت إلى الله مستجيبة وداعية بالنجاة. فوقفت يد هذا الرجل في الهواء حين هم بضربها ثم سقط ميتاً)⁽²⁾.

في عام ثلاث وسبعين بعد المئة أقام الأمير عبد الرحمن بناء على الضريح. وفي أواخر النصف الأول من القرن السادس الهجري أقام الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله مشهداً على قبرها.

وهذا المشهد يزار بشارع الخليفة ويقصده المحبون، خاصة وأن المكان يضم مجموعة مشاهد لآل البيت. ومنهم السيد محمد المرتضى صاحب المشهد وهو

(1) آل بيت النبي عليه السلام في مصر، أحمد أبو كف.

(2) أحفاد النبي عليه السلام، جبر سراج.

الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي الناظم الناصر أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرازق الشهير بالمرتضى الحسيني كما عرفه الجبرتي ، جاء إلى مصر من اليمن ودرس في مصر حتى صار من أشهر علمائها . وعندما توفيت زوجته السيدة زبيدة دفنها بجوار قبر السيدة رقية . وكان يلزم قبر زوجته كثيرا ويجمع عنده الناس في مجلس علمه ، ولما توفي عليه السلام دفن في هذا المكان بجوار قبر زوجته بجوار مشهد السيدة رقية .

وفي نفس المكان يوجد مشهد السيدة عاتكة زوجة محمد بن أبي بكر الصديق عليه السلام وكان من أتباع الإمام علي كرم الله وجهه . رحل إلى مصر بعد التحكيم بين علي ومعاوية وبعد مقتل علي كرم الله وجهه وأقام بها ، وله مواقف ضد الأمويين .

كما يوجد ضريح آخر لسيدي علي الجعفري الصوفي الجليل التقي الورع . وقيل إنه من ذرية الإمام جعفر الصادق .

وهذه الأضرحة تزار في شارع الخليفة ما بين مشهد السيدة سكينة والسيدة نفيسة .

(6)

السيدة نفيسة بنت حسن الأنور*

(145هـ - 208هـ)

هي السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ولدت عام (145هـ) بمكة المكرمة ثم فاض بها الشوق لزيارة حبيبها المصطفى ﷺ فرحلت إلى المدينة المنورة التي لازمت فيها المسجد النبوي تتلقى فيه العلوم وتنقطع للعبادة والاستغراق في التأمل وزيارة النبي ﷺ.

تزوجت من إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ. وقد أنجبت منه أبا القاسم وأم كلثوم.

والسيدة نفيسة عاشت حياة حافلة بالزهد وتحصيل العلم والانقطاع للعبادة والحرص على قيام الليل وصيام النهار، وقيل إنها قد فرغت من ختم القرآن في قبرها الذي حفرته بيديها وظلت تتعبد فيه وتناجي ربها بداخله وتتضرع إليه، وقد أكد الرواة أنها ختمت فيه القرآن نحو ألف ختمة.

وقد سئلت عنها ابنة أخيها فأجابت: "خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة ما رأيتهما نامت الليل كله ولا أفطرت النهار كله إلا قليلاً، فقلت لها: ألا ترفقين بنفسك، فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبات لا يقطعها إلا المجاهدون. وتستطرد زينب قائلة: كانت عمتي نفيسة تقرأ القرآن وتحفظ تفسيره، بل كانت تبكي كثيراً وهي تقرأه، وبعد أن تفرغ من تلاوته تتضرع رافعة يديها إلى السماء وتقول: "إلهي

* طبقات الصوفية للمناوي (286) 1 ص 723، أهل البيت وأحفاد النبي لهشام خضر ص 203.

وسيدي ومولاي متعتي وفرحتي برضاك عني فلا تسبب لي سبباً به عنك تحجيني " .

وقيل إنها قد أدت فريضة الحج نحو ثلاثين حجة ، أدت معظمها سيراً على الأقدام من المدينة إلى مكة اقتداء بأجدادها مثل الإمام الحسن والحسين . وروي في الأثر أن أباه الإمام سيدي الحسن الأنور كان يصحبها في طفولتها إلى الحجرة النبوية ويقول مخاطباً المصطفى ﷺ .

يا سيدي يا رسول الله أنا راض عن ابنتي نفيسة هذه . وظل على هذا الحال كثيراً ، حتى زاره الرسول ﷺ في المنام وقال له : " يا حسن إنني راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها " .

وروي عنها : أنها أرسلت رسالة إلى أمير مصر الخصيب بن عمرو تشكو له ظلمه وجوره وقهره ، وهي الرسالة التي هزت أمير مصر هزاً عنيفاً ومضمونها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله نفيسة بنت الحسن الأنور إلى أمير مصر الخصيب بن عمرو ، سلام الله عليك : وبعد فإن من حق الحاكم على الرعية أن تقومه إذا اعوج عن الحق وأن ترشده إذا غفل عن الصواب وقد ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخلوتم ففجرتكم وردت إليكم الأرزاق فنعمتم ولم تعلموا أن سهام الليل نافذة ولا سيما من قلوب أوغرتموها .

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما صنع الدعاء سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد ولأمد انقضاء ومحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم فاعملوا ما شئتم ، فإننا صابرون ، وجوروا فإننا بالله مستغيثون ، واطلموا فإننا إلى الله متظلمون ﴿ وَسِعَتْهُمُ اللَّيْنُ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : 227 / 26] .

ما أروع تلك الكلمة الموجزة التي انطلقت فأصابت ، فجرحت فأدمت ، وأرجعت الأمير إلى صوابه وأعاد الحق إلى أصحابه .

إنها نفيسة العلوم التي لم تمل أبداً من القراءة والاطلاع والاستماع إلى كل ما هو جديد . إنها السيدة التي كان يبجلها الإمام الشافعي ويقدرها ، وهو العالم

الفقيه الناسك الباحث المفسر يعرف لها وزنها وقدرها ومكانتها العظيمة في العلم والإيمان، وروى أنه عليه السلام كان كثير التردد على دارها يسألها الدعاء له بالشفاء ثقة في دينها، وقد قرأ عليها الحديث واستمع إلى حديثها وأوصى أن تصلي عليه، ولذلك حين مر نعهش أمام بيتها، أمر والي مصر أن يصلي عليه في دارها، فصلت عليه مأمومة بأحد أصحابه حسب وصيته، وقد ترحمت عليه وقالت: "رحم الله الشافعي كان رجلاً يحسن الوضوء".

لقد كان الشافعي من أحباب أهل بيت النبي ﷺ وقد أنشد يقول فيهم:
يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفضل أنكمو من لم يصل عليكم لا صلاة له

السيدة نفيسة في مصر:

ككل أهل بيت النبي ﷺ رغبت السيدة نفيسة في الهجرة إلى مصر للعيش والبقاء فيها، حتى إنها كانت تتضرع إلى ربها باكية: "إلهي وسيدي يسر لي زيارة قبر خليلك إبراهيم"، واستخارت ربها وانطلقت إلى الخليل هي وزوجها المؤمن بن جعفر الصادق لزيارة قبر سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم رحلت إلى مصر بصحبة زوجها الذي كان يحسن معاملتها ومعاشرتها، فقد كان يعرف قدرها؛ حتى إن أهل مصر الطيبين حين تسرب إليهم نبأ قدوم السيدة نفيسة إليهم خرجوا جميعاً رجالاً ونساءً شباباً وأطفالاً بالهوادج إلى العريش لاستقبالها واصطحبها إلى الفسطاط، وقد أحاط الناس بموكبها من كل جانب حيث كان أهل مصر الطيبون يحبونها حباً كبيراً؛ لأن أهل مصر يعرفون لآل البيت منزلتهم العظيمة، وتوافد الآلاف على البيت الذي وفدت عليه وكان يسمى (دار أم هانئ) وكانوا يسألونها الدعاء والمشورة ويسألونها في الفقه والتفسير. وكانت ذات عقل راجح ورؤية ثاقبة وبصيرة حباها الله بها. وكانت ترد على كل سائل سواء يسأل علماً أو طعاماً أو كساءً أو مالاً، وقد أدت كثرة الوفود التي تفد على بيتها إلى أن أعلن زوجها عزمه على الرحيل والعودة مرة أخرى إلى المدينة المنورة. لكنها قالت

له: "لا أستطيع ذلك؛ لأنني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي: لا ترحلي من مصر فإن الله متوفيك بها".

وطاب مقامها في مصر، وعاشت بها نحو سبع سنين. كانت دارها رمزاً للإيمان والتقوى والكرم والسخاء، وقاعدة للجهد والصمود أمام أي تحديات جسام تواجه أبناء مصر. نعم كانت قلعة للجهد ومنازة للعلم والبلاغة.

وقد أوردت بعض الأخبار أنها كانت لها جارة يهودية في مصر، ولها ابنة مصابة بشلل الأطفال، وقد يئست الأم من شفائها بعد أن طافت أنحاء مصر دون جدوى، وشاءت إرادة الله أن يخرج الأب والأم ويتركوا ابنتهم إلى السيدة نفيسة وإذا بالطفلة قد لفت انتباهها وضوء السيدة نفيسة، ودفعها فضول الأطفال إلى أن تقلد السيدة نفيسة فيما تصنع، وبعد أن مسحت بيدها في بقية ماء وضوء السيدة نفيسة فإذا بالفتاة تنهض وتمشي كأن شيئاً لم يكن من ذي قبل، وانتشر الخبر وعاد الأبوان اليهوديان إلى طفلهما ورأيا بعينيهما ما قد ورد إلى مسامعهما، حتى وقفا في الملأ وأعلنا إسلامهما. وهو ما دفع بالعديد من الأسر اليهودية إعلان إسلامهم بعد أن تبين لهم تلك النفحات، وهو ما يؤكد أن السيدة نفيسة قد حباها الله ومن عليها بقبول الدعاء.

وروي: "أن عجوزاً لديها أربع بنات يتيمات، وقد كن يعملن جميعاً في غزل الصوف الأحمر، وكان دور أمهن العجوز هو أن تبعيه في الأسواق، وبينما كانت الأم تحمل حزمة من الصوف الأحمر لبيعه في الأسواق كعادتها يومياً فإذا بطائر ينقض على حزمة الصوف ويخطفها لينطلق في رحاب الأفق وهو ما أصاب الأم بالدهشة والذهول والخوف أيضاً؛ فماذا حدث؟ ولماذا حدث؟ وكيف حدث؟

فمثل هذا لم يحدث أبداً مع أحد غيرها، بل هي مع ما مضى من عمر طويل لم تسمع أن طائراً قد فعل ما صنعه هذا الطائر العجيب.

وبينما كانت العجوز في ذهولها إذ انفجرت باكية، فكيف تأتي بالطعام للبنات اليتيمات؟ ومن أين سيأكلن هذا اليوم؟ فأشار إليها نفر من الناس كانوا قد شاهدوا

ما قد وقع أن تذهب إلى دار السيدة نفيسة تسألها رزقاً ودعاءً . وانطلقت العجوز وقد رضخت لمطالب الناس البسطاء الطيبين ودخلت على السيدة نفيسة .

وقصت عليها ما قد تعرضت له من ألم وشجن وراحت تبكي بين يديها وتسأل الرزق والدعاء لعل الله يفرج عنها هذا الكرب . وبكت السيدة نفيسة مع العجوز بكاء حاراً وقد أعطتها ما أرادت من طيب الطعام لها ولبناتها . وقد وقفت تدعو الله من أجل تفريج كرب المرأة العجوز ومما أورده الراوي في دعائها :

"يا من علا فقهر، وملك فقدر، أجر أمتك هذه وبناتها ما انكسر، فإنهن خلقك وعبادك" .

وعادت الأم وقد رقت السيدة نفيسة لحالها وتعطفت على قلبها وأعطتها ما قد سألت من غذاء لعلها تستطيع أن تمسح دموعها الكسيرة وتلملم أشلاء قلبها المكسور .

وكانت المفاجأة أن أرسلت السيدة نفيسة إلى استدعاء المرأة فقد حضر إليها وفد من التجار كانوا في داخل سفينة كادت تغرق رغم أنها كانت قريبة من الشاطئ وذلك بسبب انكسار لوح من الخشب وكلما حاولوا سد مكان هذا اللوح تسرب الماء في ثقب اللوح المكسور . ويمضي كبير الوفد في حكايته للسيدة نفيسة بينما كان هذا الصراع الرهيب يدور على ظهر السفينة فإذا بهم يتوسلون بالسيدة نفيسة إلى الله بأن ينجيهم، وبينما هم كذلك إذ اقترب من رؤوسهم طائر كبير وألقى إليهم بحزمة الصوف الحمراء مغزولة .

فوضعوها مكان الثقب الذي يتسرب منه الماء فانسد ونجاهم الله من الغرق، وجاؤوا بخمس مئة درهم من الفضة شكراً لله وبشرى بقبول التوسل إلى الله ببركات السيدة نفيسة، فما كاد الرجال ينهون كلامهم حتى رفعت يديها تقول : "إلهي ما أرأفك وأطفك بعبادك" .

وقالت للمرأة العجوز: بكم كنت تبيعين الغزل؟

فقالت: بعشرين درهماً . فقالت لها: أبشري إن الله عوضك بها خمس مئة . فأخذتها العجوز ودعت للسيدة نفيسة بزيادة البركة .

وفاتها:

لقد ظلت راية السيدة نفيسة خفاقة في سماء مصر، وبركة دعائها المستجاب تغمر أهلها، والوفود تزور بيتها وقوافل الخير لا تنقطع عن جلب الخير لها لتوزيعها على فقراء ومساكين المسلمين الذين يتزاحمون حول بيتها طلباً للصدقة، فظل بيتها دائماً معموراً بالنهار بوفود من كل صوب وحذب، وليلاً يضاء بأنوار الإيمان حيث كانت ساهرة لا تنام، فقد وهبت نفسها للعبادة والاعتكاف. حتى أصابها مرض شديد في بداية هلال شهر شعبان حيث عانت فيه، وقد عرفت أن مرضها هو الإذن بالرحيل إلى ربها. وتمنت أن تموت في رمضان وهي صائمة وأجاب الله دعائها، وبينما كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي صائمة في شهر رمضان أنشدت لمن حولها تقول في فرح شديد:

اصرفوا عني طيبي ودعوني لحبيبي
زاد بي شوقي إليه وغرامي في لهيبي
لا أبالي بفوات حين قد صار نصيبي

وفي عام (208 هجرية) رحلت نفيسة في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان. ولم يكذ ينتشر خبر وفاتها حتى جاء المصريون من كل مكان، وتوافدوا على دارها، وأصروا على أن يصلوا عليها كلهم، فلم يتسع المكان لهم فصلوا جماعات جماعات، وكانت دموعهم تجري من أعينهم كالطوفان المتدفق، فكان يوماً مشهوداً. وجاء زوجها ليحمل جثمانها إلى البقيع لتدفن مع جدتها السيدة فاطمة الزهراء فتوسل أهل مصر إليه وباتوا عند قبرها في تلك الليلة يبكون ويدعون الله ألا تنقل السيدة نفيسة من بينهم، واستجاب الله لهم ووافق زوجها وبقيت السيدة نفيسة في ضريحها، وقد قال زوجها إسحاق المؤتمن للناس قبل عودته إلى المدينة: يا معشر المصريين هنيئاً لكم ببركة السيدة نفيسة بين ظهرانيكم، فوالله الذي لا إله إلا هو لقد رأيت رسول الله ﷺ في منامي الليلة يقول لي: "دع نفيسة بنت الحسن للمصريين حيث هي، فإن الله عز وجل ينزل عليهم الرحمات ببركاتها". وما كاد الناس يستمعون إلى هذا الكلام حتى قاموا

يصلون لله شكراً، ثم قال أحدهم: ما كان الله ليحرم أرض الكنانة من بركة السيدة نفيسة بعد أن عطرت أنفاسها الطاهرة أرجاءها ووطأت أقدامها الكريمة أرضها وترابها.

رحمها الله رحمة واسعة، وسلام الله عليها وعلى أهل بيت النبي الأبرار.

(7)

السيدة رابعة العدوية*

هي السيدة رابعة العدوية أم الخير بنت إسماعيل النفيسية ثم البصرية، مولاة آل عتيك، من أعيان عصرها، رأس العابدات، ورئيسة الناسكات القانتات، الخائفات الوجلات، كانت في عصر الحسن البصري وسفيان الثوري رحمهما الله، وأخذت منهما العلم والحكمة. وهي إحدى النساء اللاتي تقدمن في الفضل والصلاح، كأُم أيوب الأنصارية، وأم الدرداء، ومعاذة العدوية، وهي من بينهن المشهورة بعظيم النسك، ومزيد العبادة وكمال النزاهة والزهادة.

قال عبد الله بن عيسى: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطت.

ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خلق فتكلم رجل عندها بشيء فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

وقال مسمع بن عاصم ورياح القيسي: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها: تستعينين بها على بعض حوائجك. فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: وهو يعلم أنني أستحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟

* انظر طبقات الصوفية للمناوي 1/285، صفة الصفوة 588، المختار من مناقب الأخيار 408/، وفيات الأعيان 2/285، سير أعلام النبلاء 8/215 (53)، العبر 1/278، مرآة الجنان 1/281، الوافي بالوفيات 14/51، البداية والنهاية 10/186، طبقات الأولياء 408، النجوم الزاهرة 1/330، طبقات الشعراني 1/65، شذرات الذهب 1/193.

قال محمد بن عمرو: دخلت على رابعة، وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة، كأنها الشن، تكاد تسقط. ورأيت في بيتها كراخه بوارى، ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد وربما كان بورياً، وحب وكوز ولبد هو فراشها وهو مصلاها. وكان لها مشجب من القصب عليه أكفانها، وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادعي لي، فالتصقت بالحائط وقالت: من أنا يرحمك الله؟ أطع ربك وادعه فإنه يجيب المضطرين.

وقال سجف بن منظور: دخلت على رابعة وهي ساجدة فلما أحست بمكاني رفعت رأسها، فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها. فسلمت فأقبلت علي فقالت: يا بني ألك حاجة؟ فقلت: جئت لأسلم عليك، قال: فبكت وقالت: سترك اللهم سترك، ودعت بدعوات، ثم قامت إلى الصلاة وانصرفت.

قال العباس بن الوليد: قالت رابعة: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي، أستغفر الله.

قال أزهر بن مروان: دخل على رابعة رياح القيسي، وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم. قالوا: ومن أين توهمت علينا؟ قالت إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

وروى أبو جعفر المديني: عن شيخ من قریش قال: قيل لرابعة: هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان فمخافتي أن يرد علي.

قال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيان الثوري وقال: مر بنا إلى المؤدبة التي لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتها. فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده، وقال: اللهم إني أسألك السلامة فبكت رابعة. فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أنت عرضتني بالبكاء. فقال وكيف؟ قالت أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطح بها؟

وقال الثوري بين يدي رابعة: واحزنانه، فقالت: لا تكذب: قل: واقلة حزنانه، لو كنت محزوناً ما هنأك العيش.

قال جعفر بن سليمان: سمعت رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيام معدودة، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم، فاعمل.

قال عبيس بن مرحوم العطار: حدثني عبدة بنت أبي شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة. قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك وهي فرعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت. فلما حضرتها الوفاة دعنتني فقالت: يا عبدة لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيني في جبتي هذه، وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيته بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر، لم أر شيئاً قط أحسن منه. فقلت: يا رابعة: ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوفي؟ قالت: إنه والله نزع عني وأبدلت به هذا الذي ترينه علي. وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكن لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا؟ وما هذا إلا من كرامة الله عز وجل لأوليائه. قالت: فقلت: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات، هيهات، سبقتنا والله إلى الدرجات العلى. قالت: قلت: وبم وقد كنت عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حالة أصبحت من الدنيا أو أمست. قالت: فقلت: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً. قالت: يزور الله متى يشاء قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ، بخ، أعطي - والله - فوق ما كان يأمل.

قالت: قلت فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل. قالت: عليك بكثرة ذكره، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

ماتت رحمها الله سنة 135هـ، ودفنت بظاهر القدس على رأس جبل يسمى جبل الطور.

الخاتمة

الحمد لله بدءاً وختماً، وصلى الله على سيدنا محمد ذاتا ووصفاً واسماً، وعلى آله وصحبه ذوي المآثر العظمى.

أما بعد :

فإن أشد ما يحتاج إليه المسلم في هذا العصر الذي طغت فيه المادة هو الجانب الروحي الذي أشار إليه سيد الوجود ﷺ بمقام الإحسان، فقال: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، وهو أحد مراتب الدين الثلاث؛ الإسلام والإيمان والإحسان، وإن شئت قلت الشريعة والطريقة والحقيقة، وهي كمال الدين فلا يكمل الإيمان إلا بالإسلام ولا يصح إسلام بلا إيمان، ولا تبلغ حقيقة الكمال إلا بجمعهما بالإحسان. وذلك ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة الكرام وآل البيت الأطهار عليهم الرضا والرضوان، لأنهم استمدوا تلك المعاني مباشرة من فيض النبوة فكانوا أكمل الناس ديناً، ثم سار التابعون على نهجهم لقربهم من عهد الرسالة فهم من خير القرون، وما زال الأمر كذلك إلى أن فشا الإقبال على الدنيا ومفاتها فاختص المقبلون على الله باسم الصوفية، حنّوا إلى الذكر وحثوا عليه، وعلى ضرورة التلقين عن شيخ كامل مربّب اقتداء بسيد الذاكرين ﷺ واتصلاً بحضرته السنية عن طريق أسانيدهم العالية وسلاسلهم الذهبية الزاهرة.

ولما كتبت العلوم ودونت الفنون وكتب الفقهاء في الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث، كتب رجال التصوف في طريقتهم ودونوا علومهم المستمدة من الكتاب والسنة؛ إذ كل الطرق مسدودة على الخلق إلا على المقتفين آثار

رسول الله ﷺ، كما صح ذلك عن إمام الطائفة سيدي أبي القاسم الجنيد قدس الله سره، فكانوا بحق ورثته ﷺ عبر العصور داعين إلى الله بإذنه هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين، ولقد أجاد حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله بوصفهم حين قال: "لو جُمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً"، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، فهم رموز الدين الشامخة في العلم والعمل، والخلق وحسن المعاملة، المعبرون بصدق عن صفاء التوحيد وكمال الخلق في التعامل مع الخالق والمخلوق، يقول الإمام القشيري رحمه الله: "جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسرارهم واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، أصفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووقفهم للقيام بآداب العبودية".

لأجل هذا وغيره جاء هذا الكتاب حافلاً بتراجم هؤلاء السادة الأعلام إذ بذكرهم تنزل الرحمات، وبتراجمهم يتعرض المحب للنفحات، كيف وقد روي عنه ﷺ أنه قال: "أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يَدْرِي أَوَّلُهَا خَيْرٌ أَمْ آخِرُهَا".

ونحن والحمد لله في آخر هذا الزمان متوجون بشرف النسبة إلى حضرة الشيخ الكامل والمربي الواصل سيدي محمد عبد اللطيف بلقايد رحمه الله الذي حمل أعباء الطريق وأنار معالم التحقيق، فأحيا بهديه سنة السلف، وغرس محبتهم في قلوب الخلف، داعياً إلى الله بسنة رسول الله ﷺ فانتشرت الطريق بفضلته في أصقاع العالم وسلك محبوه وأتباعه نهجه في بناء الزوايا والمدارس لتعليم القرآن الكريم والعلم الشرعي والسلوك الحسن، مستمدين ذلك من توجيهاته السنية وإشاراته العلية، فحفظه الله ورعاه وأيده ونصره، وأعز به الدين وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين.

هذا وإننا نسأل كل من طالع هذا الكتاب الجليل أن يخص جماعة المريدين الذين سهروا على جمعه وترتيبه بدعوة خالصة، وهم:

- الشريف أحمد عبد السلام بلقايد

- الشريف محسن الحارث

- الحبيب بن عودة

- بالبشير البشير

- أحمد معزوز

- سمير فخار

- أحمد معراجي

- عمر معراجي

جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ومن العمل الذي لا ينقطع بعد الموت آمين .

اللهم صل أفضل صلواتك على أشرف مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك ومداد كلماتك كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله وعونه الجزء الثاني وبه تم الكتاب والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ
الْجُزْءُ الثَّانِي وَبِهِ تَمَّ الْكِتَابُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

صفحة بيضاء

رقم 470

المصادر والمراجع

- 1- التشوف إلى رجال التصوف، لابن الزيات.
- 2- تعريف الخلف برجال السلف، لأبي القاسم محمد بن إبراهيم الغول.
- 3- الطبقات الكبرى، للإمام عبد الوهاب الشعراني.
- 4- نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار، للشبلنجي.
- 5- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف.
- 6- مرآة المحاسن لأخبار الشيخ أبي المحاسن، لمحمد العربي الفاسي.
- 7- طبقات الشاذلية الكبرى، للحسن الكوهن الفاسي.
- 8- أنس الفقير وعز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين، لابن قنفذ.
- 9- مجموعة رسائل، لمولاي العربي الدرقاوي.
- 10- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للواسطي الشافعي.
- 11- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح، لابن عطاء الله السكندري.
- 12- تهذيب المواهب السرمدية في أجلاء السادة النقشبندية، لمحمد أمين الكردي.
- 13- نفحات الأنس من حضرات القدس، للملا نور الدين الجامي.
- 14- الفهرسة، لابن عجيبة.
- 15- المفآخر العلية في المآثر الشاذلية، لمحمد بن إبراهيم عياد.
- 16- أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية، لمحمود خطاب السبكي.
- 17- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي.

- 18- المطرب بمشاهير أولياء المغرب، للشيخ عبد الله بن عبد القادر التليدي.
- 19- حقيقة السلفية الصوفية في مذهب أهل الحق الصوفية، للإمام عبد القادر الشطي.
- 20- شرح نونية الإمام الششتري، لسيدي أحمد ابن عجيبة.
- 21- درر السحابة في مناقب القراة والصحابة، للشوكاني.
- 22- نيل الخيرات الملموسة بزيارة آل البيت والصالحين بمصر المحروسة، لسعيد أبو الأسعاد.
- 23- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، للإمام عبد الوهاب الشعراني.
- 24- إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، للعلامة زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي.
- 25- المحاضرات في الأدب واللغة، للإمام الحسن اليوسي.
- 26- أهل البيت وأحفاد النبي ﷺ، لهشام خضر.
- 27- طريق الله (الجزء الأول والثاني)، تأليف جماعة من المريدين (الزاوية البلقائدية الهيرية).
- 28- اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهيرية، لأحمد الهيري.
- 29- مجلة: منبر الإمام مالك بن أنس، الزاوية الحملاوية.
- 30- سيدي أحمد بن موسى الكرزازي حياته وشعره، لطول عبد الحكيم (شهادة الماجستير).
- 31- الدرر النفيسة في ذكر جملة من الشيخ سيدي أحمد بن موسى، لمولاي التهامي غيتاوي.
- 32- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي.
- 33- صفة الصفوة، للإمام جمال الدين القرشي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي.
- 34- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي.
- 35- سير أعلام النبلاء، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي.
- 36- البداية والنهاية، لا بن كثير الدمشقي.

- 37- طبقات الأولياء، لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد المصري المعروف بابن الملقن.
- 38- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لمحمد بن أحمد الحسني الفاسي.
- 39- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي.
- 40- تاريخ بغداد، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي.
- 41- جامع كرامات الأولياء، للعارف يوسف بن إسماعيل النبهاني.
- 42- طبقات الصوفية (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) الكبرى والصغرى، للعلامة زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي.
- 43- السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، للحاج مصطفى العشعاشي.
- 44- سيرة آل بيت النبي الأطهار، لمجدي فتحي السيد.
- 45- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان.
- 46- الكامل في التاريخ، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني الشهير بابن الأثير.
- 47- بحارالولاية المحمدية في مناقب أعلام الصوفية، للدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدي.
- 48- ممتع الأسماع في الجزولي والتابع ومالهما من الأتباع، لمحمد المهدي الفاسي.
- 49- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، للشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني.
- 50- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، للكيلاني.
- 51- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط.
- 52- صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد بن الحاج الإفرائي.
- 53- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله بن مريم المديوني.
- 54- الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، لسيدي عبد الكريم الجيلي.
- 55- أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، لعبد الباقي مفتاح.

- 56- علي بن أبي طالب إمام العارفين، لأحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني .
- 57- محمد الفاتح، لعلي محمد الصلابي .
- 58- طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي .
- 59- طبقات الشاذلية الكبرى، لمحبي الدين الطعمي .
- 60- تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن الجيلالي .
- 61- تاريخ العبر... ، لعبد الرحمن بن خلدون .
- 62- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني .
- 63- لطائف المنن، لابن عطاء الله الإسكندري .
- 64- نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، لعبد الله بن أسعد اليافعي .
- 65- نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري .
- 66- معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي .
- 67- لسان التعريف بحال الولي الشريف سيدي إبراهيم الدسوقي، لجلال الدين الكركي .
- 68- نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، لعلي الجمل العمراني .
- 69- نظم الفرائد وأزهى القلائد في سيرة مولانا الإمام الشريف محمد بلقايد، للشريف عبد الله العبدلي .

الفهرس العام

- الجزء الأول
- الجزء الثاني

صفحة بيضاء

رقم 476

الجزء الأول

ترجمة طبقات السند الأول 194 /1

(1) سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب 194 /1

(2) القطب أبو محمد جابر 200 /1

(3) القطب سعيد الغزواني 200 /1

(4) سيدي فتح السعود 200 /1

(5) القطب سعد 201 /1

(6) القطب أبو محمد سعيد 201 /1

(7) القطب أحمد المرواني 201 /1

(8) القطب إبراهيم البصري 201 /1

(9) الغوث زين الدين القزويني 201 /1

(10) القطب محمد شمس الدين 202 /1

(11) القطب محمد تاج الدين 202 /1

(12) الشيخ أبو الحسن نور الدين 202 /1

(13) القطب محمد فخر الدين 203 /1

(14) القطب تقي الدين الفقير 203 /1

(15) سيدي عبد الرحمن الزيات 203 /1

(16) سيدي عبد السلام بن مشيش 204 /1

- (17) سيدي أبو الحسن الشاذلي 206 /1
- (18) سيدي أبو العباس المرسي 210 /1
- (19) سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري 212 /1
- (20) الإمام الكبير سيدي داود الباخلي 214 /1
- (21) الشيخ محمد وفا 215 /1
- (22) العَلَم الشهير سيدي علي وفا 217 /1
- (23) سيدي يحيى القادري 220 /1
- (24) سيدي أبو العباس الحضرمي 220 /1
- (25) الإمام الكبير مولانا أحمد زروق 222 /1
- (26) العارف إبراهيم أفحام 224 /1
- (27) القطب علي الصنهاجي الدوار 225 /1
- (28) الشيخ عبد الرحمن المجذوب 228 /1
- (29) سيدي يوسف الفاسي (أبو المحاسن) 229 /1
- (30) الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي 231 /1
- (31) سيدي مَحْمَد بن محمد بن عبد الله معن الفاسي الأندلسي 237 /1
- (32) الشيخ قاسم الخصاصي الأندلسي 242 /1
- (33) سيدي أحمد بن مَحْمَد بن عبد الله معن الفاسي 244 /1
- (34) سيدي محمد العربي بن عبد الله (الحفيد) 249 /1
- (35) سيدي علي الجمل العمراني 250 /1
- (36) مولاي العربي الدرقاوي 253 /1
- العارف الشريف سيدي بوعزة المهاجي 262 /1
- (37) سيدي عبد القادر الباشا الوكيل 262 /1

- (38) سيدي محمد بن قدور الوكيل الكركري 264 /1
- (39) الشيخ سيدي الحاج محمد الهبري 265 /1
- (40) الشيخ سيدي محمد الهبري 272 /1
- (41) (محيي الطريق) سيدي الشيخ محمد بن أحمد بلقايد 274 /1
- (42) سيدي الشريف محمد عبد اللطيف بن محمد بلقايد 283 /1
- ترجمة طبقات السند الثاني 292 /1
- (1 /2) الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب 292 /1
- (2 /2) الإمام علي بن الحسين زين العابدين 297 /1
- (3 /2) الإمام محمد الباقر 303 /1
- (4 /2) الإمام جعفر الصادق 309 /1
- (5 /2) الإمام موسى الكاظم 317 /1
- (6 /2) الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم 321 /1
- (7 /2) سيدي معروف الكرخي 322 /1
- (8 /2) شيخ صوفية العراق: سيدي الإمام السري السقطي 328 /1
- (9 /2) الإمام الجنيد 339 /1
- (10 /2) الإمام أبو بكر الشبلي 345 /1
- (11 /2) العارف عبد الواحد أبو الفضل الحنبلي 352 /1
- (12 /2) القطب أبو الفرج الطرسوسي 353 /1
- (13 /2) الإمام أبو الحسن القرشي الهكاري 353 /1
- (14 /2) القاضي أبو سعيد المبارك 354 /1
- (15 /2) القطب الرباني سيدي عبد القادر الجيلاني 355 /1
- (16 /2) سيدي أبو مدين المغربي 364 /1

(2/17) الشيخ بن سيد بونة الخزاعي الأندلسي 375 /1

ترجمة طبقات السند الثالث 386 /1

(3/1) الإمام الحسن البصري 386 /1

(3/2) سيدنا حبيب الفارسي العجمي 393 /1

(3/3) سيدنا داود بن نصير الطائي 395 /1

الجزء الثاني

9 / 2 القرنُ الأوَّل و الثَّاني الهجريان
9 / 2 سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط
10 / 2 الخليفة عمر بن عبد العزيز
16 / 2 سيدنا أبو مسلم الخولاني
17 / 2 سيدنا القاسم بن محمد
18 / 2 الإمام محمد بن سيرين
20 / 2 سيدنا محمد بن المنكدر
21 / 2 الإمام مالك بن دينار
28 / 2 سيدنا يونس بن عبيد
30 / 2 سيدنا عبد الله المحض
34 / 2 الإمام هرم بن حيّان
35 / 2 الإمام أبو حنيفة النعمان
38 / 2 سيدنا سفيان بن سعيد الثوري
44 / 2 الإمام إبراهيم بن أدهم
47 / 2 سيدنا أويس القرني
54 / 2 سيدنا موسى الجون
54 / 2 سيدنا مولاي إدريس الأكبر

- 57 /2 سيدنا شيان الراعي
- 59 /2 الإمام الفضيل بن عياض
- 63 /2 سيدنا سفيان بن عيينة
- 66 /2 الإمام شقيق بن إبراهيم البلخي
- 68 /2 الإمام مالك بن أنس
- 74 /2 القرن الثالث الهجري
- 74 /2 الإمام الشافعي
- 80 /2 الإمام مولاي إدريس الأنور
- 90 /2 الإمام محمد بن علي الجواد
- 91 /2 سيدنا بشر الحافي
- 97 /2 الإمام حاتم الأصم
- 98 /2 الإمام أحمد بن حنبل
- 103 /2 سيدنا الإمام الحارث المحاسبي
- 104 /2 الإمام علي الهادي بن محمد بن علي
- 106 /2 ذو النون المصري
- 121 /2 الإمام البخاري
- 123 /2 الإمام الحسن العسكري
- 124 /2 الإمام أبو يزيد البسطامي
- 127 /2 الإمام سهل بن عبد الله التستري
- 138 /2 الإمام أحمد بن محمد النوري
- 143 /2 القرن الرابع الهجري
- 143 /2 الحكيم الترمذي

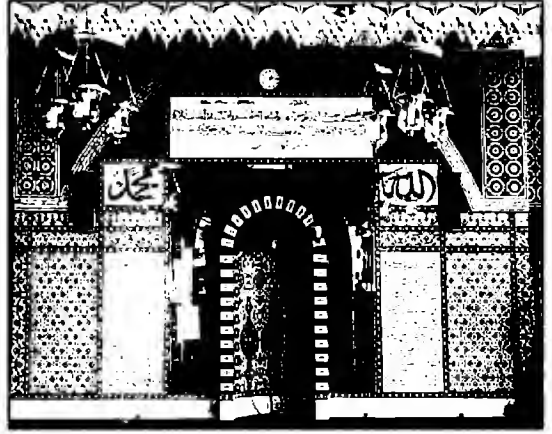
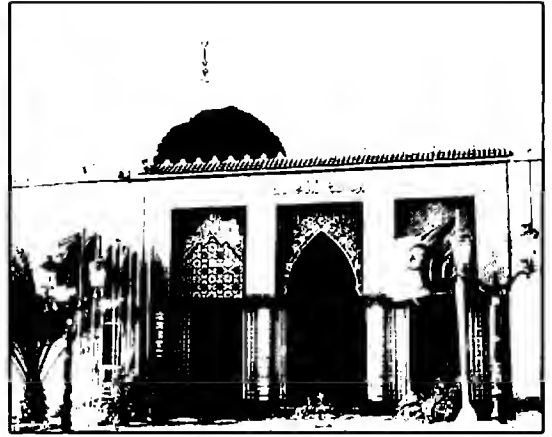
- الإمام إسحاق بن محمد النهرجوري 146 /2
- الإمام أحمد بن محمد الروذباري 147 /2
- الإمام إبراهيم بن محمد النصراباذي 150 /2
- القرن الخامس الهجري** 153 /2
- سيدنا أبو علي الدقاق 153 /2
- الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري 154 /2
- الحسن بن بشرى الجوهري 155 /2
- القرن السادس الهجري** 157 /2
- الإمام محمد بن محمد الغزالي 157 /2
- الإمام عبد الرحيم القشيري 161 /2
- الإمام أبو الفتح الغزالي الطوسي 163 /2
- الإمام أحمد بن أبي الحسن علي الرفاعي 164 /2
- الإمام قطب الدين النيسابوري 168 /2
- السلطان صلاح الدين الأيوبي 170 /2
- سيدي أبو العباس السبتي 176 /2
- أبو الفتح الواسطي 180 /2
- القرن السابع الهجري** 183 /2
- الإمام شهاب الدين السهروردي 183 /2
- سيدي عمر بن الفارض 185 /2
- الإمام محيي الدين محمد بن علي بن عربي 193 /2
- العلامة عبد العزيز بن عبد السلام 199 /2
- أبو القاسم القباري الشاذلي 204 /2

- 205 /2 سيدي أبو الحسن الششتري
- 212 /2 صدر الدين محمد القنوي
- 214 /2 جلال الدين محمد البلخي الرومي
- 219 /2 أبو عبد الله الشاطبي
- 219 /2 سيدي أحمد البدوي
- 223 /2 الإمام يحيى بن شرف النووي
- 226 /2 نجيب الدين علي الشيرازي
- 227 /2 الإمام العفيف التلمساني
- 229 /2 الإمام البوصيري
- 230 /2 سيدنا ياقوت العرشي
- 231 /2 سيدي إبراهيم الدسوقي
- 237 /2 القرن الثامن الهجري
- 237 /2 سيدي علي البدوي الشاذلي
- 237 /2 سيدي فتح الله العجمي
- 238 /2 الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند
- 253 /2 القرن التاسع الهجري
- 253 /2 الشيخ عبد الكريم الجيلي
- 256 /2 سيدي محمد بن عمر الهواري
- 263 /2 الشيخ آق شمس الدين محمد
- 266 /2 إبراهيم بن محمد التازي
- 270 /2 أحمد بن عروس الشاذلي
- 271 /2 الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي

- 284 /2 الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي
- 291 /2 سيدنا إبراهيم المتبولي
- 292 /2 السلطان محمد الفاتح
- 297 /2 الإمام أحمد بن إسماعيل الكوراني
- 299 /2..... القرنُ العاشر الهجري
- 299 /2 الشيخ سيدي جلال الدين السيوطي
- 301 /2 أحمد بن يوسف الملياني
- 303 /2 سيدي علي الخواص
- 304 /2 شهاب الدين السبكي
- 304 /2 القطب الشعراني
- 310 /2 الشيخ سيدي أحمد بن موسى
- 321 /2..... القرنُ الحادي عشر الهجري
- 321 /2 سيدي محمد بن ناصر الدرعي
- 322 /2 سيدي عبد الله الشريف الوزاني
- 327 /2..... القرنُ الثاني عشر الهجري
- 327 /2 الحسن بن مسعود اليوسي
- 332 /2 الإمام سيدي أحمد بن محمد اليمني
- 338 /2 سيدي عبد العزيز الدباغ
- 341 /2 الإمام عبد الغني النابلسي
- 344 /2 الإمام مصطفى البكري
- 347 /2 القطب سيدي محمد السمان
- 349 /2..... القرنُ الثالث عشر الهجري

- 349 / 2 سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري
- 352 / 2 سيدي محمد البوزيدي
- 355 / 2 سيدي أحمد بن عجيبة الحسني
- 361 / 2 سيدي أحمد التيجاني
- 364 / 2 سيدي محمد بن حمزة ظافر المدني
- 365 / 2 سيدي أحمد بن إدريس
- 366 / 2 سيدي محمد الحراق
- 369 / 2 سيدي أحمد بن عبد المؤمن الغماري
- 370 / 2 سيدي عبد الواحد الدباغ
- 371 / 2 سيدي أبو بكر البناني
- 371 / 2 سيدي محمد الفاسي
- 376 / 2 سيدي محمد بن أحمد الموسوم
- 378 / 2 الأمير عبد القادر الجزائري
- 391 / 2 القرن الرابع عشر الهجري
- 391 / 2 سيدي علي الشرطي
- 391 / 2 السيد محمد العقاد
- 394 / 2 سيدي قدور بن محمد المستغامي
- 395 / 2 سيدي محمد بن جعفر الكتاني
- 398 / 2 العارف يوسف النبهاني
- 404 / 2 الشيخ أحمد بن عليوه
- 405 / 2 الإمام أحمد الشريف السنوسي
- 411 / 2 الشيخ البودالي بن عبد القادر الجباري

- الشيخ الحاج ابن إبراهيم البودالي 412 /2
- القرن الخامس عشر الهجري 415 /2.
- الشيخ محمد متولي الشعراوي 415 /2
- الشيخ سيدي محمد بن الكبير 419 /2
- الشيخ محمد بن علوي المالكي 423 /2
- الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي 430 /2



زاوية الشيخ سيدي محمد بلقايد رضي الله عنه